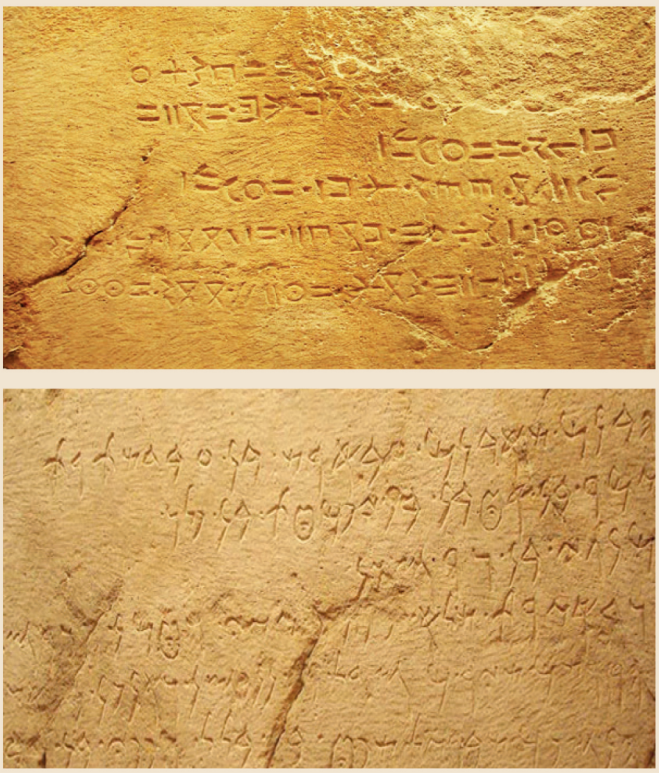
عبد اللطيف الركيك

الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا القديم
بين الأسس الليبية والتأثيرات الوافدة



2022

الحضارة القرطاجية
بشمال إفريقيا القديم:
بين الأسس الليبية والتأثيرات الوافدة

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية

عبد اللطيف الركيك

الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا القديم: بين الأسس الليبية والتأثيرات الوافدة

(المجال - الإنسان - اللغة - الكتابة - الدين)

2022

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة: دراسات وأبحاث رقم 99

الكتاب

الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا القديم: بين الأسس الليبية والتأثيرات الوافدة

المؤلف

عبد اللطيف الركيك

المتابعة

المحفوظ أسمهري

الناشر

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الغلاف

وحدة النشر

صورة الغلاف

نقيشة ثنائية اللغة (بونية ليبية) بموقع دقة بتونس.

https://journals.openedition.org (Dominique Casajus)

الإيداع القانوني

2022MO3914

ردمك

978-9920-739-77-1

الطباعــة والإخــراج

دار أبي رقراق للطباعة والنشر - الرباط

حقــوق الطبــع

© محفوظة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

طبــعــة : 2022

إهداء

إلى رمز العطاء أمي، إلى زوجتي

إلى زهرتي الغالية ابنتي لجين

قائمة الاختزالات

ACISPP, I : Atti del I congresso internazionale di studi fenici e punici (Roma, 5-10 novembre 1979), 3 vol., Roma 1983.

ACISPP, II **:** Atti del II congresso internazionale di studi fenici e punici (Roma 9-14 novembre 1987), 3 vol., Roma 1991.

AJA : American Journal of Archaeology.

Ant. Afr.: Antiquités africaines.

BAC=BCTH=BCHT: Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques.

BAM : Bulletin d'Archéologie Marocaine.

BH: Bibliothèque Historique (DIODORE DE SICILE).

CEDAC: Centre d'Etude de Documentation Archéologique de la Conservation de Carthage.

CIL : Corpus Inscriptionum Latinarum.

CIS : Corpus Inscriptionum Semiticarum.

CNRS: Centre National de la Recherche Scientifique.

CRAI: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.

CT: Cahiers de Tunisie.

DCPP: Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique.

Ency. Berb.: Encyclopédie Berbère.

GJ: Guerre de Jugurtha(SALLUSTE).

HAAN : GSELL, S., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord. T. I-VIII.

HN: Histoire Naturelle (PLINE L'ANCIEN).

HR : Histoire Romaine (TITE-LIVE).

JA : Journal Asiatique.

LA: Libya antiqua.

LAPMO: Laboratoire d'anthropologie, de préhistoire et d'ethnologie des pays de la Méditerranée occidentale.

MAO: Manuel d'Archéologie Orientale (CONTENAU G.)= 2 Tomes.

MAP: Manuel d'Archéologie Punique (CINTAS, P.).

MEFR: Mélange de l'École Française de Rome.

NP : Nécropoles Puniques de Carthage (GAUCKLER, P.) 2 Parties.

PW: Punic Wars(APPIEN).

REPPAL : Revue d'Études Phéniciennes et Puniques et des Antiquités Libyques.

RES : Répertoire d'Épigraphie Sémitique.

Rev. Tun.: Revue Tunisienne.

RIL: Recueil des inscriptions libyques.

SP.:Studia Phoenicia.

مقـدمـة

يكتسي فحص الجوانب المحلية والوافدة في الحضارة القرطاجية أهمية بالغة في سياق تطور البحث في تاريخ شمال إفريقيا القديم بشكل عام، وفي التاريخ القرطاجي بشكل خاص، وذلك بغية تقييم دور الأسس المحلية في انبثاق وازدهار الحضارة القرطاجية، وتمييزها عن التأثرات الوافدة على المجال الإفريقي الذي تأسست به قرطاج، وتشكلت به حضارتها، سواء كان مصدرها الشرق الفينيقي باعتباره مهدا لمؤسسي قرطاج، أو باقي مصادر التأثير المتوسطية. لقد ركزت الأبحاث التاريخية والأثرية لعقود خلت على محاولة التعريف بمظاهر الحضارة القرطاجية، مما وفّر تراكمات علمية هامة أصبحت تسمح بمقاربة إشكاليات جديدة في التاريخ القرطاجي، ونقترح في هذا المضمار مطارحة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة المسماة «قرطاجية» أو «بونية»[1].

لقد ظلت إشكالية أصول بعض مكونات الحضارة القرطاجية حاضرة على الهامش في عديد الأبحاث التي اهتمت بالتاريخ القرطاجي، والتي لامست أحيانا مسألة مصادر التأثير في بعض جوانب الحضارة القرطاجية. غير أنه لم يسبق لحد الآن طرح إشكالية المحلي والوافد في إطار دراسة متكاملة تأخذ بعين الاعتبار البعدين المحلي والوافد في تلك الحضارة التي لطالما اعتبرت فينيقية خالصة. ولسد هذا الخصاص، نقترح اعتماد مقاربة تحليلية نقدية شمولية ومُقارنة لدراسة مكونات الحضارة القرطاجية على ضوء تيمتي «المحلي» و»الوافد» عبر محاولة التمييز في مكونات تلك الحضارة بين الأسس المحلية الليبية الموروثة من المجال الإفريقي، والعناصر الحضارية الوافدة إليه نتيجة قدوم الفينيقيين وتأسيس قرطاج، وتشعب العلاقات التجارية والحضارية مع باقي شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع في طرح إشكالية بحثية نعتبرها-من حيث الطرح الشمولي-جديدة في حقل الدراسات الفينيقية البونية. ونقصد ب»المحلي» تلك الأسس

1- ترجع فكرة دراسة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية بالصيغة التي نقترحها في هذا الكتاب للباحثة حليمة غازي، أستاذة التاريخ القديم سابقا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس/ المغرب، التي اقترحت علينا منذ سنة 2000 الاشتغال على الموضوع.

الحضارية التي ورثتها الحضارة القرطاجية عن الحضارة المحلية الليبية[1] بالمنطقة التي شملتها السيطرة السياسية لقرطاج، أو امتد إليها إشعاعها الحضاري، والمقصود بذلك الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. بينما يكمن «الوافد» في التأثيرات التي استلهمتها قرطاج من خارج مجالها الإفريقي، سواء تلك التي أدخلها الفينيقيون إلى قرطاج، أو تلك التي تسربت إليها عن طريق نشاطها التجاري مع شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد بدأت الإرهاصات الأولى للبحث في إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية بالظهور في أغلب الدراسات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ القرطاجي، رغم أنها اختزلت الأمر في محاولة مقارنة بعض مظاهر الحضارة القرطاجية بمظاهر الحضارات الفينيقية والإغريقية والرومانية دون أن تولي الاهتمام اللازم للأساس الحضاري المحلي، أو للوثائق المحلية بالمجال الإفريقي الذي توسعت به قرطاج، سواء منها تلك المنتمية إلى الفترة القرطاجية، أو تلك العائدة لحقبة ما قبل التاريخ. ولتجاوز هذا الأمر، فقد اعتمدنا -في إنجاز هذه الدراسة- منهجية مغايرة من حيث اختيار المصادر الأدبية والأثرية الموظفة في دراسة إشكالية المحلي والوافد، سواء على المستوى الزمني أو المجالي.

وهكذا، فإن مقاربة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية تستلزم -كضرورة منهجية- فهم الحضارة القرطاجية انطلاقا مما ورد في المصادر الإغريقية واللاتينية، إضافة إلى الاطلاع على تقارير الحفريات الأثرية التي جرت بالمواقع الفينيقية في الشرق من جهة، وتلك التي تمت بموقع قرطاج، وبباقي المواقع الشمال إفريقية والمتوسطية من جهة أخرى. علاوة

1- نستعمل مصطلح «ليبيين» في هذه الدراسة للإشارة إلى مجموع سكان شمال إفريقيا خلال الفترة القديمة، ما يقابل مصطلح «أمازيغ» في الاستعمالات المعاصرة لضرورات منهجية تقتضيها الحاجة إلى استعمال تسمية شاملة ومعبرة عن هؤلاء السكان منذ الفترة القديمة، وإلى غاية الفترة الراهنة. مع الحرص على وضع المصطلح في سياقه التاريخي، آخذين في الاعتبار التغيرات التي عرفها المدلول المجالي لهذه التسمية عبر الزمن. فقد اتسعت التسمية خلال الفترة الكلاسيكية لتشمل مجموع ساكنة شمال إفريقيا. في حين بدأ معناها يضيق خلال الفترة القرطاجية المتأخرة، حيث لم تعد تعني سوى السكان المحليين التابعين للحكم القرطاجي تمييزا لهم عن النوميديين والموريين المستقلين عن قرطاج.. أما بالنسبة لتعريب التسمية انطلاقا من اللغة الإغريقية القديمة، فتُستعمل في الأبحاث المعاصرة عدة صيغ مثل «ليبيون» و«لوبيون» و«ليبوويون»...إلخ. علما أن اللفظ الذي استعمله الكتاب الإغريق للإشارة إلى شمال إفريقيا هو ليبيا (Λιβύη)، بينما أشاروا إلى سكانها باسم ليبووين(Λίβυες)، في حين ورد اسم الليبيين على نقود مرتزقة قرطاج التي ضربت بصقلية بنفس الصيغة (ΛIBYΩN). للمزيد راجع ما يلي:

Hérodote, *Histoires*, IV, 197, 2 ; ALEXANDROPOULOS J., *Les monnaies de l'Afrique antique (400 av.j.-c – 40 ap. j.-c)*, PUF, Toulouse, 2000, p. 90 ; ZIMMERMANN K., Libyens, dans *Ency. Berb.*, 2008, pp, 28-29, passim.

على الاهتمام بمعطيات حقبة ما قبل التاريخ. وذلك بغرض رصد جذور الأسس المحلية في الفترات السابقة على قدوم الفينيقيين وتأسيس قرطاج، من خلال الاستئناس بأولى الدراسات التاريخية والأثرية الأوروبية حول قرطاج وحضارتها، من دون الارتهان بالآراء أو الأطروحات التي تمخضت عنها، والتي أخضعناها لتناول نقدي نظرا لأهميتها، وكونها تأسيسية للبحث في هذا تاريخ الحضارة القرطاجية، وفي موضوع هذه الدراسة بالخصوص.

وأخذا بعين الاعتبار ما بسطناه أعلاه، فإن هذه دراسة تتغيًّا التعريف ببعض مظاهر الحضارة القرطاجية، ومقارنتها بمظاهر الحضارة الليبية التي سادت بشمال إفريقيا عموما، والجزء الشرقي منه خصوصا قبل وصول الفينيقيين إلى المنطقة من أجل رصد الأسس المحلية التي، ربما، ساهمت في إثراء الحضارة القرطاجية. كما يقتضي البحث في الجوانب الوافدة دراسة مظاهر الحضارة الفينيقية في مهدها بحكم الأصول الفينيقية لمؤسسي قرطاج، ثم مقارنتها مع مظاهر الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا. هذا فضلا عن مقارنة جوانب حضارة المجال القرطاجي الإفريقي بمظاهر الحضارات المتوسطية التي احتكت بها قرطاج سواء عبر التجارة، أو النفود السياسي والعسكري بهدف تقييم أهمية التأثيرات المتوسطية التي تلقاها سكان المجال القرطاجي الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم.

ويتأسس البحث في الجوانب المحلية الليبية في الحضارة القرطاجية على كون تلك الحضارة قد انبثقت وتطورت بأرض إفريقية، وهي الأرض التي دلّت الأبحاث الأثرية على تشكل حضارة محلية عتيقة بها منذ فترات سابقة على قدوم العنصر الفينيقي إلى المنطقة. لقد تأسست قرطاج وتوسعت بمجال إفريقي، وانفتحت على كتلة بشرية كبيرة من السكان المحليين الليبيين، سواء الذين خضعوا بشكل مباشر لسيطرتها السياسية، أو أولئك الذين ارتبطت معهم بصلات تجارية، وأواصر حضارية من خلال مراكزها التجارية على طول سواحل شمال إفريقيا القديم. الشي الذي يبرر، مبدئيا، البحث في العناصر المحلية التي استلهمتها قرطاج من مجالها الإفريقي.

وتتطلب مطارحة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية، كمجال بحثي تحفه عدة إكراهات لجهة تشعبه، وشموليته، واتساعه مجاليا وزمانيا، واعتماده على مقاربة

تحليلية ونقدية، استهلال الدراسة بمدخل منهجي لتوضيح سياق طرح إشكالية المحلي والوافد، وتحديد الأسس النظرية والمنهجية لهذه الدراسة. ويشتمل هذا المدخل أيضا على دراسة نقدية للمصادر التاريخية والأثرية التي تشكل مادة هذا العمل، مع توسيع الإطار الزمني للمصادر الموظفة في البحث ليشمل وثائق حقبة ما قبل وما قبيل التاريخ. أما مجاليا، فقد تمت الاستعانة بمعطيات مجال جغرافي شاسع يضم الشرق الفينيقي، وشمال إفريقيا والصحراء، والمناطق المتوسطية.

ويعد هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ جزءا من دراسة شاملة أنجزناها في إطار أطروحة لنيل الدكتوراه، قاربنا فيها مجمل عناصر الحضارة القرطاجية على ضوء إشكالية المحلي والوافد[1]. وسنقتصر فيه على تناول أربعة من جوانب الحضارة القرطاجية، وتبعا لذلك قسمناه إلى أربعة أبواب. خصصنا الباب الأول لتحديد «المجال القرطاجي الإفريقي»، وبحثنا في الباب الثاني المعطيات البشرية لذلك المجال من خلال تقييم حضور العناصر الوافدة والمحلية به. ودرسنا في الباب الثالث اللغة والكتابة بنفس المجال على ضوء إشكالية المحلي والوافد، بينما طرحنا في الباب الرابع والأخير موضوع العقائد والمعبودات بالمجال القرطاجي الإفريقي. وهكذا، يمثل تحديد ما نسميه «المجال القرطاجي الإفريقي» الذي خضع للسلطة السياسية لقرطاج الركيزة والمنطلق الأساس للبحث في باقي عناصر الحضارة القرطاجية، فيما نتوخى من دراسة المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي معرفة أصول ساكنة ذلك المجال من خلال تقييم أهمية حضور العنصرين الليبي والفينيقي، وباقي العناصر الأجنبية التي استقرت به.

ويروم البحث في محور اللغة والكتابة بالمجال القرطاجي الإفريقي خلال الفترة القرطاجية رصد التأثيرات الفينيقية على مستوى اللغة والكتابة، وتقييم أهمية الأساس المحلي الليبي في هذا المجال الحضاري الهام. إضافة إلى إبراز الإضافات اللغوية الأخرى التي تلقاها المجال القرطاجي من مصادر تأثير أخرى. ويحظى البحث في العناصر المحلية والوافدة في

1 - يمثل هذا الكتاب الجزء الأول من أطروحة لنيل الدكتوراه الوطنية بعنوان: «الحضارة القرطاجية بين المحلي والمستورد»، تحت إشراف الدكتورة حليمة غازي، نوقش العمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2007 من طرف لجنة علمية تتألف من السادة الأساتذة: دة. حليمة غازي (مشرفة)، د. مصطفى أعشي (رئيسا)، د. سعيد البوزيدي(عضوا)، د.عبد العزيز بل فايدة (عضوا).

العقائد والمعبودات القرطاجية بأهمية بالغة لكون الدين ظل يشكل خلال الفترة القديمة مجالا مهما للتفاعل الحضاري، مما يفرض الخوض في أصول بعض الأرباب والمعتقدات والممارسات الدينية والجنائزية التي سادت بالمجال القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم.

ونشير في الأخير، إلى أن إثارة إشكالية المحلي والوافد، وفق السياق الذي سنفصل فيه لاحقا، تأتي بالأساس من زاوية تاريخية باعتبار أننا لسنا أثريين، وإنما نسعى للقيام بما تستوجبه مهمة الباحث في حقل التاريخ من توظيف لجميع أنواع المعطيات التي توفرها العلوم المساعدة، ومن بينها علم الآثار، مع الاعتماد على الخلاصات التي تتضمنها أبحاث الأثريين لما لها من أهمية بالغة في الشق التاريخي. كما يتوجب الإقرار -مقدما- بأن لهذه الدراسة حدودا تقف عندها بالنظر إلى الصعوبات والإكراهات التي تعترض عملا بهذا الشكل، وهو شيء لا يمنع من التجديد في الطرح والمحاولة في البحث، تلك المحاولة التي تتغيأ، أولا وأخيرا، خدمة البحث التاريخي وفق ضوابطه المعروفة.

الباب الأول:
المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية: إشكاليات ومناهج

تقديم:

أصبح موقع قرطاج منذ انطلاق أولى الحفريات الأثرية به سنة 1825[1]، قبلة للهواة والأثريين والمؤرخين للبحث عن مخلفات قرطاج الفينيقية الواردة في المصادر القديمة. ثم توالت، بعد ذلك، أعمال البعثات الأثرية الأجنبية، قبل أن يتولى الأثريون التونسيون القيام بحفريات مهمة بالموقع. ومع استمرار التنقيبات تعززت المعطيات حول تاريخ قرطاج وحضارتها، خصوصا بعد أن اتسع نطاق الأبحاث الأثرية ليشمل المجالات القريبة من قرطاج، ولا سيّما بالسواحل التونسية والليبية، وبباقي مواقع شمال إفريقيا. كما وسعت نتائج الحفريات التي جرت بمواقع صقلية، وسردينيا، والمواقع الإسبانية آفاق البحث في التاريخ البوني[2].

وفرت نتائج الأبحاث الأثرية، بشكل متوال، قاعدة معطيات ساهمت في تشعب الدراسات التاريخية التي اتخذت من التاريخ السياسي والعسكري لقرطاج، وعلاقاتها بمراكز حوض البحر الأبيض المتوسط موضوعا أساسيا لها. كما أن البحث التاريخي والأثري ظل يتمحور

1- انطلقت أولى الحفريات الأثرية بموقع قرطاج سنة 1825، وبعد ثمان سنوات تم إنجاز أول خريطة لشبه جزيرة قرطاج. وفي 1859 أجريت أهم الحفريات بالموقع، بهضبة بيرسا، إضافة إلى إجراء استبارات بموانىء المدينة. ويعد فالب (Falbe, C.T.)، وشارل إيرنست بولي (Beulé, CH. H)، والأب ديلاتر (حفريات بين 1875 و1932)، وكوكلر(Gauckler, P.) (حفريات بين 1897 و1905) من أوائل الأثريين الذين أجروا حفريات بالموقع، ثم توالت الحفريات بعد ذلك إلى أن تم إطلاق الحملة الدولية لحماية وإنقاذ قرطاج في 19 ماي 1972 برعاية اليونسكو مما أعطى دفعة قوية للحفريات بالموقع. للمزيد راجع:

- BEN BAAZIZ S., Historique de la recherche archéologique en Tunisie, dans *Hommes, cultures et paysages de l'Antiquité à la période moderne*, Mélanges offerts à Jean Peyras, EAN, Rennes, 2013, pp. p. 57-78, passim.

2- هناك من يستعمل تسمية «بونيقي»، وقد اخترنا استعمال تسمية «بوني» السائدة في الدراسات الفينيقية البونية. علما أن التسمية الصحيحة، كما أطلقها الرومان في مصادرهم على القرطاجيين، هي بويني(Poeni). لقد استعمل الكتاب اللاتينيون مصطلح «بويني» في سياق الحديث عن الحروب القرطاجية الرومانية للإشارة إلى القرطاجيين. وبذلك، فالمصطلح يتطابق، إلى حد ما، مع مصطلح «قرطاجي». بيد أن الأبحاث التاريخية درجت على ربط مصطلح «قرطاجي» بما هو سياسي، ومصطلح «بوني» بما هو ثقافي وحضاري(هذه الفكرة مستقاة من إحدى محاضرات الأستاذة حليمة غازي، أستاذة سابقة للتاريخ القديم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط/جامعة محمد الخامس/المغرب).

لمدة عقود حول تاريخ تأسيس قرطاج، وتطورها الداخلي. وترافق ذلك مع طرح تساؤلات حول إمكانية كتابة تاريخ قرطاجي. لقد سمحت المقاربات التاريخية الكلاسيكية المتمحورة حول كتابة التاريخ العام، وما تلاها من دراسات مونوغرافية، أو متخصصة، بطرح قضايا ترتبط بمكونات الحضارة القرطاجية. وهكذا أصبح البحث عن أصل تلك الحضارة، ومصادر التأثير فيها حاضرا بشكل عرضي في بعض الدراسات التاريخية التي اهتمت بالبحث في تاريخ شمال إفريقيا القديم ومناطق الانتشار الفينيقي والقرطاجي بحوض البحر الأبيض المتوسط.

بيد أن هذه الحصيلة الإيجابية، التي تحققت بفضل الدراسات التي تصدى لها الأثريون والمؤرخون الأوروبيون بالأساس، جاءت موسومة بطابع تقريري يميل نحو الحسم في الإشكالات التي أثارتها دراسة مظاهر الحضارة القرطاجية. مما أعطى انطباعا خادعا يوحي باستنفاذ الإشكاليات التاريخية المرتبطة بتاريخ قرطاج وحضارتها. غير أن المتمعن في التراكمات التي حصلت في مجال الدراسات القرطاجية سيلاحظ بلا شك أن تناول أصول بعض مكونات الحضارة القرطاجية قد جاء بشكل عرضي، وعلى هامش التعريف بالحضارة القرطاجية مما يجعلنا بإزاء تراكمات تمهيدية متفرقة بين ثنايا عدد من الدراسات تصلح لكي تكون منطلقا للبحث في المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية في إطار دراسة شمولية تسمح بإثارة قضايا جديدة.

ويتوازى هذا التوجه الجديد مع بداية تشكل ما يمكن اعتبارها «مدرسة مغاربية» في مجال كتابة التاريخ القديم وعلم الآثار بدأت تدرك الحاجة الماسة لمقاربة تاريخية نقدية للأطروحات التاريخية التي صاغها الباحثون الأجانب حول تاريخ المنطقة عموما، وتاريخ الحضارة القرطاجية خصوصا. لقد تجلى ذلك الاتجاه من خلال طرح الإشكالات المرتبطة بالمناهج والمفاهيم والتحقيبات، والدعوة إلى إعادة كتابة تاريخ المنطقة من منظور محلي يروم إيجاد تفسيرات علمية وموضوعية للقضايا التاريخية ذات الصلة بالحضارة القرطاجية بالمجال الشمال إفريقي في علاقتها بالحضارات المحلية القديمة بالمنطقة، وبالتأثيرات الأجنبية الوافدة عليها.

وهكذا، يأتي الاشتغال على إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية في سياق هذه الدينامية الجديدة التي أصبحت تعرفها دراسة حضارة شمال إفريقيا والصحراء من خلال توالي بحوث أكاديمية عالجت موضوعات مرتبطة بالتاريخ المحلي، وحاولت تقييم خلاصات الدراسات الأجنبية التي جعلت البحث في تاريخ المنطقة مقصورا على رصد آثار الحضارات

الوافدة على البلاد الإفريقية دون إبراز الأصول المحلية الإفريقية لعدد من المظاهر الحضارية.

ولذلك، فإن مقاربتنا لإشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية قد تمت انطلاقا من الرؤية التالية:

أولا: إعادة قراءة النصوص التاريخية الإغريقية واللاتينية ذات الصلة بموضوع الدراسة.

ثانيا: الاستعانة بتقارير الحفريات الأثرية التي جرت بقرطاج، وبأهم المواقع الشمال إفريقية والمتوسطية التي امتد إليها تأثير الحضارة القرطاجية.

ثالثا: الاهتمام بمعطيات عصور ما قبل وما قبيل التاريخ بمواقع شمال إفريقيا والصحراء، ولا سيّما بالجزء الشرقي للشمال الإفريقي، حيث انبثقت الحضارة القرطاجية.

رابعا: تقييم الخلاصات التي انتهت إليها الدراسات التاريخية المعاصرة وفق مقاربة نقدية تحليلية شمولية بالاعتماد على نتائج الأبحاث الأثرية، ومن زوايا منهجية مختلفة.

ولعل من شأن تناول إشكالية المحلي والوافد وفق مقاربة نقدية تحليلية شاملة المساعدة على فهم الخلفيات التي أحاطت بالمعلومات التي أمدنا بها الكتاب الإغريق والرومان، وتقييم خلاصات الباحثين المعاصرين بشأن الأسس المحلية الليبية من ناحية، ومصادر التأثير الأجنبي في تشكّل أهم مكونات الحضارة القرطاجية من ناحية ثانية. وتجذر الإشارة إلى أن البحث في المحلي والوافد يتقاطع مع مسألة الأصول لضرورات منهجية لا غنى عنها في هذه الدراسة، لكننا لا نروم البحث عن أصل مطلق، وإنما نتوخى بالأساس معرفة مصادر التأثير في أهم جوانب الحضارة القرطاجية وفق ما تتيحه الوثائق التي بحوزتنا.

الفصل الأول:

مصادر دراسة المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية

1 - المصادر الأدبية:

يمثل انعدام كتابات تاريخية محلية إحدى أبرز العوائق التي تواجه البحث في مكونات الحضارة القرطاجية. وذلك لعدة عوامل من أهمها ضياع المؤلفات البونية بسبب إحراق خزانات مدينة قرطاج[1] من طرف الرومان. ولهذا السبب تبقى الكتابات الإغريقية واللاتينية هي المصدر الأساس لدراسة التاريخ القرطاجي[2]. لكن الاستفادة من المعلومات الواردة في تلك المصادر يقتضي إخضاعها للنقد التاريخي مادام أن المعلومات التي وصلتنا قد جُمعت من طرف مؤرخين، وكتاب، وشعراء أجانب غير ملمين في معظم الأحيان بلغة وحضارة قرطاج.

لقد حرص المؤرخون الأجانب الذين درسوا جوانب من الحضارة القرطاجية على إبراز أهم النقائص التي تعتري الكتابات الإغريقية واللاتينية، وأقروا بأنها تمثل عائقا منهجيا أمام دراسة تاريخ وحضارة قرطاج[3]، مادام أنها تمثل تاريخا كتبه أعداء قرطاج، ويعكس وجهات

1- شكك بعض الباحثين في صدقية حدث إحراق خزانات قرطاج، وفي أهمية الوثائق التي كانت تضمها. فقد اعتبر بيار سنتاس أن الخزانات البونية لم تحرق بالكامل، وأن محتوياتها سلمت للأمراء النوميديين مستدلا على ذلك بإشارة المصادر فيما بعد إلى «الكتب البونية». بينما استند سيرج لنسل إلى بعض بقايا الفترة المبكرة بموقع قرطاج لنفي رواية التدمير الكلي للمدينة، معتبرا أن تلك الرواية، ربما، جاءت كمحاكاة لرواية مماثلة وردت في التوراة. وقلل غابرييل كامبس بدوره من أهمية رواية إحراق مكتبة قرطاج بحجة عدم العثور على آثار مكتبات في المدن البونية الأخرى التي لم تتعرض للتدمير مثل أدروميتوم وأوتيك، بل تنبأ الباحث بما يمكن أن تتوفر عليه تلك الخزانات -في حال وجودها- معتبرا أنها لم تكن تتوفر على تآليف ذات قيمة. غير أن الآراء المتسرعة بخصوص وجود الخزانات البونية ومحتوياتها، قوبل بانتقادات شديدة اتهمت البعثة الأثرية الفرنسية بقرطاج بمحاولة تبرئة الرومان من الأفعال الشنيعة التي ارتكبوها بقرطاج. كما أنه لا يوجد ما يدعو لإنكار وجود كتب بونية ضاعت، على الأرجح، إثر عملية تدمير المدينة لأن تلك التآليف ربما دُوّنت على ورق البردي الأكثر عرضة لعوامل التحلل. انظر نماذج من هذه الآراء في المراجع التالية:

- CINTAS P., *MAP*, T. II, Editions A. et j. Picard, Paris, 1976, p. 12; LANCEL S., *Carthage*, Fayard, Paris, 1992, pp. 172 et 447-448 ; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, dans Libyca (Anthr.-Préh.-Ethn.), T. VIII, 1960, p. 33.

2- قد يلاحظ القارىء اختلاف أرقام الفقرات التي اعتمدنا عليها بالنسبة للمصدر الواحد، ويعود ذلك لاعتمادنا على أكثر من ترجمة واحدة بسبب صعوبة معاودة الإطلاع على بعض الترجمات.

3- أنظر على سبيل المثال ما كتبه الباحث زنيكر بهذا الخصوص:

- SZNYCER M., L'expansion phénico-punique dans la Méditerranée occidentale (problèmes et méthodes), dans *Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. I, Alger, 1976, pp. 39-48, p. 48.

نظرهم كمنتصرين[1]. غير أن هؤلاء المؤرخين والباحثين الأجانب لم يترجموا ذلك الوعي التاريخي في خلاصاتهم واستنتاجاتهم التي ظلت وفية لفكرة تفوق الحضارتين الإغريقية والرومانية على سائر الحضارات الأخرى. ويشكل هذا التناقض في التعاطي مع النصوص القديمة عائقا آخر ينضاف إلى العوائق التي تمثلها تلك النصوص في حد ذاتها بما تضمنته من أحكام قيمية على حضارة قرطاج باعتبارها حضارة مختلفة عن حضارة الإغريق والرومان.

إذا اكتفينا بالمعلومات التي تخص مدينة قرطاج، وحضارتها، والبلاد الإفريقية التي توسعت بها، فإن المتأمل في مصادر الفترة الكلاسيكية تستوقفه عدة تساؤلات ترتبط بمسالة التحقيق التاريخي من قبيل: هل يمكن اعتبار النصوص القديمة بمثابة تاريخ محايد لقرطاج وحضارتها؟ وهل عرف مؤلفوها كيف يتأكدون من صحة معلوماتهم ويستوثقون من قيمة مصادرهم؟ وإلى أي حد لم تغلب عليهم عاطفة الانتماء إلى المعسكر الآخر مع ما يمكن أن يترتب عن ذلك من تحيز للرومان والإغريق الذين حاربوا قرطاج؟

يمكن توفير بعض الإجابات الأولية عن الأسئلة المطروحة من خلال إبداء الملاحظات التالية:

أولا: تتركز معلومات مصادر الفترة الكلاسيكية من الناحية المجالية على مدينة قرطاج، بحيث لم تذكر شيئا عن المدن والمناطق الإفريقية التي شكلت جزءًا من المجال الإفريقي لقرطاج إذا استثنينا الإشارة إلى أسماء بعض المدن والمواقع لما أصبحت المنطقة ميدانا لحروب الإغريق (حرب أغاطوكليس)، والرومان (الحروب البونية). ويعد هذا التفاوت المجالي أمرا هاما ينبغي أخذه بعين الاعتبار عند دراسة الحضارة القرطاجية من خلال النصوص القديمة.

ثانيا: إذا استثنينا بوليبيوس *(Polybius)* الذي زار إفريقيا ولازم سكيبيو إيمليانوس *(Scipio Aemilianus)* خلال حصار مدينة قرطاج، وتدميرها سنة 146 ق.م[2]، فإن معظم

1- مازيل(جان)، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تعريب نجيب عزاوي، ط. 1، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، 1998، ص. 11.

2- يعد بوليبيوس (Polybius) في نظر الباحثين المعاصرين من أبرز مؤرخي الفترة الكلاسيكية، حيث أنجز تأليفا تاريخيا متوازنا يمكن الاعتماد عليه في كتابة التاريخ القرطاجي. ورغم أن بوليبيوس نفسه قد حاول إقناع القارئ بأنه يتوخى الموضوعية في كتاباته، فلا يجب أن ننسى أنه كان صديقا لروما، حيث تضمنت كتاباته تحيزا واضحا للرومان. وحاول النيل من مؤلفات مؤرخين مجهولين كتبا حول تاريخ حنبعل، وهما سوسيلوس (Sosylos) وشيرياس (Chairéas). كما اعترف بأن الغرض من «تواريخه» هو تفسير كيفية سيطرة روما على الجزء الأكبر من العالم المعمور»! ولم تخل آراؤه من التنقيص من شأن الشعوب الأخرى، حيث اعتبر أن الفرس والمقدونيين هما الشعبان الوحيدان اللذان تصح مقارنتهما بروما ويمكن الكتابة حول

الكتاب الإغريق واللاتينيين لم يعاصروا الأحداث التي كتبوا حولها. ولذلك تبقى مصادر معلوماتهم مجهولة بالنسبة إلينا، مما يطرح صعوبة التمييز بين المعلومات الأصلية والاختلاقات التي، ربما، أُضيفت في مراحل لاحقة، خصوصا بالنسبة لتلك التي لم ترد عند أكثر من مؤرخ. ولسوء الحظ، فإن معلومات الكتاب الذين عاشوا خلال عهد قريب من الفترة القرطاجية تعد أكثر شحا من الكتابات المتأخرة.

أما إذا انطلقنا من تأريخ النصوص باتباع الترتيب الكرونولوجي، فيلاحظ غياب معلومات عن أحداث الفترة المبكرة من تاريخ قرطاج، وقلة المعلومات العائدة إلى القرنين 6 و5 ق.م. ولا تصبح معلومات المصادر القديمة أوفر نسبيا إلا خلال القرن 4 ق.م، لتبلغ أوجها خلال القرنين 3 و2 ق.م وذلك بسبب وصف الكتاب القدامى لأحداث الحروب القرطاجية الرومانية. ومن هنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكتابات الإغريقية واللاتينية قد غطت جزئيا فترة متأخرة من التاريخ القرطاجي، ولم تعاصر معظمها الأحداث التي روتها.

ثالثا: تعد مسألة صدق الروايات التاريخية التي وردت في المصادر القديمة من أهم القضايا التي تُطرح عند تقييم مساهمة تلك المصادر في دراسة مظاهر الحضارة القرطاجية. ولهذا يتعين استحضار عاملين أساسيين عند التعامل مع معلومات الكتاب الإغريق واللاتينيين، الأول موضوعي، ويتمثل في كون معظم مؤرخي الفترة الكلاسيكية هم أجانب عن الحضارة القرطاجية المختلفة عن حضارات بلدانهم، وبالتالي فمن المنطقي أن يعجز هؤلاء الكتاب عن فهم عدد من الظواهر وتفسيرها، فبالأحرى الكتابة حولها بشكل واف.

أما العامل الثاني فهو إيديولوجي، ويكمن في عدم زيارة هؤلاء الكتاب لقرطاج والمجال الإفريقي الخاضع لها حتى يتسنى لهم نقل معلومات كافية حول الحضارة القرطاجية بإفريقيا[1]. ولعل اكتفاؤهم باستيقاء معلوماتهم بطرق غير مباشرة هو الذي يفسر افتقاد

تاريخهما. لمزيد من المعلومات حول آراء بوليبيوس راجع الجزئين الأول والثالث من تواريخه:
- POLYBE, *Histoires*, I, 1, 5 ; id, ibid., I, 2, 2; id, ibid, III, 1, 4 etc.

1- هناك أمثلة كثيرة تبين حجم التحريفات التي وقع فيها المؤرخون الإغريق واللاتينيون نتيجة جهلهم بالمناطق التي كتبوا حولها. فقد انتقد بوليبيوس المؤرخ الإغريقي تيمي (Timée de Tauroménion) لعدم عرفته بغنى الثروات الطبيعية والحيوانية لإفريقيا، متهما إياه بالجهل بكل ما يتعلق بإفريقيا. علما أن وصف بوليبيوس، عند انتقاد تيمي، ينطبق على المجال الإفريقي لقرطاج. كما انتقد ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus) هيرودوتوس (Hérodotus)، الذي يعد من أبرز الكتاب الإغريق الذين كتبوا حول شمال إفريقيا القديم وسكانه، معتبرا أن أفضل الخطب تسيء في الغالب للحقيقة التاريخية. كما أقر ديودوروس الصقلي بالأخطاء التي ارتكبها المؤرخون القدامى مبررا ذلك بصعوبة إدراك الحقيقة بالنسبة

كتاباتهم للدقـة، وإغفالهم للجانب الحضاري مثـل العادات، والتقاليد، والنـظم الاقتصادية، والاجتماعية لكل مناطق المجال القرطاجي بإفريقيا. لقد دوّن المؤرخون الإغريق واللاتينيون بالدرجة الأولى تاريخ بلدانهم، ووصفوا الحروب التي اندلعت بينهم وبين قرطاج الإفريقية، فجاء ذكر هذه الأخيرة على هامش كتاباتهم على شكل معلومات مقتضبة ومتناثرة. ومن هنا يتضح أن ما كتبه المؤرخون الإغريق واللاتينيون لا يصلح لكي يشكل تاريخا متكاملا لقرطاج. ويبرز الجانب الإيديولوجي في مصادر الفترة القرطاجية في طغيان الشروط الثقافية والسياسية والإيديولوجية لتلك الفترة على كتابات المؤرخين الإغريق واللاتينيون الذين لم يترددوا في إبداء مواقف معادية للقرطاجيين، وتصنيفهم ضمن الشعوب «البربرية» على عادتهم في وصف المخالفين لحضاراتهم[1].

ساهم هذا العامل في رسم صورة قرطاج في تلك الكتابات باعتبارها عدوا كان لا بد من تقديمه بصورة سيئة من خلال اتهام القرطاجيين بأوصاف منحطة مثل الخشونة والجشع والغدر، أو من خلال المبالغة في إظهار قوة قرطاج لتبرير القضاء عليها. ولهذا، فإن هذه الكتابات تعكس في المجمل وجهات نظر أعداء قرطاج ومنافسيها. وتبعا لذلك، سوف لن تخلو تلك الكتابات من التشويه المقصود، مما يضع القيمة الإخبارية للنصوص القديمة موضع شك بالنسبة للباحث المعاصر. ولذلك يتعين استحضار هذا المعطى المنهجي في كل تحليل يسعى لمعرفة الحضارة القرطاجية من خلال النصوص التاريخية القديمة.

وتنضاف للمصادر التي تحدثت بشكل مباشر عن قرطاج، نصوص أخرى همّت باقي مناطق شمال إفريقيا القديم انطلاقا من «تواريخ» هيرودوتوس، ومرورا بالنصوص التي تؤرخ بفترة الاحتلال الروماني للمنطقة. وتكتنز تلك النصوص معلومات مهمة عن حضارة شمال إفريقيا القديم، وتعد، بالتالي جزءًا من مصادر دراسة الحضارة القرطاجية. بيد أن نفس الملاحظات المسجلة على مصادر الحروب البونية تنسحب أيضا على باقي نصوص المصادر

للأزمنة الغابرة. للمزيد من التوضيح راجع النصوص التالية:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, X, Excerpt. De virt. Et vit., p. 558; id, ibid., XIII, 30 ; POLYBE, *Histoires*, XX, 3, 2-6.

1- من بين النصوص التي صنفت القرطاجيين ضمن الشعوب «البربرية» نذكر ما يلي:

- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 167 ; PLUTARQUE, *Timoléon*, 39 ; DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 11.

الكلاسيكية التي أشرنا إليها[1].

تستدعي دراسة المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية الاستعانة أيضا بمصادر التاريخ الفينيقي. غير أن حظنا من الكتابات المحلية حول تاريخ الساحل الفينيقي ليس بأفضل مما هو عليه الأمر بالنسبة للتاريخ القرطاجي بشمال إفريقيا. وتقتصر معلوماتنا عن تاريخ الفينيقيين على شذرات متفرقة في المصادر الأجنبية: الكتابات الإغريقية واللاتينية، والنصوص التوراتية، والوثائق المصرية، والآشورية. من المرجح أن الفينيقيين دونوا حوليات تخص تاريخهم، إلا أنه لم يصلنا من تلك الوثائق سوى معلومات متفرقة في المصادر المشار إليها أعلاه. لقد ضاعت حوليات مدينة صور التي اطلع عليها ميناندروس الأفسوسي(Μένανδρος)، الذي نقل عنه المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف *(Titus Flavius Iosephus)*، دون أن يكون بوسع الباحث التحري بشأن مدى صدق ما نقله هذا الأخير[2].

كما ضاعت مؤلفات المؤرخ الفينيقي سنخونياتن *(Sankhuniaton)*[3] حول التاريخ

1- رغم أن هيرودوتوس تلقى معلوماته من مصر ومن ليبيين التقاهم هناك، وكتب أهم المعلومات التي وصلتنا حول حضارة المجال الإفريقي الممتد بين مصر وقرطاج بالخصوص، فلا يمكن الحكم بأن مجمل معلوماته قد عكست حقائق تاريخية موثوق بها حول سكان ذلك المجال، فهيرودوتوس نفسه أطلق العديد من الأحكام، وجاءت كتاباته مليئة بالخوارق التي يصعب تصديقها. ومن ناحية أخرى، يعد بلينيوس القديم(Gaius Plinius Secundus) من أبرز الكتاب اللاتينيين الذين كتبوا حول المنطقة، بيد أن بعض معلوماته اتسمت أيضا بطابع خرافي وغرائبي. ولا يسمح الحيز بعرض نماذج أخرى من تلك النصوص، ولا سيّما تلك التي ادعت أصولا أجنبية لسكان المنطقة. انظر على سبيل المثال لا الحصر أمثلة من نصوص هيرودوتوس وبلينيوس القديم:

- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 172 ; id, ibid., IV, 176 ; id, ibid., IV, 178-180 ; id, ibid., IV, 183-184; id, ibid., IV, 187; id, ibid., IV, 191; id, ibid., IV, 194; PLINE L'ANCIEN, *HN*, IV, 45.

2- ذكر فلافيوس جوزيف أن ميناندروس الأفسوسي هو الذي ترجم أرشيف مدينة صور إلى اللغة الإغريقية. ومعلوم أن المؤرخ اليهودي قد اطلع على كتابات ميناندروس الأفسوسي، ولا يستبعد أنها هي مصدر معلوماته عن صور، وملوكها، وعلاقتها مع مملكة إسرائيل. انظر ما كتبه فلافيوس جوزيف بهذا الخصوص:

- FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités judaïques*, VIII, 2, 8, 55 ; id, ibid., VIII, 5, 4, 144.

3- هناك جدل بين الباحثين حول الوجود التاريخي لشخص سنخونياتن، ومصدر معلوماته، والعصر الذي عاش فيه. فهناك من اعتبره مجرد ناقل لما كان سائدا خلال عصره، وأنه استقى معلوماته من معابد فينيقية مما يتعارض مع ما ذكره أوزيبيوس من أن سنخونياتن كان مؤرخا وباحثا شجاعا حصل على معلوماته من معبد أمون. وهناك من اعتبره شخصا تاريخيا، وحدد عصره بالقرن 11 ق.م تساوقا مع ما ورد عند أوزيبيوس من أنه عاش قبل حرب طروادة، بينما أرجعه البعض الآخر إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م من خلال مقارنة ما نُقل عنه حول الأساطير والدين الفينيقي بما تضمنته الأشعار الدينية بألواح رأس شمرا(ق. 14 ق.م)، والتي تقدم تقريبا نفس النسق الأسطوري المنسوب لسنخونياتن. انظر بهذا الشأن:

- SIRINELLI J., et PLACES E., *(Traduction et commentaire)* dans EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, liv. I, les Éditions du Cerf, Paris, 1974, pp. 304-311.

الفينيقي منذ بدأ الخليقة، والتي ترجمها الإغريقي فيلو بيبليوس*(Philo Byblius)*[1] حسبما ذكر أوزيب القيصري[2] نقلا عن بورفير الصوري *(Porphyre de Tyr)*[3]. نقل أوزيبيوس القيصري *(Eusebius Pamphili)* فقرات من تلك المؤلفات، ولا سيّما تلك التي تُعنى بالأساطير الفينيقية العتيقة. لكن لا يستبعد أن أوزيبيوس-مؤلف «الاستعداد للحياة الإنجيلية»-قد تأثر في وصفه للدين الفينيقي الوثني بفكرة الدين المسيحي، كما يتضح من انتقاداته لعدد من مظاهر الديانة الفينيقية. ينضاف لما سبق التحريفات الممكن وقوعها نتيجة الترجمة الإغريقية كما يقر بذلك أوزيبيوس القيصري نقلا عن فيلو بيبليوس[4].

تعد الأشعار الدينية الواردة بألواح رأس شمراء (ق. 14 ق.م) من أهم الوثائق التي تعطي فكرة عن الدين الفينيقي بالخصوص خلال منتصف الألف الثاني ق.م. وتنضاف إليها معطيات الوثائق غير المباشرة مثل الحوليات الآشورية والوثائق المصرية. ورغم إفادة تلك الوثائق في دراسة بعض مظاهر الحضارة الفينيقية في الشرق، فإنه لا بد من استحضار المعطى المتمثل في كونها عبارة عن أخبار ساقها المحتلون الذين حاربوا المدن الفينيقية، لا سيّما منذ مطلع الألف الأول ق.م. وتندرج التوراة كذلك ضمن المصادر غير المباشرة للتاريخ الفينيقي.

لكن صحة المرويات التوراتية تظل من بين الإشكالات التي يطرحها التوظيف التاريخي للمعلومات الواردة فيها، وإمكانية اعتمادها كمرجع تاريخي. لقد أسفر ذلك عن جدل واسع بين المؤرخين والمهتمين بتاريخ الشرق القديم الأدنى عموما، وأحيانا بين مدرسة علم الآثار التوراتي والمدارس المناهضة لها. أما بالنسبة لفائدة تلك النصوص في دراسة الحضارة الفينيقية، فقد أظهرت عدة دراسات الأثر السلبي للتفاسير التوراتية في هذا المضمار، وهناك من اعتبرها عائقا من بين عوائق البحث في الحضارة الفينيقية[5]. ورغم ذلك يمكن الاستئناس بمعلومات

1- فيلو بيبليوس، أي الجبيلي نسبة إلى مدينة جبيل (Byblos) الفينيقية، ويلقب أيضا بهيرينيوس (Herennius)، وهو كاتب فينيقي عاصر حكم الإمبراطور الروماني هادريان. اشتهر بجمعه لأعمال الكاتب الفينيقي سنخونياتن حول تاريخ وديانة الفينيقيين، وأعمال أخرى ضاعت، ولم تصلنا منها سوى عناوينها، وأحيانا شذرات عند كتاب آخرين مثل أوزيبيوس القيصري.

2- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 9, 21 ; id, ibid., I, 10, 42.

3- فيلسوف ولد بمدينة صور الفينيقية حوالي 233-234م، ومات بروما نحو 304-305م.

4- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 8.

5- SZNYCER M., L'expansion phénico-punique dans la Méditerranée occidentale (problèmes et méthodes), p. 39 ; PICARD, G.-Ch., Est-il possible d'écrire une histoire de Carthage?, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 279-283, p. 280.

النصوص التوراتية، لكن شريطة مراعاة تاريخ كتابة أسفاره، وأهواء كتبتها[1]. كما تعد المصادر الإغريقية واللاتينية مصدرا مهما من مصادر دراسة تاريخ الفينيقيين وحضارتهم بالساحل اللبناني، وانتشارهم التجاري بمناطق غرب حوض البحر الأبيض المتوسط. غير أنه إذا استثنينا أصداء ذلك الانتشار منذ نهاية الألف الثاني ق.م، فإن معظم معلومات تلك المصادر عن الفينيقيين تعد متأخرة زمنيا.

2 - المصادر الأثرية والدراسات التاريخية:

مكنت الحفريات الأثرية التي جرت بمواقع المجال القرطاجي بإفريقيا، وبمواقع غرب البحر الأبيض المتوسط من توفير معطيات مهمة ساعدت على تقدم البحث في موضوع مكونات الحضارة القرطاجية. بيد أن تلك المعطيات تتميز بعدم التكافؤ، وبتفاوتات مجالية مهمة. فقد تركزت الحفريات الأثرية بالأساس بموقع قرطاج، وتم توظيف معطيات الموقع باعتبارها مصدرا أساسيا لدراسة الحضارة القرطاجية مقارنة بالمعطيات التي وفرتها الحفريات التي تمت في مواقع أخرى مثل منطقة الرأس الطيب أو رأس بون *(Cap Bon)*[2] والساحل الشرقي التونسي، والسواحل الليبية الحالية. بينما لا يزال البحث الأثري أقل أهمية بمناطق أخرى خضعت للسيطرة القرطاجية مثل وسط تونس، ومناطق من الساحل الليبي.

يعد موقع قرطاج من أغنى المواقع البونية باللقى الأثرية، ولكنه في نفس الوقت من أكثرها تضررا بالمناهج غير العلمية التي اتبعت أحيانا خلال أولى الحفريات التي أجريت بالموقع. ففضلا عن ضياع الكثير من الوثائق خلال مرحلة التحريات التي باشرها الهواة[3]، أو

1- يتمثل أهم تأثير لتلك التفاسير في محاولة البعض توظيف النقائش الفينيقية والبونية لتأكيد مرويات التوراة، وهو الأمر الذي تصدى له في البداية متخصصون في التوراة، ومفسرون مهتمون بعلم اللاهوت، أي أن بعض الذين صُنِّفُوا ضمن ما سمي ب«علماء الساميات» لم يكونوا مختصين في قراءة النقائش للأغراض العلمية، ولكنهم بعضهم كانوا يبحثون فيها عن معلومات تخدم التفاسير التوراتية، أوتقدم حلولا لبعض مشاكل النصوص التوراتية. وهو تعامل يطغى على أبحاث أنصار المدرسة التوراتية الذين يعتبرون الدراسات التي تُعنى بالحضارات الأخرى مجرد أعمال مساعدة على تعميق البحث في النصوص التوراتية. ينضاف لما سبق عوامل موضوعية تطرح تساؤلات حول مدى صدق ما ورد في النصوص التوراتية من معلومات تخص تاريخ الشرق الأدنى القديم. ومنها أن زمن تحرير أسفار التوراة ليس واحدا، بل تم التدوين على مراحل زمنية متباعدة من خلال جمع الحكايا الشعبية، والملاحم، والقصص البطولية مما كان لا يزال متداولا بفلسطين والمناطق المجاورة لها. ولهذا، فإن الأسفار التوراتية لا تمثل، في الواقع، تاريخا يمكن الاطمئنان إليه، بقدر ما هي معطيات مساعدة للتاريخ وعلم الآثار لما تضمنته من معلومات تخص فترة الألف الأول ق.م بالخصوص.

2- الرأس الطيب (ويسمى بالفرنسية: Cap Bon) يعرف أيضا باسم رأس الدار، ويقع بالوطن القبلي بالطرف الشمالي الشرقي لتونس.

3- من بين هؤلاء نذكر البريطاني دفيدس (Davids) الذي قضى عدة سنوات بالموقع (منذ 1859) يبحث فقط عن مواد

الحفريات الموالية التي قام بها أشخاص غير ملمين بقواعد علم الآثار، وبقيت أعمالهم-رغم ذلك-مرجعا هاما لدراسة الحضارة القرطاجية[1].

كما لم تخل الحفريات الموالية من بعض النقائص، منها أن محتويات الكثير من القبور التي تم التنقيب فيها ضاعت لأسباب مجهولة. ولم تُصنف الآلاف من اللقى الأثرية مثلما لم تنشر العديد من التقارير الأثرية، أو أُنجزت تقارير ناقصة، وغير واضحة بسبب غياب البيانات اللازمة لفهمها[2]. لقد سمح إنشاء مصالح خاصة بالآثار في تونس بعد الاستقلال، ولا سيّما المعهد الوطني للتراث من الإشراف على الحفريات وتوجيهها، وهو الأمر الذي تدعم بفضل الحملة الدولية لإنقاذ موقع قرطاج التي مكنت أعمالها، بالإضافة إلى تنقيبات البعثات الأجنبية الأخرى، من إحراز تقدم ملموس في دراسة موقع قرطاج من حيث تحديد الإطار الطبوغرافي للموقع، وكشف معالم هامة، وخصوصا القبور، وبقايا المنازل.

لكن رغم أهمية المواد الأثرية التي كشفت عنها الحفريات في مواقع المجال القرطاجي الإفريقي، ولا سيّما النقائش البونية التي تمثل وثائق محلية مباشرة تتضمن معلومات مقتضبة حول الجوانب السياسية(أسماء الوظائف السياسية)، واللغوية، والاجتماعية (أسماء الأعلام)، والاقتصادية (أسماء الحرف)، فإن تصنيف المواد الأثرية، وتحديد مواطن صناعتها، ومصادر التأثير فيها، وتقييم أهميتها في دراسة مظاهر الحضارة القرطاجية ظل محكوما بالأطروحات

تصلح للعرض في المتحف البريطاني. وهناك معلومات تفيد بنقل عدد مهم من الأنصاب والنقائش البونية إلى فرنسا خلال حفريات الملحق بالقنصلية العامة الفرنسية بمدينة تونس. وهناك أمثلة كثيرة تبين النهب الذي تعرضت له الآثار البونية. راجع معلومات إضافية في الموضوع:

- BERBRUGGER A., Chronique de la société historique algérienne, analyse du procès-verbal de la séance générale du 18 janvier 1861, dans *Rev. Afr.*, 5è année, n° 27, mai, 1861, pp. 144-160, p. 158 ; HOURS-MIÉDAN M., *Carthage*, PUF, Paris, 1964, p. 18-19.

1- نذكر من بين هؤلاء فالب(Falbe) الذي شغل مهمة قنصل عام للدانمارك بتونس (سنة 1859)، ودوسانت ماري (De Sainte Marie) وكان ملحقا بقنصلية فرنسا بتونس (1874). بينما كان بيير سنتاس-الذي يعد مرجعا في الخزف البوني- في البداية مجرد هاو للآثار، حيث عمل موظفا بإدارة المالية التابعة للإدارة الاستعمارية بتونس. أما فوشي (Foucher, L.) فقد كان في البداية معلما للغة والآداب بمعهد سوسة، ثم أصبح من بين المهتمين بالتاريخ والآثار البونية. وكان كوكلر (Gauckler, P) (بدأ حفرياته سنة 1899) مهندسا في إدارة القناطر بالجزائر، ثم أصبح مسؤولا عن متحف قسنطينة قبل أن ينتقل إلى تونس حيث كلف بتنظيم متحف باردو سنة 1899، وأصبح فيما بعد مديرا لدائرة الآثار بتونس. أما كارطون (Carton) الذي اكتشف معبد صلامبو، فقد كان في البداية مسؤولا عن مستشفى صلامبو بتونس وعاشقا للآثار الأمر الذي دفعه للقيام بحفريات أثرية سنة 1916.

2- انظر الملاحظات النقدية التي أبداها الباحث التونسي شلبي:

- CHELBI F., À propos des amphores archaïques de Carthage, dans *ACISPP, II*, Roma 9-4 novembre 1987, Vol. II, Roma, 1991, pp. 715-731, p. 715.

السائدة في حقل الدراسات البونية منذ أبحاث الرعيل الأول من الأثريين والمؤرخين الأوروبيين. لقد تناول هؤلاء موضوع الحضارة القرطاجية من زاوية محاولة إثبات صحة معلومات الكتاب الإغريق واللاتينيين كهدف في حد ذاته، دون أن يكون ممكنا عرض الأسباب الداعية إلى تبني هذا الرأي أو ذاك. لقد استمر تأثير تلك التصورات، بشكل أو بآخر، في الحفريات الموالية التي اتبعت منهجا علميا، حتى صار هدف الحفريات مُنصبّا على البحث عن آثار الحضارات الوافدة على شمال إفريقيا القديم عموما والمجال الإفريقي لقرطاج خصوصا دون الالتفات إلى عناصر الحضارة المحلية.

تم التمييز في اللقى الأثرية، بناء على التصورات المشار إليها أعلاه، بين ثلاثة أصناف. فهناك المواد المستوردة، والمواد المقلدة، ثم المواد البونية. ولم يتردد عدد من الأثريين في الإفصاح عن القاعدة المتبعة في تصنيف اللقى الأثرية، والمعتمدة أساسا على معيار الجودة. وذلك تأثرا بآراء الباحث الفرنسي كسيل *(Gsell, S.)*، الذي ظل يشكل مرجعا لا محيد عنه بالنسبة للأثريين[1]. فقد أنجز هاردن *(Harden, D.)* عدة حفريات بموقع قرطاج، لكنه أصدر حكما مسبقا مفاده أن كل المواد ذات الجودة العالية المكتشفة بقرطاج ومجالها الإفريقي هي مستوردة من خارج المجال القرطاجي. بينما يتم نسب المواد الأقل جودة إلى صُنع محلي[2]. أما فوشي (Fouchet, M.-P)، فاعتبر أن كل منتوج ذي قيمة فنية ينبغي نسبه لمصدر خارجي لأن ما صُنع بقرطاج تميز، حسب تصوره، بضعف الجودة[3]. ويصعب حصر جميع الأبحاث التي سارت على نفس المنوال في دراسة الآثار القرطاجية مع ما ترتب عن ذلك من استنتاجات وآراء ينبغي فهمها في سياق هذه التصورات المتسرعة.

1- يتضح هذا التصور الانتقائي بشكل جلي في دراسات الباحث الفرنسي كسيل. فقد أصدر حكما عاما مفاده أن البونيين شعب متخلف يفتقد ملكة الإبداع والابتكار في ميدان الحرف والفنون، وأنهم كانوا مجرد ناسخين لمنتجات الشعوب الأخرى التي حصلوا عليها عبر التجارة. وانطلاقا من هذا الحكم العام ميز الباحث في المواد البونية بين نماذج مستوردة وأخرى مقلدة، بحيث تُنسب المواد ذات المستوى الفني والجودة الرفيعة إلى أصل أجنبي، وكلما كانت المواد رديئة، من حيث الشكل والمظهر الخارجي، إلا ونسبت لصناعة محلية بونية. راجع ما كتبه كسيل في الجزء الرابع من مؤلفه حول تاريخ شمال إفريقيا القديم:

- GSELL S., *HAAN*, T. IV, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1929, pp. 15 ; 80 ; 107-108.

2- HARDEN D., *The Phoenicians*, Thames and Husden, London, 1963, p. 140-141.

3- FOUCHET M.-P., *L'Art à Carthage*, T. I, Éditions Georges Fall, Paris, 1962, p. 94.

الفصل الثاني:
الأطروحات السائدة بشأن مكونات الحضارة القرطاجية

1 - أطروحة الأصل الفينيقي:

حظيت الحضارة القرطاجية باهتمام متزايد من طرف المختصين بتاريخ شمال إفريقيا القديم، وخصوصا المؤرخين الأوروبيين، وهو ما يعكسه غنى الأبحاث والدراسات البونية. وتتمثل أبرز الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تلك الدراسات أنها افتقدت-بحكم كونها تأسيسية-للحس النقدي في التعامل مع النصوص القديمة، وحاولت إيجاد مبررات لما ورد في كتابات المؤرخين والكتاب الإغريق واللاتينيون[1]. ومن ناحية أخرى، يلاحظ أنها بعضها اتخذت من إشكالية أصل بعض المواد القرطاجية موضوعا مركزيا لها أكثر مما اهتمت بالتعريف بمظاهر الحضارة القرطاجية كعمل يمكن أن يؤسس لاحقا لطرح إشكالية مصادر التأثير فيها.

تعد أطروحة الأصل الفينيقي الأكثر رواجا في حقل الدراسات الفينيقية والبونية، وذلك تأثرا بما ورد في النصوص القديمة حول تأسيس قرطاج ومدن أخرى بشمال إفريقيا من طرف الجماعات الفينيقية. وتبعا لذلك، اعتبرت الحضارة القرطاجية بمثابة حضارة فينيقية خالصة[2]،

1- من المفيد في هذا المضمار عرض بعض الأفكار التي ظهرت في حقل الدراسات الفينيقية البونية، والتي كانت أكثر قسوة في الحكم على حضارة القرطاجيين مما ورد في المصادر القديمة نفسها. فقد كتب المؤرخ النمساوي فريز شكرماير (Fritz Schachermeyer) مقالا حول قرطاج سنة 1943 دافع فيه بقوة عن فكرة مؤداها أن الصراع بين قرطاج وروما كان صراعا بين «عرقين» انتصرت فيه روما للعنصر الأوروبي، ودافعت عن الإنسانية ضد قرطاج «السامية القذرة». بينما اعتبر ميشلي (Michelet) في كتابه حول «تاريخ الفترة الجمهورية بروما» أن الأمر كان يتعلق بصراع من أجل السيطرة على العالم القديم بين «االعرق» الهندو أوروبي و«العرق» السامي. انظر مزيدا من التفاصيل في المرجع التالي:

- WALTER G., *La destruction de Carthage (264-161 av. j.-c.)*, Aimery Somogy, Éditeur, Paris, 1947, p. 25.

2- اعتبر ستيفان كسيل أن القرطاجيين ظلوا طيلة وجودهم بإفريقيا بمثابة «فينيقيين حقيقيين». أما غابرييل كامبس، فخلص إلى وجود تقاليد حضارية شرقية تسربت إلى الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم منذ ما قبل التاريخ عبر صقلية ومالطا وجنوب إيطاليا وسردينيا قبل تغلغل التأثيرات الفينيقية بالمنطقة لاحقا بسبب استقرار العنصر الفينيقي بها، الأمر الذي سهّل، في نظره، استنبات الحضارة الفينيقية بإفريقيا، وكأن منطقة شمال إفريقيا كان عبارة عن صحراء حضارية خالية من كل فعل حضاري محلي، مهما كان شأنه، وظلت دوما بانتظار تأثيرات قادمة بالضرورة من الخارج. بينما استنتج جيلبير وكولت بيكار من أبحاثهما أن قرطاج ظلت طوال تاريخها مجرد خلية من الوطن الفينيقي الأم. أما بيار سنتاس، فقد شبّه الحضارة القرطاجية بحضارة أمريكا الشمالية في العصر الحديث في علاقتها بمصدر الهجرات بأوروبا. لمزيد من التوضيح انظر المراجع التالية:

- GSELL S., *HAAN,* T. IV, p. 190 ; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, Hachette, Paris, 1958, p. 60 ; CAMPS, G., *Massinissa ou les*

ودُرست في إطار الحضارة السامية الشمالية الغربية بإجماع معظم المؤرخين المهتمين بالتاريخ القرطاجي[1]. ومن هذا المنطلق تركز الاهتمام على محاولة إيجاد البراهين التي تعزز ذلك الحكم الإطلاقي الجاهز. فكان من المنطقي أن يترتب عن هذا الاتجاه إصدار آراء متسرعة ومتساهلة منهجيا، بل كان هناك قدر كبير من مظاهر الأصل الفينيقي للحضارة القرطاجية دعّمه المؤرخون أحيانا بطرق خيالية[2]. وساد الاعتقاد أيضا بأن تأثيرات حضارة مصر والشرق القديم قد مرت إلى إفريقيا عن طريق الفينيقيين[3].

2 - أطروحة الأصل الإغريقي:

يعد الأصل الإغريقي لعدد من مظاهر الحضارة القرطاجية من أهم الأطروحات التي حظيت بقدر كبير من الرواج بين المهتمين بالبحث في أصول مظاهر الحضارة القرطاجية. تنوعت القرائن التاريخية والشواهد المادية التي سيقت لتقديم ما يكفي من الأدلة التي تُسوّغ الحديث عن «هلينة» قرطاج والبلاد الإفريقية منذ القرنين 5 و4 ق.م، وبالتالي غلبة الطابع الإغريقي على الحضارة القرطاجية منذئذ. فهناك من حاول إيجاد جذور قديمة للتأثير الإغريقي من خلال افتراض وجود علاقات قديمة بين الإغريق وسكان المنطقة من خلال الاعتقاد بحدوث هجرات إيجية سابقة على وصول الفينيقيين إلى المنطقة، أو بغزوات شعوب البحر[4]. بينما ربط البعض الآخر قوة التأثير الإغريقي المزعوم بتفوق الحضارة

---

débuts de l'histoire, p. 134 ; PIGANIOL, A, *La conquête romaine*, PUF, Paris, 1974, p. 148-149 ; CINTAS P., *Céramique punique*, Librairie C. Klincksiek, Paris, 1950, p. 559.

1- انتقد زنيكر الأحكام المتسرعة التي تبلورت بشأن الحضارة القرطاجية، لكنه اقترح كحل منهجي دراستها في إطار الحضارة الفينيقية!:

- SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, dans *Rome et la conquête du monde méditerranéen 264-27 av. j.c.* (sous la direct. de NICOLET, Cl.), T. II, PUF, Paris, 1978, pp. 545-593, p. 546.

2- يبقى من المفيد بسط بعض الآراء التي تبلورت بهذا الخصوص، رغم افتقادها لأية قيمة علمية، وذلك فقط لأن جزءا منها قد هيمن على السياق الذي جرت فيه الأبحاث الموالية. ومن أمثلة ذلك نذكر دراسة المؤرخ اليهودي سلوش الذي استنتج من خلالها أن الحضارة القرطاجية هي حضارة عبرية خالصة(كذا) محاولا إقامة ربط غريب بين نصوص التوراة وأحداث من التاريخ القرطاجي:

- SLOUSCH N., La civilisation hébraïque et phénicienne à Carthage, dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 87 bis, Mai 1911, pp. 213-239, passim.

3- SOREIN D. ; BEN ABD KHADER A., et SLIM H., *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, Traduit de l'anglais par Pérez, A., Éd. Albin Michel. S.A, Paris, 1994, p. 191.

4- أرجع غابرييل كامبس الصلات بين الإغريق وسكان المنطقة إلى فترة تحالف الليبيين مع شعوب البحر لغزو مصر، معتبرا أن ما ذكره هيرودوتوس حول الأصل الإغريقي لبعض المجموعات البشرية المستقرة بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا يرجع إلى

الإغريقية الذي أقر به القرطاجيون فقلدوا، بالتالي، المنتجات الإغريقية، رغم العداوة التي كانت بينهم وبين الإغريق[1].

يتفق الباحثون على تقييم التأثيرات الإغريقية بقرطاج، فستيفان كسيل، الذي يرجع له الفضل في ذلك، يرى أنه، وباستثناء الدين البوني الذي كان دينا فينيقيا خالصا في نظره، فإن التأثيرات الإغريقية مسّت بعمق أغلب مظاهر الحضارة القرطاجية بما في ذلك تفاصيل الحياة اليومية للساكنة[2]. أما بيار سنتاس، ورغم تقليله من شأن تغلغل تيار «الهلينة»[3] في الحضارة القرطاجية، فإنه يعتبر قرطاج وكركوان بمثابة مدينتين هلينيتين[4]. وهناك نماذج كثيرة للآراء التي سارت على نفس المنوال، أو اجتهدت في إيجاد براهين إضافية تحاول بها دعم أطروحة «الهلينة» كما يتصورها أنصار هذا الاتجاه[5] من خلال المبالغة في تقدير أهمية انتشار التأثيرات الإغريقية في أنحاء العالم القديم، ومنه قرطاج.

العلاقات التي قامت بين الجانبين قبل بداية الهجرات الفينيقية نحو المنطقة. أما برطولون، فقد ذهب أبعد من ذلك لما اعتبر الحضارة التي سادت بالمنطقة قبل وصول الفينيقيين إليها حضارة إيجية نجمت عن هجرات إيجية بدأت منذ العصر الحجري الحديث. لمزيد من التوضيح راجع المقالين التاليين:

- CAMPS G., Pour une lecture naïve d'Hérodote – les récits libyens (IV, 168-199), dans Travaux du *LAPEMO*, étude n° 11, 1984, pp. 18-7, p.7; BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, dans *Rev. Tun.,* 18è année, n° 89 bis, septembre 1911, pp. 391-414, passim.

1- FOUCHET M.-P., *L'Art à Carthage*, T. I, p. 26.

2- GSELL S., *HAAN,* T. IV, p. 191.

3- هلينة، أو تهلين هي تعريب لمصطلح «Hellénisme» المشتق من الفعل الإغريقي(ἑλληνίζειν/hellênízein) الذي يعني «العيش مثل الإغريق»، ويعد المؤرخ الألماني يوهان غوستاف درويسن(Gustav Droysen) أول من استعمل المصطلح منذ القرن 19م للإشارة إلى الزمان والمجال الذي أصبحت فيه اللغة الإغريقية لغة تواصل ونقل للتأثيرات الثقافية. انتشر هذا التيار بمجال جغرافي شاسع، من بينه منطقة شمال إفريقيا. ويعتقد أنه استمر بها لمدة 13 قرنا ربطا بالحضور الإغريقي خاصة في قورينا، أي من 640 ق.م إلى 643م. للتوسع في هذه الفكرة راجع:

LARONDE A., Grecs et Libyens à l'époque classique et hellénistique, dans *Collection de l'Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité*, Année 1993, 491, pp. 169-182, p. 169 ; DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, *Actes du 17ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 20 & 21 octobre 2006*, publications de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année 2007, 18, pp. 167-184, p. 167.

4- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 125.

5- انظر على سبيل المثال:

- PAÏS E., Leçons sur les guerres puniques, dans *Rev. Afr.*, T. LXVII, n° 322, 1925, pp. 11-74, p. 41.
- LIPINSKI E., Monde punique, dans *DCPP*, pp. 214-215.

3 - أطروحة الطابع المتعدد المشارب:

أدت محاولات اختزال البحث في الحضارة القرطاجية في إبراز آثار الحضارات الوافدة، وما أعقب ذلك من تعدد أصول تلك الحضارة، وتضارب الأطروحات التي ترجح هذا التأثير على الآخر، وبالتالي صعوبة إرجاع الحضارة القرطاجية إلى أصل واحد، إلى بروز أطروحة أخرى تحاول التوفيق بين الآراء المختلفة إلى درجة الحديث عن الطابع الكوني للحضارة القرطاجية. وتتأسس هذه الأطروحة على فكرة تلقي قرطاج لتأثيرات حضارية متعددة المشارب انصهرت جميعها في بوثقة حضارة ذات طابع أصيل ومتميز[1]. وهذا يعني حسب هذا التصور أن قرطاج وحضارتها ما كانت لتكون لولا الآخرين حتى مع الإقرار بوجود المشترك الحضاري في كل عصر[2].

4 - قراءة نقدية في الأطروحات السابقة:

يتضح من خلال قراءة الأبحاث الأثرية والدراسات التاريخية التي تناولت موضوع الحضارة القرطاجية تباين خلاصات المؤرخين فيما يخص إشكالية أصل تلك الحضارة ومصادر التأثير فيها، لدرجة أن بعضهم يتبنى أكثر من رأي. لكن ذلك لا يخفي تطابق معظم الأطروحات لجهة اعتبار الحضارة القرطاجية حضارة غير أصيلة، انبثقت من تمازج تأثيرات حضارية أجنبية متعددة المشارب، بحيث تم اختزال أهداف دراسة الحضارة القرطاجية في إبراز التأثيرات الأجنبية على تلك الحضارة.

لذلك يمكن الحديث، بالنسبة للدراسات القرطاجية، عن إسطوغرافيا توحد بينها قواسم مشتركة أكيدة تتمثل في الاتفاق على البحث للحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا بالضرورة عن أصول أجنبية، مع ملاحظة بعض التناقضات في اتجاهات الباحثين، وأحينا بالنسبة للباحث الواحد كما يتضح من ترجيح مصدر للتأثير على الآخر من خلال تقليل هذا الباحث أو ذاك من شأن التأثيرات الفينيقية مثلا[3]،

1- من الباحثين الذين تبنوا هذه أطروحة الطابع المتعدد أو الكوني(Cosmopolitisme) للحضارة القرطاجية، في دراساتهم نذكر:

- SOREIN D., et autres, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation,* op. cit.,p. 190-191 ; TLATLI S., *La Carthage punique*, Cérès productions, Tunis, 1978, p. 163 ; SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 545.

2- FOUCHET M.-P., *L'Art à Carthage*, T. I, p. 14.

3- اعتبر غابرييل كامبس أنه من غير المنطقي تفسير كل تطور حضاري بالمجال القرطاجي الإفريقي بتأثير فينيقي. بينما قلل برطلون من شأن التأثير الفينيقي على حضارة المنطقة، تدفعه إلى ذلك رغبته في ترجيح كفة التأثير الإغريقي. وأصدر بيار

أو الإغريقية[1]، أو المصرية[2].

لقد بقيت معظم الدراسات المعاصرة سجينة تصورات مسبقة تنظر للحضارة القرطاجية تارة كخليط متجانس، وتارة أخرى كخليط غير متجانس من الاقتباسات الأجنبية المتعددة المشارب: فينيقية، وإغريقية، ومصرية..إلخ. في حين ظلت إشكالية الجوانب المحلية في الحضارة القرطاجية مغيبة في معظم الدراسات، أو جاءت على هامش دراسة العوامل الأجنبية.

وتكمن المفارقة في خلاصات المؤرخين الأجانب في كونهم يقللون من شأن التأثيرات الأجنبية عندما يتعلق الأمر بحضارات مراكز النفوذ الفينيقي أو القرطاجي بمواقع خارج شمال إفريقيا، أي الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط، ويركزون-على النقيض من ذلك- على دور العوامل المحلية في تشكل حضارة تلك المناطق المتوسطية، مع إبراز استقلال حضارة السكان الليبيون بتلك المناطق عن حضارة الفينيقيين والقرطاجيين.

وعلى خلاف ما سبق، لم يتعامل هؤلاء الباحثين بنفس المنطق، وهم يدرسون الحضارة القرطاجية بإفريقيا، بحيث لم يهتموا بالأسس الليبية الإفريقية لتلك الحضارة، بقدر ما مسارعتهم إلى نفي أي تأثير أو إسهام للحضارة الليبية القديمة في الحضارة القرطاجية التي نشأت وتطورت على الأرض الإفريقية. وهذا يثبت بالملموس أن الكثير من الاستنتاجات قد انبنت على أحكام مسبقة ونظرات قيمية أثرت بشكل كبير على دراساتهم لتاريخ المنطقة.

سنتاس-منذ البداية-في مقدمة كتابه حول الخزف الفينيقي حكما على الحضارة القرطاجية يتمثل في كونها نسخة من حضارة الفينيقيين في الشرق، وظل ملتزما، وفي جميع فقرت كتابه، بالبحث عن عوامل خارجية مصدرها فينيقيا لكل تطور يلحق الحضارة البونية:

- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, 1ère partie, A. Rey, Imprimeur-Editeur, Lyon, 1913, p. 273 ; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 50 ; CINTAS, P., *Céramique punique*, p. 4.

1- كتب بيار سنتاس بخصوص الهلينة ما يلي : «إننا ضحايا وهم إغريقي». واعتبر وارمنغطون أن التأثير الإغريقي خلال القرن 5 ق.م كان أقوى بفينيقيا منه بقرطاج وشمال إفريقيا:

- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, Traduit de l'anglais par GUILLEMIN, S.-M., Payot, Paris, 1961, p. 70 et 72; CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 394.

2- أنجز فيركوتر دراسة مفصلة للبقايا المنسوبة لمصر بقرطاج، وخلص إلى أن التأثير المصري كان محدودا على خلاف ما صورته بعض الدراسات التي ربطت ذلك بعمل الفينيقيين. ذلك أن تلك اللقى لا تتعدى بعض الأدوات الصغيرة ذات الاستعمال السحري:

- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1945, p. 1.

ومن ذلك أنهم يعتبرون السكان الليبيين الذين اتصل بهم الفينيقيون مجرد بدائيين[1]، أو أشباه همج *(Semi-sauvages)*[2]. ولذلك لم يروا إمكانية لحدوث تطور داخلي مستقل في حضارة المنطقة خلال الفترة القرطاجية إلا من خلال عوامل دخيلة. ويجد ذلك التصور جذوره أيضا في حكم معياري على الحضارة القرطاجية والمستوى التقني لمنتجيها الذين كانوا أقل شأنا من الإغريق والرومان والفينيقيين حسب العديد من المؤرخين الأجانب[3].

5 - أهمية البحث في الأصول المحلية للحضارة القرطاجية:

يعد ستيفان كسيل من بين أوائل المؤرخين الأجانب الذين طرحوا مسألة العناصر المحلية في الحضارة القرطاجية رغم ما يرتبط بذلك من تناقض ناتج عن ثقل الأطروحات التي صاغها بشأن الحضارة الليبية خلال الحقبة السابقة على مجيء الفينيقيين إلى المنطقة، وما استتبع ذلك من تأكيده على مسألة الأصل الفينيقي والإغريقي للحضارة القرطاجية. لقد طرح الباحث فكرة إمكانية حدوث تفاعل بين الفينيقيين والليبيين على المستوى الاجتماعي والديني[4]. كما أقر باستمرار مظاهر الحضارة الليبية القديمة في المناطق البعيدة عن موقع قرطاج، وخصوصا بالمجال الممتد بين خليج الحمامات، وشمال تونس، ووسطها، والساحل الشرقي التونسي[5].

بدأ إدراك أهمية دور المعطى المحلي في تشكل الحضارة القرطاجية يتبلور بشكل أوضح في دراسات غابرييل كامبس من خلال إقراره بالتطورات الخاصة التي عرفتها الحضارة بالمجال الإفريقي الذي خضع للسلطة القرطاجية، أو بمناطق النفوذ التجاري والإشعاع الحضاري لقرطاج. لقد صاغ المؤرخ الفرنسي مقولة مفادها أن الحضارة القرطاجية هي عبارة عن «لقاء فينيقي ليبي» على الأرض الإفريقية. لكن كامبس لم يوضح في أبحاثه أين تجلت تلك الأسس المحلية ومدى أهميتها، رغم طرحه لمسألة مدلولات مصطلح «بوني» لجهة كونه يخفي- في رأيه-عناصر من حضارة السكان الأصلاء بالمنطقة[6]. وتبنى كامبس رأي كسيل المتمثل في

1- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *Vie et mort de Carthage*, Hachette, Paris, 1982, p. 16.
2- GSELL S., *HAAN,* T. IV, p. 485.
3- Ibid., p. 486.
4- Ibid., p. 484.
5- Ibid., p. 492.
6- ترددت فكرة تلاقي عناصر حضارية فينيقية وليبية في تشكيل الحضارة القرطاجية في عدد من أبحاث كامبس، من بينها على سبيل المثال:

محافظة عدد من مناطق المجال الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي على الإرث الحضاري الموروث عن الحقبة السابقة على مجيء الفينيقيين (مجال الحوانيت بتونس مثلا)[1].

ومن بين الأفكار التي سارت على نفس المنوال نذكر الإشارة المقتضبة التي وردت عند فيفريي *(FÉVRIER, P.-A)*، والمتمثلة في وجود ما أسماه ب«العقبة البونية» التي تواجه البحث في موضوع الحضارة القرطاجية، والتي تجلت-حسب رأيه-في تهميش المؤرخين لدور العامل المحلي في دراستهم لتلك الحضارة[2]. لقد أسفر الوعي المتنامي بأهمية المعطيات المحلية عن بروز دعوات لإعطاء الأولوية لتعميق البحث في أوجه التفاعل الذي حدث بين الليبيين والفينيقيين[3] في إطار الحضارة المسماة بونية/قرطاجية، بل أدرك بعض الباحثين الأثر السلبي لتجاهل تلك المعطيات من طرف المؤرخين المعاصرين. وقد وصف كامبس ذلك ب«الحاجز النفسي»[4] الناتج عن إفرازات النظرة الاستعمارية لتاريخ المنطقة[5]، وهو الشيء الذي لا تخلو منه كتابات كامبس نفسه[6].

استمر طرح فكرة تشكل الحضارة القرطاجية من تلاقي عناصر حضارية فينيقية وليبية في مجموعة من الدراسات الأخرى، ولكن بشكل محتشم. فقد اعتبر سيرج لنسل أن الفينيقيين لم يصلوا إلى أرض «جرداء» من الناحية الحضارية، وأن تشكُّل الحضارة القرطاجية قد نتج عن تمازج بين مظاهر حضارة محلية لا تزال وقتئذ منغمسة في مرحلة ما قبل التاريخ،

- CAMPS G., Pour une lecture naïve d'Hérodote – les récits libyens (IV, 168-199), p. 4 ; Id, *Les Berbères, mémoire et identité*, Éditions Errance, Paris, 1987, p. 109; Id, Réflexions sur la pénétration de la civilisation punique en Numidie, dans Travaux du *LAPEMO,* 1975, pp. 1-13, p. 3.

1- Id, Protohistoire de l'Afrique du Nord : questions de terminologie et de chronologie, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 43-70, p. 55.

2- أدلى الباحث بهذه الفكرة في إحدى جلسات المؤتمر الدولي الثاني لدراسة ثقافات غرب البحر الأبيض المتوسط:

- FÉVRIER P.-A., (Discutions) dans *Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. I, Alger, 1976, p. 13.

3- CAMPS G., Réflexions sur la pénétration de la civilisation punique en Numidie, p. 5.

4- Id, Compte rendu sur Bénichou - Safar H., Les tombes punique de Carthage (1982), dans *ROOM*, n°36, 2è Semestre 1983, pp. 202-203, p. 203.

5- Id, *Les Berbères, mémoire et identité,* p. 107.

6- ركز كابريال كامبس على انتقاد الأطروحة التي تبالغ في تقدير التأثير الفينيقي على الحضارة القرطاجية، لكنه حرص من جهة أخرى على إبراز فكرته التي لا تنظر إلى حضارة السكان الأصلاء كمعطى أساسي في دراسة حضارة المنطقة مادام يتصور أن تلك الحضارة كانت- قبل وصول الفينيقيين- حضارة متوسطية غير أصيلة نجمت عن تأثيرات قادمة من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط عبر إيبيريا والجزر المتوسطية :

- CAMPS G., *Les Berbères, mémoire et identité,* p. 108.

وحضارة شرقية دخلت العصر التاريخي[1]، وطرح الباحث الحسين فنطر نفس الفكرة تقريبا في أبحاثه[2]. وينبغي الإقرار أيضا بأن باحثين آخرين قد طرحوا مسألة استحضار المعطيات المحلية عند دراسة الحضارة القرطاجية، بيد أن الفكرة ظلت معزولة، ولم يظهر لها أثر على استنتاجاتهم حول أصل الحضارة القرطاجية كما يتضح من تشبتهم بنفس الأطروحات التي ترسخت في الدراسات الفينيقية البونية[3].

لقد سمحت الحفريات الأثرية التي أجريت خارج موقع قرطاج، وخصوصا بمواقع تقع ضمن مجال السيطرة السياسية لقرطاج بتوفير معطيات جديدة مكّنت من طرح فرضية وجود عناصر محلية في الحضارة القرطاجية. فقد توالت التنقيبات الأثرية بمواقع الساحل الشرقي التونسي، وساحل الطرابلسية. وقد تصدى لتلك المهمة أثريون محليون ما مكن من تعزيز معطياتنا حول حضارة البلاد الإفريقية التي امتدت إليها السيطرة القرطاجية، وفتح المجال لتعميق البحث في مدى مساهمة السكان الأصلاء في الحضارة القرطاجية.

لقد اتضح من خلال البقايا المكتشفة خلال الحفريات التي تمت بالمجالات المذكورة أعلاه أن مناطق شاسعة من المجال الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي لم تتأثر كثيرا بمظاهر الحضارة التي تبلورت في قرطاج، وحافظت بالتالي على موروثها الحضاري القديم[4]. كما ساهمت تلك المعطيات أيضا في طرح إشكالية المصطلح الواجب استعماله لوصف الحضارة التي سادت بالبلاد الإفريقية الخاضعة لقرطاج بحكم أنها حافظت على خصوصيات

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 52.

2- فنطر (محمد حسين)، «اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة» مجلة إفريقية، سلسلة مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية، العدد 12، 2002، ص.ص 43-59، ص. 56.

3- يبقى من الصعب حصر جميع الدراسات التي أشارت بشكل عرضي لدور العوامل المحلية في الحضارة القرطاجية. انظر على سبيل المثال لا الحصر دراسات أخرى تناولت هذا الجانب:

- DECRET F., et FANTAR M.-H., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Payot, Paris, 1981, p. 54 ; SOREIN D., et autres, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, p. 191 ; PICARD G., *Le monde de Carthage*, Éditions Correâ, Buchet/Chastel, Paris, 1956, p. 80.

4- لمزيد من المعلومات حول هذا الأمر راجع الدراسات الأثرية والتاريخية التالية:

- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, Thèse de 3ème cycle, Université de Paris I, Panthéon Sorbonne, Décembre 1979, p. 115 ; Id, *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, Institut National du Patrimoine, Tunis, 1999, p. 18-19 et 141; LANCEL S., *Carthage*, p. 111 ; FANTAR M.-H., Les études puniques en Tunisie , dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 179-186, p. 184; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, *SP*, T. XIV, 1995, p. 37.

محلية ليبية مقارنة بالحضارة التي سادت بمدينة قرطاج. وهكذا استعمل بعض الباحثين في محاولة منهم لاستحضار حضارة السكان الليبيين الذي خضعوا لسلطة قرطاج مصطلحات مركبة من قبيل: حضارة «ليبية-فينيقية»، أي باستلهام التسمية القديمة الواردة النصوص الإغريقية واللاتينية[1]، أو حضارة «ليبية-بونية»[2].

لقد تمخض عن بروز هذا الاتجاه الجديد في دراسة مكونات الحضارة القرطاجية-الذي يراعي التنوع الحضاري بالمجال القرطاجي الذي خضع للسيطرة القرطاجية، ويقر بأهمية البحث في استمرار عناصر الحضارة الليبية بالمنطقة-إطلاق دعوات لهجر الأطروحات التي همشت المعطيات المحلية، ولم تستحضر العوامل المحلية عند دراسة الحضارة القرطاجية. غير أن تلك الدعوات لم تجد طريقها نحو التنفيذ، ولم تتجسد عمليا على شكل دراسة علمية متكاملة وشمولية تحاول استغلال المعطيات الأثرية التي استجدت لتعميق البحث في الموضوع كما يقر بذلك غاقي[3] الذي طرح الحاجة إلى دراسة علمية تروم إبراز مظاهر الحضارة الليبية في الحضارة القرطاجية[4].

كما اقترح باحثون آخرون ضرورة توظيف معطيات المجال الليبي عند دراسة الحضارة القرطاجية من خلال مراجعة مدلولات مفهوم «التأثير» الذي ساد في الدراسات البونية في صورة حركة تغيير حضاري آتية بالضرورة من الخارج (فينيقيا) بواسطة جماعات تنتمي لمجتمعات راقية نحو مجال متخلف حضاريا (شمال إفريقيا)[5]. وأثارت الباحثة حليمة غازي بدورها مسألة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية منذ التسعينات من القرن الماضي، وظلت حاضرة في عدد من أبحاثها الموالية[6].

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 111.

2- يرى الباحث بن يونس حبيب، المتخصص في آثار مناطق الساحل الشرقي التونسي، وجود قواسم مشتركة أكيدة بين مصطلحات « بوني» و«ليبي-بوني»، لكنه اعتبر أن المصطلح الأخير يعكس درجة تشبع سكان ذلك المجال بالحضارة الفينيقية التي نشرها القرطاجيون بالمنطقة: رسالة جوابية من الباحث بن يونس حبيب، مؤرخة ب 10 يوليوز 2004.

3- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 220-221.

4- Ibid, p. 167.

5- PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'»influences», dans *Homme méditerranéen, Mélanges offerts à Provence*, 1995, pp. 215-230, p. 216 et 230.

6- ترى الباحثة حليمة غازي أن العامل الذي يفسر تعلق الليبيين بالحضارة القرطاجية يتمثل في كونها بمثابة حضارتهم التي حافظوا على أبرز تجلياتها حتى بعد سقوط قرطاج. راجع هذه الأفكار في المقالين التاليين:

-GHAZI-BEN MAISSA H., Le royaume du Maroc antique : image et réalité, dans *Mélanges offerts à Boutaleb, B.*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Rabat, série : essai et études, n° 27, 2001, pp. 9-31 ; Id, L'assise historique de l'institution royale au Maroc, dans *Le monde Amazigh*, n°39 , Novembre 2003, pp. 3-4.

الفصل الثالث:
إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية

1 - الجهاز المفاهيمي:

فضلا عن مصطلحي «محلي» و«وافد» اللذان سيقع التفصيل فيهما في المحددات المنهجية، يعد مصطلح «حضارة» أحد المفاهيم المركزية المؤطرة لهذه الدراسة. ويأتي استعمالنا لمصطلح «حضارة» بمعناه العام، الذي يعكس مجموع مظاهر الحياة التي تنجم عن حياة السكان بمجال جغرافي معين ليشمل بذلك مجموع الجوانب المادية، وغير المادية[1]، بصرف النظر عن طبيعة الاستقرار البشري[2]، وعن تقييم الإنتاج المادي وغير المادي للجماعات البشرية في مختلف مراحل تطورها[3]. ولهذا، يقوم تصورنا في هذه الدراسة على اعتبار الحضارة كمركب يعكس حصيلة التفاعل الذي يتم بين الإنسان وبيئته.

1- نشأ مفهوما «حضارة» (من جذر Civis)، و«ثقافة»(من جذر Culturo) في سياق تطور الفكر الأوروبي، وتشعبت تعريفاتهما بحيث ظهر تداخل بين المفهومين. وهناك من جعل المفهوم الأول مرادفا للثاني، بل اعتُبر مفهوم «حضارة» مشتملا على جميع الإنجازات المادية وغير المادية بعد أن ساد التمييز بين المفهومين على أساس أن الحضارة تشمل المظاهر المادية كالعمران والحرف والأدوات، وأن الثقافة تنحصر في اللغة والفكر والقيم والتقاليد والمعرفة...إلخ. انظر بهذا الخصوص:

- عارف (نصر محمد)، الحضارة-الثقافة-المدنية. دراسة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم والمصطلحات رقم 1، هيرندن، فرجينيا، 1994، ص. 39.

2- ارتبط تعريف مفهوم «حضارة» في المصادر العربية بطبيعة الاستقرار البشري من خلال الإقامة في المدن، فالحَضَرُ، والحَضرةُ، والحاضِرة، والحِضارة، والحَضارة هي خلاف البداوة والبدو لأن أهلها استقروا بالأمصار، وأقاموا في الديار، وتفننوا في أنواع الترف كما ذكر ابن خلدون. لقد تُرجم المفهوم الأوروبي(Civilization/Civilisation) إلى اللغة العربية بلفظ «حضارة»، وهناك من ترجمه بلفظ «مدنية». ورغم محاولات تمييز الكتابات العربية المعاصرة بين مفاهيم «حضارة»، و«ثقافة»، و«مدنية»، فإن نفس التعريفات قد وضعت لتلك المفاهيم، بحيث صار المضمون والمحتوى واحد، رغم اختلاف المفاهيم المستعملة. لمزيد من التفاصيل انظر المصادر والمراجع التالية:

- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ص. 662، ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت (دون تاريخ)، ص. 197، كافي الكفاة (الصاحب إسماعيل بن عباد)، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ حسين آل ياسين، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1994، ص. 439، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2000، ص. 122.

3- يستعمل مفهوم «حضارة» في الدراسات التاريخية بمعناه المطلق الذي ينطبق على جميع مظاهر حياة السكان دون تمييز قيمي ليشمل جميع حضارات الفترات ما قبل التاريخية والعتيقة.

ويأخذ هذا التصور بعين الاعتبار صعوبة تقييد الحضارة بعامل الزمن، أو إخضاعها لعملية التحقيب نظرا لاستمرار العناصر الحضارية الموروثة والمكتسبة عن حقب جد موغلة، وامتداد مظاهر حضارية أخرى إلى فترات زمنية يصعب حصرها بأحداث تاريخية معينة، أو بنقاط مرجعية محددة. ولذلك فإن دراسة المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية يستدعي الرجوع إلى حضارة المجال الإفريقي خلال الحقب السابقة على تأسيس قرطاج، وكذلك الفترات اللاحقة لسقوط المدينة.

ومن هنا ينطوي استعمالنا لمصطلح «حضارة قرطاجية» على مجموع مظاهر الحضارة المادية وغير المادية التي نشأت في مجموع البلاد الإفريقية التي خضعت للسلطة السياسية لقرطاج، أو امتد إليها إشعاعها الحضاري، بالرغم من أن هذه الحضارة التي امتدت على مجال إفريقي شاسع قد نُسبت لمدينة قرطاج، وليس للمجال الذي سيطرت عليه بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. ويتقاطع هذا المصطلح، في هذه الدراسة، مع مصطلح «حضارة بونية» الذي يمتح من استعمالات المصادر الإغريقية واللاتينية عند إشارتها إلى القرطاجيين والأفارقة.

ويعد مصطلح «المجال القرطاجي الإفريقي» من المفاهيم المهيكلة لهذه الدراسة، ونقصد به المجال الإفريقي الذي خضع للسيطرة السياسة لقرطاج، ويمكن اعتباره-من الناحية المنهجية- مجالا سياسيا وحضاريا أيضا، سعينا لتحديده في الباب الثاني من هذا الكتاب لاتخاذه كمجال جغرافي لدراسة الحضارة المسماة قرطاجية أو بونية في مهدها بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. واستعمال هذا المصطلح يأتي تمييزا له عن مصطلح «المجال القرطاجي» الذي يقتصر على مدينة قرطاج، والمناطق القريبة منها.

2 - محددات منهجية:

تستلزم شمولية هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج المقارن في التوثيق والاستقراء والتحليل والاستنتاج[1]. وذلك من خلال بحث وتفسير مظاهر الحضارة القرطاجية

1- يقوم المنهج المقارن في مجال التاريخ على مقارنة معطيات حضارات مختلفة غالبا ما تكون متزامنة من أجل إبراز ما بينها من تشابه واختلاف في أفق معرفة التفاعل والاحتكاك الذي حدث بينها، وبالتالي إيجاد تفسيرات لنشأتها وتطورها وتراجعها. ويعتبر أرنولد توينبي رائدا في هذا المجال من خلال دراساته الشاملة والمقارنة التي همت إحدى وعشرين حضارة. للتوسع في الموضوع راجع:

- علبي(عاطف)، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2006، ص. 132-134

وتحديد أصولها انطلاقا من مقارنتها مع الحضارات التي وفدت على الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم، ومع الحضارة المحلية بشمال إفريقيا والصحراء[1]. لقد وظف المختصون في الدراسات الفينيقية البونية عدة مفاهيم حاولوا بواسطتها التعبير عن التفاعل الحضاري الذي حصل بالمجال القرطاجي الإفريقي، وخصوصا مفهوم «التأثير» الذي اختُزل في ثنائية طرف مُؤثِر من موقع «التفوق» الحضاري، في مقابل طرف مُستقبِل يحتضن العناصر الوافدة عليه دونما امتلاك القدرة على التأثير فيها، أو إعادة تشكيلها لكي تتماشى مع خصوصياته المحلية. كما اندرجت دراسة مكونات الحضارة القرطاجية أحيانا في إطار مفهوم «المثاقفة» أو «التثاقف» الذي يحيل على التحولات والتغيرات التي تطرأ على العناصر الحضارية الوافدة في المجال المُستقبِل لها.

وانطلاقا من هذا التصور، نطرح مبدئيا احتمال خضوع الحضارة التي استقدمها الفينيقيون إلى الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم لتغييرات وتحولات نتيجة تأثير البيئة والإنسان المحلي الليبي. وتلافيا لتأثير المضامين والمدلولات التي تحويها المفاهيم المستعملة لحد الآن في حقل الدراسات البونية، وما يترتب عنها من أحكام مسبقة، فقد اخترنا استعمال مصطلح «الوافد» للتعبير عن العناصر الحضارية الأجنبية التي استوعبتها الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا القديم.

وينطوي مصطلح «الوافد» بشكل عام على فكرة اقتباس عناصر حضارية أجنبية على المجال القرطاجي الإفريقي. ويتأسس البحث في العناصر الحضارية الوافدة على المجال المدروس على منطلقات نظرية، وأخرى تاريخية. فمن الناحية النظرية، أثبتت الأبحاث الأنثروبولوجية والإثنولوجية والفلسفية أن ما من شعب، في مختلف العصور، قد بقي بمعزل عن التأثيرات الأجنبية، وهذا ينطبق-نظريا-على الحضارة القرطاجية. أما من الناحية التاريخية، فقد أكدت الوثائق الأدبية والأثرية اتصال سكان المجال الشمال إفريقي، الذي خضع لسلطة قرطاج، أو امتد إليه إشعاعها الحضاري، بعدد من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، سواء منهم الفينيقيون الذين هاجروا إلى المنطقة، وأسسوا قرطاج، أو سكان السواحل المتوسطية التي أنشأت بها قرطاج مراكز تجارية، أو «عسكرية»، أو تلك التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية.

1- قد تبدو عملية المقارنة هاته في حالة هذه الدراسة، وفي الفترة القديمة بالخصوص، صعبة، ولكنها ليست مستحيلة، فهي قابلة للتنفيذ والتنزيل على أرض الواقع متى ما تحددت مجالاتها البحثية بشكل مضبوط.

وتَعِد مقاربة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية بتوفير بعض عناصر الإجابة عن جملة من التساؤلات المطروحة بصدد «هوية» تلك الحضارة، وجذورها، ومصادر التأثير فيها. وتهم تلك التساؤلات بالخصوص العوامل المفسّرة لنهوض مدينة قرطاج بشرق شمال إفريقيا، وظروف تحولها من مدينة غريبة عن مجالها، وقابعة خلف أسوارها إلى كيان سياسي وعسكري واقتصادي وحضاري مؤثر بشمال إفريقيا القديم، وطرف أساسي في التنافس على المصالح الاقتصادية بحوض البحر الأبيض المتوسط. ومن جملة التساؤلات المطروحة في هذا الباب: هل استمدت قرطاج ازدهارها من أصولها الفينيقية، أي من الوطن الأم؟ أم من ذلك الخليط من التأثيرات المتوسطية؟ أم أنها استفادت أيضا من جذورها الإفريقية، حيث تأسست وتوسعت وتطورت؟

أما الجانب «المحلي» في الحضارة القرطاجية، فيتضمن العناصر الحضارية الموروثة عن الحضارة الليبية العتيقة التي بلورها السكان الأصلاء بالمنطقة التي ظهرت وانتشرت بها تلك الحضارة فيما بعد، وذلك منذ حقب ما قبل وما قبيل التاريخ. كما يندرج في إطار ما هو محلي تلك العناصر الحضارية التي تطورت بالمجال الإفريقي خلال الفترة القرطاجية من منطلق إدراك أثر اختلاف البيئة والزمان والمكان الذي عاش فيه المهاجرون الفينيقيون إلى إفريقيا، وتأثيرات انصهارهم مع العنصر البشري الليبي.

وفي هذا المضمار، بينت الأبحاث التي أجريت في حقول معرفية مختلفة أن التأثيرات الأجنبية غالبا ما تندمج في بنية الحضارة السائدة بالمجال المُستقبِل، حيث تخضع هنالك لعدة تحولات في إطار عملية معقدة[1]. لقد خلقت تلك الدينامية الحضارية في بعض الأحيان التباسات لدى عدد من المهتمين بالتاريخ القديم عموما والتاريخ القرطاجي خصوصا، حيث أن شهرة عدد من المنتجات التي روجها القرطاجيون دفعت الباحثين إلى نسبها لمصدر فينيقي، رغم الغموض الذي يلف أصولها الحقيقية[2]. ففي ذلك إغفال لأهمية عاملي المجال والإنسان في تشكل حضارة قرطاج التي تشكلت بالأرض الإفريقية مما يعني، مبدئيا، تميزها بخصوصيات معينة تتصل بالبيئة التي ظهرت بها، وبالإنسان الفاعل فيها بما يجعل من غير المنطقي البحث، بالضرورة، عن أصل أجنبي لجميع عناصر تلك الحضارة، وجعل ذلك بمثابة قاعدة يتأسس عليها البحث في هذا الجانب.

1- PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'«influences», p. 215.

2- GHAZI-BEN MAISSA H., Image ou mirage de la Tingitane à travers les sources arabes médiévales, dans *Africa romana*, T. XIV, 2002, pp.2185-2266, p. 2247, marge n° 366.

ومن هنا يحق التساؤل عن مظاهر استمرارية الموروث الحضاري للسكان الليبيين الأصلاء بالمجال الإفريقي الذي ظهرت به الحضارة القرطاجية في عدد من الجوانب الحضارية، وعن تجليات الامتزاج الحضاري الذي حصل على الأرض الإفريقية في إطار التطورات التي حدثت بالمنطقة، وأصبحت جزءا من خصوصيات حضارة المنطقة. وبناء على ذلك، تروم إشكالية المحلي والمستورد محاولة إبراز العناصر الليبية في بعض مظاهر الحضارة القرطاجية، وإماطة اللثام عن العناصر الحضارية الوافدة على المجال القرطاجي الإفريقي. وتتأسس تلك الإشكالية على مبدأ عام يقوم على ربط الحضارة بمحيطها الجغرافي، واستحضار معطياته الحضارية الموروثة عن الحقب السابقة، من منطلق اعتبار الحضارة محددة ومشروطة بالعنصر البشري، ومرتبطة أوثق الارتباط بإطارها الجغرافي.

وبذلك، فإن هذه الدراسة تسعى لتقييم الأطروحات التي صيغت حول بعض مكونات الحضارة القرطاجية بصفة عامة، والآراء التي غلّبت التأثيرات الوافدة بأن أرجعت معظم مظاهر تلك الحضارة، إلى أصول فينيقية أو إغريقية، وبحثت فيها بالأساس عن التأثيرات الأجنبية. ولذلك، فإن دراسة بعض جوانب الحضارة القرطاجية على ضوء إشكالية المحلي والوافد، تستهدف أيضا إعادة الاعتبار، بشكل موضوعي، للبحث في الحضارة المحلية بشمال إفريقيا القديم، وتقييم مساهمتها في بناء الحضارة القرطاجية. وذلك من خلال محاولة البحث عن جذور بعض العناصر الحضارية التي برزت في الفترة القرطاجية في حقب ما قبل التاريخ، سواء في شمال إفريقيا، أو في الصحراء. علاوة على رصد العناصر الحضارية التي وفدت من الخارج، وساهمت في ازدهار الحضارة القرطاجية عبر استثمار معطيات حضارات الشرق القديم، وحوض البحر الأبيض المتوسط. بيد أن العودة إلى الفترات التي سبقت الفترة القرطاجية لا يعني البحث عن أصل مطلق لمظاهر تلك الحضارة، وإنما المساهمة في التعريف بعناصر الحضارة الليبية التي ورثتها قرطاج من مجالها الإفريقي.

3 - الإطار الزمني والمجالي للدراسة:

يشمل الإطار الزمني للدراسة مجموع الفترة القرطاجية التي تُحَدّد زمنيا بوقائع تاريخية كبرى، حيث تبدأ من تاريخ تأسيس قرطاج مع نهاية القرن 9 ق.م (حوالي 814 ق.م)، وتنتهي بسقوط المدينة بعيد النصف الثاني من القرن 2 ق.م (سنة 146 ق.م) كإطار زمني تتطلبه ضرورات البحث التاريخي. مع إدراك ما يترتب عن جعل الحضارة موضوعا للتاريخ

من إشكاليات فلسفية معقدة ترتبط بصعوبة حصر زمن الحضارة. فالحضارة تمثل واقعا تاريخيا مفرطا في الطول مما يجعل محاولة حصرها في إطار زمني محدد، انطلاقا من المعيار الحدثي، يعد بمثابة تبسيط منهجي، وهو ما اضطررنا إليه في هذا العمل.

فليس من السهل تحديد تاريخ مضبوط لنشأة الحضارة القرطاجية ونهايتها، من منطلق إدراك أن زمن الحضارة هو زمن مطلق وبنيوي، ولأن هذه الأخيرة عبارة عن سيرورة متواصلة في الزمن. فلا شك أن حضارة المجال الإفريقي لقرطاج خلال الفترة المدروسة قد استمدت عناصر حضارية تنتمي لفترات سابقة تجد جذورها في حقبة ما قبل التاريخ، مثلما أن مظاهر تلك الحضارة قد استمرت بالمنطقة، وأخذت إشعاعا أكبر بعد منتصف القرن 2 ق.م، دون أن تتأثر بسقوط قرطاج كحدث مرجعي ومفصلي من الناحية الزمنية البحتة.

ومن هنا ينبغي وضع مسألة الإطار الزمني لدراسة الحضارة القرطاجية في سياق النقاش الدائر حول زمن الحضارة، ونحن ندرك صعوبة إقناع المهتمين بالتاريخ بمزايا دراسة الحضارة، وبالمناهج الممكن اتباعها للقيام بمثل هذه المهمة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بحضارة تنتمي إلى الفترة القديمة. وإدراكا لأهمية هذا المعطى، فإن دراستنا للحضارة القرطاجية سوف تنصب على محاولة فهم ما هو تاريخي في تلك الحضارة فهما شموليا يستحضر إشكالية الإطار الزمني من خلال الرجوع إلى الفترات السابقة على تأسيس قرطاج، وتلك اللاحقة لسقوطها على ضوء ما بحوزتنا من وثائق أثرية ونصوص قديمة.

وتستلزم دراسة الحضارة القرطاجية حصر المجال الجغرافي الذي يشكل مهدا لتلك الحضارة. ويتعلق الأمر هنا بمحاولة رسم إطار جغرافي تقريبي بالنظر لصعوبة تحديد مجال مضبوط للحضارة القرطاجية. فضلا عن تداخل المعايير التي يمكن اعتمادها لهذا الغرض بين مجال سياسي، وجغرافي، وحضاري... فرغم الارتباط الوثيق بين الحضارة والمجال الجغرافي من الناحية النظرية، فإن الحضارة-في الواقع-لا ترتبط بمجال جغرافي محدد بشكل مضبوط. وفي حالة الحضارة القرطاجية، يلاحظ أن ثمة تداخلا بين حضارة مجموع مناطق شمال إفريقيا القديم خلال الفترة المدروسة بحكم الصلات التجارية، وبسبب أهمية القواسم المشتركة بين سكان المجال الشمال إفريقي ككل.

تنضاف إلى ذلك بالطبع التفاعلات التي ربما حصلت بين الحضارة لقرطاجية بإفريقيا والحضارات المحلية بمناطق النفوذ القرطاجي بحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث امتد

نفوذ قرطاج السياسي والعسكري وإشعاعها الحضاري، وامتزجت حضارة قرطاج الإفريقية بعناصر الحضارات المحلية في كل منطقة على حدة. وهذا يعني أن الحضارة القرطاجية قد امتدت على مجال واسع، وصعب التحديد مما يتطلب، عند دراسة مظاهر هذه الحضارة، استحضار معطيات هذا المجال الجغرافي الشاسع الذي يضم شمال إفريقيا، والصحراء، والمجال المتوسطي. ونظرا لضرورة التركيز على معطيات مضبوطة ومُؤَطَّرَةٌ جغرافيا، فقد اخترنا التركيز على المجال الإفريقي الذي كان تابعا بشكل مباشر للدولة القرطاجية مع الاستئناس، عند المقارنة، بمعطيات المجالات الأخرى الشمال إفريقية والصحراوية والمتوسطية والشرقية.

الباب الثاني:
الحضارة القرطاجية: المجال

تقديم:

يعد تأسيس قرطاج خلال نهاية القرن 9 ق.م حدثا مهما بشمال إفريقيا القديم بوجه خاص، وفي الجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بوجه عام. فقد أصبح ذلك الحدث إحدى النقاط المرجعية الهامة في التاريخ القديم ككل. وتمثل دراسة الفترة العتيقة من تاريخ المدينة منطلقا أساسيا لدراسة إشكالية المجال الإفريقي للحضارة القرطاجية. وذلك لأن أهم الأطروحات التي صيغت بشأن جذور عدد من مظاهر الحضارة القرطاجية قد استندت أساسا على قراءة معينة لحدث تأسيس مدينة قرطاج مع ما رافق ذلك من مبالغة في تقدير دور الفينيقيين خلال مرحلة التأسيس، وتحديد مصير المدينة بإفريقيا دون سواها من المنشآت الفينيقية بشمال إفريقيا والحوض المتوسطي.

وتستلزم معرفة وتحديد المجال الإفريقي لقرطاج، ورصد تطوره في الزمن إيلاء الاهتمام للفترة المبكرة من تاريخ المدينة من خلال البحث في المعطيات البشرية للموقع بهدف تقييم دور المهاجرين الفينيقيين في حدث التأسيس، ومعرفة مدى حضور العنصر المحلي في تلك الفترة المبكرة، وخلال المراحل الموالية، وإماطة اللثام عن العوامل المفسرة لتجذر قرطاج بمجالها الإفريقي من خلال البحث في علاقاتها بالجوار الإفريقي، وتقييم دور المجال والإنسان الإفريقيين في ازدهار المدينة.

وتُطرح في هذا الإطار مشكلة تاريخ استقلال قرطاج عن الوطن الأم بفينيقيا وعن الكيان الليبي المجاور لها، حيث يمثل البحث في هذا الموضوع إحدى المفاصل الأساسية لفهم التاريخ القرطاجي. وتتفرع عن هذه المشكلة أسئلة من قبيل: ما طبيعة العلاقات التي قامت بين قرطاج بشرق إفريقيا ومدينة صور بالشرق الفينيقي؟ هل كانت المدينة في البداية تابعة لمملكة صور الفينيقية؟ وهل يصح الحديث عن استقلال قرطاج عن الوطن الأم في الشرق؟ أم عن نهوض المدينة وازدهارها بإفريقيا؟ هل خضعت المدينة في البداية، وبالموازاة مع علاقتها بالوطن الأم، للكيان المحلي الليبي الذي كان يراقب المجال الذي تأسست به؟

ويسمح التعرف على المجال القرطاجي الإفريقي بوضع إطار جغرافي يكون منطلقا لدراسة الحضارة القرطاجية بشمال إفريقيا القديم. وذلك بغاية معرفة المجال الإفريقي الذي انبثقت منه الحضارة القرطاجية باعتباره مهدا تلك الحضارة. ويمثل امتداد النفوذ القرطاجي المباشر بمثابة المعيار الرئيس لتحديد المناطق الإفريقية التي يشملها ما نسميه «المجال القرطاجي الإفريقي». وتجذر الإشارة هنا إلى نسبية وشمولية العلاقة بين المجال والحضارة بصفة عامة، حيث يتمثل ما هو نسبي في أهمية الوعي بالخصوصيات المجالية لكل منطقة على حدة. فعلينا أن لا نتصور منذ البداية بأن جميع المناطق التي خضعت للحكم أو النفوذ القرطاجي قد تميزت بنفس المظاهر الحضارية.

ولهذا يتعين التنبيه إلى أن الهدف من البحث في المجال الجغرافي للحضارة القرطاجية يتمثل بالدرجة الأولى في تحديد مجال لدراسة إشكالية المحلي والوافد في تلك الحضارة، مع إدراك الفرق الموجود بين مهد الحضارة القرطاجية المرتبط بمجال جغرافي معين، وبين مجال إشعاع وتأثير تلك الحضارة، سواء في أنحاء شمال إفريقيا، أو في باقي المناطق المتوسطية. وانطلاقا من هذه الملاحظة، سينصب تركيزنا بالأساس على مجال السيطرة السياسية كمعيار لحصر مجال الدراسة، دون إغفال معطيات المواقع التي انتشرت بها الحضارة القرطاجية خارج الحدود السياسية لقرطاج.

الفصل الأول:
المصير الإفريقي لقرطاج

1 - الانغراس بالمجال الإفريقي والاستقلال عن صور:

1-1 - أوضاع قرطاج في الفترة التالية للتأسيس:

تعد الفترة التالية لتأسيس مدينة قرطاج، ولا سيّما القرنين 8 و7 ق.م، بمثابة فترة غامضة، خصوصا في المصادر الإغريقية واللاتينية[1]. وهو الأمر الذي انعكس أيضا على الدراسات التي اهتمت بتاريخ المدينة من خلال تهميش الفترة العتيقة، وإيلاء اهتمام أكبر لمرحلة القرنين 6 و5 ق.م وما بعدها، أي التاريخ الذي تنتمي إليه النصوص القديمة التي تحدثت عن بعض أحداث التاريخ الداخلي للمدينة. لكن دراسة الفترة العتيقة تكتسي أهمية بالغة لفهم أوضاع المدينة، وعلاقتها بالجوار الإفريقي، وظروف خروجها للبحر الأبيض المتوسط، ثم ملابسات بداية انفتاحها على المناطق الإفريقية المجاورة لها، وبداية بوادر استقلالها عن الشرق الفينيقي، وتوسعاتها المحلية لإقامة كيان سياسي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم.

التزم الكتاب الإغريق واللاتينيون الصمت بخصوص أوضاع قرطاج بمجالها الإفريقي بعد مرحلة التأسيس، فلم يذكروا شيئا عنها إلا عندما خرج القائد القرطاجي مالكوس لغزو صقلية وسردينيا[2] مع منتصف القرن 6 ق.م[3]، أي بعد مرور أزيد من قرنين ونصف على تأسيسها. غير أن حديث ديودوروس الصقلي عن تأسيس القرطاجيين لإبيزا بجزر البليار[4]، وهو الحدث الذي أرخ بمنتصف القرن 7 ق.م[5]، يمثل في الواقع أقدم إشارة تاريخية عن أوضاع مدينة قرطاج

1- يلاحظ غياب مصادر فينيقية أو قرطاجية حول ظروف التأسيس، وكل ما بحوزتنا هي النصوص الإغريقية واللاتينية التي أعطت للحدث طابعا أسطوريا.

2- JUSTIN, *Abrégé de l'histoire universelle de Troque-Pompé*, XVIII, 7.

3- LANCEL S., *Carthage*, p. 97.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, V, 15.

5- ذكر ديودوروس الصقلي أن القرطاجيين أسسوا إبيزا (Ibiza) بعد مرور 160 سنة على تأسيس مدينتهم. وإذا أخذنا بعين الاعتبار التاريخ التقليدي لتأسيس قرطاج، أي حوالي 814 ق.م، فإنه يمكن إرجاع تأسيس إبيزا إلى حوالي 653-654 ق.م. لقد أصبحت التحريات الأثرية ترجح رواية ديودوروس الصقلي، الأمر الذي دفع أغلب الباحثين إلى تبني تلك الرواية. وهناك من شكك في ذلك على اعتبار أن إبيزا منشأة فينيقية، وأن إبيزا القرطاجية لا تمثل سوى مرحلة تالية لإنشاء المركز التجاري الفينيقي، وأن التأسيس القرطاجي المفترض ربما حدث حوالي 540 ق.م. لمزيد من المعطيات حول الموضوع راجع الأبحاث التالية:

خلال الفترة العتيقة من تاريخها. وتحتم قلة المعطيات حول الفترة المبكرة من تاريخ المدينة في النصوص القديمة الاستعانة بإفادات الوثائق الأثرية. لقد مكنت اللقى الأثرية المكتشفة بموقع قرطاج من تكوين فكرة عن النشاط التجاري للمدينة على الأقل منذ منتصف القرن 8 ق.م، لكنها لم تتح معلومات وفيرة حول باقي النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ويتضح من خلال المواد الخزفية- التي صنفها المختصون ضمن المواد المستوردة- أن المدينة ارتبطت بعلاقات تجارية هامة مع شعوب البحر الأبيض المتوسط منذ فترة مبكرة، وأن تلك العلاقات هي التي تفسر على الأرجح الغنى الذي توحي به اللقى الأثرية بموقع قرطاج[1]. لكن يلاحظ من الناحية الطبوغرافية أن مجال المدينة قد ظل محدودا خلال القرنين 8 و7 ق.م مما يعني أنها بقيت منكمشة داخل أسوارها، ولم تنجح في تطوير علاقتها بالجوار الإفريقي قبل أواسط القرن 7 ق.م[2].

يستفاد، إذن، من المواد الأثرية المكتشفة في أقدم قبور موقع قرطاج بأن المدينة ظلت خلال القرون الأولى لتأسيسها تضطلع بدور القاعدة التجارية الفينيقية[3]، الأمر الذي يتوافق مبدئيا مع ما جاء في أسطورة التأسيس من أن السكان المحليين تلقوا بابتهاج قدوم المهاجرين الفينيقيين ظنا منهم أن ذلك سيوفر فرصا للتجارة معهم، وأن ذلك أدى إلى التحاق السكان المجاورين بالمدينة لنفس الغرض[4]. فإذا كانت الرواية الأسطورية واللقى الأثرية تتكامل نسبيا لتبرز الدور التجاري لمدينة قرطاج خلال القرون الأولى، فإن السياق التاريخي لتطور المدينة لا يسمح بالاستنتاج بأنها أسست في الأصل لأغراض تجارية على غرار باقي المراكز الفينيقية بمناطق غرب البحر الأبيض المتوسط.

- BELLARD C.-G., La fondation phénicienne d'Ibiza et son développement au VII et VI siècle av. j.-c., dans *ACISPP, II*, Roma 9-14 novembre 1987, Vol. I, Roma, 1991, pp. 109-112, p. 111; MOSCATI, S., *L'épopée des phéniciens*, traduit par SALA, C., et revue par ARCELIN, P., Fayard, Paris, 1971, p. 311; WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.),* p. 35.

1- TAHAR M.-A., Á propos de la première intervention de Carthage à Sicile, dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 Novembre 1991, vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 392-397, p. 395.

2- PICARD C., Notes de chronologie punique : le problème du Vè siècle, dans *Karthago*, T. XII, 12è année, 1963-1964, pp. 16-29, p. 26.

3- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1993، ص. 28.

4- JUSTIN, XVIII, 5.

فمع توالي الاكتشافات الأثرية بالموقع أصبحت تترسخ القناعة في أوساط المهتمين بتاريخ الموقع بأن المدينة كانت منظمة بشكل جيد على الأقل منذ منتصف القرن 8 ق.م[1]. يتضح ذلك من خلال العثور على آثار تنظيم حضري، وبقايا أنشطة اقتصادية مهمة تقام عادة في ظروف الاستقرار مثل التعدين وصناعة الصباغ الأرجواني[2]. كما بينت نتائج حفريات البعثة الألمانية بالموقع (1986-1987) أن أقدم اللقى الأثرية بالموقع- العائدة إلى الربع الأخير من القرن 8 ق.م- تكشف عن وجود مدينة حقيقية ذات طابع حضري. وبناء على ذلك أصبح من غير الممكن الاعتقاد بأن المدينة كانت مجرد ميناء تجاري أو مركز من المراكز الفينيقية المنتشرة بالسواحل المتوسطية[3].

تسمح المعطيات الأثرية، إذن، بفهم تطور قرطاج بعد تأسيسها بمعزل عن سياق حركة الانتشار الفينيقي في المراكز المتوسطية. فلا يظهر أن المدينة قد أُنشأت لتكون جسرا لمرور البضائع الفينيقية نحو غرب المتوسط، مثلما لا يوجد ما يوحي بأنها كانت خلال الفترة المبكرة مجرد وكالة تجارية محضة على غرار باقي المراكز التي وصل إليها الفينيقيون، واتخذوها قواعد للتبادل التجاري مع السكان المحليين، وخصوصا في جنوب إسبانيا[4]. وبناء على ما سلف يمكن الاستنتاج بأن بقايا مظاهر التنظيم العمراني، وآثار الاستقرار الدائم من خلال الأنشطة الحرفية تدل على المصير المختلف الذي عرفته قرطاج بإفريقيا مقارنة بما يمكن أن يؤول إليه مركز تجاري مؤقت تابع لمدينة صور الفينيقية. ويطرح هذا الأمر ضرورة البحث عن العوامل الثاوية خلف ذلك، ليس في اتصالاتها التجارية وحسب، وإنما في عامل الارتباط بالأرض الإفريقية، والانفتاح على المجال الإفريقي بمعطياته البشرية والحضارية والاقتصادية[5].

1- VÉGAS M., Carthage : La ville archaïque, céramique d'importation de la période géométrique récent, dans *Actes du colloque sur Lixus*, Larache 8-11 novembre 1989, pp. 181-189, p. 189.

2- RAKOB F., La Carthage archaïque, dans *Actes du IVè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Strasbourg, 1988, T. I, Éd. BCTH, Paris, 1990, pp. 31-43, p. 34-36.

3- NIEMEYER H.-J., Á la recherche de la Carthage archaïque : premiers résultats des fouilles de l'Université de Hambourg, 1986, dans *Actes du IVè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Strasbourg, 1988, T. I, Éd. BCTH, Paris, 1990, pp. 45-52, p. 52.

4- LANCEL S., *Carthage*, p. 51.

5- فضل الأرض الإفريقية على قرطاج هو بالذات ما كان محور كلام مبعوثي مسنيسا إلى مجلس الشيوخ الروماني لما عرضوا موقف الملك النوميدي من النزاع مع القرطاجيين حول ملكية سواحل الأمبوريات، إذ ورد في كلام المبعوثين ما يلي: «قبل الحديث عمن يملك تلك الأرض علينا أن نتساءل أولا عن أي أرض يطالب بها القرطاحيون في إفريقيا؟ إنهم غرباء حصلوا

1-2 - بداية توسع قرطاج بالمجال الإفريقي:

ظل جهل المختصين في التاريخ القرطاجي كبيرا بطبيعة الاتصالات التي قامت بين المهاجرين الفينيقيين الذين استقروا بالموقع والسكان الليبيين الأصلاء بالمنطقة مما فتح المجال أمام الكثير من الآراء التي نزعت نحو التخمين أكثر مما بحثت عن قرائن تاريخية أو تأويلات منطقية لما حدث بالموقع خلال القرون الأولى التالية للتأسيس. لقد ألغى بعض الباحثين، عند محاولتهم تفسير أحداث تلك الفترة، المعطى المحلي المتمثل في وجود السكان الليبيين بالموقع الذي نزل به الفينيقيون، معتبرين أن موقع قرطاج أصبح بمجرد وصول الفينيقيين إليه أرضا فينيقية.

ولذلك نجدهم يفترضون أن اتصال المهاجرين الفينيقيين مع السكان الليبيين لم يتم إلا في مرحلة تالية لتأسيس مركز تجاري فينيقي بالموقع. وذلك من منطلق أن الموقع قد مرّ من ثلاث مراحل رئيسة. تمثلت أولاها في استقرار اللاجئين الفينيقيين، وتكوين مركز تجاري فينيقي للتبادل مع المحليين. أما المرحلة الثانية، فتميزت بقدوم السكان الليبيين إلى المدينة بغرض الاستقرار بها كنتيجة لعملية التبادل التجاري التي تمت مع الفينيقيين. في حين عرفت المرحلة الثالثة تحولا جذريا تمثل في تحول المدينة من قاعدة تجارية إلى مدينة للاستقرار الدائم بعد الاتفاق الذي حصل بين اللاجئين والسكان الليبيين[1].

ويكمن التأويل الذي ظل سائدا لما ورد في أسطورة تأسيس قرطاج في قدوم ساكنة فينيقية لموقع قرطاج، وتأسيسها لمدينة جديدة، بينما استقر السكان الليبيون في البداية بجوار المدينة الفينيقية قبل أن يلتحقوا بها في فترة لاحقة[2]. وهناك من قلل، بشكل كبير، من شأن قِدم الاتصالات بين الجانبين على اعتبار أنها لم تتم إلا في فترة جد متأخرة (القرن 5 ق.م)[3]. وهذا يعني التسليم بفكرة قدرة المهاجرين الفينيقيين الذين لجؤوا إلى المنطقة على تأسيس مدينة، والاستقرار بها بمعزل عن أية مساهمة للسكان الليبيين، وهو شيء غير منطقي لأنه

على أرض لبناء مدينتهم، فضلا، بمساحة يمكن أن يحيط بها جلد ثور مقطوع على شكل شرائط. وكل ما حصلوا عليه خارج بيرسا-مقرهم الأول-اكتسبوه ب العنف والظلم». انظر النص عند تتيتوس ليفيوس:

- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 11.

1- الفرجاوي(أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص. 28

2- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 114.

3- Ibid., p. 115.

يغيب دور وردّ فعل العنصر البشري المحلي الذي ظل يراقب المجال الذي تأسست به المدينة[1].

ينبغي التنبيه عند تقييم الآراء التي تبلورت بهذا الخصوص إلى غياب معطيات أخرى قد تساعد على صياغة استنتاجات مختلفة عن تلك التي تم التوصل إليها من خلال قراءة رواية تأسيس قرطاج. وبناء على ذلك، تُطرح ضرورة إعادة قراءة مضامين رواية التأسيس، حيث أن القراءة المتمعنة لأحداثها لا تسير في الاتجاه الذي سارت فيه معظم الآراء التي ذكرناها أعلاه، والتي حاولت فهم علاقة قرطاج بجوارها الإفريقي منذ الفترات التالية للتأسيس. كما تسمح تلك القراءة بإدراك الحاجة الماسة للتعامل مع جميع تفاصيل رواية التأسيس دون انتقاء. فضلا عن أهمية التناول النقدي لمعلوماتها من خلال استحضار السياق التاريخي، وإعمال العقل والمنطق، وهو ما لم تراعيه بعض الدراسات التي تناولت هذا الجانب.

ونشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى الآراء التي عبّر عنها الباحث كسيل في قراءته للفترة المبكرة من تاريخ قرطاج على ضوء رواية التأسيس. فقد مرّ الباحث الفرنسي مرور الكرام على معظم فقرات الرواية، ولم ير ضرورة لتصديق الإشارة التي تحدثت عن دفع مدينة قرطاج الناشئة لإتاوة سنوية لسلطة محلية ليبية. كما استبعد أيضا الجزء الآخر من رواية التأسيس الذي يشير إلى مشاركة السكان الأصلاء الليبيين في حدث التأسيس[2]. بيد أن مراجعة مضامين الرواية باتباع الترتيب الكرونولوجي لأحداثها يجعلنا بإزاء جماعات قليلة من المهاجرين الفينيقيين القادمين من مدينة صور بفينيقيا في ظروف غامضة[3]. ويطرح ذلك، بداهة، الشك في قدرة ثلة من «اللاجئين» الفينيقيين[4] الغرباء عن المجال على النهوض بالأعباء

1- معلوم أن أسطورة نفسها تتضمن إشارة إلى السكان المحليين الليبيين فلا حاجة لتصوير الموقع كما لو كان أرضا خلاء، وبالتالي إبعاد السكان الليبيين عن مسرح الأحداث، والحال أن المنطق يقتضي استحضار معطى بديهي يتمثل في رد الفعل الطبيعي لأصحاب الأرض كلما نزل بها غرباء أو أجانب عنها. بخصوص هذه الفكرة راجع المقال التالي:

- غازي-بن ميس (حليمة)، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مسودة مقال نشر لاحقا بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2006(عدد الصفحات 20)،. الصفحتين. 7-6.

2- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, dans *Recueil de mémoires et de textes publiés en l'honneur du XIVè congrès des orientalistes*, Algiers, 1905, Kraus Reprint, Nendeln/Liechtenstein, 1968, pp. 347-387, p. 347.

3- JUSTIN, XVIII, 4.

4- لا محل للتسليم الإطلاقي بصحة جميع أحداث أسطورة تأسيس قرطاج، لكن وجب الاستئناس بجميع المعلومات الواردة فيها دون انتقاء ما يخدم رأيا معينا، والاستغناء عن الباقي. فالمستفاد من الرواية هو أن قدوم الجماعات التي رافقت عليسا إلى قرطاج لا يُفهم إلا في سياق اللجوء الطوعي والفرار من الوطن الأم. انظر بهذا الخصوص ما ورد في المقال التالي:

- BONNET, C., le destin féminin de carthage, dans *PALLAS*(Revue d'études antiques), n° 85, 2011, pp. 19-29, p. 29.

التي يتطلبها بناء مدينة منيعة بمجال غريب عنهم دون الحاجة إلى تسوية معينة مع سكان ذلك المجال.

لقد تحدث المؤرخ الروماني جوستينوس *(Justinus)* في روايته عن التماس عليسا لصداقة السكان الليبيين عندما حلت بالموقع هي ومرافقيها[5]. وهذا يعني وجود ساكنة محلية تشرف على موقع المدينة. ويتضح هذا الأمر أكثر في إشارة الرواية إلى تأسيس المدينة الجديدة بحضور حشد من الرجال المحليين الذين عبّروا عن رغبتهم في استضافة الأجانب[6]، وأن التأسيس تم «بموافقة الجميع»[7]. ما يعني استقرار السكان المحليين الليبيين بالقرب من المجال الذي نزل به المهاجرون الفينيقيون. وبالاستناد إلى هذه المعلومات، يمكن القول أن الرأي الذي ينفي دور السكان المحليين في حدث التأسيس قد استبعد عناصر أساسية من الرواية الأسطورية مقابل التركيز على فقرات أخرى تحدثت عن التحاق السكان الأصلاء بالمدينة بُعيد تأسيسها، والاعتقاد تبعا لذلك أنهم التحقوا بمنشأة أقامها الفينيقيون، والحال أن هذه الفقرات قد أتت في سياق لاحق لفترة تأسيس المدينة، أي أن الأمر يتعلق بسكان آخرين التحقوا بعد حدث التأسيس الذي شارك فيه الليبيون بعد أن أصبح ازدهار التجارة بالمدينة مغريا بالإقامة فيها. إذن، فنحن بصدد حدثين متواليين، أي مشاركة السكان الليبيين في حدث التأسيس، ثم التحاق سكان مناطق مجاورة فيما بعد للإقامة في المدينة.

ويبدو من خلال رواية التأسيس أن استقرار الفينيقيين الوافدين على موقع قرطاج قد تم في ظروف السلم، لأن الأمر يتعلق كما ذكرت الرواية بجماعات فارة تبحث عن ملاذ آمن[8]. ولذلك يرجح أن الأمر لا يتعلق بغزو عسكري، أو هجرة منظمة بقصد الاستيلاء على المنطقة بالقوة، خصوصا وأن ذلك لم يكن من عادة الفينيقيين في انتشارهم البحري بمناطق حوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد التمست الأميرة الفينيقية عليسا *(Elissa)*، أو ديدون *(Didon)* وصحبها صداقة المحليين الذين رغبوا - برضاهم- في استضافة هؤلاء الأجانب، ربما بعد أن اطلعوا على أسباب فرارهم من وطنهم الأم (مدينة صور بفينيقيا). وأشار سولينوس إلى أن قرطاج قد أسست

5- JUSTIN, XVIII, 5.
6- Ibidem.
7- Ibidem.
8- JUSTIN, XVIII, 4.

في عهد الليبي جابون *(Japon)*[1]. ولعل الإتاوة السنوية التي فرضها عليهم الليبيون مقابل الاستقرار بالرقعة الجغرافية التي أسسوا بها المدينة الجديدة[2] يمثل أبرز دليل، حسب منطوق الرواية الأسطورية دائما، على الظروف التي كان يعيشها المهاجرون الفينيقيون في مدينة صور، والتي ربما كانت وراء إذعانهم للشروط التي فرضها عليهم المحليون.

ورغم أن الرواية الأسطورية تتحدث عن تهديد الملك الليبي يرباس *(Iarbas)*[3] بشن الحرب على الفينيقيين المرافقين لعليسا في حالة رفض هذه الأخيرة الزواج به[4]، وهو ما لم يحصل على الأرجح، فإن المرويات الشعرية، وخاصة ما ورد عند الشاعر الروماني فيرجيليوس *(Vergilius)*، قد أقحمت شخصيات أخرى في أحداث فترة التأسيس مثل البطل الروماني إيني *(Énné)*، والفينيقية أنا *(Anna)*، أخت عليسا، وبالتالي أضافت وقائع أخرى لم ترد في الأسطورة كما نقلها جوستينوس، ولاسيّما ما يتعلق بمهاجمة يرباس للمدينة، واستيلاؤه على قصورها، ثم فرار «أنا» إلى قورينا بعد انتحار عليسا[5].

بيد أن هنالك معطيات أخرى تدفع لاستبعاد فرضية قيام حرب بين السلطة الليبية التي يمثلها القائد المحلي يرباس والمهاجرين الفينيقيين المقيمين الذين حلوا بالموقع الإفريقي، فباستثناء المرويات الشعرية التي أشرنا إليها أعلاه، لا نجد أية إشارة إلى نشوب حرب بين الجانبين في النصوص القديمة، التي نقلت لنا أسطورة التأسيس. لقد تحدث جوستينوس في روايته عن التهديد بالحرب، وليس عن قيام حرب بين الجانبين، وأشار إلى بناء المدينة بمشاركة الليبيين بعد امتثال اللاجئين الفينيقيين للشروط التي أملاها الليبيون الذين رحبوا بمقدم هؤلاء. وهذا يعني استحالة قيام الحرب بين الليبيين وجماعة فارة قدمت إلى الأرض الإفريقية طلبا للأمان[6].

1- SOLIN, *Polyhistor*, 28.

2- Ibid, XVIII, 5 ; VIRGILE, *Enéide*, I, 365-369.

3- يمكن قراءة الاسم أيضا بصيغة « هيرباس».

4- JUSTIN, XVIII, 6.

5- VIRGILE, *Enéide*, IV, 202-210 ; OVIDE, *Les fastes*, III, 551-559 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, VIII, 50-59.

6- WALTER G., *La destruction de Carthage (264-161 av. j.-c.)*, Aimery Somogy, Éditeur, Paris, 1947, p. 23.

وتستمد هذه الفكرة مشروعيتها من السياق التاريخي العام للانتشار الفينيقي بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بشكل عام. فالمعلوم منه وفقا لما بحوزتنا من معطيات أثرية أنه اتخذ في الغالب طابعا تجاريا، ولم يكن الغرض منه الاستيطان باستخدام القوة لإخضاع سكان كل تلك المجالات الشاسعة التي وصل إليها الفينيقيون. علما أن عددهم في فينيقيا لم يكن، على الأرجح، ليسمح بمباشرة استيطان كثيف مسنودا بالقوة العسكرية. لقد عُرف الفينيقيون بالأساس كتجار يبحثون عن المواد الأولية، ويسعون لترويج بضائعهم، وليس كمحاربين. ولذلك، يظهر أن الإشارة التي وردت في القصائد الشعرية حول فرار «أنا» إلى قورينا تمثل في حد ذاتها دليلا على أن واقعة قيام الحرب ليست سوى جزءًا من الخيال الشعري. ذلك أن تأسيس قورينا لم يتم إلا في أواخر القرن 7 ق.م (حوالي631 ق.م)، وبالتالي فهو حدث جد متأخر عن التاريخ المفترض للحرب المزعومة. ولهذا يمكن الاستنتاج بأن الاتصال بين السكان الليبيين والمهاجرين الفينيقيين قد اتسم بالتوافق، أو ما أسماه سيرج لنسل ب«التعايش السياسي» بين السلطة المحلية الليبية، ومؤسسي المدينة الجديدة[1].

إذن، يمكن القول بأن المهاجرين الفينيقيين الذين نزلوا بموقع قرطاج قد وجدوا أنفسهم أمام سلطة محلية متمثلة في الملك الليبي «يرباس»، زعيم قبيلة المكستاني، وهو ما يُستشف من إجبارهم على دفع إتاوة سنوية لليبيين. ولهذا السبب افترض بعض الباحثين بأن المدينة الجديدة[2] قد خضعت في البداية لسلطة محلية من منطلق أن وجود ملك ليبي يفيد بأن المنطقة لم تكن أرضا خلاء ينعدم فيها التنظيم السياسي[3]. لكن إذا كانت هذه الفرضية منطقية انطلاقا من مضمون أسطورة التأسيس، فإننا نجهل في الواقع طبيعة ذلك الخضوع، وما إذا كانت المدينة قد أصبحت جزءًا من مملكة يرباس مباشرة بعد تأسيسها، أم أنها اكتفت في البداية بدفع الإتاوات كنوع من التوافق بين المدينة والحكم المحلي، خصوصا بالنظر للعلاقات المفترض قيامها بين الفينيقيين والوطن الأم بالشرق؟ تحيلنا هذه الأسئلة إلى طرح مسألة العلاقات التي جمعت بين قرطاج بمدينة صور الفينيقية، وظروف استقلال المدينة عن

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 52.

2- هل كان موقع قرطاج غير مأهول قبل نزول الفينيقيين به؟ طبعا السياق التاريخي وأحداث رواية التأسيس تدعم فكرة استقرار الليبيين بالموقع، أو بالقرب منه قبل وصول الفينيقيين إلى للمنطقة. أما من ناحية الوثائق المادية، فإن الحفريات الأثرية المجراة لحد الآن بالموقع لم تحسم شيئا بهذا الخصوص.

3- WALTER G., *La destruction de Carthage (264-161 av. j.-c.)*, p. 14 ; LANCEL S., *Carthage*, p. 52 ; GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 347.

الوطن الأم، وتاريخ بداية توسعها بالجوار الإفريقي، وبالتالي تشكيلها لكيان خاص بها بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا.

1-3 - تاريخ استقلال قرطاج بإفريقيا عن مدينة صور بفينيقيا:

يصطدم البحث في إشكالية العلاقات التي ربطت بين مدينتي قرطاج الإفريقية وصور الفينيقية (الوطن الأم للمهاجرين الفينيقيين الذين ساهموا في تأسيس المدينة)، بشح المعلومات في المصادر الأدبية والأثرية على حد سواء. بيد أن هنالك شذرات تسمح بتكوين فكرة عن مصير المدينة بعد انصرام حوالي قرنين على تأسيسها، وبالتالي معرفة طبيعة علاقاتها بمدينة صور الفينيقية. وفي هذا السياق نجد إشارة ديودوروس الصقلي حول تأسيس القرطاجيين لإبيزا حوالي 653-654 ق.م[1]، ثم الرواية التي تتحدث عن هجومات القائد القرطاجي مالكوس على صقلية وسردينيا خلال منتصف القرن 6 ق.م[2]. يستفاد من هذين النصين أن المدينة، ربما، عرفت ازدهارا سريعا سمح لها بتوسيع مجالها التجاري بحوض البحر الأبيض المتوسط، ومكّنها من المبادرة بالدفاع عنه[3].

لقد فُسّر بروز قرطاج على مسرح الأحداث في البحر الأبيض المتوسط، لا سيّما منذ منصف القرن 6 ق.م باستقلالها عن مدينة صور[4]، ويرتبط ذلك على الأرجح بالانحطاط الذي أصبحت تعيشه المدن الفينيقية خلال تلك الفترة[5]. كما أن مبادرة قرطاج بإقامة مراكز تجارية خاصة بها بضفاف البحر الأبيض المتوسط خلال هذا التاريخ يعني أن المدينة لم تكن قادرة قبل ذلك على القيام بمشاريع مستقلة عن صور[6]. وهذا يعني أن المدينة كانت قبل ذلك تابعة، على ما يبدو، للوطن الأم بفينيقيا، أي قبل القرن 6 ق.م. غير أن حملة مالكوس على صقلية وسردينيا لا تمثل دليلا كافيا على استقلال قرطاج، وتاريخ ذلك الاستقلال، ما يفرض تعميق البحث في مسألة العلاقات بين قرطاج وصور منذ الفترة المبكرة.

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, V, 15.

2- JUSTIN, XVIII, 7.

3- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens,* p. 166.

4- الفرجاوي، أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 62.

5- LAPEYRE G.-G., et Pellegrin A, *Carthage punique*, Payot, Paris, 1942, p. 78 ; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens,* p. 167 ; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 18 ; PIGANIOL A, *La conquête romaine*, p. 43.

6- LANCEL S., *Carthage*, p. 97.

أ- العلاقة بين قرطاج وصور خلال الفترة المبكرة:

يتعين الرجوع إلى حدث تأسيس قرطاج لاستخراج بعض الإفادات التي يمكن الاستئناس بها لفهم طبيعة العلاقات بين ربطت بين المدينتين خلال القرون التالية للتأسيس. وهنا سنعود لتعميق البحث في مسألة سبقت الإشارة إليها، وتتعلق بأسباب تأسيس مدينة قرطاج بشمال إفريقيا، أو على الأصح، ظروف مغادرة عليسا ومرافقيها لمدينة صور، ونزولهم بخليج قرطاج. فهل كان تأسيس قرطاج جزءًا من مخطط مرسوم من طرف المدينة الفينيقية؟ وهو ما يفرض اعتبار قرطاج منشأة فينيقية رسمية تابعة لمدينة صور كما هو الشأن بالنسبة للمستوطنات الفينيقية في قبرص على سبيل المثال. أم أن حدث التأسيس كان ناجما عن صراعات داخل الأسرة الحاكمة في مدينة صور؟ وهو ما يعني أن الاستقرار بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا شكل في الواقع بداية القطيعة بين المهاجرين الفينيقيين في موطنهم الجديد بقرطاج والوطن الأم بصور.

ثمة انقسام بين الباحثين في إجاباتهم عن الأسئلة أعلاه. فهناك من يرى أن تأسيس قرطاج كان حدثا منظما من طرف مدينة صور. لقد اعتبر ستيفان كسيل أن مرافقي عليسا لم يكونوا فارين من مدينة صور مستدلا على ذلك باستمرار علاقة جيدة بين صور وقرطاج بعد التأسيس[1]. بينما ذهب غابرييل كامبس أبعد من ذلك لما افترض أن تأسيس المدينة تم في إطار حملة قامت بها مدينة صور مدعومة ببعض القبارصة، وذلك بسبب الصراع الذي كان دائرا بين «فريقين» متنافسين داخل البلاط الملكي بصور، بحيث كُلّف الطرف المهزوم بالقيام بمهمة رسمية تتمثل في تأسيس مستوطنة جديدة. واعتبر الباحث أن تكليف أميرة صورية بإنجاز تلك المهمة يعزز تلك الفرضية[2]. بينما أرجع الحسين فنطر حدث التأسيس إلى ضرورات تجارية تتمثل في جعل المدينة الجديدة بمثابة جسر يربط بين المصالح التجارية الفينيقية في مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط[3].

بينما خلصت زهراء الشريف إلى أن تأسيس قرطاج كان عملا رسميا مخططا له من طرف مدينة صور، وأن عليسا هي من كُلّف بتنفيذ ذلك المخطط[4]. واستدلت على ذلك بوجود

1- GSELL S., *HAAN*, T. I, 3è édition revue, Librairie Hachette, Paris, 1921, p. 395; TLATLI S., *La Carthage punique*, p. 51 ; LAPEYRE G.-G., et Pellegrin A, *Carthage punique*, p. 77.

2- CAMPS G., *L'Afrique du Nord au féminin*, Perrin, Paris, 1992, p. 52.

3- فنطر (محمد حسين)، الفينيقيون وقرطاجة. صلة بين أصقاع البحر الأبيض المتوسط، ضمن مجلة الكراسات التونسية، مجلد 43، أعداد 155-156، 1991، ص.ص 13-29، ص. 14.

4- شريف (زهرة)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، ضمن مجلة الحياة الثقافية، العدد 38، 1985، ص.ص 132-147، ص. 134.

أفرادا لهم دراية بشؤون الدولة والحكم ضمن أفراد البعثة الصورية إضافة إلى الكهنة مما يعني، في نظرها، وجود «حكومة» متكاملة[1]. كما أرجعت أسباب تأسيس قرطاج بإفريقيا إلى الأوضاع العامة بالشرق الفينيقي الذي كان يعاني من الغزوات الآشورية التي أصبحت تهدد مدنه، وبخاصة صور[2]. وحسب هذا الرأي، فالفينيقيين -بتأسيسهم لقرطاج- يكونون قد سعوا لبناء مدينة جديدة تربط بين المستعمرات الفينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط، وتحفظ الثروات الفينيقية بعيدا عن متناول الآشوريين والبابليين والفراعنة، وتكون ملجأ يقصده الفينيقيون عند الحاجة[3].

ما يلاحظ على الفرضيات المشار إليها سابقا، هو إغفالها لجزء مهم من أسطورة التأسيس، التي طالما استخدمت بعض فقراتها لتبرير الحديث عن استيطان فينيقي كثيف للموقع كنتيجة لتأسيس قرطاج. فإذا كانت رواية التأسيس-رغم طابعها الأسطوري-هي مصدرنا الوحيد للبحث في ظروف التأسيس والعلاقة بين المدينتين، فإننا لا نجد ما يوجب النظر لحادث تأسيس قرطاج كعمل مدبر من طرف فينيقيي صور. لقد أخبرنا جوستينوس في روايته لظروف تأسيس قرطاج بأن عليسا توجهت من صور إلى إفريقيا خلسة إثر الصراع الدموي الذي نشب حول السلطة بين أبناء ملك المدينة[4]. ويتضح ذلك من خلال إشارة الرواية إلى أن بجماليون(ملك صور وأخ الأميرة عليسا) قد عزم على النيل من أخته الفارّة، وتعقبها إلى الجهة التي قصدتها لولا توسلات أمه وخوفه من غضب الآلهة بعدما أخبره المنجمون باستحالة الحيلولة دون تأسيس مدينة ستحفها رعاية الآلهة دون سواها من المدن[5].

يستفاد من هذه المعلومات أن مدينة صور قد عارضت، في الواقع، تأسيس مدينة قرطاج، واستقرار الفارين بها. وهذا يعني أن الرحلة، ربما، لم تكن مدبرة على النحو الذي افترضه عدد من الباحثين من خلال أدلة يسمها التناقض. فإذا اتفقنا مع غابرييل كامبس حول الوقائع التي ساقها لتبرير وجود تخطيط مسبق، فإننا نتساءل عن سبب مقتل أشرباس *(Acherbas)*، زوج عليسا، إذا كانت هذه الأخيرة تنفذ بالفعل مهمة رسمية متفق حولها!

1- نفسه، ص. 136.
2- نفسه، ص. 134.
3- نفسه، نفس الصفحة.
4- JUSTIN, XVIII, 4.
5- Id, ibid, 5.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن المنطقي أن يتوجه هؤلاء المبعوثون الصوريون الرسميون إلى إحدى المراكز الإفريقية التي وصلها الصوريون من قبل، وذلك قبل الشروع في تأسيس مدينهم الجديدة، كأن ينزلوا مثلا بأوتيك التي لا تفصلها عن موقع قرطاج سوى مسافة يوم واحد من الملاحة[1]، وهو ما لم تشر إليه الأسطورة التي اكتفت بالحديث عن قدوم فينيقيين.

كما أن ربط تأسيس قرطاج بإفريقيا بوجود مبادرة فينيقية مدبرة لمواجهة الأخطار التي كانت تهدد المدن الفينيقية في الشرق لا يبدو مبنيا على قرائن منطقية ومقنعة. ذلك أن رصد أوضاع الساحل الفينيقي خلال فترة تأسيس قرطاج يُبيّن عدم وجود خطر آشوري حقيقي على المدينة، ولا يُظهر الحاجة الماسّة لهجرة الفينيقيين من بلادهم نحو غرب البحر الأبيض المتوسط خلال تلك الفترة. لقد عاشت المدن الفينيقية مع نهاية القرن 9 ق.م عقودا من السلم والهدوء بعد وفاة الملك الآشوري سلمن نصار الثالث (حوالي 824 ق.م)، واستمرت على ذلك الحال إلى غاية عصر تيغلات بلزر الثالث (منذ حوالي 745 ق.م)[2]. ولم يتمكن الآشوريون من احتلال مدن الساحل الفينيقي، واكتفوا فقط بفرض إتاوات على بعضها[3].

تتضح على ضوء الترتيب الكرونولوجي للأحداث صعوبة إقامة أي ربط بين المعطيات الواردة في الأسطورة من ناحية، وبين معلوماتنا عن أوضاع المدن الفينيقية في الشرق من ناحية ثانية. فما بحوزتنا من معلومات -انطلاقا من البنية الداخلية لرواية التأسيس- لا يسمح بإدراج تأسيس قرطاج بإفريقيا في إطار عمل مدبر من طرف مدينة صور، أو الحسم في شان العلاقة بين قرطاج وصور، أو اعتبار المنشأة الجديدة بإفريقيا مقاطعة تابعة للحكم الصوري، خصوصا إذا استحضرنا معطى آخر ورد في رواية التأسيس أيضا، وهو خضوع المدينة لإتاوة سنوية فرضها الحكم المحلي المتمثل في الملك يرباس. غير أن صدقية هذه الفكرة تصطدم بحدثين معزولين ربما يوحيان بأن العلاقة بين صور وقرطاج كانت أوثق مما نتصور، ويتعلق الأمر بإرسال القرطاجيين لغنائم الحرب والقرابين إلى صور الفينيقية.

1- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 94F, 111M.

2- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 40.

3- كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص. 87.

ب- أبعاد إرسال القرطاجيين للغنائم والقرابين إلى صور:

إذا كانت المصادر الإغريقية واللاتينية لا تذكر الكثير عن أحوال مدينة قرطاج خلال الفترة التالية لتأسيسها، فإنها تضمنت شذرات تساعد على تتبع علاقة المدينة بالوطن الأم. لقد أُرخت أقدم إشارة بهذا الخصوص بمنتصف القرن 6 ق.م. ويتعلق الأمر بما ورد عند جوستينوس بشأن إرسال القرطاجيين لغنائم حرب صقلية إلى معبد الرب الفينيقي هرقليس/ ملقرت بصور[1]. يرى الباحث الفرجاوي أن هذا النص يعد دليلا على مداومة مدينة قرطاج، منذ تأسيسها، على أداء عشر مداخيلها لملوك صور باعتبارهم يمثلون السلطة السياسية، وباعتبار القرطاجيين كانوا يعتبرون أنفسهم رعايا لملوك صور. واستنتج بناء على ذلك بأن قرطاج لم تكن مملكة مستقلة عن صور، خصوصا وأننا نجهل ما إذا كانت المدينة قد تبنت أصلا هذا النظام[2].

ينبغي أولا استحضار الطابع الأسطوري لرواية جوستينوس في كل تحليلاتنا، كما تجب الإشارة أيضا إلى أن الأمر يتعلق بحادثة معزولة، لأننا لا نجد في النصوص القديمة ما يسمح بافتراض انتظام إرسال غنائم الحروب إلى صور إذا استثنينا إشارة المؤرخ الروماني كينتوس كورتيوس *(Quintus Curtius Rufus)* إلى كثرة الغنائم التي حصل عليها القرطاجيون، واستعملوها في تجميل صور وقرطاج[3]. كما أن غياب ما يُستدل به على قيام نظام ملكي بقرطاج خلال الفترة العتيقة من تاريخها لا يعد دليلا كافيا للبرهنة على أن المدينة كانت مجرد «مقاطعة» تابعة لمدينة صور كما يرى سيرج لنسل[4]. يضاف إلى ذلك أن السياق التاريخي العام لفترة القرن 6 ق.م يدفع للتشكيك في رواية جوستينوس. فمجمل معطيات هذه الفترة لا تدعم فكرة اعتبار إرسال قرطاج لغنائم حرب صقلية إلى صور كدليل على تبعية المدينة لصور بفينيقيا، لأن الأخيرة لم تكن مستقلة في تلك الفترة بعد أن خضعت للاحتلال البابلي. فقد سقطت صور بيد نبوخذ نصار منذ 587 ق.م[5] قبل أن تتحول منذ 573 ق.م إلى مقاطعة تابعة للحكم الفارسي[6].

1- JUSTIN, XVIII, 7.

2- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 48.

3- QUINTE-CURCE, *Histoires*, III, 22.

4- LANCEL S., *Carthage*, p. 50-51.

5- PIGANIOL A, *La conquête romaine*, p. 43.

6- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 47.

وبناء على ما سبق ذكره لا نستبعد، إن صح حدث إرسال عشر الغنائم (وهو ما يصعب التأكد منه لغياب وقائع مماثلة في التاريخ القرطاجي)، أن يكون ذلك الحدث قد أملاه بالأساس الشعور الديني للفينيقيين الذين هاجروا إلى قرطاج تجاه الرب الفينيقي ملقرت أكثر من أي شيء آخر، أو أن يكون ذلك مجرد معونة من القرطاجيين لمدينة صور، وبالتالي استبعاد أن يكون لذلك مضمون سياسي يمكن أن يفسّر بخضوع المدينة للحكم الصوري إلى غاية تاريخ الحادث المشار إليه، أي منتصف القرن 6 ق.م. لقد أمدنا هيرودوتوس بما يفيد ذلك أيضا من خلال حديثه عن رفض الفينيقيين الامتثال لأمر الملك الفارسي قمبيز *(Cambyse)* بالمشاركة في حملة عسكرية كان يعتزم شنها ضد قرطاج حوالي 525 ق.م، وذلك لأنهم «ملزمون بقسم عظيم، ومارقون إن هم حاربوا أبنائهم»[1].

اعتبر أحمد الفرجاوي أن نص هيرودوتوس يعني أن قرطاج كانت مستقلة عن صور قبل نهاية القرن 6 ق.م![2] وبالرجوع إلى أوضاع المدن الفينيقية في الشرق خلال الفترة التي يُؤَرخ بها نص هيرودوتوس يتضح أن استقلال قرطاج عن صور أصبح أمرا واقعا بحكم التحولات التي حصلت بالساحل الفينيقي، وأنه ينبغي البحث عن تاريخ استقلال المدينة في فترة سابقة. فقد كان الفينيقيون خاضعين للسيطرة الفارسية كما يتضح من نفس النص. ولهذا، فإن إشارة هيرودوتوس لا يمكنها أن تفيدنا بشيء لجهة تحديد تاريخ استقلال المدينة عن صور بقدر ما تسمح بملاحظة استمرار الوشائج الاجتماعية بين الفينيقيين في الشرق وذوي الأصول الفينيقية من المهاجرين الذين استقروا بمدينة قرطاج في إفريقيا، وهو أمر منطقي بحكم الأصول الفينيقية لهؤلاء المهاجرين، والقرابة الدموية التي تجمعهم بفينيقيي الشرق كما تأكد ذلك من عدة نصوص قديمة[3].

وفي نفس السياق، أشار ديودوروس الصقلي، في خضم روايته لأحداث نهاية القرن 5 ق.م[4]، إلى حادثة إرسال القائد القرطاجي أملقار لتمثال الرب أبلون *(Apollon)* من مدينة

1- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 19.

2- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 62.

3- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14 ; QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 52.

4- أرخ الباحث الفرجاوي هذا الحدث بفترة حصار الإسكندر المقدوني لصور خلال الربع الأخير من القرن 4 ق.م، والحال أن المؤرخ الإغريقي قد أورده في سياق روايته لأحداث نهاية القرن 5 ق.م وتحديدا السنة 93 للأولمبياد، أي حوالي 405 ق.م ثم عاد ديودوروس الصقلي للإشارة إليه خلال حصار صور بقوله : «لعن الصوريون فيما بعد ذلك التمثال زمن محاصرتهم من طرف الإسكندر المقدوني...» الأمر الذي يفيد بأن إرسال التمثال تم قبل حصار مدينة صور بفترة زمنية مهمة. راجع ملاحظة

جيلا *(Géla)* بصقلية إلى مدينة صور[1]. كما أشار الروماني كينتوس كورتيوس أيضا إلى ذلك التمثال خلال حصار الإسكندر المقدوني لمدينة صور خلال الربع الأخير من القرن الرابع ق.م[2]. ولا يبدو في هذه الإشارة- أيا كان تاريخها بالضبط- ما يطرح فرضية خضوع المدينة الإفريقية لصور لأننا إزاء معلومة معزولة وغامضة، فإرسال القرطاجيين لتلك المواد إلى صور لا يعني بالضرورة أن الأمر كان يتعلق بإتاوة دائمة اعتاد القرطاجيون تقديمها لصور[3] لأنه من غير الممكن الحديث عن خضوع قرطاج للشرق الفينيقي خلال فترة القرنين 5 أو 4 ق.م.

يعد نص ديودوروس الصقلي، الوارد في خضم سرده لأحداث حرب القائد السيراكوزي أغاطوكليس *(Agathoclès)* بإفريقيا خلال العقد الأخير من القرن 4 ق.م، من بين القرائن التاريخية التي ركز عليها المهتمون بدراسة العلاقات التي ربطت قرطاج بصور. ومن أجل فهم المعلومات التي قدمها ديودوروس الصقلي يكون من الأفيد إثبات الترجمة الكاملة لنص المؤرخ الإغريقي: «كان من عادة القرطاجيين في العهود السابقة إرسال عشر مداخيلهم إلى هذا الرب[يقصد ملقرت] لأنهم جاؤوا من هذه المدينة[يقصد صور]، فلما اغتنوا وكثرت مداخيلهم لم يعودوا يرسلون تقريبا أي شيء معتقدين أنهم تحرروا من سلطة الرب. ثم ندموا على فعلتهم بعد المصيبة الأخيرة التي حلت بهم [المقصود غزوة أغاطوكليس] وتذكروا رب صور»[4].

يتوقف رصد طبيعة العلاقات المحتملة بين صور الفينيقية وقرطاج الإفريقية انطلاقا من نص ديودوروس الصقلي على معرفة نوع المواد المرسلة، والجهة المستفيدة منها كما يرى الباحث الفرجاوي[5]، وهو أمر منطقي. ذلك أن توجيهها إلى ملك صور يعني أن المدينة الإفريقية ظلت، منذ فترة نجهلها بالضبط، تدفع إتاوة سنوية للمدينة الأم تتكون من عشر مداخيل الدولة القرطاجية حسب تفسير سباتينو موسكاتي[6]. في حين أن إرسال قرابين إلى معبد الرب ملقرت بصور يعكس فقط استمرار ارتباط القرطاجيين من ذوي الأصول الفينيقية بالمعبودات الفينيقية.

الفرجاوي، ونص ديودوروس الصقلي:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 108.

- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ص. 47.

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 108.

2- QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 58.

3- الفرجاوي(أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 47.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.

5- الفرجاوي(أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 41.

6- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 165.

اعتبر الباحث الفرجاوي أن ملك صور هو الجهة المنتفعة بعشر المداخيل من منطلق أن الملوك في فينيقيا والبلدان المجاورة لها كانوا يختصون بتحصيل العشر، وليس كهنة المعابد[1]. وربط الباحث نص ديودوروس الصقلي بإشارة جوستينوس حول إرسال عشر غنائم حرب صقلية خلال منتصف القرن 6 ق.م ليستنتج بأن قرطاج كانت تؤدي العشر لملك مدينة صور، وأن ذلك ينهض دليلا على أنها لم تكن مستقلة عن المدينة الفينيقية[2].

وبالرجوع إلى الدور الديني للملوك في الشرق القديم، يلاحظ أن الملوك السومريوين[3]، والآشوبيون[4]، والفينيقيون[5] قد اختصوا بالفعل بدور الكهانة، غير أن ذلك لم يكن، على الأرجح، قاعدة في مجتمعات الشرق القديم لأن مجمع الكهنة كان مستقلا في المجتمع البابلي على سبيل المثال، بحيث لم يكن الملك، رغم أنه يحمل لقب كاهن، يرتبط كثيرا بالأمور اليومية للمعبد، كما لم يكن يترأس الطقوس الدينية[6]. أما بفينيقيا، فقد دلّت النقائش الفينيقية على أن الملك كان هو الكاهن الأعظم في المجمع الكهنوتي الفينيقي، وهو ما يستشف من المعطيات التي وردت في أسطورة تأسيس قرطاج، حيث كان أحد أفراد البلاط الصوري، وهو أشرباس، زوج عليسا، من بين كهنة معبد ملقرت[7] الذي لعب إلى جانب المعابد الأخرى في فينيقيا دورا في الرحلات التجارية، واستفاد من عائداتها[8].

بيد أن دراسة نص ديودوروس الصقلي في سياق سلطة الملوك الفينيقيين على المعابد لا يعد دليلا كافيا على أن القرابين التي أرسلتها قرطاج كانت موجهة للملك الصوري، وبالتالي يصعب اعتباره حجة على خضوع قرطاج-خلال فترة زمنية غير محددة-لسلطة صور لأن الأمر يتعلق بافتراض يقوم فقط على الإسقاط. ذلك أن ديودوروس الصقلي لم يحدد بوضوح معبد ملقرت كمستفيد وحيد من العشر، ولم يشير البتة إلى شخص الملك. ثم أنه، إذا سايرنا الرأي

1- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 42.

2- نفس المرجع، ص. 48

3- LABAT R., *Le caractère religieux de la royauté assyro-babylonienne*, Librairie d'Amérique et d'Orient adrien-maisonneuve, Paris, MCMXXXIX, p. 31.

4- Ibid., p. 135.

5- ورد في نقيشة الملك الفينيقي تابنيت(القرن 4 ق.م) بأن هذا الأخير كان كاهنا للربة الفينيقية عشتارت. انظر بهذا الخصوص:
- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ط. 1، دار القلم، بيروت، 1980، ص. 68.

6- LABAT R., *Le caractère religieux de la royauté assyro-babylonienne*, p. 135.

7- JUSTIN, XVIII, 4.

8- BUNNES G., *L'expansion phénicienne: essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires*, Bruxelles-Rome, 1979, p. 282-285.

الذي ينسب لملك صور حق الانتفاع من العشر، ويعتبر هذا الأخير محدِّدا لفهم العلاقة بين المدينتين، فبماذا نفسر عودة القرطاجيين خلال نهاية القرن 4 ق.م إلى ما كان متبعا من طرف أجدادهم، أي إرسال العشر أو القرابين إلى معبد ملقرت؟ هل معنى ذلك أن المدينة قد عادت خلال تلك الفترة المتأخرة للخضوع مجددا للحكم الصوري؟ وهذا غير ممكن.

إن فهم واقعة إرسال العشر على هذا النحو لا يعد منطقيا من ناحية السياق التاريخي العام لأن مدينة صور كانت قد فقدت استقلالها قرونا قبل حرب أغاطوكليس، وربما أصبحت، حسب ما يستفاد من نص المعاهدة القرطاجية الرومانية الثالثة (حوالي 384 ق.م)، جزءًا من المجال التجاري القرطاجي[1]. إذن هنالك تناقض بين إرجاع تاريخ استقلال قرطاج إلى ما قبل نهاية القرن 6 ق.م من جهة، وتفسير نص ديودوروس الصقلي في سياق سلطة الملوك الفينيقيين على المعابد من جهة ثانية، واعتبار إرسال القرابين أو العشر دليلا على التبعية لصور من جهة ثالثة. وذلك لأنه علينا أيضا أن نعتبر عودة القرطاجيين إلى تلك الممارسة -خلال نهاية القرن 4 ق.م- بمثابة دليل على تبعية المدينة لصور، وهو أمر غير منطقي. ولهذا تُطرح ضرورة تركيز البحث على طبيعة العشر المرسل من طرف القرطاجيين إلى صور.

يبدو نص ديودوروس الصقلي غامضا بهذا الشأن، فهو يتحدث في نفس الوقت عن «عشر المداخيل»، وعن «القرابين». لكن التمعن في الأسباب التي أوردها المؤرخ الإغريقي لانقطاع القرطاجيين عن إرسال تلك المواد إلى صور يتضمن بجلاء فكرة القيام بواجب ديني تجاه الرب الصوري من خلال إرسال قرابين إلى معبده أكثر من أي شيء آخر. فهذا ما يُفهم من بقية النص: «من بين القرابين التي بعثوا بها نجد حرما *(Chapelle)* من الذهب انتزعوه من معابدهم معتقدين أنهم بذلك النذر سيتمكنون من تهدئة غضب الرب[2].

وهذا يعني أن الأمر يتعلق بقرابين كان الدافع الأساسي لإرسالها هو ترضية الرب الفينيقي ملقرت[3]. وبناء على ذلك نرجح، وقد سبقنا إلى ذلك باحثون آخرون[4]، أن إرسال القرابين إلى صور مع نهاية القرن 4 ق.م يكرس محاولة من ذوي الأصول الفينيقية لإعادة

1- POLYBE, *Histoires*, III, 24, 3-13.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.

3- قد يُرى أن ديودوروس الصقلي إنما تحدث عن إرسال قرابين بالنسبة لواقعة نهاية القرن 4 ق.م مقابل إرسال عشر الغنائم قبل ذلك. بيد أن الذي يهم في النص هو إشارته إلى العودة إلى تلك العادة «الوطنية» التي اتبعها القرطاجيون منذ فترات قديمة.

4- CINTAS P., *Céramique punique*, p. 559.

الاعتبار للرب الفينيقي ما دام أن إهمال عبادته، حسب تفسير القرطاجيين، هو سبب النوائب التي حلت بمدينتهم. ولذلك قرروا إحياء الصلات الدينية مع الوطن الأم. والغالب على الظن أن الحديث عن إرسال عشر الغنائم مرتبط بحضور القرطاجيين لإحياء الاحتفالات السنوية التي كانت تقام بصور على شرف الرب ملقرت كما ذكر كينتوس كورتيوس[1]، وإرسال بواكير محاصيلهم إلى آلهة المدينة كما ورد عند بوليبيوس[2] في إشارة تعود إلى فترة متأخرة مما يؤكد أن إرسال القرطاجيين لبعض المعونات إلى الوطن الأم بدوافع دينية أو غيرها لا يفيد شيئا في دراسة استقلال المدينة عن صور من عدمه.

وهكذا، فإذا كانت المعطيات التي بحوزتنا تؤكد استمرار علاقات دينية واجتماعية كما خلص إلى ذلك الباحث الحسين فنطر أيضا[3]، فلا شيء يسمح بتأكيد فرضية خضوع المدينة الإفريقية لصور على امتداد تاريخها. ذلك أن الفئات «الأرستقراطية» الحاكمة بقرطاج، وإن حافظت على وشائج اجتماعية مع الوطن الأم، فلم يكن لديها، على ما يبدو، إحساس بالخضوع للمدينة الفينيقية[4] بدليل تبرم المدينة الإفريقية من مساندة صور خلال حصارها من طرف الإسكندر المقدوني[5].

كما لا نجد في المصادر الأدبية ما يوحي بأن قرطاج، وهي في أوج قوتها، قد تدخلت لمساندة صور وباقي المدن الفينيقية التي عانت من الضغوط الأشورية والبابلية والفارسية. وهذا يتوافق مع رأي الباحث كونتنو الذي يرى أن مصير قرطاج بشمال إفريقيا لم يكن مرتبطا بما كان يجري في الشرق الفينيقي، وأن تفسير تطور المدينة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار التطورات الداخلية التي عرفتها في علاقتها بمجالها الإفريقي أكثر من التركيز على صلتها بالمدن الفينيقية بالشرق. فبقدر ما تحولت الصدارة تدريجيا إلى قرطاج على حساب فينيقيا كانت هذه الأخيرة تتوارى تحت تأثير الضغوط الأجنبية، أي أن تأسيس قرطاج بإفريقيا كان-في الواقع-بداية تراجع بالنسبة للوطن الأم، وبالتالي فإن المدينة الإفريقية لم تكن، على الأرجح، ومنذ تأسيسها جزءا من كيان فينيقي[6].

1- QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 52.

2- POLYBE, *Histoires*, XXXI, 20, 12.

3- فنطر (محمد حسي)، الفينيقيون وقرطاجة. صلة بين أصقاع البحر الأبيض المتوسط، مرجع سابق، ص. 24.

4- CINTAS P., *Céramique punique*, p. 561.

5- QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 58.

6- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 108.

إن ما يعطي الدليل على أن قرطاج لم تكن مقاطعة إفريقية تابعة لمملكة صور في الشرق، وأنه كان لها مصير مختلف بالمجال الإفريقي عن باقي المراكز الفينيقية بغرب البحر الأبيض المتوسط، أو المستوطنات التي خضعت مباشرة للحكم الصوري، هو وجود دلائل مادية على ذلك في المواقع الأخرى مثل المدن القبرصية التي خضعت لصور، حيث عثر بها على نقائش تتضمن إشارات لوجود حكام يمثلون سلطة الملوك الفينيقيين[1]، وهو ما لا نجده في آلاف النقائش التي عثر عليها بقرطاج.

ج- بروز قرطاج كقوة مستقلة في البحر الأبيض المتوسط:

حاول بعض الباحثين الربط بين بروز قرطاج كقوة تجارية بالبحر الأبيض المتوسط، وبين استقلالها عن صور الذي حددوه بالقرن 6 ق.م. لكنهم لم يستحضروا أوضاع المدينة بمجالها الإفريقي، ومصالحها الخاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط، وإنما ركزوا أكثر على أوضاع مدينة صور في الشرق. واستبعدوا بذلك أي دور لقرطاج خلال القرن 7 ق.م، واعتبروا أن بروزها خلال القرن 6 ق.م يدل على بداية استقلال المدينة عن الوطن الأم. لقد انبنت هذه الآراء على استحضار مجموعة من القرائن التاريخية غير المباشرة. ومن ذلك مثلا تدخل قرطاج لمنع الإغريقي كولايوس *(Colaios)* من الوصول إلى طرطسوس *(Tartessos)*[2] بجنوب إسبانيا حوالي 638 ق.م، والتدخل لمنع الإغريق من تأسيس مستوطنة سلينونت *(Sélinonte)* بصقلية حوالي 628 ق.م[3]، أو منع الإغريق بقيادة الأمير الإسبرطي دوريوس من النزول بالسرت الكبرى خلال نفس الفترة تقريبا.

وتبعا لذلك شكك باحثون آخرون في قدرة القرطاجيين على تأسيس إبيزا حوالي 654-653 ق.م[4]، بل وفي تأسيسها من طرفهم أصلا[5]. واستنادا إلى هذا التشكيك، خلص العديد من الباحثين إلى أن المدينة الإفريقية قد بقيت منكمشة بمجالها الإفريقي خلال القرن 7 ق.م[6]. وقد أرجعوا ذلك لتبعية المدينة الإفريقية لسلطة مدينة صور مادام أن الأولى لم تكن قادرة

1- نفس المرجع، ص. 105.

2- HÉRODOTE, *Histoires*, VI, 152.

3- PIGANIOL A, *La conquête romaine*, p. 42.

4- BELLARD C.-G., La fondation phénicienne d'Ibiza et son développement au VII et VI siècle av. j.-c., p. 111.

5- LANCEL S., *Carthage*, p. 99.

6- PIGANIOL A, *La conquête romaine*, p. 42.

على القيام بمشاريع بحرية وتجارية بشكل مستقل عن المدن الفينيقية في الشرق[1]. وتبعا لذلك استنتجوا بأن مبادرة قرطاج، خلال القرن 6 ق.م، بإنشاء مراكزها التجارية الخاصة بها في البحر الأبيض المتوسط يمثل بداية لاستقلال المدينة عن صور[2] بحكم تراجع هذه الأخيرة خلال نفس الفترة تقريبا[3].

غير أن التمعن في مجمل أحداث حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال النصوص القديمة تجعل من المنطقي إرجاع قيام قرطاج بمبادرات تجارية بالمنطقة إلى فترة أقدم، هي القرن 7 ق.م. ذلك أن أقدم الأدلة على بروز قرطاج كقوة بحرية مستقلة في حوض البحر الأبيض المتوسط تعود -كما ذكرنا سابقا -إلى فترة تأسيسها لإبيزا بجزر البليار مع منتصف القرن 7 ق.م. وأن هذه المبادرة كانت ممكنة إذا استحضرنا الحملات العسكرية التي شنتها ضد سردينيا وصقلية خلال منتصف القرن 6 ق.م ومعاودة مهاجمتها لصقلية مع نهاية ذلك القرن[4]. وقد بينت الحفريات الأثرية بالفعل أن الوجود القرطاجي في صقلية وسردينيا كان مبكرا[5]. كما شارك القرطاجيون بتحالف مع الإتروسكيين حوالي 535 ق.م في معارك بحرية لمنع الإغريق الفوكيين *(Phocéens)*[6] من تأسيس مستوطنة بألاليا *(Alalia)* على الساحل الشرقي لكورسيكا[7]، وتدخل القرطاجيين بعد ذلك بحوالي عقد من الزمن، أي حوالي 525 ق.م، بالسرت الكبرى *(Grande Syrte)* بالسواحل الليبية الحالية لطرد الإغريقي دوريوس *(Dorieus)* الذي كان يسعى لتأسيس مستعمرة إغريقية هناك[8].

كما أشارت المصادر القديمة مع نهاية القرن 6 ق.م إلى تلقي القرطاجيين لطلبات من الفرس لمساعدتهم على القيام بحملات حربية ضد إغريق صقلية[9]. ينضاف إلى ذلك

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 97.

2- TISSOT Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, T. I, Imprimerie nationale, Paris, 1884, p. 529; LAPEYRE G.-G., et PELLEGRIN A, *Carthage punique*, p. 78.

3- PIGANIOL A, *La conquête romaine*, p. 43.

4- JUSTIN, XIX, 1.

5- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 266 et 286.

6- الفوكيون نسبة إلى مدينة فوكيا (Phṓkaia) الإغريقية الواقعة بمنطقة آسيا الصغرى، ومنها انتقلوا إلى غرب البحر الأبيض المتوسط، حيث أسسوا مدينة ماساليا(مرسيليا الحالية في جنوب فرنسا)، وأنشؤوا مستوطنات في الجنوب الفرنسي، ومنطقة كاتالونيا في إسبانيا، وكانوا يمتلكون أسطولا بحريا موجها للتجارة والقرصنة.

7- HÉRODOTE, *Histoires*, I, 166.

8- Id, ibid., V, 42.

9- JUSTIN, XIX, 1; DIODORE DE SICILE, *BH*, XI, 1.

عقد قرطاج لمعاهدة تجارية مع الرومان[1] حوالي 509 ق.م[2]، ثم مهاجمتهم لصقلية مباشرة بعد ذلك، أي حوالي 480 ق.م[3]. ويستفاد من كل هذه النصوص أن قرطاج قد تحولت منذ فترة مبكرة إلى قوة أساسية بحوض البحر الأبيض المتوسط قادرة على الدفاع عن مصالحها بالمنطقة. ويمكن القول أن ما سقناه من مبادرات قرطاجية بالبحر الأبيض المتوسط يعد كافيا للتشكيك في الفرضية التي مؤداها أن قرطاج كانت عاجزة عن البحث عن مصالح خاصة بها، أو الدفاع عنها قبل القرن 6 ق.م، وترى في بروزها خلال هذا القرن الأخير دليلا على استقلالها في إطار كيان سياسي خاص بها بإفريقيا ربطا بأوضاع مدينة صور في الشرق. فمن جهة، يبدو من غير المنطقي تضخيم قوة قرطاج، المدينة الناشئة من حيث القوة البحرية، والاعتقاد بأنها كانت قادرة-منذ القرن 7 ق.م-على التدخل في كل مكان من سواحل البحر المتوسط المترامية الأطراف لمنع القوى الأخرى من القيام بأنشطتها التجارية أو التوسعية، وبالتالي لا يمكن اعتبار عدم تدخلها دليلا على عدم استقلالها، وتبعيتها لمدينة صور بفينيقيا.

كما أن ازدهار التجارة بالمدينة منذ القرن 8 ق.م كما تدل على ذلك بقايا المواد المستوردة بالموقع يمثل دليلا على توسع النشاط التجاري لقرطاج منذ الفترة المبكرة من تاريخها. وهذا يعني عدم دقة الربط بين تطور قرطاج بإفريقيا وأوضاع المدن الفينيقية في الشرق، خصوصا بعدما أصبح بمقدور قرطاج أن تعوض شيئا فشيئا الدور التجاري للفينيقيين في المراكز التجارية التي أقاموها بغرب البحر الأبيض المتوسط.

وانطلاقا مما سبق، لا يبدو أن المدينة الإفريقية قد انتظرت سقوط صور خلال القرن6 ق.م لتشرع في توسيع نشاطها البحري بالمنطقة، لأن المعطيات الأدبية والأثرية والسياق التاريخي العام لأحداث المنطقة تتكامل فيما بينها لترجيح فرضية خروج قرطاج على الأقل منذ القرن 7 ق.م للبحث عن مناطق النفوذ التجاري في وقت لا زالت فيه الأساطيل التجارية الفينيقية والصورية بالخصوص تجوب البحر المتوسط[4] دون أن يكون في ذلك –على الأرجح-

1- POLYBE, *Histoires*, III, 22, 4-13.

2- GSELL S., *HAAN*, T. III, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1921, p. 67.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165.

4- يرى بعض الباحثين أن النشاط البحري الفينيقي استمرار خلال القرنين 7 و6 ق.م في جنوب إيبيريا والسواحل الأطلسية والجزر المتوسطية لدرجة بات من الصعب التمييز أثريا بين مرحلة فينيقية وأخرى قرطاجية. انظر بهذا الخصوص المقالين التاليين:

- GRAN-AYMERICH J., La Méditerranée et les sites princiers du détroit de Gibraltar et dans «l'isthme gaulois», dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 97-109, p. 109; JODIN

تناقض في مصالح الطرفين. ولا يستبعد أن ذلك قد ارتبط أيضا بظهور منافسة تجارية، ولا سيّما من طرف الإغريق خلال تلك الفترة[1]، وربما منذ فترة أقدم. ذلك أن التوسع الإغريقي في غرب البحر المتوسط قد بدأ منذ القرن 8 ق.م بعد سيطرتهم على جنوب إيطاليا وصقلية وكورسيكا وبلاد الغال[2]. وقد تمخض عن ذلك تعاظم النفوذ الإغريقي بغرب المتوسط، لا سيّما بعد تأسيس مساليا *(Massalia)*[3]، وتزايد نشاط الفوكيين بالمنطقة، وبالتالي أصبح خطر الإغريق يهدد إفريقيا كما يتضح من نزولهم بقورينا.

وهذه كلها عوامل كافية لتفسير خروج قرطاج مبكرا إلى البحر الأبيض المتوسط للتصدي للتوسعات الإغريقية، سواء من أجل الحصول على مراكز نفوذ جديدة، أو على الأقل تأمين تلك التي كانت تابعة لها[4]، وخصوصا مراكز التزود بالمعادن بإيبيريا. فعلى ضوء هذا السياق التاريخي العام يمكن اعتبار تأسيس إبيزا حدثا تاريخيا تم خلال منتصف القرن 7 ق.م وهو الاستنتاج الذي نتقاسمه مع عدد من المهتمين بالتاريخ القرطاجي[5]. إن قوة الأدلة التي تبرهن على خروج قرطاج مبكرا للقيام بأنشطة تجارية بالبحر الأبيض المتوسط، ولا سيّما خلال القرن 7 ق.م، يجعل من غير الوارد ربط مبادرات قرطاج في المنطقة باستقلالها عن صور طالما أنه لم يثبت بعد خضوع قرطاج منذ تأسيسها لحكم مملكة صور الفينيقية. هذا فضلا عن عدم دقة الربط بين مصير قرطاج بإفريقيا وأوضاع الشرق الفينيقي، وعدم استناد ذلك الربط إلى أدلة مقنعة.

ومقابل ذلك، يتوجب الالتفات للعوامل الداخلية التي ساهمت في بروز المدينة، فلا يمكننا أن نتصور أن مدينة تجارية محدودة التأثير في مجالها الإفريقي بمقدورها القيام بأدوار هامة في المجال المتوسطي. فلا يستبعد أن ازدهار المدينة يرجع في جانب هام منه إلى موقعها، ومؤهلات عمقها الإفريقي الذي نفترض أنها استمدت منه أسباب قوتها أكثر من ارتباط ذلك

A., L'archéologie phénicienne au Maroc, ses problèmes et ses résultats, dans *Hespéris Tamuda*, Vol. VII, fasc. Unique, 1966, pp. 9-16, p. 12.

1- TAHAR M.-A., Á propos de la première intervention de Carthage à Sicile, p. 39.

2- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 166.

3- ماساليا (Μασσαλία) هي مستعمرة إغريقية أسسها الإغريق الفوكيون حوالي 600 ق.م، وهي مرسيليا الحالية بجنوب فرنسا. أصبحت المدينة منذ القرن 5 ق.م إحدى الموانئ البحرية الرئيسية في غرب البحر الأبيض المتوسط.

4- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 18.

5- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 35.

بأوضاع الشرق الفينيقي، تلك الأوضاع التي لم تلعب سوى دورا ثانويا في التوسعات القرطاجية. ويبدو أن المدينة قد ارتبطت أكثر بمجالها الإفريقي، وأصبحت لها أطماع تجارية وتوسعية مرتبطة بموقعها الإفريقي. ويمكن الاستنتاج بأن المعطيات التي عرضنا لها في تحليلنا لعلاقة قرطاج بصور تفيد بأن المدينة الإفريقية قد أدارت ظهرها للفينيقيين في الشرق، فلا يوجد في تلك المعطيات ما يمكن الاستدلال به على تبعية المدينة خلال الفترة المبكرة من تاريخها لمملكة صور الفينيقية. ومن هنا يتوجب إعادة النظر في الفرضية التي تربط بروز قرطاج لا سيّما خلال القرن6 ق.م باستقلالها عن صور، وتوجيه البحث صوب دراسة التطورات التي عرفتها قرطاج بمهدها في إفريقيا خلال الفترات التالية لتأسيسها من خلال رصد أهمية انفتاح المدينة على جوارها الإفريقي، وظروف تشكيلها لكيان سياسي قوي به.

الفصل الثاني:

المجال السياسي لقرطاج بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا:

1 - إشكالية بداية توسع قرطاج على حساب المجال الليبي:

تصطدم محاولة دراسة تاريخ بداية توسع قرطاج بمجال السكان الليبيين المجاورين بقلة المعطيات التي يمكن أن تساعد على معرفة علاقة المدينة بجوارها الإفريقي خلال الفترات التالية لتأسيسها. فإذا كانت الرواية الأسطورية قد تحدثت عن مشاركة السكان الليبيين في بناء المدينة، فهي-وباستثناء الإشارة إلى تقديم قرطاج لإتاوة سنوية لليبيين-لا تذكر شيئا عن تطور علاقتها بالمناطق الإفريقية القريبة منها، ولا سيّما بالسلطة المحلية المتمثلة في الملك الليبي يرباس.

ويكتسي البحث في أوضاع المدينة خلال الفترة المبكرة، وعلاقتها بالمناطق المجاورة لها أهمية بالغة لأنه يمكّن من تقييم دور البعد المحلي في نهوض قرطاج وازدهارها، وبالتالي فهم السر الكامن وراء تحول منشأة حضرية قابعة خلف الأسوار إلى كيان قادر على مراقبة مجال شاسع من البلاد الإفريقية. ينبغي الرجوع في هذا السياق إلى ما ورد في رواية تأسيس قرطاج بشأن دفع بُناة المدينة الجديدة لإتاوة سنوية للملك المحلي يرباس. فهل يمكن الوثوق بهذه الرواية، وتبني فكرة خضوع المدينة في البداية لسلطة الملك الليبي؟ أم أنه لم يكن للأمر مدلولات سياسية، وأن الحديث عن إتاوة يخفي نوعا من المقايضة، أي دفع أجر سنوي مقابل الاستقرار بالموقع؟

ينبغي الإقرار بداية بأن الحديث عن دفع الإتاوة يبقى من الأمور الغامضة في تاريخ المدينة خلال الفترة المبكرة. فإذا كنا لا نتوفر على ما يثبت خضوع المدينة لسلطة مدينة صور في الشرق، فإننا كذلك لا نجد في النصوص التاريخية والوثائق الأثرية ما يزكي فرضية خضوع المدينة لسلطة محلية. كما أننا لا نعرف شيئا عن مجال مملكة الملك المحلي يرباس، ومصيرها بعد تأسيس قرطاج. لكن إذا افترضنا صحة رواية جوستينوس بشأن الإتاوة، وهو ما لا يمكن التأكد منه، فإنه ينبغي البحث عن العلاقة المحتملة بين شروع المدينة في التوسع بالمجال الإفريقي، وتخلصها من دفع تلك الإتاوة لليبيين.

ربط عدد من الباحثين، الذين تناولوا هذه الفترة من تاريخ المدينة، بين بداية اتساع مجال قرطاج بإفريقيا والهزيمة المذلة للجيش القرطاجي في معركة هيميرا بصقلية حوالي 480 ق.م. واستنتجوا تبعا لذلك أن المدينة لم تتوسع خارج أسوارها إلا مع بداية القرن 5 ق.م[1]. لقد استند المتمسكون بفترة القرن 5 ق.م كتاريخ لبداية انفتاح المدينة على الجوار الإفريقي على نص ورد عند جوستينوس يتحدث فيه عن إجبار قرطاج للأفارقة على رد قيمة الإتاوات التي كانوا يستخلصونها منها[2]، حيث أتت تلك الإشارة بعد حديثه عن هزيمة القائد القرطاجي أملقار في المعركة المذكورة كما يستفاد من نص هيرودوتوس حول نفس الواقعة[3]. ولهذا السبب ذهب الباحثان كسيل وكامبس إلى حد اقتراح تاريخ مضبوط لبداية التوسع القرطاجي بالمجال الليبي يتراوح بين سنتي 475 و450 ق.م[4].

يبدو أن التواريخ التي أعطيت لبداية التوسع القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا تعد جد متأخرة زمنيا، ولا تستحضر مجموع الأحداث التي شهدتها المنطقة خصوصا، وحوض البحر الأبيض المتوسط عموما، من خلال معطيات المصادر الأدبية. الأمر الذي يطرح شكوكا حول التاريخ المقترح لبداية توسع قرطاج بجوارها الإفريقي، واعتبار هزيمة هيميرا كسبب مباشر لذلك التوسع. فمن جهة، تنبغي الإشارة إلى أن جوستينوس لم يقدم في الواقع تاريخيا معينا، كما أننا لسنا متأكدين من تقيده بالترتيب الكرونولوجي عند سرد الأحداث التي رواها. ذلك أن نصوص جوستينوس تحمل تناقضا واضحا، إذ أشار من ناحية، إلى إجبار قرطاج على الوفاء بالتزاماتها السابقة، وذلك بعد هزيمة حربية ضد الأفارقة[5]، ثم أخبرنا فيما بعد بتمكنها من هزمهم، وإجبارهم على التوقف عن المطالبة بالإتاوة السنوية.

لكن وجه التناقض في رواية جوستينوس أنه تحدث قبل كل ذلك عن شن المدينة الإفريقية لحرب ضد جيرانها النوميديين والموريين[6]، وهذا شيء غير منطقي، إذ لا يمكننا أن

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 153 ; GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 116 ; CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 20.

2- JUSTIN, XIX, 2.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165.

4- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 384 ; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 34.

5- JUSTIN, XIX, 1.

6- Id, ibid., XIX, 2.

نتصور بأن قرطاج كانت قادرة على محاربة جيرانها النوميديين، فبالأحرى الموريين البعيدين، إن لم تكن قد حصلت على مكاسب ترابية مهمة، وبالتالي تخلصت من دفع الإتاوة للتنظيم المحلي المجاور لها، خصوصا وأن جوستينوس سبق له أن أشار إلى تحقيق المدينة لانتصارات ضد جيرانها خلال عصر قائدها مالكوس الذي عاش خلال منتصف القرن 6 ق.م[1]. كما تحدث أيضا عن انتصارات حققها الماغونيون (خلال القرن 5 ق.م)[2] على الأفارقة الذين ظلوا -حسب تعبير جوستينوس- يطالبون بدون جدوى بالحصول على الإتاوة السنوية[3]. وهذا يعني أن المدينة كانت قد توقفت لفترة معينة عن دفع الإتاوة السنوية، أي على الأقل قبل القرن 5 ق.م.

وبناء على ذلك، يتضح أن معلومات جوستينوس متناقضة وغامضة، ويصعب الاعتماد عليها لمعرفة تاريخ توقف المدينة عن دفع الإتاوة، إن وُجدت هذه الأخيرة بالفعل، أو تأريخ ذلك الحدث بالقرن 5 ق.م. كما أن تبرير سعي قرطاج للتخلص من دفع الإتاوة بالأزمة الاقتصادية التي كانت تعيشها جراء هزيمتها بهيميرا[4] لا يبدو مقنعا لأن ثمة تناقض في ذلك، إذ كيف لمدينة تعاني من تبعات الهزيمة والأزمة الاقتصادية أن تقوى على مطالبة الليبيين برفع الإتاوة، أو فرض ذلك بالقوة؟ بل من أين لمدينة محاصرة بمجالها الإفريقي القدرة على شن الحرب ضد صقلية، إن لم تكن قد عملت قبل ذلك بسنين عديدة على تثبيت وجودها بمجالها الإفريقي قبل أن تبادر إلى شن الحروب خارج إفريقيا؟ وعلى ماذا اعتمدت المدينة في تشكيل جيش تحارب به في صقلية، إن لم تكن قد انفتحت بقدر كبير على السكان الليبيين، الذين يستبعد انضمامهم لجيشها إذا ما كانت في حالة حرب ضدهم؟

يرى ستيفان كسيل أن ظهور الليبيين في الجيش القرطاجي نصف قرن بعد هزيمة هيميرا[5] يمثل دليلا على أن الإتاوة قد توقفت بعد تلك الهزيمة[6]. بيد أن ملاحظة الباحث

1- Id, ibid., XVII, 7.

2- نسبة إلى ماغون، وهي أسرة حكمت قرطاج، ويعود لها الفضل في توسع مدينة قرطاج على حساب الجوار الإفريقي وفي سردينيا وصقلية.

3- JUSTIN, XIX, 1.

4- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 116.

5- راجع ذلك في نصوص ديودوروس الصقلي:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 6 ; 54 et 80.

6- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 348.

الفرنسي لا تبدو دقيقة لأن هناك نصوصا تاريخية تشير إلى مشاركة الليبيين في الجيش القرطاجي الذي حارب في صقلية[1]، أي قبل معركة هيميرا. فإذا كان وجود الليبيين في الجيش القرطاجي يمثل دليلا على تخلص قرطاج من دفع الإتاوة للمحليين، فإن ذلك الحدث يكون قد حصل قبل هزيمة هيميرا بصقلية المؤرخة بسنة 480 ق.م. أما سيرج لنسل، فحاول ربط تخلص قرطاج من دفع الإتاوة للمحليين بنص ديون كريسوستوموس *(Δίων Χρυσόστομος)*، وجاء فيه «أن حانون حوّل القرطاجيين من صوريين إلى ليبيين، وبفضله سكنوا ليبا بدل فينيقيا، فحققوا ثروات كثيرة وموانئ وسفنا، وسيطروا برا وبحرا»[2]. وتبعا لذلك أرجع لنسل النص إلى القرن 5 ق.م من منطلق أن حانون المذكور في النص هو حانون ابن أملقار الذي هُزم في هيميرا، وبالتالي أرخ حدث تخلص قرطاج من تقديم الإتاوة للمحليين بذلك القرن[3].

بيد أن الأمر يبقى مجرد افتراض لا يحسم في مسألة تأريخ ذلك الحدث لأن نص ديون كريسوستوموس لا يشير صراحة إلى ذلك، فضلا عن عدم توفر ما يساعد على اقتراح تاريخ معين طالما أننا لا نعرف حانون المقصود في النص. كما يصعب الاستناد إلى أسماء الأعلام القرطاجية في التأريخ نظرا لتداولها بكثرة، فحانون على سبيل المثال يعد من بين الأسماء الأكثر استعمالا من طرف القرطاجيين، وبالتالي يتعذر معرفة الشخص المقصود في النص.

وبناء على الملاحظات النقدية المسجلة على الآراء التي أرخت توقف قرطاج عن دفع الإتاوة للسكان الليبيين بالقرن 5 ق.م، يمكن القول أن الاتجاه أصبح مركزا على إعطاء تاريخ أقدم لانفتاح قرطاج على محيطها الإفريقي. لقد اعتبر الباحث زنيكر أن قرطاج توسعت بمجال إفريقي شاسع، وبمناطق أبعد مثل السرت الكبرى منذ فترات سابقة على المعاهدة القرطاجية الرومانية الأولى[4] المؤرخة بنهاية القرن 6 ق.م. وهناك من اقترح إرجاع تخلص المدينة من دفع الإتاوات إلى عصر القرطاجي مالكوس المؤرخ بمنتصف القرن 6 ق.م بسبب الانتصارات التي حققها ضد الأفارقة[5].

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XI, 20 ; HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165.
2- DION CHRYSOSTOME, *Discours*, XXV, 7 cité par LANCEL S., *Carthage*, p. 277.
3- LANCEL S., *Carthage*, p. 278.
4- SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 59.
5- BUNNES G., *L'expansion phénicienne: essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires*, p. 30.

إذن، تبقى المعطيات المتعلقة بخروج قرطاج إلى البحر الأبيض المتوسط ذات نفع حاسم في مسعى محاولة تأريخ حدث توقف المدينة عن دفع الإتاوة للسكان الليبيين، ومن تم بداية توسعها بالمجال الإفريقي. فكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن تحركات قرطاج بالبحر الأبيض المتوسط منذ منتصف القرن 7 ق.م بتأسيس إبيزا بجزر البليار، مرورا بتدخلها في صقلية وسردينيا خلال منتصف القرن 6 ق.م، وفي كورسيكا ضد الفوكيين، كلها أحداث ترجح حصول تحولات داخلية في وضع قرطاج بمجالها الإفريقي. الأمر الذي يعني أن ازدهار المدينة كان سابقا على القرن 5 ق.م، وهو تحول لا ينبغي عزله عن التطورات المحلية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم.

وبناء عليه، لا يبدو رأي كسيل بشأن عدم قدرة قرطاج على التوسع بالمجال الإفريقي قبل تركيز نفوذها بمناطق غرب البحر الأبيض المتوسط[1] موفقا، لأن المنطق يقتضي افتراض العكس. فلا يمكن لمدينة معزولة ومقيدة بمجالها الحيوي إنجاز مهام كبرى بالبحر الأبيض المتوسط دون أن تحقق مكاسب بالمناطق القريبة منها، وتستفيد من مؤهلاتها لامتلاك أسباب القوة قبل التطلع نحو مناطق أبعد. ويتضح هذا الأمر من خلال نص هيرودوتوس المؤرخ بنهاية القرن 6 ق.م[2]، والذي أشار فيه إلى تدخل القرطاجيين في السرت الكبرى لطرد الأمير الإسبرطي دوريوس[3] من المنطقة بتحالف مع قبيلة الماكيين *(Maces)* الليبية[4].

يتبين من هذه الحادثة أن نفوذ قرطاج كان قد امتد، على الأقل خلال هذه الفترة، إلى مناطق السرت الكبرى، أي قبل معركة هيميرا بعقود. كما أن المعاهدة القرطاجية الرومانية الأولى[5]، والتي تؤكد وجود كيان سياسي قرطاجي مستقل بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا تعود أيضا إلى فترة نهاية القرن 6 ق.م، أي حوالي 509 ق.م. ويستفاد من بنود تلك المعاهدة أن المدينة الإفريقية كانت تراقب خلال تلك الفترة مناطق السرت كما يتضح من تنصيص إحدى البنود على منع الرومان من الإبحار فيما وراء منطقة الرأس البحري المسمى *Beau*

1- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 34.

2- LANCEL S., *Carthage*, p. 278.

3- دوريوس هو الابن الثاني لأنكساندريداس الثاني(Anaxandridas) ملك مدينة إسبرطة الإغريقية، عاش خلال القرن 6 ق.م. وانتقل حوالي 515 ق.م إلى الساحل الليبي الغربي، فنزل مع مجموعة من الإسبرطيين بواد Kinyps (لعله واد كعام الحالي شرق زلطن/ليبيا) محاولا إنشاء مستوطنة إغريقية هناك. بخصوص توطين واد كينوبس انظر ما كتبناه في الهامش رقم 357 بالصفحة 95.

4- HÉRODOTE, *Histoires*, V, 42.

5- POLYBE, *Histoires*, III, 24, 3-13.

Promontoire[1]. أما من الناحية الأثرية، فقد عززت نتائج الحفريات الأثرية من احتمال بداية التوسع القرطاجي بإفريقيا منذ فترة سابقة على القرن 5 ق.م، وعدم ارتباط ذلك بتداعيات هزيمة هيميرا. ويتضح من القواسم المشتركة بين معطيات موقع قرطاج وموقع كركوان برأس بون (الرأس الطيب بالساحل الشمالي الشرقي لتونس) الذي ترجع أقدم طبقاته الأثرية إلى القرن 6 ق.م[2] أن مدينة قرطاج قد طورت علاقاتها بالجوار الإفريقي خلال القرن 6 ق.م.

وبناء على ما سبق، يجوز الاستنتاج، مثلما توصل إلى ذلك باحثون آخرون[3] بأن قرطاج، حتى وهي تقوم بمبادرات تجارية منفردة في السواحل المتوسطية، قد ظلت خاضعة لشروط فرضها الليبيون المجاورون لها منذ تأسيسها إلى غاية القرن 6 ق.م، التاريخ الذي تخلصت فيه من القيود التي فرضها عليها الليبيون، وشرعت منذئذ في توسيع نفوذها على حساب الجوار الإفريقي. ويبدو أن فترة القرن 6 ق.م تمثل، في الواقع، اتساعا في النفوذ القرطاجي، وليس بداية له بحكم التوافق المبكر الذي حصل مع الليبيين حول المجال منذ فترة التأسيس، والفترات اللاحقة له[4]، بحيث لا يُستبعد أن يكون التوسع «المتوافق بشأنه» مع المحليين قد بدأ قبل القرن 6 ق.م بكثير. ويبقى المرجح لدينا هو أن القرن 6 ق.م قد شهد بداية تشكيل كيان إفريقي تشرف عليه قرطاج التي أصبحت حاضرة لمجال إفريقي شاسع.

1- تصعب مطابقته بالرأس الطيب/رأس بون بسبب عدم دقة المعلومات التي أوردها بوليبيوس، والراجح أن الأمر يتعلق برأس فرينا حاليا، أي رأس سيدي علي المكي، أو راس الملح بشمال غرب قرطاج. للمزيد راجع:
HEURGON J., Sur l'interdiction de naviguer au-delà du Beau-Promontoire dans le premier traité entre Rome et Carthage, dans *Ant. Afr.*, Année 1979, 14, pp. 37-42, p. 38-39.

2- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, Maison tunisienne d'édition, Tunis, 1987, p. 38.

3- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 75 ; PIGANIOL A., *La conquête romaine*, p. 43.

4- ساهمت الأبحاث الأثرية المتوالية في موقع قرطاج في تبديد التناقض القائم بين اعتبار القرن 5 ق. م فترة ازدهار وتوسعات من ناحية، وبين قلة وفقر القبور المؤرخة بذلك القرن من ناحية أخرى، ولا سيّما قلة الخزف الأتيكي. ويبدو أن ذلك أدى إلى ارتكاب الأثريين الأوائل لأخطاء في تأريخ وتصنيف المواد الأثرية العائدة لهذا القرن. بخصوص هذه الفكرة انظر الدراسات التالية:
- RAKOB F., La Carthage archaïque, p. 31 et 39 ; LANCEL S., *Carthage*, p. 153 ; PICARD C., Notes de chronologie punique : le problème du Vè siècle, p. 27.

2 - حدود المجال السياسي للدولة القرطاجية:

يقر الباحثون بصعوبة تحديد المجال الإفريقي الذي راقبته قرطاج منذ بداية توسعها بمناطق الجزء الشرقي لشمال إفريقيا[1]، على الأقل منذ القرن 6 ق.م، نظرا لوجوب التمييز، حسب رأيهم، بين مجال خاضع «إداريا» لسلطة قرطاج، وبين مجال انتشار مظاهر الحضارة القرطاجية نتيجة الجوار مع المجال التابع «إداريا» لقرطاج[2]. وهذا يطرح إشكالية التمييز بين المجال السياسي، والمجال الحضاري لقرطاج[3].

2-1 - من خلال معطيات الفترة المتأخرة:

وصلتنا شذرات من مُؤَلَّف دُوّن باللغة الإغريقية لقرطاجي يدعى أوماخوس *(Aumachos)* مفادها أن القرطاجيين حفروا حول مجالهم خنادق دفاعية[4]. كما أشار المؤرخ الإغريقي أبيانوس *(Appianus)* بدوره إلى وجود خنادق فينيقية *(Fosses phéniciennes)*[5] عند نهاية الحرب البونية الثانية حوالي 201 ق.م. لقد سمحت المعاهدة الرومانية القرطاجية التي أعقبت هزيمة القرطاجيين في زاما سنة 201 ق.م لقرطاج بالاحتفاظ بالمناطق الواقعة بتلك الخنادق[6]، وبالتالي فإن المجال القرطاجي لم يكن يتجاوز النطاق المحدد بمقتضى الاتفاقية كما يرى ستيفان كسيل[7]. فما هو إذن مجال الخنادق الفينيقية؟

إذا استثنينا الإشارة المنسوبة لأوماخوس *(Aumachos)* ورواية أبيانوس، فإن الكتاب القدامى لم يتحدثوا عن وجود الخنادق الفينيقية، وبالتالي فنحن نجهل ما إذا كانت قد وُجدت بالفعل، وتاريخ إنشائها. افترض كسيل أن تلك الخنادق قد حُفرت خلال عصر أملقار

1- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 34.

2- LANCEL S., *Carthage*, p. 278.

3- تروم دراستنا لمجال أو مهد الحضارة القرطاجية إبراز المعالم الكبرى للمجال الإفريقي الذي تشكلت فيه مظاهر الحضارة القرطاجية، واتخذت فيه سماتها المميزة انطلاقا من معطيات ذلك المجال، ومن التفاعل المفترض حصوله بين الحضارة الليبية والحضارات الوافدة على المنطقة. مع التنبيه إلى أننا لسنا في وارد تحديد مجال الحضارة القرطاجية، فهذا أمر جد معقد وأبدينا بصدده ملاحظات نقدية، بقدر ما نتخذ الحدود السياسية للدولة القرطاجية كمجال لدراسة المحلي والوافد في الحضارة البونية. ومن هنا تأتي أهمية معيار الخضوع السياسي للدولة القرطاجية كمحدد مساعد لدراسة المجال الإفريقي الذي انبثقت منه الحضارة القرطاجية، أو دخل في اتصالات حضارية مباشرة مع قرطاج.

4- AUMACHOS DE NÉAPOLIS, *Périégèse*, Frag. Grae. Hist., T. II, p. 178 et p. 906 cité par CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, dans *MEFR*, T. 115, 2003, pp. 655-703, p. 675.

5- APPIAN, *PW*, VIII, 54.

6- Id, ibid., VIII, 54 ; DION CASSIUS, *Histoire romaine*, T. I, XXXVI, CCXIX.

7- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 360.

(Hamilcar)[1]، أو حنبعل *(Hannibaal)*[2] انطلاقا من نص ورد عند أبيانوس يعود إلى نهاية القرن 3 ق.م. وتم الاستنتاج بناء على ذلك أن حدود الخنادق الفينيقية توافق، في الواقع، مجال الخنادق الملكية *(Fossa regia)* التي أنشاها القائد الروماني سكيبيو إيمليانوس بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م[3].

لم يقدم أبيانوس معلومات إضافية تساعد على التعرف على الحدود الحقيقية للخنادق الفينيقية. لكن تتبع الأحداث الموالية لهزيمة القرطاجيين في معركة زاما سنة 201 ق.م في مواجهة الرومان، وحليفهم مسنيسا، يسمح بمعرفة حدود الممتلكات القرطاجية خلال تلك الفترة، ولا سيّما من خلال تتبع توسعات مسنيسا على حساب الأراضي التابعة لقرطاج. منطقيا، يمكن اعتبار المناطق التي سيطر عليها الملك النوميدي بعد أحداث 201 ق.م جزءًا من مجال الخنادق الفينيقية ما دام لم يكن بمقدور قرطاج خرق المعاهدة التي نصت على عدم تجاوز حدود تلك الخنادق[4].

ذكر تيتوس ليفييوس أن مسنيسا تجاوز حوالي 182 ق.م حدود مملكته مع القرطاجيين مطالبا باستعادة السيطرة على مقاطعة كان قد افتكها أبوه كايا *(Gaya)* من القرطاجيين قبل أن يعيدها إليهم صوفاكس *(Syphax)* فيما بعد[5]. ويرى كامبس أن الأمر يتعلق بمناطق تقع بالسواحل الشمالية لتونس[6]. واستند القرطاجيون في ادعاءاتهم بملكية تلك المقاطعة إلى حقيقة أنها كانت في الأصل في ملكية أسلافهم، وأن الملك صوفاكس إنما أعادها إليهم بعد ذلك حسب ما جاء عند تيتوس ليفيوس[7]. وأضاف تيتوس ليفيوس في أحداث تؤرخ بين سنتي 173 و171 ق.م أن مسنيسا استولى على ستين مدينة كانت تابعة قبل ذلك للقرطاجيين[8]، مما يجعلنا أمام مجال شاسع جدا. في حين أخبرنا أبيانوس أن مسنيسا سيطر على عدة مناطق قرطاجية بدعوى أنها كانت في ملكية أجداده[9].

1- Id, *HAAN*, T. II, p. 102.
2- Id, ibid, T. III, p. 289.
3- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 675.
4- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 102.
5- TITE-LIVE, *HR*, XL, 17, 2-3.
6- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 105.
7- TITE-LIVE, *HR*, XL, 17, 4.
8- TITE-LIVE, *HR*, XLII, 23, 2.
9- APPIAN, *PW*, VIII, 67.

غير أن النصوص التي أشارت إلى ضم مسنيسا لأجراء من المجال القرطاجي لم تُوطّن مناطق التوسعات التي أشرنا إليها أعلاه إلى أن تحدث أبيانوس عن مهاجمة الملك النوميدي حوالي 152-153 ق.م لمنطقة السهول الكبرى، ومجالا آخرا يسمى توسكا *(Tusca)*، ويضم حوالي 50 مدينة[1]. لقد طابق المؤرخون بين السهول الكبرى الواردة في النص وسهول سوق الأربعاء وسوق الخميس بغرب تونس الحالية. كما تمت المطابقة بين مجال توسكا ومجال منطقة ثوگا *(Thugga)*[2]، أي المناطق المحيطة بموقع دقّة *(Dougga)*[3] الحالية بوسط تونس[4]. وهناك من طابقه بالمناطق المحيطة بمكثر بالوسط الغربي لتونس[5]. من هذا المنطلق يمكن اعتبار منطقتي السهول الكبرى والوسط الغربي لتونس[6] جزءا من الممتلكات القرطاجية التي ضمتها حدود 201 ق.م[7] مادام أن القرطاجيين قد خرقوا معاهدة 201 ق.م، واستولوا على تلك المناطق الشاسعة، أو ربما استعادوها بعدما كانت تابعة لهم قبل هزيمة زاما.

يمكن الاستعانة بالنصوص المشار إليها أعلاه لمحاولة معرفة حدود الخنادق الفينيقية. وفي هذا الصدد، اعتبر سيرج لنسل أن تلك الخنادق تنطلق من طبرقة *(Thabraca)* بالشمال

1- Id, ibid., VIII, 68; TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62.

2- GSELL S., *HAAN*, T. III, p. 321.

3- دقة موقع أثري يقع على بعد خمس كيلومترات من معتمدية تبرسق التابعة لولاية باجة، بالشمال الغربي لتونس. يرى كامبس أن الاسم النوميدي للمدينة هو «TBGG»، والاسم الليبي هو «TBG»، وتفيد معنى الحماية. ولا يستبعد وجود علاقة بين اللفظ الأمازيغي «تُوغًّا» الذي يعني «الجبل الصخري»، واسم المدينة التي ترجع إلى فترات قديمة (حوالي القرن 6 ق.م). للمزيد راجع:

KHANOUSSI M., L'évolution urbaine de Thugga (Dougga) en Afrique proconsulaire : de l'agglomération numide à la ville africo-romaine, dans *CRAI*, 2003, 147-1, pp. 131-155, p. 132, CAMPS G., dans *Ency. Berb.*, XVI, 1992, p. 2522.

4- تبدو المطابقة بين توسكا ومجال مدينة توگا (Thugga)، أي دقة (Dougga) الحالية منطقية، رغم أن القدامى أعطوا اسم توسكا للواد الكبير الذي يعبر جبال خمير بشمال تونس. وتعتبر خمير منطقة جبلية وغابوية تتميز بقلة المواقع القديمة، وبالتالي يُستبعد أن تحتضن ذاك العدد الكبير من المدن. وفي المقابل، تتوفر دلائل استقرار قديم بمنطقة دقة. هذا فضلا عن وجود إشارات في المصادر إلى مدينة تحمل نفس الاسم، وتعود إلى القرن 4 ق.م: انظر نص ديودوروس الصقلي بهذا الخصوص:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.

5- KADRA-HADJADJI H., *Massinissa le Grand Africain*, Éditions Karthala, Paris, 2013, p. 126.

6- معلوم أن مضمون النقيشة المزدوجة البونية الليبية المكتشفة بدقة(Thugga قديما) يفيد أن المدينة كانت خاضعة لحكم مسنيسا قبل وفاته، أي قبيل سقوط قرطاج، وهذا صحيح، ولا يتعارض مع ما ذهبنا إليه من أنها كانت تابعة لقرطاج قبل هزيمة الأخيرة في زاما، وإجبارها على توقيع معاهدة سلم مع الرومان سنة 201 ق.م اقتطعت بموجبها مناطق نوميدية كانت من ضمن ممتلكاتها. إن الأمر يتعلق بميدنة نوميدية استولت عليها قرطاج، ثم افتكها النوميديون بعد هزيمة زاما.

7- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 102.

الغربي لتونس لتضم السهول الكبرى بالحوض الأوسط لوادي مجردة *(Medjerda)*[1] شرق موقع بلاريجيا *(Bulla Regia)*[2] والمناطق الواقعة جنوب شرق تلك السهول، ثم مدينة ثوگا *(Thugga)* ومحيطها، دقة حاليا، ثم زاما (*Zama*)[3]، ومكثر *(Makthar)*[4]، بشمال غرب تونس الحالية، لتنعطف تلك الحدود على شكل خط مستقيم نحو جنوب البيزاكيوم *(Byzacium)*[5] بالساحل التونسي وصولا إلى تايناي *(Thaenae)*، أي هنشير تينة(جنوب صفاقس) بالسرت الصغرى[6]. لكن يلاحظ أن لنسل استند في استنتاجه على آثار الحدود الملكية *(Fossa regia)* التي سينشؤها القائد الروماني سكيبيو إيمليانوس لاحقا، أي بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م، والحال أن المطابقة بين الخنادق الفينيقية والخنادق الملكية تبدو غير ممكنة.

لم تسفر التحريات الأثرية التي استهدفت البحث عن آثار الخنادق الفينيقية عن إحراز نتائج ملموسة[7]. فقد تبين من خلال وجود آثار خنادق مجهولة جنوب حدود الخنادق الملكية أن حدود الخنادق الفينيقية تختلف بالفعل عن الخنادق الملكية[8]. ومن هذا المنطلق افترضت الباحثة نايدي فرشيو-بتحفظ-أن آثار تلك الخنادق المجهولة، ربما، تكون هي نفسها بقايا الخنادق الفينيقية التي شملت حسب الباحثة المجال القرطاجي في أوسع امتداداته[9]. غير أننا لا نتوفر على مسار واضح لتلك الخنادق بحكم تباعد آثارها، وانعدام أي أثر لها على

1- ذكره بوليبيوس باسم مَكْرَا، وهو ينبع من سوق أهراس غربي الجزائر، ويصب في البحر الأبيض المتوسط على مستوى خليج تونس، ويبلغ طوله حوالي 460 كلم.

2- تقع قرب مدينة جندوبة بشمال غرب تونس، وهي مدينة ليبية قديمة خضعت للقرطاجيين، ثم تحولت إلى مستوطنة رومانية بعد سقوط قرطاج.

3- مدينة نوميدية ضمتها قرطاج، وتحولت بعض سقوط الأخيرة إلى السيطرة الرومانية باسم زاما زيغيا (Zama Regia)، وكانت مسرحا للمعارك الحاسمة للحرب البونية الثانية. ظل تحديد موقع المدينة محل جدل إلى أن مكن اكتشاف نقيشة رومانية من طرف الباحث أحمد الفرجاوي من تأكيد موقع زاما القديمة الذي ظل افتراضيا في منطقة تبعد بضع كيلومترات من مدينة سليانة.

4- مكثر مدينة ليبية قديمة تقع في الوسط الغربي لتونس على بعد 162 كلم من عاصمة البلاد. عرفت خلال الفترة الرومانية باسم مكثريس (Mactaris) الذي يعتقد أنه مجرد تحريف لاسم ليبي قديم (M'Ktrym).

5- ولاية رومانية تقع بالساحل الشرقي التونسي، تحدها جنوبا تيناي (تينة)، تعد جزءا من منطقة الأمبوريات (ساحل الوكالات التجارية)، حيث أشار الكتاب القدامى إلى سكانها باسم «الليبوفينيقيين».

6- LANCEL S., *Carthage*, p. 283.

7- FERCHIOU N., Nouvelles données sur un fossé inconnu en Afrique proconsulaire et sur la fossa regia, dans *Actes du IIIè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Montpellier, 1-5 avril 1985, BCTH, 1986, pp. 351-362, p. 362.

8- Id, Un fossé Inconnu en Afrique Proconsulaire : suite des recherches, dans *REPPAL*, T. V, 1990, pp. 107-115, p. 112.

9- Ibidem.

امتداد مسافات طويلة. فضلا عن أنها لا تضم منطقة توسكا(مجال مدينة ثوگا) التي كانت جزءًا من الخنادق الفينيقية خلال 201 ق.م، وبالتالي يبدو من المستبعد مطابقة تلك البقايا الغامضة بالخنادق الفينيقية.

إذا كانت الخنادق الفينيقية تشكل حدودا للمجال القرطاجي الإفريقي خلال الحرب البونية الثانية، فإن انعدام آثار واضحة لتلك الخنادق يدفعنا-في حدود المعطيات الحالية-إلى افتراض أن تلك الحدود لم تكن تشمل المجال القرطاجي الإفريقي في أوسع امتداداته، وذلك لعدة اعتبارات، منها أن قرطاج كانت قد فقدت جزءا مهما من ممتلكاتها إثر اقتحام الرومان للمنطقة، ومهاجمتهم للقرطاجيين مما أفضى إلى هزيمة الأخيرين في معركة زاما، وتوقيع معاهدة 201 ق.م. فهذا يعني بأن تلك الخنادق قد أنشأت بعد أن حدثت تحولات مهمة بالمنطقة مثل استيلاء مسنيسا حوالي 204-203 ق.م على ممتلكات صوفاكس[1]، وسيطرته، بدعم من الرومان، على جزء من المناطق التي كانت تابعة لقرطاج قبل الحرب البونية الثانية.

أما بالنسبة للخنادق الملكية، فقد أنشأت بعد نهاية الحرب البونية الثالثة من طرف القائد الروماني سكيبيو إيمليانوس، وبالضبط سنة 146 ق.م، باتفاق مع الملوك النوميديين لكي تكون بمثابة حدود لولاية إفريقية *(Provincia Africa)* التي أُقيمت على حساب ما تبقى من المجال الذي ظل تحت سيطرة قرطاج قبيل سقوطها[2]. وحيث أن بلينيوس القديم اعتبر طبرقة (شمال غرب تونس) بمثابة بداية حدود ولاية إفريقية الرومانية[3]، وتاياي (موقع تينة قرب صفاقس بتونس) كحد للخنادق التي أقامها سكيبيو إيمليانوس[4]، فقد سعت التحريات الأثرية إلى تتبع بقايا تلك الخنادق وتحديد مسارها انطلاقا من مصب وادي توسكا (وادي الكبير) قرب طبرقة لتتجه شرقا نحو باجة، ثم جنوبا نحو تستور[5]،

1- TITE-LIVE, *HR*, XXX, 17, 4 ; APPIAN, *PW*, VIII, 26.
2- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 25.
3- Id, ibid, V, 23.
4- Id, ibid, V, 25.
5- تقع تستور(Testeur) بحوض مجردة شمالي تونس على بعد 76 كلم من عاصمة البلاد. وكانت تسمى تِيشيلاّ، أو تيكيلا(Tichilla) في العهد الروماني، ويبدو أن الموقع يعود إلى أصول ليبية، ثم مرّ من المرحلة القرطاجية. للمزيد من الملعومات انظر:
LANCEL S., Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin: Recherches de topographie ecclésiastique, dans *MEFR*, 1984, 96, 2, pp. 1085-1113, p. 1087.

وتبرسق[1]، وسليانة[2]، وتنحرف نحو الشرق عند هنشير صوار[3] جنوب جبل زغوان، لتَمُرّ قرب أدروميتوم[4] وأشولا[5]، ثم تصل إلى تايناي *(Thaenae)* بجنوب صفاقس[6]. وانطلاقا من المعطيات الأثرية المتوفرة لحد الآن، فإن مجال الخنادق الملكية لا يتجاوز الزاوية الشمالية الشرقية لتونس الحالية، وشريط ساحلي يمتد بين خليج الحمامات وخليج قابس.

إضافة إلى حدود الخنادق الفينيقية والملكية، يمكن أن يسعفنا التقسيم الإداري الروماني في التعرف على حدود المقاطعات القرطاجية قبيل سقوط قرطاج سنة 146 ق.م انطلاقا من حدود المقاطعات الرومانية، وبالتالي تحديد المجال الإفريقي الذي كان خاضعا بشكل مباشر لقرطاج. وفي هذا الإطار، حدّد جيلبر شارل بيكار عددا من المقاطعات الرومانية معتبرا أنها كانت مقاطعات قرطاجية قديمة، منها الواقعة بداخل الأراضي، وتلك القريبة من قرطاج مثل كونزوزي *(Gunzuzi)* بوسط تونس، وزوجي *(Zeugei)* المجاورة لقرطاج، وموكسي *(Muxi)* بمنطقة أوتيك، وكورزنسس *(Pagus Gurzensis)* بمجال مدينة أدروميتوم، فضلا عن مقاطعة أخرى بالوطن القبلي (رأس بون/الرأس الطيب)[7].

وتنضاف إلى ما سبق مقاطعات قرطاجية أخرى اعتبر الباحث أنها تشكل حدودا للمجال القرطاجي الإفريقي. فقد عُثر على نقيشة لاتينية تشير إلى مقاطعة «توسكا» التي ربطها عدد من الباحثين[8] بمجال تيسكان، *(Τύσχαν)* المذكور من طرف أبيانوس عند حديثه

1- ثوبورسيكومبور (ThubursicumBure) هو الاسم الروماني القديم لتبرسق، التي أصبحت مستعمرة رومانية منذ 261م. ورغم قلة البقايا الأثرية بالموقع، فإن ما عُثر عليه منها، لحد الآن، يُظهر أنها عرفت تمازج العناصر الحضارية الليبية والبونية والرومانية.

2- تقع سليانة (Siliana) في الشمال الغربي لتونس على بعد 127 كلم من العاصمة، وغير بعيد عن الموقع المفترض لمعركة زاما التي انهزم فيها الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل ضد الجيش الروماني.

3- هنشير صوار (Henchir-es-Souar) هو موقع أثري روماني يقع بولاية زغوان بتونس، خضع قبل ذلك للسيطرة القرطاجية (القرن 3 ق. م).

4- يكتب اسم المدينة بصيغ مختلفة منها حضرموت وحضروميتوم، وقد آثرنا الحفاظ على الرسم والنطق الأصلي اللاتيني للاسم، وهو أدوميتوم (Hadrumetum)، وتوافق موقع مدينة سوسة على الساحل الشرقي لتونس الحالية.

5- أشولا أو أكولا(Acholla) هو موقع أثري روماني يقع برأس بطرية على الساحل الشرقي التونسي، شمال مدينة صفاقس. ويبدو أنه مر من المرحلتين الفينيقية والبونية قبل أن يخضع فيما بعد للسيطرة الرومانية.

6- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 350.

7- PICARD G.-Ch., L'administration territoriale de Carthage, dans *Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à Piganiol*, A., Paris, 1966, pp. 1257-1265, p. 1262-1263.

8- Ibid, p. 1257 ; LANCEL S., *Carthage*, p. 280.

عن استيلاء مسنيسا، حوالي 152-153 ق.م، على خمسين مدينة بمنطقة تدعى تيسكان[1]. ويرجح أن المنطقة المذكورة في نص أبيانوس تقع بمجال مدينة ثوگا (دقة الحالية). ويعزز هذه الفرضية اكتشاف نقيشة بونية بمكثر تشير إلى أرض تشكات *(RŞT TŜK'T')*[2]. ويرجح أن الأمر يتعلق بنفس المقاطعة التي ذكرها أبيانوس باسم تيسكان[3]. لكن يلاحظ عند محاولة المطابقة بين مجال توسكا أو تيسكان ومجال ثوگا أن الحدود الغربية لهذه المقاطعة لا تتطابق في الواقع مع الخنادق الملكية، أو حدود ولاية إفريقية التي أقامها الرومان بعد سقوط قرطاج، ذلك أن هذه الأخيرة لم تكن تضم مجال ثوگا مما يعني أن المقاطعة المذكورة ترجع لفترة أقدم، وربما شكلت جزءا من المجال القرطاجي قبل توقيع معاهدة 201 ق.م[4].

ويبدو أن المناطق التي استولى عليها مسنيسا بمنطقة السهول الكبرى كانت تشكل مقاطعة قرطاجية أخرى تقع شمال مقاطعة توسكا[5] المشار إليها سابقا. أما باتجاه الجنوب والشرق، فقد تحدثت المصادر عن مقاطعة رومانية تحمل اسم البيزاكيوم *(Byzacium)* حسب الكتاب اللاتينيين[6]، والبوزكيس *(Βυζάχις)* حسب الكتاب الإغريق[7]. ويبدو من خلال توطين بوليبيوس للولاية المذكورة بالقرب من السرت الصغرى[8]، والأبعاد التي أعطاها بلينيوس القديم لمحيطها[9] أن الحد الجنوبي لولاية البيزاكيوم خلال الفترة الرومانية لم يتعد على الأرجح منطقة صفاقس بالسرت الصغرى[10]، خصوصا وأن جزيرة قرقنة التي تقع قبالة صفاقس

1- APPIAN, *PW*, VIII, 68
2- PICARD G.-Ch., L'administration territoriale de Carthage, p. 1258
3- Ibidem.
4- Ibid., p. 1260.
5- Ibid., p. 1264.
6- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 24.
7- POLYBE, *Histoires*, III, 23, 2.
8- Ibidem.
9- ذكر بلينيوس القديم (PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 24) أن محيط ولاية البيزاكيوم يبلغ 2000 ستاد (غلوة)، أي حوالي 360 كلم. فإذا اعتبرنا تيسدروس (الجم) بمثابة مركز للولاية، فإن البيزاكيوم تمتد جنوبا إلى صفاقس. راجع بهذا الشأن ما كتبه سيرج لنسل:
- LANCEL S., *Carthage*, p. 281.
10- DESANGES J., Étendue et importance du Byzacium avant la création, sous Dioclétien, de la province de Byzacène, dans *CT*, 11è année, n°44, 4è Trimestre, 1963, pp. 7-22, p.12 ; FERRON J., La Byzacène à l'époque punique, état actuel des connaissances, dans *CT*, 11è année, n° 41-42, 1963, pp. 31-46, p. 31.

كانت من بين المناطق التي هاجمها الرومان خلال الحروب البونية[1]. وذكر بوليبيوس أن القرطاجيون كانوا يحرسون بعناية مدن الأمبوريات (*Emporia*)[2] الغنية[3] عندما هاجمها مسنيسا حوالي 161-162 ق.م[4]. في حين، اعتبر تيتوس-ليفيوس *(Titus Livius)* في معرض حديثه عن غزو مسنيسا لمنطقة الأمبروريات بساحل السرت الصغرى حوالي 165 ق.م أن تلك السواحل كانت تضم عدة مدن خاضعة للقرطاجيين[5].

رغم انتماء النصوص القديمة التي بحوزتنا إلى فترة متأخرة من التاريخ القرطاجي، فلا شك أن منطقة البيزاكيوم كانت جزءا من المجال القرطاجي الإفريقي منذ فترة أقدم قد ترجع إلى ما قبل القرن 5 ق.م[6]، وهو الأمر الذي يستشف من بنود المعاهدة القرطاجية الرومانية الأولى حوالي 509 ق.م التي منعت على الرومان الإبحار وتنفيذ الأعمال التجارية بالمناطق التي يشملها مجال البيزاكيوم[7]. ويستفاد مجريات الحروب البونية أن القرطاجيين تشبثوا بالدفاع عن تلك المناطق، وأقاموا بها معسكرات لجيشهم. فخلال الحرب البونية الثانية كان حنبعل يتحرك بجيشه في مناطق الساحل الشرقي التونسي، حيث عسكر بعدد من المناطق مثل جزيرة قرقنة، ومدينتي أشولا (رأس بطرية شمال صفاقس)، وأدروميتوم، وثابسوس (رأس الديماس)[8].

كما نتوفر على معطيات إضافية تؤكد تبعية مجال البيزاكيوم، الممتد بين خليج الحمامات وصفاقس، إضافة إلى باقي المناطق الممتدة بين الرأس الطيب *(Cap Bon)* والسرت الصغرى للسيطرة القرطاجية على الأقل خلال القرن 4 ق.م. فقد دافعت قرطاج عن تلك المناطق خلال حملة أغاطوكليس *(Agathoclès)* السيراكوزي على إفريقيا[9]، وخلال

1- POLYBE, *Histoires*, III, 96, 12 ; TITE-LIVE, *HR*, XXII, 31, 2.

2-إمبوريا (Ἐμπόρια) هي تسمية إغريقية نقلها الإغريق عن القرطاجيين الذين كانوا يطلقونها على سواحل السرت الصغرى والكبرى.

3- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 4.

4- Id, Ibid, 2, 1.

5- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 2.

6- LANCEL S., *Carthage*, p. 281 ; DESANGES J., Étendue et importance du Byzacium avant la création, sous Dioclétien, de la province de Byzacène, p. 15.

7- POLYBE, *Histoires*, III, 24, 3-13.

8- TITE-LIVE, *HR*, XXXIII, 48, 1.

9- من بين مناطق الساحل الشرقي التونسي التي كانت مسرحا للصراع الذي دار بين القرطاجيين وجيش أغاطوكل نذكر على سبيل المثال : ميكالوبوليس، وأدروميتوم، وثابسوس، ولمطة الصغرى(Leptis Minus)، ونيابوليس(نابل حاليا)، وأسبيس(قليبية).

حملة الروماني ريكولوس *(Regulus)* حوالي 256 ق.م التي تركزت بمنطقة الرأس الطيب[1]، وخلال معارك الحرب البونية الثانية[2]. وقد ساهمت الحفريات الأثرية بهذا المجال في تعزيز المعلومات الواردة في النصوص القديمة[3]، حيث ترجع آثار اتصال قرطاج بمدينة كركوان برأس بون(الرأس الطيب) إلى القرن 6 ق.م[4].

أما بالنسبة للشريط الساحلي الممتد بين أوتيك *(Utique)* وطبرقة، فيعد جزءا من المناطق الإفريقية التي كانت تابعة لقرطاج على الأقل من خلال المعلومات التي توصلنا إليها من محاولات تحديد مجال الخنادق الفينيقية والملكية والمقاطعات الرومانية. بيد أن كسيل استثنى من هذا المجال مدينة أوتيك بحجة أنها كانت تتمتع بوضعية خاصة إزاء قرطاج[5]، وبدعوى ذكر اسمها إلى جانب قرطاج في معاهدتين، هما معاهدة 348 ق.م التي وقعتها مع روما[6]، ومعاهدة حنبعل مع فيليب المقدوني سنة 215 ق.م[7].

غير أن المعطيات التي بحوزتنا تسمح بافتراض العكس تماما، فرغم أنها كانت أكبر مدينة في ليبيا حسب إفادة أبيانوس[8]، وثاني أهم مدينة بعد قرطاج حسب سترابون[9]، فقد ذُكرت أوتيك في نص رحلة سكيلاكس المزعوم ضمن المجال التابع لقرطاج[10]. كما كانت جزءا من المجال الإفريقي الذي دافعت عنه قرطاج خلال حملة أغاطوكليس[11]، ومسرحا للصراع الذي اندلع بين قرطاج والأفارقة عقب نهاية الحرب البونية الأولى سنة 238 ق.م[12]، رغم أنها رفضت المشاركة إلى جانب الأفارقة في ثورتهم ضد قرطاج. كما كانت من بين المدن الإفريقية

انظر ما ورد في نصوص ديودوروس الصقلي بهذا الشأن:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 17 et 59, STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 16(Aspis).

1- POLYBE, *Histoires*, I, 29, 7 ; APPIAN, *PW*, VIII, 3.

2- Id, ibid., VIII, 33.

3- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 171.

4- FANTAR, M.-H., *Kerkouane, une cité punique au Cap Bon*, p. 138.

5- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 374.

6- POLYBE, *Histoires*, III, 24, 3-13.

7- Id, ibid., VII, 9, 1-17.

8- APPIAN, *PW*, VIII, 75.

9- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 15.

10- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 94F, 111M.

11- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 54.

12- POLYBE, *Histoires*, I, 70, 9 ; CORNÉLIUS NÉPOS, *Hamilcar*, XXII, 2, 4.

التي غزاها الرومان خلال الحرب البونيتين الأولى والثانية[1]، بحيث لم تستسلم إلا سنة 149 ق.م[2]، أي بعدما خضعت أغلب مدن المجال القرطاجي الإفريقي للسيطرة الرومانية. ومن هنا يمكن تفسير ذكر اسم المدينة ضمن المعاهدات المذكورة أعلاه بتبعيتها لقرطاج أكثر من أي شيء آخر، وعدم قدرتها على عقد اتفاقيات منفردة مع قوى أجنبية، خصوصا وأنه كان لسكانها نفس القوانين التي يتبعها القرطاجيون حسب ما ذكر بوليبيوس[3].

كما كانت مدينة هيبو دياريتوس *(Hippo Diarrhytus)*[4]، التي تحدث عنها بلينيوس القديم[5]، تابعة أيضا لقرطاج إذا صح أنها هي مدينة هيبو أكرا *(Hippo Acra)*[6] التي اقتحمها جيش أغاطوكليس حسب نص ديودوروس الصقلي[7]، وتعرضت لهجوم من طرف الروماني سكيبيو إيميليانوس حوالي 203 ق.م[8]. وتعد تبعيتها لقرطاج أمرا منطقيا بالنظر لموقع المدينة القريب من العاصمة البونية، فضلا عن مطابقتها بمدينة بنزرت الحالية التي تنطبق عليها الأوصاف التي ذكرها ديودوروس الصقلي[9]. وتعزز ذلك بالعثور على بقايا بونية بموقع المدينة أرخت بالقرن 4 ق.م[10].

أما بالنسبة للمناطق الواقعة غرب قرطاج، أي داخل البلاد وتحديدا مناطق وسط وغرب تونس الحالية، فقد شكلت جزءا من المجال الإفريقي التابع للدولة القرطاجية كما يبدو من المعلومات المستقاة مما ذكرنا سالفا عن الخنادق الفينيقية والملكية والمقاطعات الرومانية. وتمثل ثوگا[11] التي لا تبعد عن قرطاج سوى ب 120 كلم من أهم مدن ذلك المجال،

1- POLYBE, *Histoires*, XIV, 1a, 2; TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 34, 3; APPIAN, *PW*, VIII, 30.

2- APPIAN, *PW*, VIII, 75.

3- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 5.

4- تمت مطابقتها ببنزرت (Bizerte) الحالية على بعد 65 كلم شمالي تونس العاصمة، وهي مدينة قديمة أطلق عليها الرومان اسم هيبو دياريتوس (Hippo Diarrhytus)، وهيبو زاريتوس (Hippo Zarytus)، وبالإغريقية ايبون دياريتووس (Ἱππὼν διάρρυτος).

5- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 23.

6- تُوطّن هيبو أكرا أيضا بموقع مدينة بنزرت الحالية.

7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.

8- APPIAN, *PW*, VIII, 30.

9- GSELL S., *HAAN*, T. III, p. 47 et 101.

10- CHELBI F., Prospection archéologique dans la région de Bizerte (année 1986), dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 71-83, p.71 ; LANCEL S., *Carthage*, p. 111.

11- تحمل المدينة في النقائش اللاتينية اسم دُگا(Dougga)، وأحيانا ثوگا(Thougga) التي توافق دقة الحالية. غير أننا لا زلنا نجهل لحد الآن النطق الحقيقي للاسم، وأصله. فقد أعطتنا النقائش المزدوجة التي عثر عليها بالمنطقة اسم المدينة بالحروف البونية. وقد قُرأ الاسم من طرف الباحثين بصيغ مختلفة مثل «ت ب ك ك» حسب فيفريي، أو «ت وب ك» حسب مارصي،

حيث يتضح من خلال شجرة أنساب حكام المدينة، ومؤسساتها البلدية[1] أنها كانت تابعة لقرطاج على الأقل خلال منتصف القرن 3 ق.م[2]، وربما منذ فترات أقدم إذا صحت المطابقة بينها وبين مدينة ثوگاي *(Toci)*[3] التي أشار إليها ديودوروس الصقلي من بين المناطق الواقعة بداخل الأراضي، وتحدث عن اقتحامها من طرف أغاطوكليس مع نهاية القرن 4 ق.م[4].

لم تشر المصادر الإغريقية واللاتينية إلى مدينة مكثر، أي مكثريس القديمة *(Mactaris)* التي تقع بداخل البلاد، ولا تبعد عن قرطاج سوى بحوالي 150 كلم، غير أن وفرة النقائش البونية يطرح مسألة تبعيتها لقرطاج، خصوصا وأن هناك نقيشة لاتينية عثر عليها بالموقع تشير إلى ما يفيد ذلك[5]. وينطبق نفس الشيء على مدينة زاما[6] التي دارت بها المعارك التي وضعت حدا للحرب البونية الثانية[7]. ويبدو من وصف بوليبيوس لمجريات الحرب البونية الثانية بإفريقيا، أن بلاريجيا، الواقعة بالحوض الأسفل لمجردة (جنوب باجة)، كانت من بين المدن التي انتزعها الرومان من القرطاجيين سنة 203 ق.م دون أن تُذكر بالاسم[8]. وكانت من

أو «ت وب ك ك» حسب شابو. لمزيد من التفاصيل راجع الأبحاث التالية:

- FÉVRIER J.-G., Que savons-nous du libyque, dans *Rev. Afr.*, T. C, 1956, pp. 263-273, p. 273 ; MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, Cahiers de la société asiatique, V, Imprimerie nationale, Paris, 1936, insc. n° 5; CHABOT J.-B., Fantaisies libyque, dans *Rev. Afr.*, T. LXXX, n°371, 2è Trimestre, 1937, pp. 129-141, p. 132.

1- CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, dans *JA*, T. XVII, n°1, Janvier-mars 1921, pp. 67-96, p. 85.

2- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 136 ; GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 355.

3- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 74.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.

5- LANCEL, S., et PICARD, G.-Ch., Mactar, dans *DCPP*, pp. 270-271.

6- تحدثت المصادر عن ثلاثة مدن تحمل اسم زاما، وهي زاما مينور (Zama Minor)، أي الصغرى، وزاما ماجور (Zama Major)، أي الكبرى، وزاما ركيا (Zama Regia). مما يطرح صعوبة توطين المدينة بالضبط، ومعرفة المنطقة التي دارت بها معارك 201 ق.م بين القرطاجيين والرومان، غير أن أهمية الوثائق الأثرية التي تم العثور عليها بموقع جاما (Jama)، حوالي 8 كيلومترات غرب مدينة سليانة الحالية، يرجح أن يكون هو نفسه موقع مدينة زاما التي انهزم بها حنبعل. راجع بهذا الخصوص المقال التالي:

- SAUMAGNE, Ch., Zama regia, dans *Rev. Tun.*, 1è, 2è et 3è Trimestres n° 45-46-47, 1941, pp. 235-269, passim.

7- APPIAN, *PW*, VIII, 36.

8- POLYBE, *Histoires*, XIV, 9.

ضمن المناطق التي اقتطعها مسنيسا من ممتلكات القرطاجيين خلال منتصف القرن 2 ق.م[1]، حيث يرجح أنه اتخذها عاصمة لمملكته منذ 156 ق.م. ويستفاد من المعطيات الأثرية التي كشف عنها موقع المدينة أنها خضعت للحكم القرطاجي، على الأقل، خلال القرن 3 ق.م[2].

إذن، ينحصر المجال القرطاجي الإفريقي من خلال دراسة آثار المقاطعات الرومانية من جهة الغرب بمقاطعتي السهول الكبرى (سوق الأربعاء، وسوق الخميس وباجة)، وتوسكا بالمناطق المجاورة لثوگا، أو مكثر، بينما تشكل مقاطعة البيزاكيوم آخر الممتلكات القرطاجية جهة الجنوب. ويتضح من خلال تجميع معطيات المقاطعات الرومانية والمعلومات المتوفرة حول الخنادق الفينيقية أننا إزاء مجال ضيق يوافق من جهة الشمال والغرب الحدود التونسية الجزائرية حاليا. وذلك انطلاقا من طبرقة، مرورا بوسط تونس، ووصولا من جهة الجنوب والشرق إلى صفاقس بالساحل الشرقي التونسي، أي نصف البلاد التونسية تقريبا (انظر الخريطة رقم 1). ومن هنا تُطرح الحاجة إلى تعميق البحث في حدود المجال القرطاجي الإفريقي من خلال استحضار جميع المعطيات التي من شأنها إماطة اللثام عن هذا الجانب المستعصي من التاريخ القرطاجي.

2-2 - مقاربة جديدة لإشكالية المجال السياسي لقرطاج:

يتضح مما سبق أن محاولات تحديد المجال القرطاجي الإفريقي قد استندت بالأساس إلى إفادات الوثائق الرومانية، سواء من خلال النصوص القديمة، أو بقايا الخنادق الدفاعية والتقسيم الإداري الروماني، وهي الوثائق التي تُسجل بشأنها ملاحظات نقدية أساسية.

أ- ضعف إفادات الخنادق الدفاعية والتقسيم الإداري الروماني:

تتمثل أهم ملاحظة يمكن إبداؤها بخصوص إمكانية تحديد المجال القرطاجي الإفريقي اعتمادا على المعلومات المتوفرة حول الخنادق الدفاعية التي حُفرت بالمنطقة، أو المعلومات التي وصلتنا حول التقسيم الإداري الروماني، في كون الأبحاث الأثرية لم تحرز تقدما ملموسا لكشف آثار الخنادق المذكورة في النصوص القديمة نظرا لقلة الحفريات الأثرية بالخصوص في وسط وغرب تونس. فلا يمكن ادعاء توفر معطيات أثرية متكاملة لإثبات وجود الخنادق

1- APPIAN, *PW*, VIII, 68.
2- THÉBERT Y., Bulla regia, p. 1649.

الفينيقية التي تحدث عنها أبيانوس. إذ لم يشر كتاب آخرون إلي وجود تلك الخنادق، وتاريخ إنشائها. فبوليبوس-على سبيل المثال-الذي عاصر الصراع القرطاجي الروماني، وقدم معلومات وفيرة حوله، وأورد شروط معاهدة سنة 201[3]، لم يشر قط إلى الخنادق التي ذكرها أبيانوس. ولذلك، لا نستبعد أن الخنادق التي أشار إليها هذا الأخير، ربما، لم تكن موجودة أصلا، وأن أبيانوس- الذي عُرف بتحيزه للرومان- ربما تعمد إقحام تأويله الخاص للبنود التي تضمنتها معاهدة 201 ق.م.

وكيفما كان الأمر، فإن الحدود المفترضة للخنادق الفينيقية-إن وُجدت بالفعل-لا تعطي سوى فكرة عن الوضع الميداني الذي أعقب هزيمة القرطاجيين في زاما وتوقيع معاهدة السلم بعد حرب طاحنة ضد الرومان، انهزمت خلالها قرطاج، وفقدت معظم أقاليمها، لا سيّما تلك المتاخمة للمملكة النوميدية. وقد نتج ذلك بالخصوص عن اشتداد طوق الحصار على قرطاج بتحالف مسنيسا مع الرومان، وتزايد أطماعه في ضم المجال القرطاجي. ولهذا يظهر أن الحدود التي رسمتها معاهدة 201 ق.م لا تمثل أقصى امتداد للمجال القرطاجي الإفريقي الذي نجم عن توسع المدينة بمجالها الإفريقي منذ القرن6 ق.م، وخصوصا خلال القرنين 5 و4 ق.م، وإنما تكشف عن المناطق التي بقيت بحوزة قرطاج عقب نهاية الحرب البونية الثانية.

أما بالنسبة لإفادة معطيات الخنادق الملكية التي أنشأها سكيبيو إيمليان سنة 146 ق.م، فإن آثارها لا تتعدى بعض العلامات الحدودية[4] التي عثر عليها في بعض المناطق، والتي تؤرخ بعصر الإمبراطور الروماني فسبزيان *(Vespasien)*، أي لما أراد هذا الأخير تعيين حدود ولاية إفريقية. وقد أمكن تحديد جزء من مسار تلك الحدود إذا اعتبرنا أنها اتبعت نفس مسار الخنادق الملكية التي حُفرت سنة 146 ق.م[5]. غير أن المسار المعروف لحد الآن انطلاقا من بقايا العلامات الحدودية لا يتعدى الجزء الممتد شمالا من موقع هنشير *Barhala* جنوب غرب تستور، وجنوبا أبثوكنوس *(Abthugnos)* بهنشير صوار جنوب جبل فكيرين (بولاية زغوان وسط تونس)، بينما لم يُعثر في شمال وجنوب المواقع المذكورة أعلاه على أية معطيات

3- POLYBE, *Histoires*, III, 6, 9.

4- هذه العلامات (Bornes) هي عبارة عن كتل حجرية مربعة الزوايا بأحجام متباينة، يتجاوز ارتفاعها أحيانا 2.20 متر. للمزيد راجع:

- FERCHIOU N., Fossa Regia, *Ency. Berb.*, 19, 1998, pp. p. 2897-2911, pssim.

5- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 675.

أخرى قد تسعف في معرفة الحدود الحقيقية للخنادق الملكية[1].

من الواضح، إذن، أن معطيات الخنادق الملكية لا تعكس بدورها المجال القرطاجي الإفريقي الذي كان تابعا للدولة القرطاجية لأن الأمر يتعلق بحدود جد متأخرة، حيث حُفرت تلك الخنادق بعدما تعرض المجال القرطاجي لاقتطاعات كبيرة خلال الحربين البونيتين الثانية[2]، والثالثة، سواء من طرف الرومان بالمناطق الشمالية والغربية[3]، أو من طرف مسنيسا الذي توسع بالمناطق الغربية للمجال القرطاجي، وبمنطقة الأمبوريات الواقعة بين السرتين الصغرى والكبرى حسب إفادات بوليبيوس وتيتوس-ليفيوس في تاريخ غير متطابق[4].

من ناحية أخرى، لا تبدو محاولات البحث عن حدود المجال القرطاجي الإفريقي من خلال المقاطعات الرومانية موفقة لما في ذلك من احتمال الوقوع في الإسقاطات التاريخية، لأن التقسيم الروماني يعود إلى الفترة الإمبراطورية، وليس لدينا ما يثبت أن المقاطعات الرومانية المنتمية لفترة متأخرة كانت مقاطعات قرطاجية قديمة[5]، أو أنها تعكس بالفعل حدود المجال القرطاجي الإفريقي[6]. ومن هنا تُطرح ضرورة مراعاة السياق التاريخي العام الذي يستلزم البحث عن حدود المجال القرطاجي بإفريقيا خلال فترة ازدهار الدولة القرطاجية، وليس انطلاقا من المعطيات المنتمية زمنيا لفترة تراجع قرطاج وتعاظم الأطماع الرومانية والنوميدية في قضم المجال الإفريقي الذي توسعت به المدينة الإفريقية منذ فترات قديمة.

ب- امتداد المجال القرطاجي إلى سواحل السرت:

هناك معطيات تاريخية أخرى تسمح بأخذ فكرة أوضح عن المجال القرطاجي الإفريقي في أوسع امتداداته، ما يبين بوضوح أنه تجاوز بكثير الحدود التي رُسمت في بعض الدراسات اعتمادا على معطيات الخنادق القديمة والتقسيم الإداري الروماني لولاية إفريقية. لقد امتد النفوذ القرطاجي المباشر بمناطق شمال ووسط وغرب تونس ليتعدى الحدود التي أقرتها معاهدة 201 ق.م. فقد عثر قرب مدينة عنابة بالجزائر على آثار مدينة هيبو ريگيوس

1- FERCHIOU N., Nouvelles données sur un fossé inconnu en Afrique proconsulaire et sur la fossa regia, p. 362.

2- APPIAN, *PW*, VIII, 23 et 39

3- TITE-LIVE, *HR*, XXX, 8; POLYBE, *Histoires*, XIV, 9, 3-4.

4- انظر نصوص بوليبيوس وتيتوس-ليفيوس في الهوامش رقم 264، 265 و266، الصفحة 77.

5- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 675.

6- SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 598.

(Hippo Regius) التي أشار إليها الكتاب اللاتينيون[1]، ويرجح أنها توافق المدينة التي أشار إليها ديودوروس الصقلي قرب البحر باسم هيبو أكرا[2] (يتعلق الأمر هنا بمدينة أخرى تحمل نفس الاسم غير تلك التي تمت مطابقتها ببنزرت بتونس)، والتي تعد من بين المناطق التي كانت تابعة لقرطاج عندما اقتحمها أغاطوكليس مع نهاية القرن 4 ق.م[3].

كما لا يستبعد أن تكون هيبو ريگيوس هي نفسها مدينة هيبو *(Hippou)* التي أشار إليها ديودوروس الصقلي كذلك، وتحدث عن وجود القرطاجيين بها في نص يؤرخ بحوالي 379 ق.م[4]. كما ذكرها تيتوس-ليفيوس أيضا باسمي هيبو[5]، وهيبوريگيوس[6]. لقد كانت المدينة من بين المناطق التي دافعت عنها قرطاج خلال الحرب البونية الثانية[7]. أما أثريا، فقد عثر بالموقع على بقايا الخزف الأتيكي العائد إلى القرن 5 ق.م[8]، وآثار بونية أرخت بنهاية القرن 3 ق.م[9]. واعتبر الباحثون تلك البقايا كافية لتأكيد ما ورد في النصوص القديمة حول تبعية المدينة للحكم القرطاجي على الأقل قبل سنة 200 ق.م[10].

لقد كانت المدينة محل صراع بين قرطاج والممالك النوميدية باعتبارها جزءا المناطق التي ظلت موضوع النزاع القرطاجي النوميدي الذي استمر إلى غاية سقوط قرطاج. فقد اعتبر ستيفان كسيل أن نعت الملكية *(Regius)* الذي يدخل في تركيب اسم المدينة يعكس مفارقة تاريخية لأن المدينة في نظره لم تخضع لحكم مملكة نوميدية[11]. بينما يرى غابرييل كامبس أن لفظ «الملكية» هو نعت، وليست اسما للموصوف، وبالتالي فاسم المدينة لا يتضمن-في الواقع-معنى «المدينة الملكية» بقدر ما يشير إلى علاقة معينة للملك بالمدينة

1- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 22.
2- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 38 ; GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 95 et 149.
3- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.
4- Id, ibid., XV, 24.
5- TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 32, 14.
6- Id, ibid., XXXIX, 3, 7.
7- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 239.
8- CAMPS G., Annaba, dans *Ency. Berb.*, T. V, Aix-en-Provence, France, 1988, pp. 675-678, p. 675
9- LIPINSKI E., Sites «phénico-puniques» de la côte algérienne, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 287-323, p. 278.
10- Ibid., p. 289 ; CAMPS G., Annaba,, p. 677.
11- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 149.

دون أن تكون بالضرورة عاصمة لملكه[1]. غير أننا لا نتوفر على أدلة كافية حول صلة المدينة خلال فترة معينة من تاريخها بالملوك النوميديين، سواء قبل إخضاعها من طرف القرطاجيين، أو بعد انتزاعها منهم ربما خلال عصر مسنيسا، ومن المرجح أنها أصبحت مدينة ملكية خلال عهد هذا الملك النوميدي[2].

ويمثل نص أبيانوس الذي تحدث فيه عن انسحاب القرطاجيين من المواقع الموجودة خارج الخنادق الفينيقية بمقتضى معاهدة 201 ق.م[3] دليلا واضحا على أن المجال القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا كان يتعدى حدود ما يسمى ب «الخنادق الفينيقية». فإذا أخذنا بعين الاعتبار أحداث حملة أغاطوكليس على المجال الإفريقي التابع لقرطاج لوجدنا أن القرطاجيين قد قسموا جيشهم، في إطار تنظيم الدفاع عن مجالهم، إلى ثلاثة أقسام فأرسلوا- حسب إفادة ديودوروس الصقلي-فرقتين من الجيش للدفاع عن داخل الأراضي، والبلاد المرتفعة[4]. ويبدو أن الأمر يتعلق بوسط تونس، وربما بمناطق شمال تونس وشرق الجزائر، حيث الطابع الجبلي[5]. فقد سيطر القائد الإغريقي على مدن فليني *(Phélliné)*، ومشلا *(Maschela)*، وأكرا هيبو *(Acra Hippou)*، وملتين *(Meltine)*، وأكريس (Acris). وذكر ديودوروس الصقلي أن المدينة الأخيرة كانت مستقلة[6] مما يعني أن المدن الأخرى التي ذكرها كانت تابعة للحكم القرطاجي[7].

ويبدو أن مجال المدن المذكورة يقع بالحدود التونسية الجزائرية حاليا، خصوصا إذا ما اعتبرنا أن أكريس تُوطّن بالجزائر[8]، وأن النفوذ القرطاجي قد امتد إلى مناطق تقع جنوب هذا المجال. فقد قام القائد القرطاجي حانون حوالي 247 ق.م بإخضاع مدينة هيكتومبيلوس *(Hecatompylus)*[9]، ويرجح أن الأمر يتعلق بمدينة تبسة بالجنوب الشرقي للجزائر[10] إذا

1- CAMPS G., Les cités numides et maures, dans *Ency. Berb.*, T. XIII, Aix-en-Provence, France, 1994, pp.1980-1989, p. 1986-1987.
2- LIPINSKI E., Sites «phénico-puniques» de la côte algérienne, p. 288.
3- APPIAN, *PW*, VIII, 32.
4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.
5- GSELL S., *HAAN*, T. III, p. 53.
6- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.
7- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 95.
8- Ibidem.
9- DIODORE DE SICILE, *BH*, IV, 18.
10- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 96.

أخذنا بعين الاعتبار نص القديس جيروم، ومفاده أن مدينة ثيفست *(Theveste)*، أي تبسة، كانت تحمل سابقا اسم هيكتومبيلوس[1]. وتُعزز بقايا موقع قسطل (على بعد 40 كلم شمال تبسة)، فرضية توطين تبسة التي تحدث عنها ديودوروس الصقلي بالمنطقة[2]. وتبعا لذلك، لا يستبعد امتداد النفوذ القرطاجي إلى مدينة تاكابيتانوس *(Takapitanus)*، قابس الحالية[3]، الواقعة جنوبا بحكم قربها من الممتلكات القرطاجية، ونظرا لأهميتها في مجال التجارة التي تحظى عند القرطاجيين بأهمية بالغة[4].

يتضح مما سبق عرضه من معطيات أن المجال القرطاجي قد امتد خارج حدود الخنادق الفينيقية التي تمت الإشارة إليها خلال تطرقنا لمعاهدة 201 ق.م، وبالتالي لا يمكننا اعتبار تلك الخنادق بمثابة أوسع امتداد للمجال السياسي القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا. فالمجال القرطاجي لم يكن ثابتا، ذلك أن الحد الفاصل بين الممتلكات القرطاجية والنوميدية ظل يتغير باستمرار تبعا لتغير موازين القوة في الصراع الذي كان محتدما بين قرطاج والملوك النوميديين. فقد تحدثت المصادر الأدبية بإسهاب عن رغبة قرطاج في توسيع حدودها الغربية على حساب النوميديين[5]، وهناك وقائع كثيرة يصعب حصرها لأطوار تلك الرغبة والصراع الذي ترتب عنها، ولعل من أبرزها قيام القرطاجيين بتوسيع مجالهم غربا إثر الحرب الإفريقية(حرب المرتزقة) التي اندلعت سنة 238 ق .م. فقد أخبرنا أبيانوس وكورنيليوس نيبوس أن القائد القرطاجي أملقار، الذي قضى على ثورة الأفارقة، قام بتوسيع الحدود القرطاجية بالبلاد النوميدية[6].

وفي هذا السياق نشير إلى وضعية مدينة سيگا *(Sicca)*[7]، التي تقع عمليا خارج حدود الخنادق الفينيقية، حيث يتضح أنها أصبحت تابعة للقرطاجيين على الأقل منذ 241 ق.م كما

1- SAINT-JERÖME, *Commentaire de la lettre de Saint Paul aux Galats*, 2.

2- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 43.

3- أطلق الرومان على قابس (Tacapé) تسمية تاكابيتانوس (Takapitanus)، ويبدو أن الأمر يتعلق بموقع ليبي قديم وصل إليه الفينيقيون، ثم خضع خلال فترة زمنية غير محددة لقرطاج، وبقي كذلك إلى غاية القرن 2 ق.م.

4- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 98.

5- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 38.

6- CORNÉLIUS NÉPOS, *Hamilcar*, XXII, 2, 5 ; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 4, 15-16.

7- يبقى تحديد موقع سيگا صعبا، والراجح أنها توافق مدينة الكاف (Kef) بشمال غرب تونس. للمزيد من المعلومات راجع: BESCHAOUCH A., Le territoire de Sicca Veneria (El-Kef), nouvelle Cirta, en Numidie proconsulaire (Tunisie), dans *CRAI*, Année 1981, 125-1 pp. 105-122, p. 105 ; KALLALA N., De Sicca au Kef (au nord-ouest de la Tunisie), histoire d'un toponyme, dans *Africa*, n° XVIII, mai 2000, p. 77-104, p. 78.

يتضح من إشارة بوليبيوس إلى قيام قرطاج بإرسال فرق المرتزقة العائدين من صقلية إليها[1]، ومن إشارة فليريوس مكسيموس *(Valerius Maximus)* إلى النساء البونيات بمعبد فينوس بالمدينة[2].

إذن، وعلى خلاف ما يستفاد من إفادات الخنادق الدفاعية والتقسيم الإداري الروماني، يتضح أن النفوذ السياسي لقرطاج قد امتد جهة الغرب والجنوب، وبشكل تدريجي على حساب النوميديين المجاورين للمجال القرطاجي الإفريقي قبل أن يضيق مجال الممتلكات القرطاجية بالمنطقة خلال الحرب البونية الثانية بسبب التدخل الروماني، وتوسعات نوميديا الشرقية منذ محاولات الملك كايا الذي اقتطع من القرطاجيين مجالا مهما أعاده إليهم صوفاكس فيما بعد، ووصولا إلى توسعات مسنيسا بالمنطقة. غير أن المجال القرطاجي بالمنطقة لم يتعد على ما يبدو مدينة مادور *(Madaure)*[3] التي كانت تابعة بشكل أكيد للملك صوفاكس[4]، كما لم يشمل سيرتا *(Cirta)*[5] التي كانت عاصمة للملك النوميدي[6].

ج- المجال القرطاجي بسواحل السرت الصغرى والكبرى:

سبق أن رأينا أن الأبحاث التي اهتمت بموضوع المجال القرطاجي الإفريقي لم تر إمكانية لاتساع ذلك المجال جنوب صفاقس على الساحل الشرقي التونسي، وذلك انطلاقا مما ورد في النصوص الإغريقية واللاتينية حول الخنادق الدفاعية والمقاطعات الرومانية. ويبدو أن حصر المجال التابع بشكل مباشر للدولة القرطاجية في هذا النطاق المحدود راجع بالأساس إلى التركيز-عند دراسة المجال القرطاجي-على عامل القرب من قرطاج، والاعتماد على معطيات الفترة المتأخرة من التاريخ القرطاجي، وخصوصا خلال فترة الحروب البونية، حيث أصبحت معلوماتنا أوفر إذا ما قورنت بمعطياتنا حول الوجود القرطاجي في المناطق البعيدة عن قرطاج، وخاصة تلك الواقعة بين السرت الصغرى والكبرى.

1- POLYBE, *Histoires*, I, 66, 6.

2- VALÈRE MAXIME, II, 6, 15.

3- تقع مادور القديمة على بعد 7 كيلومترات من بلدية مداوروش الحالية بوسط ولاية سوق أهراس بشرق الجزائر.

4- APULÉE DE MADAURE, *Apologie*, 24 cité par GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 98.

5- توافق مدينة قسنطينة بشرق الجزائر. للمزيد حول الموضوع:

- BERTRANDY F., Cirta, dans *Ency. Berb.*, T. XIII, Édisud, Aix-en-Provence, France, 1994, pp. 1964-1977, passim.

6- APPIAN, *PW*, VIII, 27 ; TITE-LIVE, *HR*, XXX, 12, 3.

والراجح أن ثمة عوامل ساهمت في عدم تسليط الضوء على تاريخ تلك المناطق وعلاقتها بقرطاج في النصوص التاريخية. منها أن المناطق الواقعة شرق السرت الصغرى ظلت بِمَنْأىً عن الصراع الروماني القرطاجي، فضلا عن عوامل اقتصادية ترتبط بضعف مؤهلات ذلك المجال كما يتضح من قلة الموانئ به[1]، وصعوبات الإبحار، خاصة بساحل السرت الكبرى[2]، إضافة إلى عامل طبيعي يتمثل في طغيان الجفاف بالمنطقة[3]. وذلك على الرغم من التناقض الذي يطبع معلومات القدامى بخصوص ذلك المجال، فقد رأينا سابقا أن بوليبيوس وصف مجال الأمبوريات بالغنى من حيث مداخيله ومحاصيل[4]، وهو الأمر الذي نجده عند تيتوس-ليفيوس أيضا[5].

يعد هيرودوتوس أول من تحدث عن مناطق السرت، وذلك منذ القرن 5 ق.م، فركز على عادات وطبائع سكانها[6]، دون أن يولي اهتماما كبيرا لعلاقاتها بقرطاج، إذ تبدو المنطقة في كتابات المؤرخ الإغريقي كما لو كانت مستقلة عن الدولة القرطاجية، أو لم يشملها التوسع القرطاجي خلال فترة تدوين كتاباته حول المنطقة. فسر ستيفان خلو كتابات هيرودوتوس عن المنطقة من أية إشارات لطبيعة علاقاتها بقرطاج بكون الأخيرة لم تكن قد توسعت بالمنطقة خلال عصر المؤرخ الإغريقي لأنها لم تكن قد تخلصت بعد من دفع الإتاوة لليبيين المجاورين لها[7]، وأن المنطقة، بالتالي، لم تكن خاضعة للقرطاجيين خلال الفترة التي جُمعت فيها نصوص هيرودوتوس حول المنطقة.

يبقى هذا التفسير افتراضيا لعدة اعتبارات منها أننا لسنا واثقين من أن كل معلومات هيرودوتوس قد جُمعت في حياته، إذ لا يستبعد اعتماده على مصادر سابقة على عصره، بالإضافة إلى تلك التي جمعها هو بنفسه كما يتضح على سبيل المثال من ذكره لحادثة طرد الإسبرطي دوريوس من السرت الكبرى، والتي تؤرخ بحوالي 515 ق.م. لقد أقر المؤرخ الإغريقي بأنه استقى معلوماته من ليبيين وجدهم بمصر، ومن القرطاجيين أيضا. ذلك أن تقديم تلك

1- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 18.
2- Id, ibid., XVII, 3, 20.
3- GSELL S., *HAAN*, T. III, p. 211.
4- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 4.
5- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 3,
6- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 168-195.
7- GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915, pp. 113.

المعلومات الغزيرة من طرف مؤرخ لم يزر المنطقة يطرح احتمال اعتماده بكثرة على معلومات القرطاجيين في كتاباته حولها، وبالتالي احتمال اتصال القرطاجيين بسكان مناطق السرت منذ فترة قديمة. ينضاف إلى ذلك أيضا أن المؤرخ الإغريقي لم يهتم كثيرا بالحدود السياسية للمجال الشمال إفريقي بقدر تركيزه على الجوانب الجغرافية والبشرية والثقافية.

ورغم أهمية الملاحظات المشار إليها أعلاه، فإن أقدم نص يشير إلى الوجود القرطاجي بالمنطقة نجده عند هيرودوتوس نفسه لما تحدث عن تدخل قرطاج لطرد الأمير الإسبرطي دوريوس *(Dorieus)* من منطقة كينوبس *(Kinyps)*[1] على ساحل السرت الكبرى، ومنعه من إقامة مستوطنة إغريقية هناك[2]. ويرى عدد من الباحثين أن ذلك يمثل دليلا على مراقبة قرطاج للمنطقة[3]. إن تدخل القرطاجيين للدفاع عن منطقة السرت يعني أنهم كانوا يشرفون عليها خلال أواخر القرن 6 ق.م، وهو أمر منطقي بالنظر للطابع الساحلي لتلك المناطق، وأهميتها بالنسبة للتجارة القرطاجية.

فإذا لم تكن سواحل السرت الكبرى تابعة بشكل مباشر للسيطرة القرطاجية خلال تلك الفترة، فالراجح، على الأقل، أن تحالفا مهما قد جمع القرطاجيين بسكان تلك المناطق مما مهد لتوسيع النفوذ القرطاجي بها فيما بعد. ولعل هذا ما يستفاد من تجنيد سكان المنطقة بالجيش القرطاجي. فقد أشار إليهم سيليوس إيطاليكوس ضمن جيش حنبعل باسم الكينوفيين *(Cinyphii)* نسبة إلى واد كينوبس[4]. وعلاوة على ذلك، فقد تحدث الجغرافي الإغريقي سترابون *(Strábôn)*، في نص يصعب تأريخه، عن إنشاء القرطاجيين لجسر على وادي كينوبس[5] بالسرت.

1- يقع نهر كينوبس، حسب أوصاف هيرودوتوس، شرق لمطة الكبرى، أي لبدة الحالية بليبيا. ومع ذلك، يبقى من الصعب توطين النهر بدقة، ومطابقته بالأنهار الموجودة حاليا بالمنطقة انطلاقا من المسافات الواردة عند هيرودوتوس. فقد طابق ستيفان كسيل بينه وبين وادي كعام (Oued el-Caàm)، ولعله قصد عين كعام. ويسمى أيضا وادي تارغلات ويقع شرق مدينة زلطن الحالية بليبيا، على بعد حوالي 75 كلم غرب رأس مصراتة، و18 كلم شرق لبدة. وهناك من وطّنه بواد أوكيري (Oued Oukirré) بجنوب شرق موقع لبدة الكبرى، أو واد لمغار كرين. لمزيد من التفاصيل انظر:

- أعشي(مصطفى)، أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ)، ترجمة وتعليق، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الترجمة رقم 13، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص. 49، هامش رقم 36.

- GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, op. cit.,p. 90 .

2- HÉRODOTE, *Histoires*, V, 42.

3- LANCEL S., *Carthage*, p. 278 ; SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 597.

4- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, II, 60.

5- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 18.

ويتضح هذا الأمر أكثر من خلال إفادات المعاهدات التي وقعتها قرطاج مع روما، وخصوصا معاهدتي 509 و 348 ق.م، حيث أكدت شروطهما تبعية مجموع السواحل الممتدة جنوب رأس بون/الرأس الطيب (بالساحل الشرقي التونسي) لقرطاج. ولا يستبعد أن مناطق السرت كانت من ضمن المجال الذي يشمله المنع المفروض على الرومان بمقتضى المعاهدتين لأن بنود المعاهدتين لم تشر إلى حد جنوبي أو شرقي للمجال الممتد جنوب رأس بون/الرأس الطيب. وتعزز المعلومات التي ذكرها ديودوروس الصقلي بشأن أحداث حملة السيراكوزي أغاطوكليس خلال نهاية القرن 4 ق.م فكرة امتداد المجال القرطاجي ليشمل المناطق الممتدة إلى الجنوب والجنوب الغربي لصفاقس، والمقصود بذلك السواحل الممتدة بين السرت الصغرى والكبرى.

لقد ذكر ديودوروس الصقلي أن قسما من الجيش القرطاجي توجه للدفاع عن المدن البحرية[1] ضد أغاطوكليس الذي هاجم حوالي مائتي مدينة بالمنطقة[2]، وأضاف أن الجانبين وقعا معاهدة استعادت قرطاج بمقتضاها مدنها المحتلة[3]. ولا يظهر أن المجال الساحلي الممتد بين قرطاج ومدينة تايناي (صفاقس) كان يشمل ذلك العدد الكبير من المدن الواردة في نص ديودوروس الصقلي، خصوصا وأن سترابون لم يذكر إلا عددا قليلا من المدن بتلك المناطق[4] مقابل إشارته لعدد مهم من المدن بالسواحل الممتدة بين السرت الصغرى والكبرى[5] انطلاقا من مدينة زوكيس *(Zuchis)*، جرجيس على الأرجح[6]. ومن هنا لا يستبعد امتداد الصراع القرطاجي السيراكوزي ليشمل مناطق السرت، خاصة إذا استحضرنا ما ورد في النصوص القديمة حول منطقة الأمبوريات.

تحدث معظم الكتاب القدامى عن منطقة الأمبوريات (ساحل الوكالات التجارية)[7]، وأشاروا إلى تشبث قرطاج بأحقيتها في السيطرة عليها. فقد نقل لنا بوليبيوس الحجج التي قدمها

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 59.
2- Id, ibid., XX, 17.
3- Id, ibid., XX, 69.
4- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 16.
5- Id, ibid., XVII, 3, 18.
6- ذكر سترابون أن المدينة توجد بالقرب من بحيرة تحمل نفس الاسم، وتقع بعد السرت الصغرى، وتشتهر بأوراش صناعة الصباغ الأرجواني، وتمليح السمك. وتبقى مطابقتها بجرجيس الحالية مجرد فرضية تعوزها الأدلة الكافية.
7- POLYBE, *Histoires*, I, 82, 6 ; id, ibid., III, 23, 2 ; TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 25; 33 et 62; APPIAN, *PW*, VIII, 72 et 79.

المبعوثون القرطاجيون أمام مجلس الشيوخ الروماني لإثبات تبعية المنطقة لقرطاج، ومنها أن مسنيسا كان قد طلب منهم عبور منطقة الأمبوريات لتعقب أحد المتمردين النوميديين يدعى أفثيرات *(Aphthérate)* فوافقوا على ذلك، معتبرين الأمر حجة تثبت أحقيتهم في المنطقة[1]، وقد ذكر تيتوس-ليفيوس نفس المعطيات التي نقلها على ما يبدو عن بوليبيوس[2]. وأضاف تيتوس-ليفيوس حجة أخرى قدمها القرطاجيون لتأكيد ملكيتهم للمنطقة، وتتمثل في كونها جزءا من الحدود التي اختطها الروماني سكيبيون إيمليانوس لمجالهم عقب نهاية الحرب البونية الثانية[3].

وأورد بوليبيوس وتيتوس-ليفيوس معلومات تؤكد ملكية قرطاج للمنطقة، فقد أشار الأول إلى أن القرطاجيين كانوا يراقبون مدن منطقة الأمبوريات بحرص شديد[4]. وهو الأمر الذي ورد أيضا عند تيتوس-ليفيوس[5] في نص يعود لتاريخ مختلف (حوالي 165 ق.م) عن تاريخ نص بوليبيوس. كما أن مسنيسا نفسه، لم ينف من خلال خطاب مبعوثيه أمام مجلس الشيوخ الروماني تبعية منطقة الأمبوريات لقرطاج ما دام طلب منهم السماح له بالمرور عبرها لملاحقة المتمرد الذي سبقت الإشارة إليه، حيث مر بالسواحل إلى تخوم قورينا[6]. غير أن الملك النوميدي حاجج في ملكية أجداده للمنطقة على اعتبار أن القرطاجيين لم يتمكنوا من إثبات أنهم امتلكوها دون انقطاع[7]. وأشار بوليبيوس في نص أرخ بحوالي 161-162 ق.م إلى أن مسنيسا قد اقتحم بالفعل مناطق الأمبوريات[8]، بينما أشار أبيانوس، في تاريخ لاحق، إلى قبول قرطاج التخلي عن تلك المناطق لصالح الملك مسنيسا[9].

ومن أهم أدلة تبعية المنطقة للقرطاجيين كونهم ظلوا يعتمدون على مداخيلها من الناحية الاقتصادية. لقد أشار بوليبيوس إلى جلب القرطاجيين للمؤونة من المنطقة خلال الحرب الإفريقية سنة 238 ق.م[10]. كما ذكر تيتوس-ليفيوس ما يفيد أن سكان السرت الكبرى كانوا

1- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 7.
2- TITE-LIVE, HR, XXXIV, 62, 8.
3- Ibidem.
4- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 4.
5- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 8.
6- Id, Ibid, 62, 10.
7- Id, Ibid, 62, 11.
8- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 4.
9- APPIAN, *PW*, VIII, 72.
10- POLYBE, *Histoires*, I, 82, 6.

ملزمين بدفع إتاوات للدولة القرطاجية كما يتضح مثلا بالنسبة لسكان مدينة لبدة[1]. وتحدث بوليبيوس بدوره عن إلزام القرطاجيين فيما بعد برد تلك الإتاوات للملك مسنيسا[2] بعدما فقدوا السيطرة على جزء من المنطقة. كما كانت قرطاج تعتمد على منطقة الأمبوريات في تعبئة الجنود منذ نهاية القرن 5 ق.م كما يتضح من إشارة ديودوروس الصقلي[3]، وخلال الحروب البونية كما يستشف من نصوص بوليبيوس[4]، وسيليوس إيطاليكوس[5]. ويمكن اعتبار دفع الإتاوات[6]، وتقديم الجند[7] بمثابة مؤشرات على تبعية مناطق الأمبوريات بشكل مباشر لقرطاج.

وعلاوة على مدلولات النصوص المشار إليها سالفا، هناك معطيات أخرى تبين تبعية مناطق السرت لقرطاج. فإذا انطلقنا من السرت الصغرى، واعتبرنا الصراع القرطاجي الروماني محددا لتلك التبعية، فإنه لدينا ما يكفي من الأدلة للبرهنة على مراقبة قرطاج بشكل مباشر للمناطق الممتدة شرق السرت الصغرى. فقد اجتاح الرومان تلك المناطق باعتبارها جزءا من ممتلكات قرطاج بالمنطقة، حيث هاجموا جزيرة ميننكس[8]، جربة حاليا، وذلك حوالي 253-254 ق.م[9]، وحوالي 217 ق.م[10]. كما

1- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 3.

2- POLYBE, *Histoires*, XXX, 21, 7.

3- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 80.

4- POLYBE, *Histoires*, III, 33, 13.

5- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 256-257 et 276.

6- اعتبر كروزي (CROUZET) أن تقديم الإتاوات لا يمثل دليلا على تبعية مناطق الأمبوريات للحكم القرطاجي بدعوى أن تقديمها إنما ارتبط بظروف الحرب. ويبدو أن الأمر يتعلق بفكرة غير دقيقة لأن الكتاب القدامى اهتموا أساسا بالمنطقة في زمن الحروب. علما أن تيتوس-ليفيوس تحدث عن دفع سكان تلك المناطق للإتاوات بعد معاهدة 201 ق.م التي منعتهم من القيام بأعمال حربية. كما ذكر بوليبيوس أن قرطاج كانت تستخلص الموارد الكافية لإدارة الدولة والجيش من المدن الإفريقية. وهذا يعني أن قرطاج، ربما، استغلت أوقات الحروب لمضاعفة الإتاوات المفروضة على المدن الشيء الذي أدى إلى ثورة الأفارقة، أو ما سمي بثورة المرتزقة. انظر نص بوليبيوس ومقال كروزي:

- POLYBE, *Histoires*, I, 72, 1-2 ; CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 684.

7- ميزت المصادر القديمة بين النوميديين والموريين الذين شاركوا في الجيش القرطاجي، وبين الليبيين من سكان البلاد التابعة لقرطاج. فقد أشار ديودوروس الصقلي إلى أن القرطاجيين «جندوا من كل أنحاء قارة ليبيا وقرطاج فرقا مشكلة من «المواطنين» مما يعني أن الليبيين قد جُندوا وفق مسطرة مشابهة لسكان مدينة قرطاج. كما أشار بوليبيوس إلى إلزام المدن التابعة لقرطاج بتقديم الجنود. وعلى هذا الأساس يمثل تقديم الجنود معطى هاما ينبغي استحضاره عند دراسة علاقة قرطاج بالمدن والمناطق الإفريقية الواقعة بمنطقة الأمبوريات دون أن يعني ذلك أنه معطى كاف لوحده للبرهنة على التبعية لقرطاج. راجع نصوص ديودوروس الصقلي:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XI, 1, 5 ; id, ibid., XIII, 8 ; 43 et 54.

8- ميننكس (Meninx) هو موقع أثري يقع على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة جربة، قرب قرية القنطرة، يعود إلى القرن 4 ق.م، ويمتد على مساحة 132 هكتار.

9- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 39, 1-6.

10- TITE-LIVE, *HR*, XXII, 31, 2.

نزل سكيبيو إيميليانوس بساحل الأمبوريات خلال حربه ضد قرطاج[1].

لقد نسب الكتاب القدامى للقرطاجيين السيطرة على مدن السرت الصغرى والكبرى. فقد ذكر سكيلاكس المزعوم مجموعة من المدن التابعة لقرطاج بالمنطقة[2]، واعتبر سترابون أن المدن الواقعة بين برج أوفرنطاس *(Tour Euphrantas)* بمداخل السرت الكبرى ومدينة تاياي(هنشير تينة جنوب صفاقس) بالسرت الصغرى كانت تابعة للقرطاجيين[3] ، وذكر سيليوس الإيطالي أن مدن الساحل الغربي الليبي الثلاث، وهي صبراتة[4]، وأويا[5]، ولبدة[6] كانت تابعة لقرطاج خلال الحرب البونية الثانية[7]. ويمكننا اعتبار هذه المدن، واقعيا، أهم مدن ساحل الأمبوريات الذي تحدثت عنه المصادر القديمة، والتي أشارت إلى تأسيسها الفينيقي. بالنسبة للبدة، فقد ذكر المؤرخ الإغريقي ثوكوديديس *(Thoukudídès)* أن مدينة نيابوليس *(Neápolis)*، التي توافق لبدة الكبرى *(Lepcis/Leptis)*[8]، أي لبدة الحالية بليبيا، كان يقطنها

1- Id, ibid., XXXIV, 62, 3.

2- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 92F, 109M-94F, 111M.

3- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 17-19.

4- يعتقد أنها نفس المدينة التي أشارت إليها رحلة سكيلاكس المزعوم وإيفوروس (في القرن الرابع ق.م) باسم أبروطونوم (Abrotonon)، وأشير إليها على عملة بونية باسم صبراتن (Sbrtn). ويوجد موقع صبراتة (Sabratha) القديم على بعد نحو كيلومتر ونصف من مدينة صبراتة الحالية بالغرب الليبي. ويعد موقعها الجغرافي استراتيجيا بالنسبة للقرطاجيين لجهة انفتاحها على محاور التجارة البرية مع غدامس والصحراء الوسطى:

- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 92F, 109M, LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, dans *Journal of Mediterranean Studies*, Volume 3, Number 2, 1993, pp. 175-197, p. 178.

5- تقع طرابلس بغرب ليبيا، وتسمية أويا (Oea) التي استعملها الرومان هي-على الأرجح- بمثابة تحريف للتسمية التي أطلقها القرطاجيون على المدينة، وهي ويات (Wyat). أما أثريا، فلا تتعدى أقدم بقايا موقع المدينة القرن 4 ق.م. انظر بهذا الخصوص:

-LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, op. cit,, p. 177.

6- لا تبعد لبدة عن وادي كينوبس، حيث تدخل القرطاجيون سنة 515 ق.م لطرد الإغريقي دوريوس، إلا بمسافة 18 كلم. علما أن أقدم بقايا الموقع تؤرخ بالقرن 7 ق.م ما يجعل المدينة تدخل، مبدئيا، ضمن نطاق الطموحات البحرية المبكرة لمدينة قرطاج:

- LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, p. 177.

7- SILIUS ITALICUS, *Punica*, III, 257.

8- سميت المدينة بلبدة الكبرى أو الكبرى تمييزا لها عن مدينة أخرى تحمل نفس الاسم، وهي لبدة أو لمطة الصغرى الواقعة بالسرت الصغرى، ويرجح أنه كان للمدينة اسم بوني أطلقه عليها القرطاجيون، هو لبكي أو لبقي (Lpqy) الوارد في إحدى النقائش البونية. راجع بهذا الشأن:

LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, p. 176-177 et n° 10.

القرطاجيون[1]، وقد وردت نفس المعلومة في رحلة سكيلاكس المزعوم[2].

رغم انتماء المعلومات التي قدمها الكتاب القدامى بصدد علاقة قرطاج بساحل الأمبوريات لفترات متأخرة، وكونها لا تتضمن فكرة واضحة عن تاريخ امتداد السيطرة القرطاجية إلى تلك المناطق، فإنهم هؤلاء الكتاب يجمعون على دعم فكرة تبعية مدن سواحل الأمبوريات لقرطاج. وهكذا، يتضح من خلال نصوص بوليبيوس[3]، وتيتوس-ليفيوس[4] وسالوستيوس *(Sallustius)*[5] أن مجال الأمبوريات كان يشمل المناطق الواقعة بين السرت الكبرى والصغرى[6]. في حين يتفق الباحثون المعاصرون على توطين منطقة الأمبوريات بالسواحل الممتدة بين السرت الصغرى والكبرى[7]. وهذا ينفي تماما صحة الفرضية التي تجعل صفاقس بالسرت الصغرى بمثابة الحد الجنوبي للخنادق الفينيقية التي تم ترسيمها حوالي 201 ق.م، وهي الفرضية التي سادت في الدراسات التي حددت المجال القرطاجي في نطاق ضيق جدا، مستثنية من ذلك مناطق السرت. فهناك عديد النصوص القديم التي تؤكد، بالفعل، تبعية المنطقة للقرطاجيين.

كما يمكن دراسة التوسع القرطاجي بمناطق السرت من خلال توطين الكتاب القدامى لمجال السكان الليبوفينيقيين *(Libyphéniciens)*. لكن أهم ما يلاحظ على الكتاب الإغريق واللاتينيين أنهم قدموا معلومات متناقضة حول ذلك المجال. فقد كان مجال الليبوفينيقيين شاسعا كما يستفاد من بعض النصوص، حيث وطنهم ديودوروس الصقلي بالمناطق الساحلية[8]، وحدد سترابون مجالهم بين قرطاج ورأس صيفال *(Cap Céphale)* بمداخل السرت الكبرى[9].

1- THUCYDIDE, *La guerre de Péloponnèse*, VII, 50, 1-2.

2- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 92F.

3- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 1

4- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 3.

5- SALLUSTE, *GJ*, 19.

6- يتعلق الأمر بمجال شاسع، لكن يلاحظ أن معلومات القدامى عنه لم تكن دقيقة، فبلينيوس، القديم على سبيل، المثال جعل المسافة الفاصلة بين السرت الكبرى والصغرى أضيق، ولا تتعدى حوالي 250.000 قدم، أي ما يعادل 76.2 كلم. في حين إذا حاولنا مثلا احتساب المسافة الخطية بين جربة بالسرت الصغرى بتونس وراس لانوف بعمق السرت الكبرى بليبيا، فسنجد أنها تصل إلى حوالي 797 كلم. انظر نص بلينيوس القديم:

- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 4, 2.

7- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 128; TISSOT Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, T. I, p. 534.

8- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.

9- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 19.

بينما جعل بلينيوس القديم مجالهم مقتصرا على البيزاكيوم[1]، في حين حصر بطوليمايوس *(Ptolemaîos)* مجالهم بين قرطاج والمناطق الواقعة شمال البيزاكيوم[2].

يستفاد من خلال تمييز ديودوروس الصقلي بين سكان السواحل الممتدة إلى أعمدة هرقل، وسكان السواحل الممتدة جنوب قرطاج أن المقصود بالمدن الساحلية هي المناطق الواقعة إلى الجنوب من قرطاج، وهو الأمر الذي ينسحب أيضا على نص سترابون حسب قراءة هنري باطس[3]. ومن هنا، يمكن مطابقة مجال الليبوفينيقيين في النصوص المذكورة بسواحل الأمبوريات الممتد إلى السرت الكبرى[4]، خصوصا وأن نص رحلة سكيلاكس المزعوم، ربما، أشار إلى صبراتة، الواقعة باتجاه السرت الكبرى، باسم أبرطنون *(Ἀβρότονον)*[5]، وكذلك الأمر بالنسبة لإيفوروس *(Ἔφορος)* الذي استعمل نفس الاسم للإشارة إلى صبراتة، التي وصفها بمدينة الليبوفينيقيين[6].

لقد بسطنا سابقا معطيات هامة بخصوص تقديم سكان منطقة الأمبوريات للإتاوات للدولة القرطاجية. كما قمنا بتجميع النصوص التي أوردها الكتاب القدامى عن تجنيد سكانها ضمن الجيش القرطاجي، حيث أشاروا إليهم بأسماء قبائلهم ومناطقهم. كما أشار القدامى تارة أخرى إلى تجنيد سكان المنطقة في الجيش القرطاجي، لكن باستعمال تسمية عامة هي «الليبوفينيقيين»[7]. ولعل ما يثبت ارتباط سكان سواحل الأمبوريات بعلاقات مثينة مع قرطاج ما ورد عند ديودوروس الصقلي من أن الليبوفينيقيين كانوا يرتبطون بسكان قرطاج برابطة القرابة الدموية، ويملكون حق المصاهرة مع القرطاجيين[8]. وهذا يعني خضوعهم لنفس القوانين السائدة بقرطاج، إذا اعتبرنا الزواج حق من بين حقوق فردية أخرى حسب استنتاج ستيفان كسيل[9].

1- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 24.
2- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 22.
3- BATES O., *The Eastern Libyan*, Frank Cass et Co, LTD, London, 1970, p. 56.
4- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 376.
5- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 92F, 109M.
6- ÉPHORE apud ÉTIENNE DE BYZANCE, s.v cité par GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 123.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XXV, 2, 2 ; TITE-LIVE, *HR*, XXI, 22, 3.
8- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.
9- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 290-291.

ورغم أن النص الأخير يحتمل تفسيرات أخرى[1]، فلا شك أنه يدل على قوة الصلات التي انعقدت بين تلك الساكنة ومدينة قرطاج، واحتمال تبعيتها مباشرة للحكم القرطاجي، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار النص الوارد في معاهدة حنبعل مع فيليب المقدوني، والذي مفاده أن «الذين يخضعون لسلطة قرطاج يتبعون نفس القوانين»[2]. لقد ربط البعض هذا النص بوضعية الليبوفينيقيين إزاء قرطاج[3]. وهذا أمر منطقي لأن ثمة علاقة بين اتباع نفس القوانين والخضوع للسلطة القرطاجية، خصوصا وأنه يُفترض أن هؤلاء السكان، وجميع المجموعات البشرية المستقرة بالمجال الخاضع للحكم القرطاجي، كانوا معنيين بالمعاهدات التي تعقدها قرطاج، وبالتالي فهُم جزء من المجال التابع لها.

وبناء على المعطيات المذكورة أعلاه، يمكن إعطاء مصطلح «ليبيـ-فينيقيين» مدلولا سياسيا وإداريا. فمن المحتمل أن يعني المدن الإفريقية التي خضعت لنفس القوانين السائدة في قرطاج كعاصمة للدولة القرطاجية. وترتبط هذه الفكرة بما ورد في نص ديودوروس الصقلي الذي أشار فيه إلى إرسال بعثة ليبـوفينيقية وقرطاجية إلى الشرق لتهنئة الإسكندر بانتصاراته هناك، وذلك حوالي 323-324 ق.م[4]. غير أن إرسال بعثتين قرطاجية وليبوفينيقية لا يعني استقلال الليبوفينيقيين عن قرطاج لأن المؤرخ الإغريقي لم يوضح ما إذا كان الأمر يتعلق ببعثة مدينة واحدة أم عدة مدن، مثلما لا يوجد في النصوص التاريخية ما يسمح بافتراض قيام كيان مستقل عن القرطاجيين سواء بالساحل الشرقي التونسي، أو بمناطق السرت[5].

1- يرى كروزي أن المقصود في نص ديودوروس الصقلي هو وجود نفس العادات، وليس اتباع نفس القوانين:
- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 683.

2- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 5.

3- GSELL, S., *HAAN*, T. II, p. 291.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XVII, 113, 2.

5- لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود كيان سياسي ليبي مستقل في مناطق السرت مثلما هو الأمر بالنسبة للممالك النوميدية والمورية، والإشارة الوحيدة بهذا الخصوص ترجع إلى فترة حملة أغاطوكليس ضد المجال القرطاجي الإفريقي، حيث تحدث ديودوروس الصقلي عن ملك باسم «إليمار» أو «إليماس» بالقرب من أدروميتوم، حيث لقي حتفه في تلك الحرب. وفضلا عن غياب أية إشارة في المصادر لوجود ملك بذلك الاسم، فإننا لا نعرف المجال الذي حكم به ذلك الملك. ولا يستبعد أن الأمر يتعلق بملك نوميدي من أسلاف مسنيسا استغل فرصة النزاع الدائر بالسواحل لتحقيق مكاسب بالمنطقة، أو زعيم إحدى المجموعات البشرية الليبية. ويُذكر أن «إليمار» أو «إليماس» اسم ليبي أشار إليه كوريبيوس(Corippus) فيما بعد بمنطقة البيزاكيوم. انظر نصوص ديودوروس الصقلي وكوريبيوس:
- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 17 ; CORIPPE, *La Johannide*, V, 74.

كما لم تكشف الأبحاث الأثرية عن معطيات يمكن أن تدعم هذه الفرضية، إذ لم يثبت بعد أن مناطق السرت قد ضربت عملة خاصة بها قبل سقوط قرطاج[6]، حيث اكتشفت بها نقود قرطاجية (صبراتة نموذجا)[7]. ومن هذا المنطلق لا يستبعد أن يكون المقصود في نص ديودوروس الصقلي هو إرسال بعثات من قرطاج، وباقي المدن الساحلية التابعة لها، وليس بعثات رسمية مستقلة.

يتضح من خلال المعطيات التي سقناها سابقا أن مجال الأمبوريات الممتد بين السرت الصغرى والكبرى يشمل مجال الساكنة الليبـوفينيقية، وأن مجموع تلك المناطق الساحلية شكلت جزءا من المجال الإفريقي الذي راقبته قرطاج لفترات طويلة قبل أن تظهر المنافسة النوميدية منذ القرن 2 ق.م. وعليه، لا يبدو من المنطقي استثناء ذلك المجال من المناطق التي امتد إليها النفوذ القرطاجي المباشر بدعوى بُعدها عن قرطاج، أو وجود حواجز طبيعية تحول دون امتداد النفوذ القرطاجي إليها، مثل امتداد مناطق شبه صحراوية بالسرت الصغرى وباتجاه السرت الكبرى يمكن أن تعيق توسع القرطاجيين بتلك المناطق[8] لأن في ذلك إغفال للطابع البحري للانتشار القرطاجي فضلا عن عدم معرفتنا بالتنظيم المحلي للمدن والمناطق الإفريقية التابعة للدولة القرطاجية.

يطرح هذا الأمر ضرورة التريث في تحديد طبيعة الوجود القرطاجي بمناطق السرت لعدة اعتبارات منها جهلنا بالتنظيم الذي اتبعه القرطاجيون لضمان خضوع المناطق التابعة لهم مباشرة، إذ يبقى الحديث عن مقاطعات قرطاجية أمرا معقدا بسبب اقتصار معطيات النصوص التاريخية على المناطق القريبة من قرطاج، أو تلك التي بقيت بحوزة المدينة خلال القرنين الأخيرين من تاريخها. كما أن المعطيات الأثرية بمناطق السرت لا تضيف شيئا لفهم علاقة تلك المناطق بقرطاج لأنها لا تُوفر ما يسمح بالحديث عن استيطان قرطاجي بقدر ما تبرز محافظة ذلك المجال على حضارة متميزة في أغلب مظاهرها[9]. ولذلك لا نعرف على وجه التحديد ما إذا كانت تلك المناطق قد شكلت مقاطعة قرطاجية واحدة أم أكثر، أو أنها كانت منطقة للأنشطة الاقتصادية كما توحي بذلك تسمية «أمبوريات».

6- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 294, référence n° 1.
7- ALEXANDROPOULOS J., *Les monnaies de l'Afrique antique (400 av.j.-c – 40 ap. j.-c)*, p. 122.
8- LANCEL S., *Carthage*, p. 278.
9- Ibid, p. 111.

تعكس اللقى الأثرية التي عثر عليها بمواقع الساحل الليبي، والساحل الشرقي التونسي أهمية الصلات الحضارية مع مدينة قرطاج، إلا أننا مع ذلك نصطدم بعدم توازن السياقات الأثرية الخاصة بكل موقع على حدة، فهناك مواقع تؤرخ بفترة مبكرة مثل لبدة (القرن 7 ق.م)[1]، وصبراتة (النصف الثاني من القرن 5 ق.م)[2]. بينما لا تتجاوز معظم المواقع الأثرية الأخرى القرن 4 ق.م مثل أويا *(Oea)*، أي طرابلس، وجربة *(Djerba)*، وجكتيس/غيغتس *(Gigthis)* قديما[3]، بخليج بوغرارة بالجنوب التونسي[4]. وتطرح هذه المعطيات فكرة وجود مرحلة فينيقية سابقة على وصول القرطاجيين إلى المنطقة[5]. ولا يمكن الادعاء بأن المعطيات المتوفرة لحد الآن تعد كافية لمعرفة النشاط الفينيقي بالمنطقة من ناحية، وتاريخ تزايد النفوذ القرطاجي بها من ناحية أخرى. وذلك بسبب غياب الانسجام بين معطيات المصادر الأدبية التي تتحدث عن اتصال القرطاجيين منذ فترات مبكرة بمناطق السرت، والمعطيات الأثرية التي تؤرخ، لحد الآن، لذلك النفوذ بالقرن 4. ق.م.

أما بالنسبة للحدود الشرقية لمناطق النفوذ القرطاجي بالسرت الكبرى، فإن الكتاب القدامى يتفقون على جعل مذابح فيلان بخليج السرت الكبرى[6] بمثابة الحد الشرقي لمجال السيطرة القرطاجية بالمنطقة[7]،

1- CARTER T.-H., Western Phoenician and Lepcis, dans *AJA*, T. LXIX, 2, 1965, pp. 123-132, p. 125-12.

2- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 229.

3- وَصَلَنَا اسم المدينة بصيغ مختلفة في المصادر الإغريقية واللاتينية، نذكر من بينها على سبيل المثال تسمية Epichos الواردة في نص رحلة سكيلاكس المزعوم، بينما أشار إليها الجغرافي الإغريقي بطوليمايوس (PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 11) باسم Gichtis. ويرجح أن هذه التسميات هي تحريف لتسمية ليبية، أو قرطاجية قديمة. للمزيد راجع:
-TROUSSET P., Gigthis, dans *Enc. Ber.*, 20, 1998, pp. 3128-3134. Passim.

4- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 229.

5- نُسب تأسيس لبدة إلى عمل مشترك بين مدينتي صور وصيدا الفينيقيتان، بينما اعتبرت صبراتة منشأة صورية (نسبة إلى صور الفينيقية)، بينما أسست أويا، أي طرابلس، من طرف فينيقيين قدموا من صقلية وإفريقيا. لقد أكدت نتائج الحفريات الأثرية قدم تأسيس المدن الثلاث. للاطلاع على النصوص المتعلقة بالتأسيس الفينيقي لهذه المدن، وأقدم البقايا الأثرية بها، راجع:
- DI VITA A., Influences grecques et tradition orientale dans l'art punique de Tripolitaine, dans *MEFR*, Année 1968 80-1 pp. 7-84, p. 11, référence n° 1, LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, p. 177.

6- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 94F, 111M ; POLYBE, *Histoires*, III, 2 ; SALLUSTE, *GJ*, LXXIX, 1-9 ; POMPONIUS MÉLA, *Géographie*, I, 7.

7- ينفرد سترابون عن باقي الكتاب القدامى بجعل حدود قرطاج شرقا عند برج أفرنطاس الذي وُطّن بقصر الزعفران غرب الموقع المفترض لمذابح فيلان. وقد فسّر ستيفان كسيل ذلك بكون البرج قد عوض المذابح ليكون حدا فاصلا بين ممتلكات القرطاجيين والقورينائية، وذلك خلال عصر بطوليموس، خصوصا عندما صارت القورينائية تابعة لمصر: أنظر نص سترابون،

وحدّا غربيا لمجال القورينائية[1]. لقد أخبرنا بلينيوس القديم أن تلك المذابح كانت موجودة بالفعل، وأنها كانت مبنية بالرمال[2]. ذكر سترابون، من جهته، أن آثار مذابح فيلان لم تعد موجودة خلال عصره، وإنما بقي اسمها يطلق على المنطقة التي أنشأت بها[3]. أما بالنسبة لتوطين تلك المذابح فقد جعلها سترابون بين السرت الصغرى والكبرى[4]، بينما حدد أوروسيوس موقعها بشرق لبدة بليبيا الحالية[5].

ويعد سالوستيوس أقدم من روى قصة أسطورية متكاملة عن ظروف إنشاء الحدود بين ممتلكات القرطاجيين بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا والقورينائية عند مذابح فيلان بعد نشوب حرب بين القرطاجيين والسكان المجاورين لمذابح فيلان. بيد أن تلك القصة تتضمن جوانب غامضة مثل حقيقة وقوع تلك الحرب، والأسباب الحقيقية التي أدت إلى نشوبها. ذلك أن سالوستيوس لم يقدم معلومات يمكن أن تساعد على معرفة تاريخ إنشاء حدود دائمة بين المجال القرطاجي الإفريقي والقورينائية. وإذا كان بعض الباحثين لم يستبعدوا الوجود التاريخي للمذابح، فإنهم شككوا في صحة رواية سالوستيوس من منطلق أن الأمر يتعلق بأسطورية إغريقية حاولت تفسير وجود المذابح، وبالتالي قد لا تتضمن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى إنشائها[6]، خصوصا وأن هناك من حاول إيجاد معنى لكلمة فيلان *(Philainoi)* في اللغة الإغريقية[7].

لكن هذه الشكوك-التي تنسحب أيضا على الكثير من الأحداث التي عرفتها منطقة السرت بسبب عدم اهتمام المؤرخين القدامى بالكتابة حولها-لا تلغي فرضية قيام الحرب التي أشار إليها سالوستيوس لأن هناك معطيات حول قيام حروب بين قرطاج ومدن القورينائية[8]. ساهمت التحريات الأثرية في تسليط الضوء على موقع مذابح فيلان المذكورة في عدة نصوص قديمة دون الحسم في توطينها بالضبط، وإن كان المكان المرجح هو غرارة

ورأي كسيل:

- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 20 ; GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 118.

1- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 4, 1.

2- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 28.

3- STRABON, *Géographie*, III, 5, 5.

4- Ibidem.

5- أوروسيوس (أبلوس) . تاريخ العالم. ص. 69.

6- ERNOUT A., (Traducteur) dans SALLUSTE, *GJ*, les Belles lettres, Paris, 1964, p. 211, n° 1.

7- LANCEL S., *Carthage*, p. 110.

8- LARONDE A., *La Cyrène et la Libye hellénistique*, Éd. CNRS, Paris, 1987, pp. 202 et 487.

قصر التراب *(Gráret Gser et-Trab)* بعمق السرت الكبرى[1] الواقع على بعد 290 كلم جنوب غرب مدينة بنغازي بالساحل المتوسطي لليبيا الحالية[2]. ويستند توطينها بذلك الموقع إلى عدة مبررات، منها غياب الآثار البونية شرقه[3]، ووجود عوائق طبيعية قد تحول دون تجاوز القرطاجيين للموقع المذكور بسبب امتداد صحاري تفصل عمليا القورينائية عن المجال القرطاجي بسواحل السرت الكبرى[4].

تتكامل، إذن، المعطيات الأدبية والأثرية للبرهنة على امتداد النفوذ القرطاجي إلى عمق السرت الكبرى. غير أنه لا يوجد ما يسمح بالبرهنة على تجاوز النفوذ القرطاجي للمناطق الداخلية انطلاقا من سواحل السرت الكبرى، حيث تعتبر مدن السرت بمثابة واحات تمتد خلفها مجالات صحراوية[5]. هذا بالإضافة إلى وجود قوى محلية منافسة جنوب الشريط الساحلي متمثلة بالخصوص في الجرمنتيين[6] الذين شكلوا كيانا مهما بالمنطقة يتمحور حول العاصمة گرما *(Garama)*[7]، أو جرما التي تطابق مدينة جرمة بالجنوب الغربي لليبيا الحالية[8]. ويتضح من خلال المعطيات الأثرية بموقع زنككرا (جبل العسل بجنوب ليبيا) أن الجرمنتيين قد أقاموا دولة قوية ومنظّمة بصحراء فزان[9] بالجنوب الليبي الحالي منذ فترات قديمة، حيث تؤرخ آثار حضارتهم بجرمة بالقرن 9 ق.م[10].

ويبدو من خلال البقايا المادية أن بلاد الجرمنتيين قد عرفت ازدهارا مهما خلال أواسط الألف الأول ق.م[11]، الذي يوافق فترة ازدهار في قرطاج. وتبعا لذلك، نفترض أن القرطاجيين لم

1- GOODCHILD R.-G., Arae Philaenorum and Automalax, dans *Papers of the British School at Rome (PBSR)*, XX, 1952, pp. 94-110 d'après DEVILLERS O., Regards romains sur les Autels des frères Philènes, dans *Africa Romana*, T. XIV, Vol. I, 2000, pp. 119-144, p. 119, marge n°1.

2- LARONDE A., *La Cyrène et la Libye hellénistique*, p. 199.

3- LANCEL S., *Carthage*, p. 110.

4- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 1 et 23.

5- GSELL S., *HAAN*, T. III, p. 211.

6- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 34.

7- Id, ibid., V, 36.

8- تُستعمل صيغ مختلفة للإشارة إلى هذه المجموعة البشرية، ومنها «كرمنتيون» و«غرمنتيون» و«جرمنتيون»، وقد اخترنا هذه الصيغة الأخيرة لقربها من اسم مدينة جرمة الحالية بالجنوب الغربي الليبي، والتي يرجح أنها كانت عاصمة لهم.

9- HACHID M., *Les premiers berbères*, Ina-Yas, Édisud, Paris, 2000, p. 127.

10- Ibid., p. 129.

11- MATTINGLY P., Nouveaux aperçus sur les Garamantes : un Etat saharien ?, dans *Ant. Afr.*, T. 37, 2001, pp. 45-61, p. 53.

يغامروا بالتوغل جنوبا باتجاه مجال الجرمنتيين. والراجح أنهم قبلوا بدور الوساطة التجارية التي قام بها الجرمنتيون مع المناطق الصحراوية، واكتفوا بمراقبة المناطق الساحلية[1]، وتجنيد الجرمنتيين في جيشهم، إذا صحت معلومات الشاعر سيليوس إيطاليكوس بهذا الخصوص[2]. وأضاف سولينوس أن الطريق من الساحل إلى عاصمتهم جرما كان صعبا للغاية بسبب العوائق الطبيعية وكثرة اللصوص[3]. لقد اتضحت صعوبة اختراق مجال الجرمنتيين خلال فترة الاحتلال الروماني. فلما حاول الرومان مناوشة الجرمنتيين[4]، أصر هؤلاء الأخيرين على الدفاع عن مجالهم[5]، بل صعدوا إلى سواحل السرت للقيام بعمليات حربية ضد الرومان، كما رفضوا التجنيد في صفوف الجيش الروماني[6].

يمكن الاستنتاج من خلال دراستنا للمجال القرطاجي الإفريقي أن قرطاج تمكنت من تشكيل مجال إفريقي شاسع منذ أن شرعت في توسعاتها على الأقل منذ القرن 6 ق.م لتضم وبشكل تدريجي المناطق الممتدة بين مدينة هيبو ريكيوس (عنابة) شمالا مرورا بالسهول الكبرى، والواحات الداخلية انطلاقا من تبسة وقفصة جنوبا، ثم يتقلص ذلك المجال باتجاه الشرق ليضم الشريط الساحلي الممتد بين السرت الصغرى والكبرى. ومن هذا المنطلق، يرجح أن المجال الذي خضع للنفوذ القرطاجي المباشر قد تركز بالسواحل ليقتصر في داخل الأراضي على البلاد النوميدية بوسط وغرب تونس الحالية. (انظر الخريطة رقم 2). وإذا كان التوسع القرطاجي قد انطلق حسب المعطيات التي بحوزتنا منذ فترة مبكرة (القرن 6 ق.م)، فالراجح أن الأمر يتعلق بانتشار تدريجي. ذلك أن توسع المدينة الإفريقية بداخل الأراضي لم يعرف أوجه إلا خلال القرنين 4 و3 ق.م، حيث انتزعت عدة مناطق كانت تابعة للممالك النوميدية.

ويُفسّر هذا التوسع التدريجي بعوامل مجالية بالأساس، حيث أن الانتشار بالسواحل يعد منطقيا أيسر، ولذلك فهو أقدم زمنيا كما تدل على ذلك المصادر الأدبية والأثرية مقارنة

1- ABDELALIM M.-K., Le nationalisme Libyen et la domination étrangère à l'époque gréco-romaine, dans *LA*, n° 11, 1988, pp. 165-177, p. 167.

2- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, II, 58 ; id, ibid., III, 313.

3- SOLIN, *Polyhistor*, 30.

4- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 35-37.

5- بقي مجال الجرمنتيين مستعصيا على الرومان إلى غاية سنة 21 ق.م، حيث تمكن القائد الروماني لوكيوس كورنيليوس بلبوس من هزمهم، واحتلال عاصمتهم جرما، ليكون بذلك أول أجنبي يحقق النصر ضد الجرمنتيين:
- SOLIN, *Polyhistor*, 30.

6- Id, ibid., V, 38 ; TACITE, *Annales*, IV, 50.

بالمناطق الداخلية. ولا يستبعد أن قرطاج واجهت مقاومة من طرف النوميديين ما أخّر ضم جزء من البلاد النوميدية، ذلك أن قرطاج لم تسيطر على مدينة تيفست (تبسة بشرق الجزائر) على سبيل المثال إلا حوالي 247 ق.م. ولا شك أن المجال المشار إليه لم يكن ثابتا بشكل دائم، إذ تعطينا المصادر التاريخية فكرة متكاملة تؤكد أن الليبيين والنوميديين على السواء ظلوا في حالة عداء دائم لقرطاج[1]. وهكذا لم يفوّت هؤلاء أية فرصة للتخلص من سلطة قرطاج كما يتضح من الثورات العديدة التي أشارت إليها المصادر[2]، بينما ظلت قرطاج تحاول، باستمرار، إخماد تلك الثورات بإرسال فرق من الجيش لإخضاع المناطق الثائرة[3]. بيد أن ذلك لم يمنعها من إيجاد حلفاء لها في البلاد الليبية والنوميدية من خلال استغلال صراعات الزعماء المحليين.

خلاصة:

يتضح من خلال استقراء مجمل الوثائق المتعلقة بأوضاع مدينة قرطاج خلال القرون الأولى لتأسيسها أن المعطيات الطبيعية والبشرية والحضارية للمجال الإفريقي الذي تأسست به يفسر إلى حد ما المصير الإفريقي للمدينة. والراجح أن هذا العامل المحلي قد ساهم في تجذر المدينة بالتربة الإفريقية، واتساع مجالها بالمنطقة على خلاف المراكز التي نزل بها الفينيقيون بحوض البحر الأبيض المتوسط، والتي سرعان ما اندثرت، وتراجع دورها بتدهور أوضاع الفينيقيين في الشرق.

1- ذكر بوليبيوس أن النوميديين الخاضعين لسلطة قرطاج والمستقرين بمنطقة السهول الكبرى(غرب تونس على الأرجح) قد وجدوا في هجوم مسنيسا على المنطقة حوالي 153 ق.م متنفسا وفرصة للتخلص من نير القرطاجيين (كذا) ومن «الضرائب» الثقيلة التي كانوا يفرضونها على سكان المنطقة خلال حروبهم الطويلة بإسبانيا:

- POLYBE, *Histoires*, XIV ,9, 5.

2- أما بالنسبة لليبيين، فتعد ثورة الأفارقة، أو ما سمي بثورة المرتزقة (أغلبيتهم من الليبيين)، والتي اندلعت سنة 241 ق.م في أعقاب نهاية الحرب البونية الأولى، إحدى أكبر الثورات التي قام بها الليبيون ضد قرطاج ، وكاد تطيح بالمدينة الإفريقية.

3- بالرغم من المدة الطويلة التي مضت على قيام مدينة قرطاج ودولتها بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، ورغم أهمية الاحتكاك الحضاري، والانصهار الديني والاجتماعي الذي حصل بين ذوي الأصول الفينيقية من جهة، والليبيين والنوميديين من جهة أخرى، فإن الليبيين والنوميديين، على حد سواء، ظلوا ينظرون لقرطاج كقوة محتلة لأرضهم. دليلنا في ذلك ما نقله لنا تيتوس-ليفيوس من قول النوميديين خلال النزاع بين ملكهم مسنيسا وقرطاج حول منطقة الأمبوريات بأن «كل ما ملكته قرطاج خارج بيرسا [المنطقة التي أسست بها المدينة في البداية] كان عن طريق العسف والعنف». كما أنهم لم يفوّتوا الفرص التي أتاحتها لهم فترات ضعف قرطاج في الثورة ضدها، والسعي للإطاحة بها. ولعل غياب الثورات المحلية خلال فترات مهمة من تاريخ قرطاج راجع بالأساس إلى قوة القرطاجيين عسكريا، وتمكنهم من اختراق الأنسجة الاجتماعية المحلية من خلال التقرب من الزعماء المحليين، وتجنيد الليبيين والنوميديين في جيشها، أي أنها خلقت أوضاعا مركّبة تجعل من الصعب الثورة ضدها. انظر نص تيتوس-ليفيوس:

- TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 62, 11.

لقد تمتعت المدينة بوضعية متميزة عن باقي المراكز الفينيقية في الغرب المتوسطي، ويمكن تفسير ذلك بعوامل محلية تتمثل في الارتباط بالأرض الإفريقية، والاستفادة من خيراتها ومؤهلاتها البشرية والاقتصادية. ومن هنا يبدو من المنطقي استحضار المعطيات المحلية عند دراسة الفترة المبكرة من تاريخ المدينة لما لها من دور في تسهيل استمرارية المدينة، وتحقيقها لازدهار اقتصادي أهلها للقيام بتوسعات مجالية هامة في البلاد الإفريقية، على الأقل، منذ القرن 6 ق.م.

ولاشك أن ذلك قد انعكس على حضارة المنطقة، وساهم في إشعاعها، بحيث أصبح الجزء الشرقي لشمال إفريقيا-على امتداد قرون طويلة-مركزا هاما من مراكز القوة في حوض البحر الأبيض المتوسط. لقد أُنشأت المدينة بشبه جزيرة، وهو موقع جغرافي استراتيجي من الناحية التجارية، ومن حيث توفير الأمن وسهولة الدفاع عنه في حالة الخطر. فضلا عن مزاياه بالنسبة للمحاور التجارية البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقربه من أهم الجزر المتوسطية.

ومن ناحية المناخ، ساد بالمجال الإفريقي الذي أسست به قرطاج مناخ ملائم للاستقرار البشري، حيث استوطنته مند فترات سابقة على قدوم الفينيقيين ساكنة محلية كثيفة، وهو الأمر الذي لا ينبغي إغفاله في سياق دراسة تطور قرطاج بالمنطقة، والذي كان له، بلا شك، دور كبير بالنسبة للمدينة من خلال تمكينها من جيش من المحاربين المحليين الذين يعود لهم الفضل في تحول قرطاج من مدينة قابعة خلف الأسوار إلى قوة أساسية تحارب على عدة جبهات، وقادرة على حماية مصالحها التجارية في عدد من المواقع المتوسطية. كما تتعدد مؤهلات المجال الإفريقي، من حيث كونه مجالا صالحا لممارسة الأنشطة الفلاحية بفضل توفره على سهول وأراضي وشبكة من الأنهار.

لقد ترسخ في الدراسات الفينيقية البونية ميل مفرط نحو محاولة ربط أوضاع قرطاج ومنجزاتها بالمنطقة الإفريقية بالشرق الفينيقي من خلال السعي للبرهنة على تبعية المدينة الإفريقية لمدينة صور. ويتضح من خلال استقراء مجمل المعطيات الأدبية والأثرية الخاصة بأوضاع المدينة خلال الفترة المبكرة من تاريخها مدى نسبية الرأي الذي يحاول تفسير تطور المدينة بعوامل خارجية، حيث لم نجد في المعطيات التي عرضنا لها ما يسمح بافتراض تبعية المدينة للمملكة الصورية.

ولذلك يمكن تفسير بروز المدينة كقوة مهمة بالبحر الأبيض المتوسط منذ القرنين 7 و6 ق.م بحصول تطورات داخلية مرتبطة بعوامل الزمان والمكان والبيئة التي تحتضن المدينة،

أي بدور المجال الإفريقي، وليس كانعكاس لأوضاع الشرق الفينيقي. ولعل انفتاح المدينة على جوارها الإفريقي، وشروعها في تشكيل مجال خاص بها في المنطقة، يمثل أبرز دليل على البعد الإفريقي في المصير الذي ألت إليه المدينة.

وإذا كنا نجهل الظروف التي تم فيها التوسع القرطاجي، فلاشك أنه قد تم بشكل تدريجي، ولم يتم بشكل عام في ظروف السلم بحكم بداهة دفاع المجموعات البشرية المستقرة عن مجالها. ولا يظهر أن المجال الإفريقي الذي توسعت به المدينة الإفريقية قد اتسع خلال فترة من الفترات ليشمل مجموع المناطق الساحلية بشمال إفريقيا في إطار إمبراطورية كبرى كما ساد في الدراسات التي تناولت موضوع المجال القرطاجي.

وبناء على ذلك يبدو من المنطقي جعل البحث في موضوع المجال القرطاجي الإفريقي مقصورا على الجزء الشرقي لشمال إفريقيا، حيث يمكن الاستنتاج على ضوء المعطيات الأدبية والأثرية التي اطلعنا عليها أن قرطاج قد تمكنت من تشكيل كيان سياسي ضم مجالات أوسع بكثير من المجال الذي حددته بعض الأبحاث التي قاربت نفس الموضوع.

لقد تمكنت قرطاج من الإشراف المباشر على مجال يمتد من هيبو ريغيوس (عنابة) بشرق الجزائر إلى مذابح فيلان بالسرت الكبرى ضاما باتجاه داخل الأراضي جزءا من البلاد النوميدية بوسط وغرب تونس، والشريط الساحلي الممتد بين السرت الصغرى والكبرى. ويلاحظ من خلال المعطيات التي بحوزتنا أن هذا المجال لم يكن ثابتا، بل ظل يتمدد تارة، وينكمش تارة أخرى، وذلك حسب تطور علاقات الدولة القرطاجية بجيرانها النوميديين، وتقلّب موازين القوة بين الطرفين.

وتجدر الإشارة إلى أن دراستنا للمجال القرطاجي الإفريقي تمثل محاولة تمهيدية للتعريف بالمجال الإفريقي المباشر للحضارة القرطاجية، ولا تلغي الإشكالات الحقيقة التي تطرحها دراسة من هذا القبيل. فإذا لم تكن مناطق ذلك المجال -كما حاولنا تحديده في هذا العمل- تابعة لقرطاج بصفة مباشرة في إطار تنظيم محلي لم تتضح معالمه بالقدر الكافي، فإنها قد دخلت بلا شك في اتصالات مباشرة مع العاصمة الإفريقية بما يجعلها تمثل، تبعا لذلك، المجال الأنسب لدراسة إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية، خصوصا وأن حصر مجال تلك الحضارة في مدينة قرطاج لوحدها يعني تغييب العمق الإفريقي للمدينة الذي استمدت منه، بلا شك، عناصر قوتها كما سنوضح عند دراسة المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي.

الباب الثالث:
الحضارة القرطاجية: الإنسان

تقديم:

بعد أن تعرفنا من خلال الباب الأول على أهمية مساهمة المجال الإفريقي في نشأة قرطاج وتطورها، ننتقل لتقييم دور الإنسان الإفريقي في تشكل وازدهار الحضارة القرطاجية التي قامت على أرضه، وذلك من منطلق أن الحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع مقومات المجال الطبيعي. ومن هنا، تمثل دراسة المعطيات البشرية للمجال الإفريقي الذي كان تابعا سياسيا لسلطة قرطاج أهمية بالغة في سياق مقاربة إشكالية مكونات الحضارة المسماة «قرطاجية» لأن الإنسان باعتباره عنصرا فاعلا هو صانع مظاهر الحضارة التي تتبلور في مجاله.

ويكمن الهدف من وراء دراسة المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي في التعريف بالساكنة التي استقرت بمعظم أرجاء ذلك المجال. وذلك من خلال تقييم حضور السكان الأصلاء الليبيين بالمجال الذي كان تابعا للحكم القرطاجي، ومدى قدم استقرارهم به قبل اتصالهم بالفينيقيين، وتأسيس قرطاج، وتوسعها بجزء من البلاد الإفريقية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا. فضلا عن محاولة استقراء معطيات المصادر الأدبية والأثرية بغية تقدير أهمية العناصر الوافدة على المجال القرطاجي الإفريقي، وتقييم أهمية انتشارها المجالي.

ورغم أن الحضارة القرطاجية انبثقت وانتشرت من الأرض الإفريقية، فإن أولى الأبحاث التي اهتمت بدراسة الحضارة القرطاجية، وتصدى لها المؤرخون الأجانب، قد أنتجت خلاصات ركزت على أهمية العنصر الفينيقي بمدينة قرطاج، وبالمجال الذي امتد إليه الحكم القرطاجي، وقللت بالمقابل من أهمية انتشار السكان الليبيين بالمجال الذي عاش فيه أجدادهم جيلا بعد جيل قبل أن تشمله السيطرة القرطاجية، وهمّشت-بالتالي- مساهمتهم في نشأة وتطور الحضارة القرطاجية التي قامت على أرضهم.

فإذا قصرنا النظر على ساكنة مدينة قرطاج لوحدها، لوجدنا أن الأبحاث التي اهتمت بالموضوع تعتبر قرطاج مدينة فينيقية سكنها الفينيقيون، بينما كان السكان المحليون يستقرون

في الأرياف في مداشر وأكواخ بدائية ويتوافدون عليها بين الفينة والأخرى لتظل بذلك طيلة فترة وجودها مدينة فينيقية خالصة.

غير أن إعادة قراءة النصوص القديمة، وتقدم الأبحاث الأثرية سمح شيئا فشيئا بتغيير الكثير من التصورات التي سادت في حقل الدراسات الفينيقية البونية، لاسيّما مع ظهور مدرسة مغاربية تقترح مناهج مغايرة لتلك التي اعتُمدت في السابق. ولعل ما تحقق من تراكمات بهذا الخصوص يعد حافزا لإعادة طرح موضوع سكان المجال القرطاجي الإفريقي وفق منهجية علمية تتجاوز الخلفيات التي أطرت أبحاث المدرسة الكولونيالية حول التاريخ القرطاجي.

ورغم أن للمعطيات الأثرية نفع حاسم في هذا السياق، فإن هناك ضرورة لإعادة قراءة الكثير من النصوص التي تحكمت، ولا تزال، في تأويلات الأثريين والمؤرخين بشأن المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي الذي انبثقت منه الحضارة القرطاجية. علما أن الأسس التي ظلت تؤثر على نظرة الباحثين لإشكالية العناصر البشرية الفاعلة في الحضارة القرطاجية قد تأثرت إلى حد بعيد بالمناهج التي اتبعت في دراسة تلك الحضارة، والقائمة على إقحام قرطاج في الحضارة الفينيقية في الشرق تارة، وفي النموذج الإغريقي للدولة المدينة تارة أخرى. مما قاد إلى تهميش دور المجال الإفريقي الذي كان تابعا لقرطاج، ولا سيّما العنصر البشري الإفريقي، ومدى تأثيره في الحضارة القرطاجية.

كما أن دراسة المعطيات البشرية للحضارة القرطاجية قد تمت، في غالب الأحيان، من خلال التركيز على الوضع البشري لمدينة قرطاج، وإسقاط خصوصياتها البشرية على باقي مناطق المجال القرطاجي الإفريقي، وهو أمر يحتاج إلى تبيّن من خلال دراسة ساكنة ذلك المجال ككل اعتمادا على المعطيات الأثرية والأدبية. فإلى أي حد يمكن بالفعل إسقاط أطروحة الطابع الفينيقي للحضارة القرطاجية على الإنسان الذي عاش بالمجال القرطاجي الإفريقي بصرف النظر عن دوره في تلك الحضارة، سواء كان مبادرا صانعا لها، أو مشاركا مساهما في انبثاقها، أو محتكا بها ومتفاعلا معها؟

الفصل الأول:

ساكنة مدينة قرطاج

لا شك أن مدينة قرطاج كانت تضم عددا كبيرا من السكان[1] نظرا لكونها مدينة كبيرة، وعاصمة للممتلكات الفينيقية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا. غير أن أبرز ما يلاحظ على الدراسات التي اهتمت بتاريخ مدينة قرطاج هو كونها لم تتناول موضوع مكونات ساكنة المدينة إلا لماما، وظلت الفكرة السائدة انطلاقا من إفادات النصوص القديمة هي أن قرطاج مدينة فينيقية أسسها الفينيقيون، وأقاموا فيها إلى أن سقطت سنة 146 ق.م[2]. الأمر الذي يطرح ضرورة إعادة النظر فيما كُتب حول الموضوع وفق مقاربة تقوم على إعادة قراءة النصوص القديمة، ومحاولة الاستعانة بالمعطيات الأثرية لما لها من أهمية في هذا الإطار، لا سيّما وأن مثل هذه المقاربة تسمح بالتوظيف المتكامل لعدد من العلوم المساعدة للتاريخ من أجل تسليط الضوء على الجانب البشري في حضارة مدينة قرطاج، ومجالها الإفريقي[3].

1- ساكنة قرطاج من خلال النصوص القديمة:

يبدو أن أول إشارة تاريخية لوصول الفينيقيين إلى موقع قرطاج[4] هي تلك التي أوردها

1- ورد الرقم الوحيد الذي بحوزتنا حول عدد سكان قرطاج عند سترابون عندما ذكر أن عددهم كان يبلغ قبيل اندلاع الحرب البونية الثالثة حوالي سبع مائة ألف نسمة:

- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 15.

2- CAGNAT R., *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord*, 3ème édition, Librairie Renouard, H. Laurens Editeurs, Paris, 1927, p. 4.

3- اعتبرت الدراسات الأجنبية المهتمة بما قبل التاريخ وما قبيل التاريخ بشمال إفريقيا القديم أن استيطان المنطقة تم دائما نتيجة هجرات ما قبل تاريخية متوالية أدخلت عناصر الحضارة إلى المنطقة، سواء من الضفة الشمالية للبحر المتوسط، أو من الشرق. وطبعا، ظهرت فيما بعد أدلة تُبين بالملموس أن إفريقيا هي مهد البشرية، وغور بشري وثقافي عريق. ورغم ذلك ما تزال تنقصنا دراسات كافية لمراجعة الأبحاث التي أنجزها المؤرخون الأجانب حول عصر ما قبل التاريخ بالمنطقة.

4- إذا أعطينا الأولوية في بحثنا عن أقدم الإشارات في المصادر القديمة حول اتصال الفينيقيين بالمنطقة للترتيب الكرونولوجي للأحداث، وليس للعصر الذي عاش فيه الكتاب القدامى الذين قدموا تلك الإشارات، فإن أقدم إشارة في النصوص القديمة لاستقرار سكان شرقيين بقرطاج، وبباقي مناطق شمال إفريقيا قد وردت عند بروكوبيوس القيساراني الذي كتب خلال القرن 6 الميلادي. فقد زعم هذا الأخير أن كنعانيين قدموا من فلسطين إلى شمال إفريقيا، وأسسوا بها عدة مدن على امتداد الساحل، وإلى غاية أعمدة هرقل. وفي هذا الإطار، خلصت خديجة قمش من خلال دراستها لأساطير شمال إفريقيا القديم إلى غياب أي أساس تاريخي يسمح بإلغاء الطابع الأسطوري لرواية بروكوبيوس، التي ينفرد بها دون غيره من الكتاب القدامى. انظر نص بروكوبيوس ورأي خديجة قمش:

جوستينوس، والتي تشير إلى نزول عليسا وعدد من السكان الصوريين بموقع قرطاج. وإذا كانت الرواية الأسطورية لا تتضمن معلومات حول عدد المرافقين لعليسا، فإن النصوص التي تحدثت عن نفس الحدث تشير إلى أن الأمر يتعلق بجماعة مهاجرة تتكون بالأساس من عدد من أنصار علسيا بصور[1]. مما يعني أن تأسيس قرطاج لم يأت في إطار هجرات فينيقية كثيفة ومنظمة، خصوصا وأن المعطيات المتوفرة لحد الآن لا تسمح بإدراج حدث التأسيس ضمن خطة مدبرة لتأسيس مدينة بإفريقيا، وتوطين الفينيقيين بها كما بيّنا سابقا[2]. ولم يمنع غموض النصوص القديمة، وعدم إشارتها إلى ما يساعد على تقدير عدد الفينيقيين الذي رافقوا عليسا في رحلتها الإفريقية[3]، فقد حاول بعض الباحثين تحديد عدد هؤلاء. فقد اعتبر والطر *(Walter)*، دون تقديم أدلة ملموسة، أن عدد الفينيقيين المرافقين لعليسا لم يتجاوز المائة فرد[4]. بينما اقترحت زهراء الشريف عدة معايير لمعرفة عدد المهاجرين الفينيقيين الأوائل بموقع قرطاج. فإذا اعتبرنا أن مرافقي عليسا كانوا كلهم من الرجال، وأنها جلبت حوالي ثمانين من الفتيات العذارى من قبرص لتكن زوجات لهم، وإذا افترضنا تبعا لذلك أن عددهن سيساوي عدد الرجال أو يفوقه بقليل، فإن عدد مرافقي عليسا لن يتجاوز في هذه الحالة مائتي فرد[5].

وتقترح الباحثة معيارا آخر لتقدير عدد الفينيقيين الذين وصلوا إلى موقع قرطاج، وهو عدد السفن التي استعملها هؤلاء للوصول إلى إفريقيا معتبرة أن سفينتين على الأقل دخلتا خليج قرطاج خلال الرحلة، وذلك انطلاقا من نص فيرجيليوس الذي يوحي بأن الأمر يتعلق بأكثر من سفينة واحدة[6]. ولم تستبعد الباحثة أن تكون تلك السفن من نوع «ترشيش» ذات الحمولة الكبيرة، لتخلص إلى أن جالية فينيقية ضخمة العدد قد قدمت برفقة عليسا إلى موقع

- PROCOPE, *La guerre contre les vandales*, II, 10, 12-29.

- قمش (خديجة)، الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2004 (مرقونة)، ص. 182.

1- JUSTIN, XVIII, 4 ; STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 15. Et TIMEE, apud Frag. Hist. Graec., T. I, p. 197 cité par PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, Librairie Plon, Paris, 1954, p. 95.

2- انظر ما كتبناه في الصفحتين 49 و50.

3- أشار سترابون في هذا الصدد إلى أن عليسا «جلبت معها مستعمرة كبيرة من الصوريين»:

- STRABON, Géographie, XVII, 3, 15.

4- WALTER G., *La destruction de Carthage*, p. 13.

5- الشريف(زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 136.

6- VIRGIL, *Énéide*, I, 362-363.

قرطاج[1]. إذا كانت الفرضية الأولى تنبني على ترتيب منطقي ومقبول انطلاقا من بنية رواية التأسيس التي تحدثت عن جماعة فارة، فإن الفرضية الثانية لا تبدو موفقة-في نظرنا-لانعدام قرائن تاريخية تدعمها. فمن ناحية، يصعب الخوض في مسألة نوع السفن التي أقلت مرافقي عليسا، أو التخمين في شأن عددها بناء على ما ورد في نصوص هي عبارة عن مرويات شعرية متأخرة زمنيا ومغرقة في الخيال والاختلاقات الأدبية بشكل يستحيل معه التأكد من مدى صحة الأخبار التي تضمنتها.

وبالتالي، لا يمكن اعتبار تلك المرويات بمثابة معلومات تاريخية يمكن توظيفها للبحث في قضايا تتصل بالفترة المبكرة من تاريخ قرطاج. ومن ناحية أخرى، فإننا لا نملك دليلا على استعمال فينيقيي قرطاج خلال إبحارهم باتجاه إفريقيا لسفن من نوع «ترشيش». هذا فضلا عن غموض معلوماتنا عن هذا النوع من السفن. فكل ما بحوزتنا أنها سفن شحن كبيرة استعملها الفينيقيون بالأساس لنقل معادن جنوب إيبيريا، ولا يمكننا معرفة طاقتها الاستيعابية، إن هي استُعملت في نقل البشر. ولذلك لا نرى طائلا من هذه الفرضية لاستنادها على تخمينات وافتراضات غير مؤكدة. وبالمقابل يمكن ترجيح الفرضية الأولى لانسجامها مع ما ذكره الكتاب القدامى بشأن ظروف فرار عليسا وصحبها نحو إفريقيا بسبب الصراعات التي كان يعيشها البلاط الصوري، والتي تفيد أن الأمر يتعلق بجماعات مهاجرة، وليس بهجرات كثيفة، ومنظمة.

التزم الكتاب الإغريق واللاتينيون الصمت بخصوص هجرة الفينيقيين إلى قرطاج خلال المراحل اللاحقة لتأسيس المدينة، والإشارة الوحيدة بهذا الشأن تعود إلى أواخر القرن 4 ق.م. وذلك عندما أشار ديودوروس الصقلي وكينتوس كورتيوس إلى حادثة نقل الأطفال والشيوخ الفينيقيين[2] من صور إلى قرطاج خلال حصار الإسكندر للمدينة حوالي 333 ق.م. وإذا كان ديودوروس الصقلي وكينتوس كورتيوس يتفقان على ذكر الحدث ضمن وقائع حصار صور، فإنهما يختلفان في أسباب إرسال العائلات الصورية إلى قرطاج. فإذا كان الأول قد أرجع ذلك إلى الرغبة في البحث عن مكان آمن بعد تقدم جيش الإسكندر في المعارك[3]، فإن الثاني فسر ذلك باشتداد عزيمة الصوريين على القتال ضد الملك المقدوني[4].

1- الشريف (زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 137.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XVII, 41, 1 ; QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 58 ; JUSTIN, XI, 10.

3- DIODORE DE SICILE, *BH*, XVII, 41, 2.

4- QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 58.

وبصرف النظر عن صحة هذه الواقعة، ومدى قدرة الصوريين بالفعل على تهجير جزء من الساكنة في ظروف الحصار، وفي غياب دعم من القرطاجيين، أو حتى احتمال عودة المهجّرين بعد الحرب إلى بلادهم مادام أن النصوص لم تتحدث عن انتقال عائلات بأكملها- وذلك في حالة افتراض العكس -فإننا في المحصلة لا نستطيع افتراض قدوم الصوريين بعدد كبير بسبب المحنة التي كانت تعاني منها مدينتهم. إذا استثنينا هذه الواقعة، فإن القدامى لم يتحدثوا عن قدوم مهاجرين فينيقيين إلى قرطاج قبل ذلك. ومع ذلك افترض بعض الباحثين أن الأزمات المتتالية التي كانت تعيشها صور خلال القرنين 7 و6 ق.م قد تسببت في نزوح كثيف للفينيقيين نحو قرطاج[1]، وأن صمت القدامى لا يعني غياب هجرات فينيقية لأن الأواصر لم تنقطع بين قرطاج والوطن الأم. الشيء الذي كان يغري الباحثين عن حياة أفضل، والراغبين في الكسب والثروة عن طريق التجارة بالهجرة إلى قرطاج التي كانت تجارتها مزدهرة[2].

إذا انطلقنا من النصوص القديمة، فإن الأصول الصورية لأوائل المهاجرين الفينيقيين الوافدين إلى قرطاج، واستمرار الصلات بين قرطاج وصور، والإغراءات التي أصبح يمثلها الازدهار التجاري لقرطاج مقابل تراجع صور في الشرق بسبب الأزمات الحادة التي كانت تعرفها، يمثل أسبابا منطقية لافتراض انتقال الفينيقيين إلى قرطاج. لكن فرضية حدوث هجرات كثيفة انطلاقا من باقي المدن الفينيقية تحتاج إلى دراسة معمقة تستحضر أوضاع المدن الفينيقية في الشرق. لقد عانت المدن الفينيقية تباعا، ومنذ القرن 7 ق.م، من تزايد الضغوط الأجنبية الآشورية والبابلية والفارسية. لكن الربط بين أوضاع تلك المدن وقيام هجرات فينيقية واسعة نحو قرطاج يحتاج إلى أدلة كافية في المصادر التاريخية والأثرية، وهو شيء متعذر في حدود المعطيات الحالية. وكل رأي يمكن التعبير عنه بهذا الخصوص لن يخرج عن دائرة التخمين، فنحن لا نستطيع إلغاء ذلك الاحتمال من المقاربة التاريخية، لكننا في نفس الوقت لا نملك ما يسمح بالجزم بأن العكس يمثل حقيقة تاريخية معززة بقرائن كافية.

يمكن مقاربة إشكالية العناصر البشرية التي استوطنت مدينة قرطاج، خلال القرون الموالية للتأسيس، من خلال دراسة التسميات التي أطلقها الكتاب الإغريق واللاتينيون على سكان المدينة. ويبدو للوهلة الأولى من خلال استقراء ما كتبه هؤلاء أن تسمية «قرطاجيين»

1- GSELL, S., *HAAN*, T. IV, p. 171.

2- الشريف(زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 139.

تعني لديهم سكان قرطاج. ولذلك ميزوهم بذلك الاسم عن سكان المدن الأخرى التابعة للمجال القرطاجي الإفريقي مثل الأدريميين *(Adrymetiens)*، سكان أدروميتوم، والأوتيكيين، سكان أوتيك[1]، ثم عن باقي الليبيين التابعين للحكم القرطاجي[2]. لكن معظم الكتاب القدامى يُجمعون على اعتبار القرطاجيين بمثابة فينيقيين. ونظرا لكثرة النصوص بهذا الشأن، سنكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج. فإذا كان هيرودوتوس قد ذكر الفينيقيين من بين السكان الوافدين على قارة ليبيا[3]، ورغم أنه لم يحدد مجالا محددا لاستقرارهم، فإن المؤرخ الإغريقي، وهو يستعرض أسماء الأقوام الليبية، التي تقطن البلاد الواقعة شرق النيل بمصر لم يشر قط إلى وجود سكان فينيقيين في أي من المناطق الساحلية التي ذكرها.

وهذا يعني أن الفينيقيين الذين صنفهم هيرودوتوس ضمن الأقوام الأجنبية التي تقطن القارة الليبية هم سكان مدينة قرطاج، أو فينيقيو مدن السرت الكبرى والصغرى التي لم يأت على ذكرها. ويتضح هذا التمييز أكثر عند إشارته إلى حرب هيميرا حيث ذكر أن الجيش القرطاجي الذي واجه الإغريق تشكّل من الفينيقيين [ويقصد بذلك القرطاجيين]، والحلفاء الليبيين[4]. وأشار في سياق آخر إلى أن الفينيقيين يعتبرون القرطاجيين بمثابة أبنائهم[5]، وهو ما نجده في نصوص أخرى. وفي نص رحلة سكيلاكس المزعوم ورد أن قرطاج هي مدينة الفينيقيين[6]. وأخبرنا ديودوروس الصقلي بأن الفينيقيين يقطنون قرطاج[7]. وتتضح فكرة المؤرخ الإغريقي عن سكان قرطاج أكثر عندما ذكر-في خضم روايته لأحداث ثورة الليبيين الخاضعين لقرطاج حوالي 396 ق.م-أن الليبيين حاصروا الفينيقيين بقرطاج[8]. كما وصف القرطاجيين الذي سقطوا خلال المعارك ضد أغاطوكليس السيراكوزي (نهاية القرن 4 ق.م) ب«الفينيقيين»[9]. معتبرا أن أملقار قائد القرطاجيين في تلك الحرب كان زعيما للفينيقيين[10]. أما بوليبيوس، فيعتبر

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 17 ; APPIAN, *PW*, VIII, 25.
2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 110 ; id, ibid, XX, 12, id, ibid, 55 ; id, ibid., XXI, 22, 3; TITE-LIVE, *HR*, XXXIV, 17 ; APPIAN, *PW*, VIII, 40.
3- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 168-195.
4- Id, ibid., VII, 165.
5- Id, ibid., III, 19.
6- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 94F 111M.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.
8- Id, ibid., XIV, 46.
9- Id, ibid., XIX, 107, 1.
10- Id, ibid., XI, 22.

سكان قرطاج فينيقيين، حيث استعمل في أكثر من موضع مصطلح «فينيقيين» للإشارة إليهم[1].

يستفاد من خلال دراستنا للتسميات التي أطلقها الكتاب الإغريق على سكان مدينة قرطاج أنهم يتفقون على اعتبار القرطاجيين [سكان قرطاج]، بمثابة فينيقيين. بيد أن القراءة المتأنية للمصطلحات الواردة في النصوص القديمة تبين أن الكتاب القدامى لم يميزوا بدقة بين فينيقيي الشرق والقرطاجيين بإفريقيا، وأن الأمر قد لا يعدو كونه التباسا وقع فيه هؤلاء الكتاب القدامى. ومن أمثلة هذا الخلط، نشير إلى ما ذكره هيرودوتوس في سياق حديثه عن ظروف مقتل القائد القرطاجي أملقار بصقلية، حيث اعتبر أن الأمر يتعلق بقصة نسجها «القرطاجيون»، ثم أضاف أن «أملقار مات بهذه الطريقة[...] كما روى الفينيقيون»[2]، ويقصد بذلك القرطاجيين. بينما أشار أبيانوس عند سرده لأحداث نهاية القرن 3 ق.م إلى الخنادق «الفينيقية» بالمجال القرطاجي الإفريقي[3].

أما بوزنياس *(Pausanías)*، الذي ميز تمييزا واضحا بين القرطاجيين، سكان قرطاج، والفينيقيين[4]، فقد سقط في نصوص كثيرة في الخلط الملاحظ عند غيره، حيث وصف كنز الأولمب *(Olympie)* الذي غنمه السيراكوزيون بالكنز «القرطاجي»، لكنه أضاف في موضع آخر، وفي سياق نفس الحدث، أن القائد جيلون *(Gélon)* والسيراكوزيين قدموا قرابين بنفس المكان الذي انتصروا فيه على «الفينيقيين»[5]، والمقصود بذلك «القرطاجيين». ويبرز تناقض استعمالات القدامى أكثر عندما يتعلق الأمر بتضارب المصطلحات بين مؤرخ وآخر. وهكذا يلاحظ مثلا أن ثوكوديديس ينسب تأسيس مدينة موتي *(Μοτύη)* بصقلية للفينيقيين[6]، بينما يتعلق الأمر بالقرطاجيين[7].

ومن جهته، يعتبر ديودوروس الصقلي «القرطاجيين» بمثابة «فينيقيين»، لكنه يميز بينهم في مواضع أخرى. فقد ذكر أن الفينيقيين لما أسسوا كادريا *(Gaderia)*، أي قادس بجنوب إسبانيا، رغبوا في اكتشاف الساحل الموجود في البحر الذي يسمى الأطلنتي، وخلال

1- POLYBE, *Histoires*, IX, 11, 1-2 ; Id, ibid., XI, 19, 4.
2- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 167.
3- APPIAN, *PW*, VIII, 32 ; 54.
4- PAUSANIAS, *Description de la Grèce*, X, 17.
5- Id, Ibid, VI, 19, 7.
6- THUCYDIDE, *La guerre du Péloponnèse*, VI, 2, 6.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIV, 47.

إبحارهم دفعتهم الرياح إلى جزيرة مجهولة. وأضاف: «لما علم التيرينيون *(Τυρρηνός)* [الإتروسكيون] بذلك رغبوا في إقامة مستوطنة بالجزيرة فتصدى لهم القرطاجيون»[1]. وفضلا عن غموض الرواية، بسبب استحالة وصول القرطاجيين والإتروسكيين إلى المنطقة بُعيد تأسيس قادس، فإنها تكشف عن تمييز الكاتب بين «الفينيقيين» و«القرطاجيين». ولكنه يقدم في سياق آخر ما يكشف تناقض المصطلحات التي استعملها، فخلال حديثه عن تأسيس إيبيزا ذكر أنها مستعمرة «قرطاجية» يسكنها عدد من [البرابرة] أغلبهم من «الفينيقيين»[2].

ويبدو أن التسميات التي استعملها الكتاب الإغريق تعكس نظرتهم للقرطاجيين وللفينيقيين من حيث انتماؤهما إلى نفس العرق[3]، فالإغريق لا يرون أن القرطاجيين يشكلون شعبا مستقلا. ولذلك حافظوا على تسمية «فينيقيين» للإشارة إليهم، ولم يستعملوا مصطلح «قرطاجيين» إلا عند الإشارة إلى الجانب السياسي والعسكري[4]. لكن حتى ولو سلمنا بصحة هذا التفسير، فإن ذلك لا يخفي تناقض أفكار الكتاب الإغريق، وجهلهم بالوضع السكاني لمدينة قرطاج، وبالاختلاط البشري الذي حصل بالمدينة الإفريقية قرونا بعد تأسيسها. وذلك راجع لعدم زيارتهم لها، الأمر الذي يفسر تمسكهم باعتبار «القرطاجيين» بمثابة «فينيقيين»[5]، وأيضا بسبب ما نقلوه من أن الفينيقيين كانوا يعتبرون القرطاجيين بمثابة أبنائهم[6]. وبالنتيجة، اعتبر الكتاب القدامى «القرطاجيين» بمثابة «فينيقيين»، وقرطاج مدينة فينيقية حتى بعد انصرام قرون من التساكن بين الجماعات الفينيقية المهاجرة والسكان الليبيين المستقرين بالمنطقة.

وإذا كان الكتاب الإغريق قد ميزوا القرطاجيين بصفة «المواطنة»، أي الانتماء إلى مدينة قرطاج[7]، فإن هناك نصوصا تفيد أن تلك الصفة لم تكن مقصورة على الفينيقيين، أو بالأحرى ذوي الأصول الفينيقية، كما يتضح من وعد حنبعل لجنوده، الذين كان من ضمنهم الأفارقة والنوميديون، بالحصول على «المواطنة» القرطاجية[8]، وإشارة ديودوروس

1- Id, ibid., V, 20.
2- Id, ibid., V, 16.
3- BUNNES G., La distinction entre phéniciens et puniques chez les auteurs classiques, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 231-238, p. 234.
4- Ibidem.
5- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14 ; QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 52.
6- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 19.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIX, 106, 2 ; id, ibid., XV, 15, 2 ; id, ibid., XIII, 79 ; TITE-LIVE, *HR*, XXX, 15, 10.
8- Id, ibid., XXI, 45 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 208-210.

الصقلي خلال حرب هيميرا *(Himera)* إلى «تجنيد وحدات «وطنية» من كل ليبيا وقرطاج»[1] مما يجعل «المواطنة» تنسحب أيضا على غير القاطنين بقرطاج. وهكذا يتضح من تضارب معلومات الكتاب الإغريق حول سكان مدينة قرطاج مدى تأثرهم بلحظة التأسيس، وبالأصل الفينيقي لأوائل الوافدين على المدينة. الأمر الذي يفسر على ما يبدو خلطهم بين القرطاجيين والفينيقيين، وإغفالهم لأهمية العلاقات الاجتماعية التي حصلت بين الفينيقيين الأوائل، وبين سكان المجال الإفريقي.

أما بالنسبة للكتاب اللاتينيون، فقد استعملوا مصطلح»بويني» *(Poenii)* واشتقاقاته مثل «بوينوس» *(Poenus)* ، و«بوينيكوس» *(Poenicus)* ، و«بونيكوس» *(Punicus)* و«بوينولوس» *(Poenulus)*[2]، بالإضافة إلى مصطلح «قرطاجيين»[3]، وميزوهم عن الأفارقة القاطنين بالمجال الإفريقي التابع لقرطاج كما يتضح مثلا من حديث تيتوس-ليفيوس عن الخيالة الليبوفينيقيين في جيش حنبعل بإسبانيا سنة 219 ق.م، حيث اعتبرهم مولّدين *(Métis)* من الفينيقيين، والليبيين[4] القاطنين بالمجال الإفريقي[5]. كما ميّز كيكرو *(Cicero)*، عند إشارته إلى سكان صقلية، بين «البونيين» و«الأفارقة»[6]. وجاء عند سترابون أن سردينيا كانت تحت سيطرة «الفينيقيين القادمين من قرطاج»[7]. في حين ميز فارو *(Varro)* تمييزا واضحا بين الفينيقيين والقرطاجيين[8]، لكنه يخلط بين الشعبين في موضع آخر، حيث يشير إلى الفينيقيين باسم البونيين *(Poenii)*[9]. أما سيليوس إيطاليكوس، فذكر «القرطاجيين» بوصفهم «فينيقيين»، وأشار في أشعاره إلى الجانب الأسطوري لأصل القرطاجيين من خلال ربطهم بالأبطال الفينيقيين

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XI, 1.

2- TITE-LIVE, *HR*, XXVI, 41, 6; id, ibid., XXVI, 6, 8; FESTUS AVIENUS, *Ora maritima*, 310-312; CICÉRON, *La république*, II, 9; id, ibid., III, 7 ; 15.

3- Id*, Pro Scauro*, X-XI.

4- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12.

5- ينبغي الإقرار بصعوبة التوصل إلى خلاصات حاسمة من خلال المصطلحات، فالملاحظ مثلا أن بوليبيوس يميز بين «الليبيين» و«الليبوفينيقيين»، بينما يرى تيتوس-ليفيوس أن «ليبوفينيقيين» هم نتاج للزيجات التي انعقدت بين «الفينيقيين» و«الليبيين». انظر نص بوليبيوس:

- POLYBE, *Histoires*, III, 33, 15 ; TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12.

6- CICÉRON, *Pro Scauro*, X-XI.

7- STRABON, *Géographie*, V, 5,2 ,7 .

8- VARRON apud PLINE L'ANCIEN, *HN*, III, 3, 3.

9- VARRON, *De la langue latine*, VIII, 65.

مثل كادموس[1]، وأجينور[2] الملك الأسطوري لصور، أو بيلوس[3]، جد الصوريين، أو بجماليون[4] ملك صور.

ورغم ذلك لا تسلم الكتابات اللاتينية من الخلط الذي لاحظناه على الكتابات الإغريقية، حيث استعملوا المصطلحات بشكل فضفاض ومتناقض، ولم يميزوا تمييزا دقيقا بين «الفينيقيين» و«البونيين» مثلما لم يراعوا في أغلب الأحيان الاختلاط الذي حصل بالأرض الإفريقية بين الجماعات الفينيقية والسكان الليبيين. ويتضح ذلك على سبيل المثال من النص التالي الذي ورد عند كيكرو: «تبرهن لنا كل آثار الماضي وقصصه على أن «الفينيقيين» *(Phoenic)* هم أكثر الشعوب خداعا، ومنهم ينحدر البونيون *(Poenii)*[5]. ورغم أن نص كيكرو يشير إلى الأصل الفينيقي للبونيين، الشيء الذي لا يلغي فكرة التمازج البشري الذي حصل على الأرض الإفريقية، فإن إلغاء ذلك المعطى المنطقي يبدو جليا في كتابات كيكرو، فقد اعتبر أن الفينيقيين، ويقصد بذلك البونيين كما يتضح من خلال المصطلح الذي استعمله *(Poenii)*، هم أول من أدخل المواد الكمالية والسلع الرفيعة إلى بلاد الإغريق[6]، ولعله يقصد بذلك الفينيقيين.

ولعل عدم تمييز الكتاب اللاتينيين بين فينيقيي الشرق والبونيين بقرطاج يعكس اعتقادهم بأن العنصرين يمثلان شعبا واحدا[7]، وهو الأمر الذي انعكس على الدراسات المعاصرة. وهكذا اعتبر بعض الباحثين أن مصطلح بويني *(Poenii)* اشتق من الكلمة الإغريقية فوينكس *(Phœnix)* التي تعني «الفينيقيين» بموطنهم بالساحل اللبناني السوري، وبالتالي فتسميات بونيكوس *(Punicus)* وبوينوس *(Poenus)* أطلقت في الأصل على الفينيقيين والقرطاجيين على السواء إلى أن أعيد استعمال اسم فونيكس *(Phonix)* في اللغة اللاتينية خلال نهاية العصر الجمهوري بصيغة فوينكس *(Phœnix)* بمعنى»فينيقيين»، واسم بوينوس *(Poenus)* للإشارة إلى القرطاجيين دون أن تفقد تسميتا بونيكوس *(Punicus)* وبوينوس *(Poenus)* معناهما من حيث الدلالة على العنصر الفينيقي[8].

1- SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XIII, 730.
2- Id, ibid, VIII, 1.
3- Id, *Les puniques*, I, 48.
4- Id, *La guerre punique*, VI, 32.
5- Ibidem.
6- Id, *La république*, III, 35, 48, 4.
7- BUNNES G., La distinction entre phéniciens et puniques chez les auteurs classiques, p. 237.
8- Id, Les puniques, dans *DCPP*, p. 364.

ولهذا مالت الدراسات المعاصرة إلى افتراض أن تسمية بويني *(Poenii)* ما هي إلا تحريف لتسمية فونيكس *(Phonix)* في اللغة الإغريقية[1]، والتي يُعتقد أن اللاتينيين قد تلقوها من إغريق صقلية، أو من إغريق جنوب إيطاليا[2] مع ما يعنيه ذلك من اعتبار البونيين أو القرطاجيين بمثابة فينيقيين. لكن إذا أمعنا النظر في النصوص الإغريقية واللاتينية سوف لن نجد انسجاما في استعمالات القدامى، فتسميتا «قرطاجيين» و«بونيين»، التي تعني في نظر الإغريق واللاتينيين العنصر الفينيقي، استعملتا أيضا في سياقات أخرى، وبشكل فضفاض. فقد استعمل تيتوس-ليفيوس مثلا مصطلح «بونيين» للإشارة إلى مجموع الجيش القرطاجي بما في ذلك الأفارقة[3]. مما يطرح إشكالية دلالة المصطلح في النصوص القديمة بين كونه مقتصرا على العناصر القاطنة بقرطاج والناتجة عن الاختلاط الذي حصل بين الفينيقيين والليبيين حسب البعض[4]، وبين كونه مصطلحا عاما يشمل كل ما له صلة بالحضارة التي قامت بالمجال الإفريقي الذي خضع لقرطاج حسب البعض الآخر[5].

أما ديو كاسيوس *(Cassius Dio)*، فيستعمل مصطلح « قرطاجيين» بشكل عام ليعني به مجموع سكان المجال القرطاجي الإفريقي[6]، وهو ما نجده أيضا عند كورنيليوس نيبوس *(Cornelius Népos)* الذي أطلق صفة «الإفريقي» على حنبعل وأملقار[7]. ويُفهم من نصوص أبيانوس أن مدلول تسمية «قرطاجيين» لا يقتصر على سكان قرطاج[8]، بل يمتد ليشمل أحيانا كل من يتبع لقرطاج كما يتضح من وصفه للقرطاجيين ب«الليبيين» من خلال النص التالي: «لم يتصور الرومان أن الليبيين سيغزون إيطاليا»[9] قاصدا بذلك هجوم القرطاجيين بقيادة حنبعل على إيطاليا. ويتبين من النصوص المذكورة سابقا أن تسميتي «قرطاجيين» و«بونيين» لم تكن لتعني فقط سكان قرطاج من الفينيقيين، وإنما استعملت في سياقات عامة تجعلها تنطبق أيضا على جميع سكان المدينة، وأحيانا على التابعين لقرطاج، أي سكان المجال القرطاجي الإفريقي.

1- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 3, n°2.
2- BÉRARD V., *Les Phéniciens et l'Odyssée*, T. II, Librairie Armand Colin, Paris, 1927, p. 36.
3- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 56
4- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon,* p. 202
5- BEN YOUNES H., La nécropole punique d'ElHkayma, mai 1984, dans *REPPAL*, T. II, 1986, pp. 31-111, p. 67.
6- DION CASSIUS, *Histoire romaine*, I, CXLV.
7- CORNELIUS NÉPOS, *Les rois*, XXI, 3, 5.
8- APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 19, 74 ; id, ibid., VI, 5, 20 ; id, ibid., VI, 2, 4 ; id, ibid., VI, 16, 61et 63 ; id, ibid., VI, 17, 66-67 ; id, ibid., VI, 20, 76.
9- Id., ibid., VI, 14, 53.

يتضح من خلال مقاربتنا للتسميات التي أطلقها الكتاب الإغريق واللاتينيون على سكان قرطاج أن التمييز في اللغتين الإغريقية واللاتينية بين «فينيقيين» و«بونيين» أو «قرطاجيين» ليس واضحا، حيث أن التسميات التي استعملوها كانت فضفاضة ومتناقضة بشكل لا يمكن أن يُفسَّر بالضرورة بانتماء الفينيقيين والبونيين (القرطاجيين) إلى عنصر بشري واحد، بل يمكن اعتبار ذلك دليلا على عدم دراية الكتاب الأجانب بالتطورات التي عرفها الوضع السكاني للمدينة الإفريقية منذ تأسيسها، واكتفاؤهم بما رسخ في أذهانهم من أن مؤسسي قرطاج كانوا فينيقيين. أما بالنسبة للاجتهادات التي همت مسألة الاشتقاقات اللغوية لتلك التسميات، فلا بد من التنبيه إلى طابعها الافتراضي ما دامت لا تنبني على اشتقاقات مضبوطة. فالذي يمكن استنتاجه من خلال المصطلحات هو أن استعمال مصطلح فوينكس *(Phœnix)* للإشارة إلى فينيقيي الشرق مقابل بويني *(Poenii)* للإشارة إلى سكان قرطاج يعكس وجود فروق بين المجموعتين البشريتين. فإذا سايرنا الفرضيات التي حاولت الربط بين المصطلحين، سنجد أن تسمية «بونيين» أطلقت على الفينيقيين بعد وصولهم إلى إفريقيا وتأسيسهم لقرطاج، حيث يرجع استعمالها في المصادر الأدبية إلى المؤلف المسرحي بلوتوس *(Titus Maccius Plautus)* الذي عاش خلال القرن 2 ق.م.

ومن هنا لابد من استحضار معطيات النصوص القديمة التي تشير إلى وجود سكان محليين بموقع تأسيس قرطاج، وبالتطورات البشرية التي حصلت بقرطاج وبمجالها الإفريقي على امتداد القرون التالية لفترة التأسيس. فإذا قصرنا النظر على الإفادات المستخلصة من المصطلحات المستعملة سنجد أنها تعكس جانبا من تلك التطورات. فمنذ القرن 1 ق.م على الأقل لم تعد تسمية «بونيين» تعني حصرا سكان مدينة قرطاج، بل تشمل أيضا سكان المجال القرطاجي الإفريقي بصرف النظر عن أصول هؤلاء السكان، بينما أصبحت صفة «بوني» مرادفة لـ«إفريقي»[1]، وهو أمر يرجع ربما إلى فترات أقدم كما استخلصنا من النصوص المشار إليها سابقا.

بناء على ما سلف، يمكن الاستنتاج بأن المصطلحات التي استعملها الكتاب الإغريق تكشف عن وجود العنصر الفينيقي بالمدينة دون أن تفيدنا في تقدير أهميته. لكنها لا تعني

1- MARÇAIS A.-M.-W., Saint Augustin et le problème de la survivance du punique, dans *Rev. Afr.*, T. XCIV, année 95, 1er et 3e trimestres 1950, pp. 259-282, p. 261.

أن قرطاج ظلت مدينة فينيقية مفصولة عن جوارها الإفريقي، فالنصوص تتضمن مصطلحات عامة لا تذكر شيئا عن مصير الجماعات الفينيقية التي استقرت بقرطاج منذ فترة التأسيس، أو ربما انتقلت إليها فيما بعد، وعلاقاتها مع السكان الليبيين، رغم أنه يمكن تأويل بعض المصطلحات المستعملة على أساس أنها تعكس الاختلاط المفترض حصوله بين الفينيقيين والليبيين على مدى قرون من الزمن. ويدفعنا هذا الاستنتاج إلى البحث في أهمية حضور العنصر الليبي في مدينة قرطاج، وفي مجالها الإفريقي.

لم يكن بمقدور الباحثين المعاصرين إلغاء وجود سكان آخرين من غير الفينيقيين بقرطاج ومجالها الإفريقي، ولكنهم عالجوا الموضوع بطريقة تهمش العنصر المحلي. فقد زعم كانيا أن الليبيين كانوا يقطنون بالكهوف المجاورة لمدينة قرطاج![1] بينما اعتبر ستيفان كسيل أنهم التحقوا بها كعمال استقدمهم الفينيقيون[2]. لكن قراءة النصوص لا تفضي بتاتا إلى إصدار حكم من هذا القبيل بقدر ما تكشف مدى التبسيط الذي حكم تصورات المؤرخين الأجانب عن حضارة سكان شمال إفريقيا القديم الأقل شأنا مقارنة بالحضارة المتفوقة التي أتت بها العناصر الوافدة على المنطقة.

ذلك أن مراجعة النصوص، دون انتقاء، يسمح بتجاوز مثل تلك الأحكام، ويدفعنا إلى التذكير بالمعلومات الواردة في المصادر الأدبية والأثرية، والتي بقدر ما هي ظاهرة للجميع، بقدر ما لم تغير شيئا في التصورات السائدة حول السكان المحليين وحضارتهم، والتي لا نجد لها سندا في مختلف الوثائق التاريخية[3]. فبالنسبة للمصادر الأدبية، يستفاد من رواية تأسيس قرطاج أن موقع المدينة كان مأهولا بمجموعة بشرية ليبية تحمل اسم المكستاني *(Maxitani)*[4]، بحيث تأسست المدينة وسط حشد كبير من هؤلاء السكان[5] الذين كان يقودهم الملك يرباس. الشيء الذي يكشف على أن أقدام المهاجرين الفينيقيين لم تطأ أرضا خلاء، وأن الموقع كان

1- CAGNAT, R., *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord*, p. 4.
2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 172.
3- تسربت إلى بعض الكتابات الأوروبية حول التاريخ القرطاجي خصوصا، وتاريخ شمال إفريقيا القديم عموما نظرات قيمية استندت إلى مواقف تؤمن بفكرة التقليل من شأن سكان المنطقة لأهداف ترتبط بتبرير السياسة الاستعمارية، مع ما ترتب عن ذلك من مقايسات وإسقاطات جعلت تاريخ المنطقة خلال الفترة القديمة يُدرس، أحيانا، من منظور الأفكار السائدة خلال الفترة الاستعمارية.
4- JUSTIN, XVIII, 5.
5- Id, V, 11; VIRGILE, *Énéide*, I, 335-340.

مأهولا بالسكان المحليين قبل وصولهم إليه، وأن ذلك الاستقرار المحلي كان منظما كما يتجلى ذلك في وجود سلطة محلية بقيادة الملك يرباس.

كما تضمنت النصوص القديمة معلومات حول استقرار الليبيين بمدينة قرطاج خلال القرون الموالية للتأسيس. وعلى قلتها، فهي تزكي بداهة استقرار السكان الليبيين بمدينة قرطاج، على خلاف الآراء التي ترى العكس. علما -كما أسلفنا- أن معظم الكتاب الإغريق واللاتينيين لم يهتموا بالجانب البشري لمدينة قرطاج بقدر ما اكتفوا باستعمال مصطلحات فضفاضة. ولذلك فقلة المعطيات لا تعني عدم استقرار الليبيين والنوميديين بمدينة وجدت بمجالهم، ولا تعكس في نظرنا أهمية ذلك الوجود. فقد أخبرنا ديودوروس الصقلي من خلال نص يؤرخ بنهاية القرن 5 ق.م بأن الجنود الليبيين كانوا مجتمعين بمدينة قرطاج استعدادا للجواز إلى صقلية[1]. فإذا اعتبرنا أن قسما مهما من الجيش القرطاجي، الذي ضم عددا كبيرا من الليبيين والنوميديين، كان مرابطا بالمدينة للدفاع عنها فمعنى ذلك أنه كان بمستطاع هؤلاء الإقامة بالمدينة كجنود يدافعون عنها، أو كسكان مقيمين بها، وليس مجرد عبيد، أو خدم كما يدعي بعض المؤرخين الأجانب. ويتأكد هذا الأمر من خلال نص بوزنياس الذي تحدث فيه عن اقتحام الفينيقيين والليبيين لمدينة موتي بصقلية قادمين إليها من قرطاج[2].

فإذا كانت المدينة قد ضمت منذ تأسيسها ساكنة ليبية، وأقام فيها المجندون الليبيون، وانفتحت على جوارها لمدة تزيد عن سبعة قرون، فمن البديهي أن تعيش بها ساكنة ليبية مهمة بحكم العدد الكبير من الليبيين الذين عاشوا بموقع المدينة قبل تأسيسها. ولا شك أن التساكن بين العنصرين البشريين قد أدى إلى قيام علاقات اجتماعية ومصاهرات أسفرت عن اختلاط الدم الفينيقي بالدم الليبي. لقد كان ذلك العدد القليل من الفينيقيين الذين هاجروا إلى قرطاج في حاجة إلى التزاوج مع المحليين لضمان استمرار نسلهم ووجودهم بالمنطقة قبل كل شيء. ويرجح أن تلك الدينامية الاجتماعية قد انطلقت منذ فترة مبكرة. ففي قصة التأسيس نفسها نجد صدى لذلك التقارب الاجتماعي من خلال طلب الملك الليبي يرباس الزواج من الأميرة الصورية عليسا[3]. كما أشارت النصوص الإغريقية واللاتينية إلى زيجات أخرى

1- Diodore de Sicile, *BH*., XIII, 79-80.
2- PAUSANIAS, *Description de la Grèce*, V, 25.
3- JUSTIN, XVIII, 5,8 .

جمعت بين الفينيقيين من جهة والليبيين والنوميديين من جهة أخرى مما يعطي فكرة عما حصل في قرطاج من تزاوج بين الفينيقيين والمحليين.

فقد تزوج الأمراء والملوك النوميديون من فتيات قرطاجيات من أصول فينيقية كما هو الشأن بالنسبة لأوزكليس[1]، ومسنيسا[2]، وصوفاكس[3] ونارفاس[4]، ومزيتولا[5]. وتزوج القرطاجيون بدورهم من فتيات نوميديات كما يتضح من زواج أحد القادة القرطاجيين بإحدى بنات مسنيسا[6]. ونتج عن ذلك ولادة أسدربعل الذي أصبح جنرالا بارزا في قرطاج، واشتهر بقيادته للقرطاجيين إبان المعارك الأخيرة للدفاع عن قرطاج سنة 146 ق.م. فهو إذن بوني-ليبي لكن المجتمع الأبيسي البوني جعله قرطاجيا[7] كما يتضح من الاسم ذو الطابع الشرقي الذي حمله، ولو أن صفة «قرطاجي» تدل على الانتماء الإداري إلى قرطاج والاجتماعي إلى الطبقة الحاكمة بها أكثر مما تدل على انتماء عرقي محدد. فإذا كانت المصادر التاريخية قد اقتصرت على ذكر الزيجات التي حدثت بين النبلاء القرطاجيين والأمراء والملوك النوميديين، فمن المرجح أن الزواج المختلط كان شائعا بين الفينيقيين والليبيين الذين عاشوا جنبا إلى جنب، بحيث يكون أحيانا من الصعب التفريق بين فينيقيين وليبيين بعد انصرام قرون من الاختلاط والتزاوج بين أغلبية من السكان المحليين والجماعات الفينيقية المهاجرة، خصوصا في مدينة قرطاج.

ومع ذلك، فإن النزوع التلقائي نحو المحافظة على الإرث الرمزي العائلي يفسر في نظرنا تركيز المصادر القديمة على إبراز الأصول الفينيقية للأسر القرطاجية. وهذا ما يدل على أن اتخاذ القرطاجيين للأسماء الشرقية الفينيقية لا يعكس واقعا ديموغرافيا وبشريا، أو انتماء عرقيا محددا بقدر ما يكشف مدى ارتباط القرطاجيين من ذوي الأصول الفينيقية بحضارة الوطن الأم في الشرق. إذن، يسمح الاختلاط الذي حصل بين الفينيقيين والمحليين بالحديث عن قرطاجيين ذوي فينيقية أو ليبية. علما أنه من المنطقي أن تبقى مناطق كثيرة من المجال القرطاجي الإفريقي، ولا سيّما بالأرياف، بِمَنْأىً عن العلاقات الاجتماعية التي يفترض

1- TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 29, 12.
2- TITE-LIVE, *HR*, XXX, 12, 20; APPIAN, *PW*, VIII, 10.
3- TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 23; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 37, 150.
4- POLYBE, *Histoires*, I, 78, 8.
5- TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 30, 12.
6- APPIAN, *PW*, VIII, 93 et 111
7- GHAZI-BEN MAISSA H., Le royaume du Maroc antique : image et réalité, op cit, p. 30.

حصولها في المدن الساحلية بحكم استقرار الفينيقيين هناك. وهذا ما يظهر من انفراد المواقع البعيدة عن الساحل التونسي بالخصوص، إذا ما قورنت بموقع قرطاج وبالمواقع التي وصل إليها الفينيقيون، بخصوصيات حضارية على عدة مستويات. ولذلك يستحسن عدم المبالغة في تقدير أهمية التزاوج الذي حصل بين الفينيقيين والليبيين، وقدرته على تغيير المعطيات البشرية لمجال إفريقي شاسع تستوطنه كتلة بشرية هائلة من الليبيين والنوميديين.

2 - ساكنة قرطاج من خلال الوثائق الأثرية:

إذا كان التأثير الفينيقي على مظاهر الحضارة في قرطاج يُفَسَّر-حسب تأويلات الباحثين- بوجود عناصر فينيقية بالمدينة[1]، فإن نفس الشيء ينطبق على استقرار الليبيين بالمدينة من خلال أدلة مادية ملموسة. لكن ينبغي الإقرار بأن البرهنة على ذلك من خلال الوثائق الأثرية مازال من القضايا التي تعترضها عوائق منهجية وموضوعية بالأساس، دون أن نستبعد وجود اعتبارات أخرى ربما تفسر عدم إقبال الأوروبيين على البحث في الحضور الليبي بقرطاج. اعتبر بعض الباحثين أن موقع مدينة قرطاج، الذي نزل به الفينيقيون قبيل تأسيس المدينة، لم يكن مأهولا بالمحليين، وذلك من منطلق أن أقدم طبقة أثرية بموقع قرطاج لا تتجاوز القرن 8 ق.م، أي أنها لا تغطي فترة وصول المهاجرين الفينيقيين إلى الموقع واستقرارهم به. دفع هذا الفراغ للاستنتاج بانعدام دلائل الاستقرار بالموقع قبل القرن 8 ق.م[2]، خصوصا وأن المعالم البارزة التي تميز حضارة السكان الليبيين بباقي أنحاء شمال إفريقيا كالصروح الميغاليتية على سبيل المثال تنعدم بمواقع بموقع قرطاج، أو بالأحرى بالمناطق التي شملتها الحفريات لحد الآن.

وفسر آخرون غياب مستويات أثرية محلية سابقة على مرحلة التأسيس بطغيان حياة الترحال التي عاشتها القبائل الليبية التي استوطنت المناطق القريبة من موقع قرطاج[3]. في حين اعتبر البعض الآخر أن نتائج الأبحاث الأثرية التي جرت لحد الآن بالموقع قد حسمت الموضوع، وبالتالي فمدينة قرطاج أنشأت من طرف الفينيقيين بموقع خال من السكان، وذلك بحجة

1- إذا كان التأثير الحضاري الفينيقي يعني-نظريا-استقرار العنصر الفينيقي، فإننا-واقعيا-لا نستطيع الجزم بأن كل ما له صلة بحضارة الفينيقيين يعني بالضرورة أنه من عمل فينيقيين مقيمين بقرطاج، فالكثير من مظاهر الحضارة نُقلت إلى قرطاج عبر التجارة.

2- تجذر الإشارة إلى أن المعطيات الحالية تظل مؤقتة بالنظر لغياب حفريات تهتم بمراحل ما قبل تأسيس قرطاج مقارنة بالأهمية المتزايدة التي تحظى بها آثار الفترة القرطاجية.

3- LAPEYRE G.-G., et PELLIGRIN A., *Carthage punique*, p. 71.

غياب أي أثر مادي للمحليين في أقدم طبقة أثرية بمعبد صلامبو *(Salammbô)* بقرطاج، أي الطبقة الأثرية المسماة تانيت1، باعتبارها أقرب إلى مستوى الأرض العذراء *(Terre vierge)*[1]. بينما استدل بيار سنتاس ببقايا الخزف المنسوب لقبرص بأقدم طبقات معبد صلامبو بقرطاج للاستنتاج بأن تعمير الموقع لم يتم فقط من طرف الصوريين، وإنما بمشاركة سكان جزر شرق المتوسط، وخصوصا القبارصة[2]. لكن إذا عدنا إلى أقدم الحفريات الأثرية بقرطاج، وخصوصا بمعبد صلامبو نلاحظ أن أوائل الأثريين لم يستبعدوا وجود استقرار بالموقع قبل مجيء الفينيقيين، وهو أمر منطقي لأنه من المستبعد نزول المهاجرين الفينيقيين بمكان خال من السكان[3]. فقد عثر سنتاس خلال حفرياته بمعبد صلامبو، وبالضبط تحت المستوى الأثري للقرن 8 ق.م، على صوان مصقول *(Silex poli)* اكتشف أيضا بالعديد من مواقع العصر الحجري الحديث بتونس(4). وقد اعتبر الباحث لنسل ذلك دليلا على وصول الإنسان إلى موقع قرطاج قبل تأسيس المدينة بالرغم من عدم العثور على أدلة مادية أخرى تعزز فرضية وجود استقرار بشري سابق على مرحلة التأسيس[5].

كما عثر سنتاس خلال حفرياته بنفس الموقع سنة 1948 على خزف يدوي ذو زخارف محززة في أقدم مستوى أثري[6]. لكنه لم يربط ذلك باستقرار محلي سابق على تأسيس قرطاج. وكان كارطون قد اكتشف سنة 1929 مباشرة فوق الأرض العذراء خزفا يدويا خشنا صنفه

1- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 117.

2- انظر بهذا الخصوص دراسة سنتاس لخزف الهيكل أو الضريح ما قبل القرطاجي الذي وجد تحت أقدم طبقة أثرية بمعبد صلامبو:

- CINTAS P., *Céramique punique*, pp. 498-516.

3- ترى الباحثة حليمة غازي أن قصة التأسيس توضح بشكل جلي وجود محليين منظمين مجتمعيا ما دام لا يعقل أن ينزل الفينيقيون بأرض خلاء. وذلك من منطلق أن تأسيس المراكز يتطلب توفر شرطين: أولهما أن تكون الأرض المختارة آهلة بالسكان، أي وجود تجمع سكني محلي سابق. وثانيهما أن يسود السلم والأمن والتفاهم بين الطرفين. لمزيد من التفاصيل انظر المقال التالي:

- غازي-بن ميس (حليمة)، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مرجع سابق، ص. 4.

4- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 37.

5- LANCEL S., La Carthage punique, *Ency. Berb.,* T. XI, Aix-en-Provence, France, 1992, pp. 1780-1789, p. 1782.

6- CINTAS P., Un sanctuaire pré-carthaginois sur la grève de Salammbô, dans *Rev. Tun.*, 1è et 2è Trimestres, 3è série. n°1 et 2, 1948, pp. 1-31, p. 11.

ضمن الخزف «البربري» العتيق[1]. وربط الباحث ذلك الخزف بالساكنة التي كانت مستقرة بالموقع قبل وصول الفينيقيين إليه[2]. وقد عززت الحفريات الموالية بالموقع تلك الخلاصة الأولية، إذ تبين أن حوالي 25% من الشقف الخزفية التي عثرت عليها البعثة الأثرية الألمانية في بقايا مساكن بقرطاج، ونُسبت للقرن 8 ق.م، هي في الواقع خزف من إنتاج السكان الليبيين. مما يكشف حسب نفس التحريات عن حضور قوي لهؤلاء السكان بالمدينة[3] على الأقل منذ الفترة المبكرة من تأسيسها.

ورغم أهمية الاستنتاجات الممكن إبداؤها اعتمادا على المعثورات المشار إليها أعلاه، فإن ما يبدو مهما في حدود المعطيات الحالية هو أن النقاش حول أقدم آثار موقع قرطاج لم يحسم بعد حتى يتسنى الجزم بأنه كان خاليا من الليبيين قبل القرن 8 ق.م. ذلك أن الاستبارات التي وصلت إلى أقدم الطبقات الأثرية تعد قليلة. ومن أهمها تلك التي قام بها كل من هاردن وسنتاس بمعبد صلامبو، ووصلت إلى مستوى الطبقة الأثرية تانيت 1 المؤرخة عموما بالقرن 8 ق.م. ولهذه الأسباب، فنحن لسنا متأكدين من أن تلك الطبقة تمثل بالفعل أقدم آثار الاستقرار بالموقع. كما يحتاج تأكيد نسبة الصوان المصقول الذي اكتشفه سنتاس، ونسبه للعصر الحجري الحديث، إلى المزيد من الحفريات بالموقع للتأكد من مدى تأثر الباحث بما كان يروج في عصره من أفكار مؤداها أن المهاجرين الفينيقيين إلى قرطاج قد اتصلوا بشعب كان لا زال يعيش حقبة العصر الحجري الحديث.

أما بالنسبة لآثار الليبيين بالموقع خلال القرون التالية للتأسيس، فإن الدراسات التي اهتمت بالطقوس والممارسات الجنائزية قد كشفت عن وجود طقوس جنائزية ليبية عتيقة بموقع قرطاج. فقد عثر في مدافن درمش *(Dermech)*، وجنون *(Junon)*، وبيرسا *(Byrsa)* المؤرخة بالقرن 7 ق.م على عظام مطلية بلون الزنجفر *(Vermillon)*[4]، وهي ممارسة جنائزية محلية تعود إلى ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا القديم[5]، وأشار إليها هيرودوتوس خلال القرن

1- CARTON L., *Sanctuaire punique découvert à Carthage*, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1929, p. 37.

2- Ibidem.

3- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 34.

4- GAUCKLER P., *NP*, 1ére partie, Auguste Picard, Editeur, Librairie des Archives nationaux et de la société de L'école des Chartes, Paris, 1915, pp. 21 et 106-119.

5- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, CNRS, Paris, 1982, p. 266 ; BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 590 .

5 ق.م في سياق حديثه عن عادات الليبيين بالساحل الشرقي التونسي[1]. لقد استنتج لنسل من دراسته للممارسات الجنائزية بتلك المدافن أن السكان الليبيين شكلوا عنصرا بشريا أساسيا بمدينة قرطاج، وأنهم كانوا يمثلون على ما يبدو العنصر الغالب مع بداية القرن 7 ق.م، أي بعد مرور ثلاثة إلى أربعة أجيال من تأسيس قرطاج[2]. كما يتعين التنبيه إلى أن دراسة العمارة الجنائزية في مواقع مجاورة لقرطاج قد كشفت بدورها عن دلائل استقرار محلي قديم من خلال استمرار تقاليد العمارة الجنائزية الليبية بهذه المناطق خلال الفترة القرطاجية[3].

3 - ساكنة قرطاج من خلال معطيات النقائش الإيبغرافية:

يصطدم توظيف معطيات النقائش البونية في دراسة المعطيات البشرية بمدينة قرطاج بعائقين أساسيين، أولهما صعوبة تأريخ تلك النقائش، وثانيهما كون معظمها-حسب الدراسات المنجزة لحد الآن-لا تنتمي إلى الفترة العتيقة من تاريخ المدينة، وإنما إلى القرن 5 ق.م وخصوصا القرن 3 ق.م[4].

اتجهت أولى الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع نحو قراءة بعض الألفاظ الواردة في النقائش على أساس أنها تشير إلى موطن أصحاب الإهداءات[5]. وهكذا تم تمييز ألفاظ من قبيل صيدوني[6]، وأروادي[7]، وصوري[8]، واعتبرت بمثابة أدلة على وجود عناصر فينيقية بقرطاج. لكن إذا اعتبرنا النقائش التي يشير فيها أصحابها إلى أوطانهم، أو إلى مدنهم بفينيقيا كمعيار لتقدير أهمية العنصر الفينيقي بمدينة قرطاج لاتضح لنا مدى قلة العنصر الفينيقي ربطا بندرة أسماء الأماكن الفينيقية في نقائش قرطاج التي تعد بالآلاف[9]. كما تطرح قراءة وتمييز أسماء الأماكن الفينيقية المفترضة عدة شكوك بفعل صعوبة قراءة النقائش نتيجة غياب الفواصل وصعوبة تمييز الألفاظ عن بعضها، وبالتالي قراءة ألفاظ النقائش.

1- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 191.

2- LANCEL S., *Carthage*, p. 68.

3- PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'«influences», p. 222.

4- الشريف (زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 143.

5- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 171.

6- CIS I, 308; 4914.

7- CIS I, 5945.

8- CIS I,3939 ; BORDREUIL P., et FERJAOUI A., À propos de BN SR et BN QRTHDST, dans *SP*, T. VI, 1978, pp. 137-142, p. 137.

9- الشريف (زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 142.

ولهذا لابد من توخي الحذر عند التعامل مع بعض أسماء الأماكن المستخرجة من النقائش البونية. فقد بيّن هالف مثلا أن لفظ «صدن» *(SDN)* الذي قُرأ بصيغة «صيدوني» يحتمل قراءة مغايرة تماما، حيث أن الأمر قد يتعلق بلفظ يفيد معنى «مُعتق»[1] الذي ورد في النقائش اللاتينية بصيغ مختلفة مثل: سيدين *(Siddin)*[2]، وستيدين *(Stiddin)*[3]، وتزيدين *(Tziddin)*[4]، وسدونيس *(Sadunis)*[(5)]. وكيفما كان الأمر، فإن الملاحظات التي أبديناها بخصوص صعوبات تمييز أسماء الأماكن الفينيقية في نقائش قرطاج، وقلة عددها لا تعني إنكار وجود العنصر الفينيقي. كما أن ندرتها راجعة -ربما- لعدم حرص القرطاجيين ذوي الأصول الفينيقية على التذكير بأصولهم المشرقية في النصوص النذرية والجنائزية.

كما تعد أسماء الأعلام إحدى أدوات البحث في مسألة الوجود الفينيقي بقرطاج. لقد تبين من المقارنة بين أسماء الأعلام الفينيقية بالشرق والبونية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا أن هناك تشابها بينهما على مستوى البناء اللغوي، سواء من حيث خضوع تركيب الاسم لنفس القواعد، أو من حيث تكوّن الاسم من مقطع واحد، أو من مقطعين[6]. فقد أحصى الباحث الفرجاوي من بين نقائش قرطاج حوالي 101 اسما مشتركا بين المجال القرطاجي الإفريقي والشرق الفينيقي[7]. الأمر الذي يكشف عن أهمية استقرار الفينيقيين في قرطاج من خلال انتشار الأسماء الفينيقية بها. لكن إذا كان هذا التفسير منطقيا، فهو لا يعكس، ربما، غلبة العنصر الفينيقي، فحمل الاسم الشرقي قد لا يعني بالضرورة الانتماء العرقي إلى العنصر الفينيقي[8]، وذلك بسبب الاختلاط البشري الذي حصل بين الفينيقي المشرقي والعنصر الليبي الإفريقي. هذا بالإضافة إلى أن عددا كبيرا من أسماء الأعلام البونية لم يُعثر عليها في نقائش

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, dans *Karthago*, T. VI, Édisud, Aix-en-provence, France, 1989, pp. 855-861, p. 140.

2- CIL, VIII, 9106.

3- CIL, VIII, 10686.

4- CIL, VIII, 25168.

5- CIL, VIII, 15785.

6- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 80.

7- FERJAOUI, A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage, Fondation nationale* - Carthage, Tunis, 1992, p. 317.

8- اقتبسنا هذه الفكرة من مقال الباحثة حليمة غازي :

- غازي-بن ميس (حليمة)، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مرجع سابق، ص. 9.

الشرق الفينيقي، أو في مناطق النفوذ الفينيقي بمناطق حوض البحر المتوسط. لقد أحصى المختصون حوالي 320 اسم علم تميز بها المجال القرطاجي الإفريقي دون غيره[1] ما يمثل الأغلبية الساحقة من أسماء الأعلام الواردة بنقائش قرطاج.

ويبدو أن ذلك التميّز يعكس التحولات الخاصة التي عرفتها أسماء الأعلام بمدينة قرطاج، ويُبيّنُ أن معظم تلك الأسماء قد ظهرت بالمجال القرطاجي الإفريقي[2] بالرغم من طابعها الشرقي. ولا يستبعد أن لذلك أيضا علاقة بالتحولات الاجتماعية التي حدثت بالمدينة نتيجة انفتاحها أكثر على الجوار الليبي، وبفعل المصاهرات التي حدثت بين العنصرين الفينيقي والليبي. وتُقدم النصوص التاريخية القديمة والنقائش الإيبغرافية ما يكفي من الأدلة على إقبال الليبيين والنوميديين على اتخاذ الأسماء ذات الطابع الشرقي التي سادت خلال الفترة القرطاجية البونية. ذلك أن سكان مدينة سيرتا على سبيل المثال- التي كانت عاصمة للملوك النوميديين، ولم يسيطر عليها القرطاجيون قط، وإنما دخلوها كلاجئين بعد سقوط مدينتهم- قد اتخذوا أسماء بونية، سواء بالنسبة للفئات الغنية مثل المسؤولين عن ضرب نقود المدينة[3]، أو الأشخاص العاديين[4]، وهو ما يتضح من نقائش الحفرة (قسنطينة بالجزائر).

ويبدو أن الإقبال على اتخاذ الأسماء ذات الطابع الشرقي لم يفض إلى تلاشي الأسماء الليبية. لقد أعطى القادة النوميديون المثل بتبنيهم لأسماء بونية كما هو الشأن بالنسبة لأبناء مسنيسا: مستنبعل *(Mastanbal)*، وأدربعل *(Aderbal)*[5] كما يتضح من الأسماء المذكورة في نقائش الحفرة[6]. كما كان أحد أصدقاء يوغرطة يحمل اسما ذو طابع شرقي هو بوملقار[7]

1- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, Fondation nationale - Carthage, Tunis, 1992, p. 310-316.

2- Ibid., p. 263.

3- BERTRANDY F., Cirta, dans *Ency. Berb.*, T. XIII, Édisud, Aix-en-Provence, France, 1994, pp. 1964-1977, p. 1966.

4- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, AMG, Paris, 1955, passim.

5- SALLUSTE, *GJ*, 5.

6- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, op. cit.: **Mastanbal** : n° 59, p. 63 ; **Azurbal** : n° 71, p. 66 ; n° 91, p. 78 ; n° 117, p. 94 ; n° 118, p. 94 ; n° 237, p. 148 ; n° 270, p. 161 ; n° 171, p. 121 ; n° 188, p. 129 ; n° 225, p. 143 ; n° 233, p. 147 ; n° 266, p. 159. **Aderbal** : n° 187, p. 129.

7- SALLUSTE, *GJ*, XXXV, 4.

علما أن سالوستيوس اعتبره من أصل نوميدي[1]. وتسمح النقائش البونية كذلك بأخذ فكرة عن استقرار العناصر الليبية أو ذات الأصول الليبية بقرطاج. اعتبر المختصون أن بداية وجود هؤلاء بالمدينة يؤرخ بالقرن 5 ق.م[2] من خلال تأريخ إحدى النقائش الحاملة لأسماء أعلام ليبية، والتي اعتبرت الأقدم من بين النقائش الأخرى[3]. غير أنه يصعب التأريخ لبداية استقرار الليبيين بالمدينة بالقرن 5 ق.م من خلال تأريخ تلك النقيشة، لأنه لا يوجد ما يمنع من افتراض أن الأسماء العائدة للقرن 5 ق.م هي لأشخاص عاش آباؤهم وأجدادهم بالمدينة منذ قرون كما بينا سابقا من خلال قرائن استقرار السكان المحليين بالموقع قبل وأثناء تأسيس المدينة، خصوصا بالنظر لندرة النقائش المنتمية للفترة العتيقة بقرطاج، أي القرنين 8 و7 ق.م.

صنف الأثريون الأوائل عددا من أسماء الأعلام الواردة بالنقائش البونية ضمن الأعلام الليبية[4]. وقد سمح تصنيف النقائش البونية بإنجاز دراسات إحصائية لتلك الأسماء. فقد تبين أن حوالي 79 اسما تحمل طابعا ليبيا واضحا[5]. ويرى الفرجاوي أن استمرار تداول الأسماء الليبية بالرغم من طغيان الأسماء ذات الطابع الشرقي يدل على مقاومة الليبيين لما أسماه ب»عملية المثاقفة» مع العنصر الفينيقي[6]، والحال أن تلك الظاهرة تعد منطقية، وتعكس تشبث تلك الساكنة بالميراث الاجتماعي الذي تمثل المحافظة على أسماء الأعلام إحدى أهم تجلياته. أما بالنسبة للأسماء القومية التي ربما أطلقها هؤلاء السكان على أنفسهم. فقد ورد اسم «لبي» *(LBY)* و«لبت» *(LBT)*[7] بعدد من النقائش البونية، أحصى منها هالف حوالي 35 اسما[8]. فهل يتعلق الأمر باسم علم ليبي يخفي الاسم الذي أطلقه الإغريق على سكان شمال إفريقيا القديم، ثم على سكان المجال الإفريقي التابع لقرطاج فيما بعد؟ خصوصا وأن

1- Id, ibid., LXI, 4.

2- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 331.

3- CIS I, 5510.

4- VASSEL E., et ICARD, F., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage, dans *Rev. Tun.*, n° 152-153-154, Juillet-Décembre 1922, pp. 212-230, n° 11, p. 226; VASSEL E., Études puniques (XIII), quinze ex-voto carthaginois, dans *Rev. Tun.*, n° 146-147-148, Juillet-Décembre 1921, pp. 197-206, n° 69, p. 206 ; n° 71, p. 191 ; n° 93, p. 197 ; CHABOT J.-B., Punica, dans *JA*, T. VII, mai-juin 1916, pp. 443-467, p. 446 ; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 174.

5- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 325-328.

6- Ibid., p. 329.

7- CIS I, 470; 1118; 1480; 2074.

8- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

نفس الاسم يرد أيضا في نقائش الحفرة بقسنطينة[1].

أعرض أوائل الباحثين الذين أوردوا تلك الأسماء عن الخوض في معانيها، ولم يذكروا شيئا بخصوص صلتها بالليبيين[2]. بينما اعتبر هالف أن تلك الأسماء مشتقة من اسم مجموعات بشرية[3]. والواقع أن الإجابة عن السؤال المطروح سابقا يقتضي طرح المسألة في إطار علاقة السكان الليبيين بشمال إفريقيا عموما بالاسم المتداول في النصوص الإغريقية. ويهمنا في هذا الصدد إبداء بعض الملاحظات بخصوص علاقة تلك الأسماء بالاسم الذي كان يطلقه سكان شمال إفريقيا القديم على أنفسهم. فإذا كانت لتلك الأسماء بالفعل علاقة بالاسم القومي الذي اتخذه سكان المنطقة، فمن المنطقي أن يكون حظها من التداول أكثر مقارنة بباقي الأسماء، وهو ما لا يبدو مرجحا على ضوء المعطيات الحالية، حيث أن عدد المرات التي ورد فيها اسمي «لبي» *(LBY)* و«لبت» *(LBT)* في النقائش البونية بقرطاج يعد قليلا جدا إذا ما قورن على سبيل المثال بعدد المرات التي وردت فيها أسماء اعتُبرت مصرية مثل: «مشري» و«مشرت».

وفضلا عن ذلك، لا بد من التنبيه إلى نسبية ما يمكن أن تمدنا به الدراسات الأعلامية في موضوع الأسماء الليبية بنقائش قرطاج. فهذه المعطيات لا تزال موضوعيا في طور التشكل لسبب يتعلق بمدى تقدم معرفتنا باللغة البونية وتفسير ألفاظها. لقد اقتصرت معايير تمييز تلك الأسماء بالنقائش على فرز الأعلام التي صنفت شرقية، أو ذات طابع شرقي من خلال محاولة فهمها في سياق البناء اللغوي والصواتي للغة البونية، ثم الاكتفاء بتصنيف الأسماء غير المفهومة - بالنسبة لباحثين معظمهم غير ملمين باللغة الأمازيغية - ضمن الأسماء الليبية، وهي منهجية يصعب الوثوق بالخلاصات التي تسفر عنها[4]. ولذلك، يصعب الجزم بأن أسماء الأعلام المصنفة ضمن الأعلام الليبية تعكس بالفعل حجم حضور الساكنة الليبية بقرطاج.

وكيفما كان الأمر، فإن استمرار اتخاذ أسماء ليبية خلال الفترة القرطاجية يؤكد استقرار السكان الليبيين بالمدينة منذ تاريخ يصعب تحديده بالضبط اعتمادا على المعطيات النقائشية

1- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, N° 136, p. 103.

2- VASSEL E., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage, dans *Rev. Tun.*, n° 162-163, Décembre 1924, pp. 243-265, p. 247.

3- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

4- يطرح توظيف الأمازيغية الحديثة في دراسة اللغات القديمة بشمال إفريقيا نقاشا ما انفك يتزايد بتقدم الدراسات اللغوية واللسانية الخاصة بلغات الفترة القديمة، وقد تمخضت عن ذلك عدة اتجاهات وآراء. انظر ما كتبناه في الهامش رقم 987، الصفحتين 208-209.

المتوفرة حاليا. كما يعكس تشبث هؤلاء بأسماء أسلافهم تمسكا بجانب من الموروثات الحضارية لساكنة المنطقة. وعلاوة على ذلك، أظهرت النقائش أيضا أن الليبيين قد اضطلعوا بأدوار مهمة في الحياة الاقتصادية والدينية، وربما السياسية في مدينة قرطاج الإفريقية. فقد زاولوا مهنا مختلفة[1]، منها على سبيل المثال مهمة الكهانة[2]، ولا نستبعد أنهم تولوا أعلى المناصب السياسية بقرطاج كمنصب الشوفط[3] مما يعني أنه لم يكن حكرا على ذوي الأصول الفينيقية[4].

وفي هذا الإطار، لابد من التنبيه إلى دلالة الإحصائيات التي أنجزها المختصون في سياق دراسة المكونات البشرية بقرطاج اعتمادا على أسماء الأعلام. فالمعطيات الحالية تبين طغيان أسماء الأعلام غير الشرقية مع كثرة أسماء أعلام بونية لم يثبت وجودها في نقائش الشرق الفينيقي، إضافة إلى الأسماء ذات الطابع الليبي[5]. فإذا تأملنا في هذه المعطيات باستحضار مسألة علاقة الاسم بهوية حامله، لوجدنا أنها تعكس ذلك التفاعل الذي حدث بقرطاج على مستوى اتخاذ أسماء فينيقية وليبية، وأخرى بونية صميمة. وهذا الاختلاط، الذي يعكسه اتخاد أسماء متنوعة، يعد بدوره إحدى نتائج التمازج الاجتماعي الذي حصل بين الفينيقيين والليبيين على مدى قرون من الزمن. وهو ما يجعل أسماء الأعلام ذات أهمية ثانوية في دراسة المعطيات البشرية بمدينة قرطاج، إذ من الممكن أن يخفي الاسم الشرقي شخصا من أصول ليبية، والعكس صحيح[6].

1- CIS I, 5510; 4607; 5984.

2- RES, 341.

3- نفضل استعمال مصطلح «شوفط» بدلا عن «سبط»، فقد ورد هذا اللقب في النقائش البونية بصيغة «ش ف ط»، مفرد «ش ف ط م» وذلك باستعمال حروف الشين والفاء والطاء دون صورة سمعية بسبب غياب الحركات الدالة على الأصوات في الكتابة البونية. ومن أجل إيجاد النطق السليم للفظ، استعنا بصيغة «ش و ف ط» المعروفة في اللغة العبرية القديمة. انظر بهذا الخصوص:

- VASSEL E., et ICARD F., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage, n° 1, p. 219.

4- نجد على إحدى نقائش قرطاج امرأة تحمل اسم ل ب ت(LBT) ويتضح من شجرة أنسابها أن ثلاثة من أجدادها- الذين يحملون أسماء ذات طابع شرقي- مقرونة بلقب شوفط مما يعني أنهم، ربما، تولوا هذا المنصب، أو مناصب في القضاء. وهذا يطرح مسألة تمكن أسر ذات أصول ليبية من تولي مناصب عليا في قرطاج. انظر النقيشة:

5- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 329.

6- تمثل أسماء الأعلام بثوغا (دقة بوسط تونس) وسيرتا (قسنطينة بشرق الجزائر) نموذجا في هذا السياق. فإذا كانت الأولى قد خضعت للسيطرة القرطاجية قبل أن يفتكها مسنيسا خلال الحرب البونية الثالثة، فإن نقائشها تكشف عن غلبة الأسماء الليبية، بينما تتميز نقائش الثانية، والتي لم تكن-على الأرجح-مستوطنة فينيقية، ولم تخضع للحكم القرطاجي المباشر، بغلبة أسماء الأعلام ذات الطابع الشرقي. وهذا يمثل دليلا على إقبال النوميديين على حمل تلك لأسماء، وأن حمل اسم شرقي لا يعكس بالضرورة انتماء حامله لأصل فينيقي، خصوصا إذا افترضنا أن الفينيقيين، ربما، لم يُقبلوا على اتخاذ أسماء محلية.

وإذا كانت النصوص التاريخية قد تحدثت عن الزواج المختلط، فإن المعطيات المستخلصة من أسماء الأعلام بقرطاج تدعم فكرة الانصهار الاجتماعي الذي حصل بالمدينة بين الفينيقيين والليبيين. وتزكي النقائش الليبية المكتشفة خارج قرطاج هذا الأمر، حيث نجد بإحداها شخصا يحمل اسما ليبيا بينما اتخذ أبوه اسما ذو طابع شرقي (مبطر بن ماغون)[1]. أما بنقائش قرطاج، فنجد أشخاصا يحملون أسماء ذات طابع شرقي، بينما يحمل آباؤهم أسماء ليبية[2]، وآخرون يحملون أسماء ليبية، في حين اتخذ أسلافهم أسماء ذات طابع شرقي[3]. وفضلا عن إفادات أسماء الأعلام، فإن الأصل الليبي لعدد من أسماء الأماكن خلال عصر الاحتلال الروماني للمنطقة، ولا سيّما بالمناطق المجاورة لقرطاج[4] تسمح بافتراض قدم استقرار الليبيين بالمناطق القريبة من قرطاج[5].

نستنتج بناء على ما سلف أن أسماء الأعلام بنقائش قرطاج لا يمكن أن تعطي صورة دقيقة عن سكان المدينة على الأقل خلال الفترات التي تُؤَرَّخُ بها. لكنها تعكس على الأرجح العلاقات التي حدثت بين المهاجرين الفينيقيين والسكان الليبيين الأصلاء بالمنطقة. ومهما بلغت معرفتنا باللغة البونية، فإن أسماء الأعلام لا تمثل في كل الأحوال أداة ناجعة لمعرفة المعطيات البشرية بقرطاج، فبالأحرى التمييز بين العناصر البشرية التي استوطنت بها. لكن ذلك لا يمنع من الاستئناس بمعطياتها على غرار باقي العلوم المساعدة للتاريخ، ومن بينها الأنثروبولوجيا البيولوجية.

1- FÉVRIER J.-G., Que savons-nous du Libyque, p. 269.

2- VASSEL E., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage (suite), dans *Rev. Tun.*, n° 161, Août 1924, pp. 186-260, p. 186.

3- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 325-328.

4- من بين تلك الأسماء نذكر ما يلي :

- Thunigaba- Thuburbo Minus- Thibicuca- Thizika- Thuccabori- Vreu- Vccula- Thubba- Vaziri- Vlula- Vazali Sar- Tunis.

5- PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'»influences», p. 219 ; FANTAR M.-H., Présence punique et romaine à Tunis et dans ses environs immédiats, dans *Ant. Afr.*, T. 14, 1979, pp. 55-81, p. 75.

4 - ساكنة قرطاج من خلال أبحاث الأنثروبولوجيا البيولوجية:

ساهمت الأنثروبولوجيا البيولوجية (الإحيائية)[1] منذ بداية القرن العشرين من خلال بعض الدراسات التمهيدية في التعريف بالخصائص المميزة لسكان مدينة قرطاج انطلاقا من مقارنة البقايا العظمية المكتشفة بالمقابر الفينيقية بالشرق من ناحية، وبمقابر موقع قرطاج بإفريقيا من ناحية أخرى[2]. لكن يتوجب التنبيه بداية إلى أن توظيف هذا النوع من الأبحاث في الدراسات التاريخية يصطدم بعدة عوائق من بينها صعوبة التمييز بين العناصر البشرية اعتمادا على دراسة بقايا الهياكل العظمية، وهو الأمر الذي يعد مسألة جد معقدة في هذا الفرع من الأنثروبولوجيا[3]. فضلا عن قلة هذا النوع من الدراسات بالنسبة للفترة القرطاجية إذا استثنينا المحاولة التأسيسية التي قام بها برطلون وشانطر. وتنضاف إلى هذا العائق المنهجي الموضوعي مشاكل ترتبط بقلة البقايا المادية التي تهم الموضوع المدروس، فضلا عن تعثر هذا النوع من الأبحاث بشمال إفريقيا[4]. بيد أن ذلك لا يمنع من الاستئناس بما وفرته تلك الأبحاث من معطيات بشرط وضعها في سياق مقاربة شمولية تربط نتائج تلك الأبحاث بما وفرته باقي المصادر الأخرى، الأدبية والأثرية والإيبغرافية.

يعد الطبيب الفرنسي برطولون أول من حاول، منذ 1911، إنجاز دراسة مقارنة بغية التعرف على الخصائص البيولوجية لساكنة قرطاج انطلاقا من مقارنة البقايا العظمية لقبور

1- تعد الأنثروبولوجيا البيولوجية (الفيزيائية) أو الطبيعية فرعا تطبيقيا من الأنثروبولوجيا، ويدرس المجموعات البشرية من وجهة نظر بيولوجية، وبالتالي فهو يتقاطع مع فروع أخرى مثل علم الأحياء القديمة، وعلم الآثار والإثنولوجيا(علم الأعراق). بخصوص الصعوبات المرتبطة بتصنيف فروع الأنثروبولوجيا راجع:

- HEUSE G. A., Les classifications des sciences anthropologiques, dans *Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris*, Année 1961, 2-2, pp. 145-153, p. 148.

2- يندرج هذا النوع من الدراسات ضمن علم العظام (Ostéologie) الذي يهتم بدراسة العظام القديمة، وهو فرع من علم الانثروبولوجيا البيولوجية (الفيزيائية)، بحيث يتقاطع مع علم الاثار في دراسة مخلفات الإنسان من خلال بقاياه العظمية، في تخصص يسمى الأركيولوجيا الإحيائية (L'archéobiologie) الذي يتولاه المختصون في العظام القديمة (Ostéologue).

3- يتوجب التنبيه إلى نسبية النتائج التي تسفر عنها أبحاث الأنثروبولوجيا البيولوجية بالرغم من التطور الذي حصل في هذا المجال. مما يجعلها مجرد أداة مساعدة للبحث في موضوع المعطيات البشرية. ولا يمكن، بالتالي، الاستنتاج فقط بناء على ما نحصل عليه من معلومات ذات صلة بدراسة البقايا العظمية. ذلك أن فكرة العنصر البشري التي تعني مجموعة بشرية اكتسبت بسبب الأصل المشترك خصائص جسمانية ثابتة هي فكرة تبدو غير واقعية بالنسبة للدراسات التي تهم الفترة القديمة، لأننا لا نستطيع مطلقا معرفة التطور البيولوجي الذي نجم عن الامتزاج البشري الذي حصل بمنطقة معينة خلال فترات موغلة بالاعتماد على البقايا العظمية.

4- نُشرت أهم الأبحاث الأنثروبولوجية حول سكان شمال إفريقيا القديم مع بداية القرن العشرين، ثم عرفت تراجعا ملحوظا، لا سيّما أن الدراسات التاريخية لم تبد اهتماما كبيرا بما توصل إليه برطولون وشانطر.

موقع قرطاج ببقايا مماثلة بقبور فينيقيا. درس برطولون حوالي 303 جمجمة عثر عليها في قبور القرن 4 ق.م بقرطاج، وأخرى اكتشفت خلال الحفريات التي أجريت بمواقع بالساحل اللبناني. وخلص الباحث إلى أن الجماجم القرطاجية تتميز بخصائص مميزة عن الجماجم الفينيقية[1]، مستنتجا بأن خصائص الإنسان القرطاجي عكس عن اختلاط عناصر بشرية متنوعة، وبالتالي فإن سكان قرطاج خلال الفترة المدروسة (ق. 4 ق.م) لا تتوفر فيهم جميعهم خصائص الإنسان الفينيقي[2]. لكن إذا كانت نتائج تلك الدراسة الأولية تبدو منطقية على ضوء المعطيات الأدبية والمستجدات الأثرية التي سُقناها، فإنه لابد من إبداء بعض الملاحظات بشأن المادة العلمية لتلك الدراسة، والخلفيات التي أطرت على الأرجح النتائج المُتَوَصَّل إليها.

لقد اعتمد الباحث بالفعل على البقايا العظمية لقبور قرطاج، ولكنه استعان أيضا بالصفات الجسمانية لسكان تونس المعاصرين. كما لم تكن بحوزته معطيات كافية حول الخصائص الجسمانية للإنسان الفينيقي في موطنه نظرا لقلة البقايا العظمية وقتئذ. وأخيرا، فإن برطولون كان متأثرا على ما يبدو في خلاصاته ببعض الأفكار المسبقة، حيث حاول بشتى الطرق استبعاد الفينيقيين الذين ثبت تاريخيا وصولهم إلى المنطقة من خلال محاولة مقارنة الصفات الجسدية لسكان قرطاج بسكان الجزر الإيجية وكريت خلال العصر الحجري الحديث[3] للاستنتاج بأن شمال إفريقيا كانت مأهولة بالإغريق قبل وصول الفينيقيين إلى المنطقة، وبأن هؤلاء الأخيرين ذابوا وسط ساكنة كريتية وإيجية كانت مستقرة هناك[4].

وفي سنة 1913 نشر الباحثان برطولون وشانطر دراسة مقارنة للبقايا العظمية بثلاثة مجالات هي قرطاج وفينيقيا والمدافن الليبية[5]. وتمثلت العينات المدروسة بالنسبة لموقع قرطاج في جماجم القبور المنتمية لما بين القرنين 6 و3 ق.م (حوالي 117 جمجمة). علما أن معظمها تنتمي للقرن 4 ق.م. كما اعتمد الباحثان في دراستهما على عدة مؤشرات من بينها حجم الجمجمة والجبين والأنف والقامة..الخ لكن مع التركيز على حجم الجمجمة، أو ما

1- BERTHOLON L., Étude comparée sur des crânes de carthaginois il y a 2000 ans et de tunisois contemporains, dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 86 bis, mars 1911, pp. 161-168, pp. 164-165.

2- Ibid., p. 165.

3- Ibid., p. 166.

4- Ibid., p. 167.

5- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, passim.

يسمى بالمؤشر الرأسي، كمؤشر رئيس. ميّز الباحثان في جماجم قرطاج بين إنسان ذو رأس طويل يحمل خصائص إنسان العصر الحجري الحديث وإنسان الدولمن الليبي بشمال إفريقيا، وآخر ذو رأس قصير ويشبه إنسان المدافن الليبية بموقع الركنية[1] بولاية قالمة شمال شرق الجزائر. واعتبر الباحثان أن الإنسان ذو الرأس المتوسط[2]، الذي يمثل ثلث العينات بموقع قرطاج، يحمل خصائص تشبه خصائص سكان فينيقيا[3]. وتبعا لذلك، فإن سكان المدينة حسب العينات المدروسة ينقسمون إلى عنصرين: عنصر فينيقي ينتمي لصنف ذوي الرؤوس المتوسطة[4]، وإنسان ذو رأس طويل له نفس خصائص إنسان شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث.

صنف الباحثان بعض الجماجم ذات الرؤوس المتوسطة بقرطاج ضمن العنصر الزنجي من خلال توفرها على نفس خصائص الزنوج خلال العصر الحجري الحديث[5]. ومن المرجح أن هؤلاء الزنوج ينتمون لنفس الساكنة التي عاشت بالمنطقة منذ العصر الحجري القديم[6]، وهو ما بينته ذلك دراسات أخرى[7]. وفي هذا الإطار يلاحظ أن الأشخاص المنحوتين على توابيت قرطاج المعروفة بتوابيت الكاهنات تحمل أيضا سمات زنجية[8]. وهذا أمر ملفت للنظر لأن الأمر لا يتعلق بأشخاص عاديين، وإنما بفئات ذات مكانة رفيعة في قرطاج. وما دامت خصائص الزنوج تعد أكثر وضوحا في الدراسات الباليونطلوجية، فقد اعتُبر ذلك بمثابة دليل ملموس على أن المدينة لم تكن حكرا على الفينيقيين[9]. الأمر الذي يسمح بطرح مسألة وجود عناصر بشرية أخرى، على خلاف ما يرى المؤرخون الذين اكتفوا بما ذكرته النصوص التاريخية حول سكان قرطاج.

1- Ibid., p. 260-261.

2- تتفق دراسة أجرتها الباحثة التونسية سهام شابي رودسلي على جماجم بمتحف قرطاج إلى حد ما مع نتائج دراسة برطلون وشانطر (اللذان اعتبرا أن الرؤوس الطويلة تمثل السكان الليبيين)، حيث استنتجت الباحثة أن أغلب الجماجم المدروسة تنتمي إلى صنف الجماجم الطويلة، وغير العريضة. انظر نتائج الدراسة في المقال التالي:

- CHEBBI ROUDESLI S., A propos des crânes puniques de Carthage, dans *Africa*(Série REPPAL), n° IX, 1995, pp. 189-202, p. 198.

3- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 277.

4- Ibid, p. 280.

5- من خصائص الزنوج نذكر الأنف العريض، وانصباب الفكين الطويلين إلى الأمام، مع بروز الأسنان بالإضافة إلى الشعر الأشعث.

6- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 279-280.

7- CHAMLA M.-C., Anthropologie (préhistoire et antiquité), dans *Ency. Berb.*, T. V, Aix-en-Provence, France, 1988, pp. 721-742, p. 734.

8- CAGNAT R., *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord*, p. 6.

9- CONTENAU G., *MAO*, T. I, Editions Auguste Picard, Paris, 1927, p. 76.

استنتج برطولون وشانطر من أبحاثهما حول المعطيات البشرية بقرطاج خلال الفترة التي ركزت عليها دراستهما بأن المدينة شهدت توافد عناصر مهاجرة، وأن هذه الأخيرة سرعان ما ذابت وسط العنصر البشري الغالب[1]. ورغم أن الباحثين لم يُبيّنا قصدهما من العنصر الغالب، فالواضح أن الأمر يتعلق بالسكان الليبيين الأصلاء مادام أن ذوي الرؤوس الطويلة، والذين نُسبوا لإنسان العصر الحجري الحديث بشمال إفريقيا القديم يمثلون حوالي 82% من العينات المدروسة.

ويمكن اعتبار خلاصات هذه الدراسة دالّة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن سكان مدينة قرطاج، كما بينا سابقا، يمثلون عنصرا بشريا لا يقدم إلا نادرا خصائص الإنسان الفينيقي في الشرق كما يرى عدد من الباحثين[2]. مقابل تطابقها مع خصائص الإنسان ما قبيل المتوسطي القفصي، وهو جد الليبيين الذي عاش بالجنوب التونسي[3]، الذي تتميز ساكنته أيضا برأس طويل[4]. مما يجعل خصائصه مشابهة لخصائص الإنسان الذي عثر على بقاياه في قبور قرطاج، ويجعل من المنطقي ربط العنصر البشري الغالب بقرطاج بالعنصر الليبي، خصوصا، وأن خصائص ساكنة شمال إفريقيا القديم كانت قد تشكلت منذ حقب سابقة على وصول الفينيقيين إلى قرطاج[5].

بيد أن هذه الخلاصات تبقى نسبية بحكم ندرة البقايا العظمية بالمواقع الفينيقية في الشرق، حيث لم يخلف الفينيقيون في مهدهم آثارا كاملة تسمح بأخذ فكرة واضحة عن خصائصهم الجسمانية، بيد أن تلك المتوفرة منها لحد الآن لا تحصر العنصر الفينيقي فقط ضمن ذوي الرؤوس المتوسطة كما اقترح شانطر وبرطولون، بل يتضح من اختبارات أنجزت على جماجم مقبرة بمدينة جبيل (بيبلوس قديما) شمال بيروت أن الأمر يتعلق بجماجم طويلة[6]. كما عثر بقبور صيدا بجنوب لبنان جماجم صنفت ضمن ذوي الرؤوس القصيرة شبه

1- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 273.

2- HOURS-MIEDAN M., *Carthage*, p. 12; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 137.

3- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 10-11.

4- Ibid., p. 10.

5- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 50.

6- كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 438.

المستديرة[1]، وأخرى من ذوي الرؤوس الطويلة[2]. تعكس جماجم قبر الملك تابنيت بصيدا خصائص الإنسان ذو الرؤوس المتوسطة[3].

أما بشمال إفريقيا، فإن الدراسات الباليونطلوجية تصطدم بندرة الجماجم بالقبور المنتمية لحقبة ما قبل التاريخ، وانتماء تلك المكتشفة بالمدافن الليبية للفترة القرطاجية[4]. كما أن هناك معطيات تقلل من تماسك خلاصات برطولون وشانطر، بحيث تقدم العنصر الليبي هو الآخر ضمن ذوي الرؤوس المتوسطة على غرار العنصر الفينيقي. فقد وُجدت آثار إنسان ذو رأس متوسط في قبر يعود لما قبل التاريخ[5]. ولهذا، فإنه من السابق لأوانه الادعاء بأننا نتوفر على معطيات متكاملة تسمح بإبداء استنتاجات دقيقة ونهائية حول الخصائص الجسمانية للفينيقيين والليبيين. فكما رأينا أعلاه، يُلاحظ أن كل منطقة (فينيقيا وشمال إفريقيا) تقدم في الواقع تنوعا في أنواع الجماجم. وهذا يؤثر بلا شك على محاولات المقارنة بين الأنواع المتوفرة في المواقع الشمال إفريقية، وتلك المكتشفة في المواقع الفينيقية. كما يفسر، على ما يبدو، قلة الدراسات المنجزة، واتسامها بعدم الشمولية بفعل قلة العينات المدروسة.

إن ما يمكن استخلاصه من الأبحاث الأنثروبولوجية هو تنوع الجماجم العائدة لسكان مدينة قرطاج، الأمر الذي قد يفسر مبدئيا باختلاط عناصر بشرية مختلفة نتيجة للعلاقات الاجتماعية التي حصلت بين العنصرين الفينيقي والليبي[6] الشيء الذي غيّر الخصائص الجسمانية لسكان المدينة[7]. أو ربما نتيجة حصول نفس الظاهرة بالنسبة لكل من الفينيقيين في موطنهم بالساحل اللبناني-السوري، والليبيين بشمال إفريقيا منذ حقب تاريخية موغلة. فإذا كان تفسير اختلاف الخصائص الجسمانية بتنوع أصول الساكنة يعد أمرا منطقيا، فإن ذلك التفسير غير مؤكد من الناحية العلمية بالنسبة للفترة المدروسة، لأن تنوع تلك الخصائص قد يكون موروثا، وبالتالي يرجع لفترات أقدم ما دمنا نجهل التطورات البشرية التي حدثت، سواء بشمال إفريقيا، أو بفينيقيا قبل أن يحصل تلاقي العنصرين بقرطاج، وبمجالها الإفريقي.

1- نفس المرجع، ص. 339.

2- REYNIERS A., Anthropologie, dans *DCPP*, p. 34.

3- CONTENAU G., *MAO*, T. I, p. 92.

4- CHAMLA M.-C., Anthropologie (préhistoire et antiquité), p. 721.

5- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 10.

6- HOURS-MIEDAN, M., *Carthage*, p. 12.

7- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 261.

وإذا كانت الأمانة العلمية تقتضي عدم الاستهانة بالنقائص الموضوعية التي تعتري نتائج أبحاث الأنثروبولوجيا البيولوجية، فلاشيء يدعو -في نفس الآن -لإلغاء معطياتها من المقاربة التاريخية الشاملة. وتبدو الخلاصات التي عرضنا لها منطقية إلى حد ما بالنسبة لمدينة قرطاج إذا نحن استحضرنا إفادات المصادر الأدبية والأثرية، حتى ولو كانت البرهنة عليها من وجهة النظر البيولوجية البحتة غير متاحة في حدود المعطيات التي توصل إليها هذا العلم. وعلى كل حال، فإن الدراسات المنجزة لحد الآن -في حدود إفاداتها الحالية -لا تساير الأطروحة التي تجعل من قرطاج مدينة فينيقية خالصة لأن المعطيات المجالية والبشرية للمدينة، وأهمية انفتاحها بفعل صلاتها التجارية الواسعة تجعل الفكرة العامة الأكثر قبولا بالنسبة لعدد من الباحثين هي أن المدينة تشكلت من خليط من المكونات البشرية[1].

وإن كان الحديث عن وجود خليط بشري بقرطاج بمبرر الانفتاح التجاري للمدينة يبدو مبالغا فيه، في نظرنا، لأن تأسيس المدينة بمجال إفريقي، وتوسعها به يستلزم افتراض العكس، أي أن يشكل سكان البلاد الأصليون العنصر الغالب بالمدينة مقارنة بالعناصر الوافدة. وهذه فكرة موضوعية نتقاسمها مع باحثين آخرين أمثال فيركوتر، الذي استنتج من دراساته بأن قرطاج مدينة إفريقية من حيث موقعها الجغرافي، ومن حيث ساكنتها[2]، وكارطون الذي اعتبر أن قرطاج كانت في المقام الأول مدينة «بربرية» [يقصد ليبية] بعدما ذاب العنصر الفينيقي وسط كتلة هائلة من السكان الليبيين[3].

1- FANTAR M.-H., *Kerkouane, un cité punique au Cap Bon*, p. 202; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 173.

2- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 14-15.

3- CARTON L., Huitième chronique archéologique nord-africain (années 1910-1911), dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 89 bis, septembre 1911, pp. 448-466, p. 453.

الفصل الثاني:
الليبيون بالمجال القرطاجي الإفريقي

1 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال النصوص التاريخية:

1-1 - إشكالية التسمية:

تكمن أهمية تقييم حضور السكان المحليين بالمجال الإفريقي التابع لقرطاج في محاولة الكشف عن إسهامات الإنسان الإفريقي في الحضارة القرطاجية. غير أن هذه المحاولة تصطدم بصعوبة ضبط التسمية الذي كانت تطلق على هؤلاء السكان خلال الفترة القرطاجية، والتي تستوعب المتغيرات المجالية والسياسية التي حصلت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم بعد تأسيس قرطاج. فنحن لا نكاد نجد وثيقة مكتوبة تنتمي إلى الفترة المذكورة، وتشير بدقة للاسم الذي كان يطلقه السكان المحليون بالمجال الإفريقي التابع لقرطاج على أنفسهم[1]، باستثناء ما أشرنا إليه سابقا من حضور محدود لأسماء أعلام ذات طابع قومي تشير إلى الليبيين مثل: «لبي» و«لبت» بالنقائش البونية بقرطاج. ولذلك يبقى من الضروري الاستعانة بالتسميات التي وردت في المصادر الإغريقية واللاتينية، بالرغم مما يطبعها-هي الأخرى-من خلط على مستوى المدلول المجالي والزماني، وذلك ربما بسبب التحولات التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا القديم. وهو ما أثر على استعمالات الباحثين المعاصرين أيضا، حتى أن أحدهم وصف المنطقة التي سيطرت عليها قرطاج بأنها «أرض بلا اسم».[2]

يعد مصطلح ليبيون *(Λίβυες)* من التسميات الأكثر تداولا في النصوص الإغريقية للإشارة إلى السكان المحليين بالمجال الإفريقي الذي خضع لسلطة الدولة القرطاجية، رغم أنه استعمل في سياقات أخرى ليشمل مجموع سكان شمال إفريقيا القديم[3]. ويلاحظ أن التسمية أصبحت تعني، خصوصا في النصوص المؤرخة بفترة الحروب البونية، مجالا جغرافيا محددا

1- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 94.

2- POTS A., Un pays sans nom, dans *Rev. Tun.*, 3è série, n° 1 et 2, 1er et 2è Trimestre 1948, pp. 72-83, p. 72 et 83.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 32 ; id, ibid., IV, 197.

يقتصر على سكان المجال القرطاجي الإفريقي الذين يرتبطون بالدولة القرطاجية بعدة روابط، من بينها دفع الإتاوات وتقديم الجنود. وهذا ما يُفهم من نصوص ديودوروس الصقلي[1]، وبوليبيوس[2]، وأبيانوس[3].

إذا قمنا بتأريخ النصوص التي ذُكرت فيها تسمية «ليبيون» لوجدنا أن معظم الكتاب المذكورين أعلاه (باستثناء هيرودوتوس) قد استعملوها للإشارة إلى سكان المجال الإفريقي الذي خضع للسيطرة القرطاجية، وذلك على الأقل منذ القرن 5 ق.م وإلى غاية سقوط قرطاج[4]. بيد أن ذلك لا يعني أن كل الليبيين كانوا خاضعين للحكم القرطاجي، حيث أشار القدامى في عدة مرات إلى ليبيين مستقلين[5]. كما أن جعل التسمية مرتبطة حصرا بالسكان المحليين الخاضعين لقرطاج تمييزا لهم عن النوميديين والموريين لا يبدو عاما في كل النصوص التاريخية، فبعض الكتاب القدامى استمروا في استعمل التسمية بمدلولها الجغرافي الواسع[6]. لقد ساد الاعتقاد بأن تسمية «ليبيين» ترجع إلى أصل محلي من منطلق ذكرها في الوثائق المصرية العائدة إلى الألف الثاني ق.م. وفي هذا الإطار جمع هنري باطس أسماء المجموعات البشرية الليبية التي وردت في الوثائق المصرية، ومن بينها «الليبو»، أو «الريبو» مستنتجا بأن الإغريق اكتفوا بنقل التسمية من المحليين، وأطلقوها على مجموع سكان شمال إفريقيا القديم[7]. وقد اعتبر ستيفان كسيل أن الأمر يتعلق بتسمية ذات أصل محلي[8]. غير أن التأكد من صحة هذه الفرضية يقتضي اقتفاء أثر التسمية في الوثائق المحلية، رغم قلتها.

لقد ورود اسمي علم «لبي» *(LBY)* للمذكر، و«لبت» *(LBT)* للمؤنث في النقائش البونية بقرطاج. ويمكننا أن نفترض، بناء على ذلك، بأن القرطاجيين كانوا يستعملون تسمية

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 80 ; id, ibid., XX, 55.

2- POLYBE, *Histoires*, I, 65, 3; id, ibid., I, 74, 7; id, ibid., III, 33, 15-16 .

3- APPIAN, *PW*, VIII, 9 et 68.

4- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 205.

5- DIODORE DE SICILE, *BH*, XVIII, 21 ; POLYBE, *Histoires*, I, 74, 7.

6- إذا كان بوليبيوس-على سبيل المثال-قد حصر التسمية في معظم كتاباته على المجال الإفريقي التابع لقرطاج، فالملاحظ أنه يخلط أحيانا بين الليبيين والنوميديين. فقد اعتبر أن مسنيسا كان ملك الليبيين، ثم وصف النوميديين ب«الليبيين». في حين بقي استعمال المصطلح شائعا في كتابات أبيانوس وسترابون. للمزيد من التوضيح راجع النصوص التالية:

- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 107 ; 110 ; 112 ; POLYBE, *Histoires*, I, 19, 4 ; id, ibid., III, 5, 1 ; STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 2 et 20 ; APPIAN, *PW*, VIII, 71.

7- BATES O., *The eastern libyans*, p. 46.

8- GSELL S., *HAAN*, T. V, p. 102.

«ليبيين» للإشارة إلى السكان المحليين المستقرين بالمجال الإفريقي الخاضع لحكمهم[1]، أو أن هؤلاء السكان كانوا يطلقون على أنفسهم تلك التسمية[2]. ويلاحظ كذلك أن اسم مدينة لبدة يرد في النقائش البونية بصيغة «لبكي» الذي ينتمي حسب غابرييل كامبس لنفس الجذر الذي اشتقت منه تسمية «ليبيين»[3]. كما عُثر بموقع مكثر بشمال غرب تونس على نقيشة نيو-بونية مؤرخة بالقرن 1 ق.م تتضمن عبارة «شد لوبيم»[4] التي تُرجمت ب «ربوع أو سهل الليبيين»[5] مما يعني حسب الحسين فنطر أن السكان المحليين بالمجال القرطاجي الإفريقي كانوا يشعرون بوحدتهم الحضارية من خلال حمل ذلك الاسم[6]. بينما يرى غابرييل كامبس أن للاسم دلالة جغرافية بالأساس، وأن القرطاجيين ربما أطلقوه على المناطق التابعة لهم بالبلاد النوميدية[7].

كما نجد التسمية كذلك بصيغة «ليبوين» *(ΛIBYΩN)* بالأحرف الإغريقية على النقود التي نُسبت لزعماء الثورة الإفريقية ضد قرطاج[8] كمحاولة منهم لإظهار تميز الليبيين خلال الحرب التي خاضوها ضد العاصمة القرطاجية[9]. ولا يبدو هذا التفسير حاسما، حيث لا يستبعد أن تكون تلك النقود قد ضربت بمحارف إغريقية ربطا باستعمال الحروف الإغريقية دون الحروف الليبية التي يكمن أن تعكس بالفعل هوية هؤلاء الليبيين الثائرين ضد قرطاج. إذا كان لدينا ما يثبت استعمال مصطلح « ليبيين»، واشتقاقاتها في الوثائق البونية، فإن معطياتنا بهذا الشأن تتسم بالشح والغموض مما لا يسمح بالجزم فيما إذا كان المحليون قد اتخذوا بالفعل تلك التسمية التي اشتقوها من جذر في اللغة الليبية القديمة، أو أن الأمر يتعلق باشتقاق إغريقي، أو مصري، أو ربما تسمية جغرافية أطلقها القرطاجيون على جزء من البلاد الإفريقية التابعة لهم.

1- Ibid., p. 103.

2- فنطر(محمد حسين)، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل و شعوب مختلفة، مجلة إفريقية، سلسلة مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية، العدد 12، 2002، ص.ص 43-59، ص. 59.

3- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 24.

4- FÉVRIER J.-G., L'inscription punico-libyque de Maktar, dans *JA*, T. CCXXXVII, 1949, pp. 85-91, passim.

5- فنطر(محمد حسين)، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل و شعوب مختلفة، مرجع سابق، ص. 50.

6- نفس المرجع، نفس الصفحة.

7- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 26.

8- ALEXANDROPOULOS J., *Les monnaies de l'Afrique antique*, p. 88-91.

9- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 671.

استعمل الكتاب اللاتينيون مصطلح «أفارقة» الذي اشتقوه على ما يبدو من الجذر الليبي «إفري» للإشارة إلى سكان المناطق التابعة لقرطاج حسبما يفهم من النصوص التاريخية[1]، وذلك لتمييزهم عن باقي سكان شمال إفريقيا القديم غير الخاضعين لسلطة قرطاج. علما أن التسمية قد عرفت بدورها اتساعا في مدلولها بعد سقوط قرطاج لتشمل مجموع سكان المنطقة[2]. لقد وردت أقدم إشارة لهذه التسمية عند إنيوس *(Ennius)* الذي ألف كتبه بين الحربين البونيتين الأولى والثانية[3]، أي في وقت كان فيه الإغريق يجهلون التسمية. لقد اعتبر أصل لفظ «إفري» مجهولا بالنسبة لعدد من الباحثين[4]. وقد فتح ذلك المجال أمام عدة فرضيات منها مثلا فرضية الأصل الفينيقي للكلمة[5] التي دفعت بعض الباحثين إلى الاستنتاج بأن القرطاجيين قد استعملوا نفس الاسم، وأطلقوه على ساكنة محيط مدنهم، ربما خلال الحرب البونية الثانية[6]. ولكن هذا الرأي لا يبدو دقيقا بالنظر لغياب تلك التسمية في النقائش البونية.

كما اقترح ستيفان كسيل فرضية الأصل اللاتيني للفظ «إفري»، معتبرا أن التراكيب اللغوية التي استعملها الرومان انطلاقا من جذر «إفري» هي تراكيب لاتينية صرفة[7]، ولكن هذه الفكرة لا تبدو دقيقة نظرا لغياب معنى مضبوط لتلك التراكيب في اللغة اللاتينية. علما أن استعمالها من طرف المؤرخين اللاتينيين لا يمثل دليلا على الأصل اللاتيني للفظ «إفري» كما لا حظ ذلك الباحث كوطولا[8]. وتدفع هشاشة الفرضيات المقترحة في هذا المضمار إلى البحث عن أصل محلي للفظ «إفري». فرغم عدم إشارة الكتاب القدامى لوجود قبيلة محلية تحمل نفس الاسم، فإن ورود بعض اشتقاقات جذر «إفري» في نقائش لاتينية[9] يسمح بافتراض وجود قبيلة محلية تحمل نفس الاسم تستوطن بجوار قرطاج، ربما عُمّم اسمها من طرف الرومان ليشمل سكان البلاد التي كانت تابعة لقرطاج[10]. كما تنبني فرضية الأصل المحلي على وجود

1- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 22; SALLUSTE, *GJ*, XIX, 3.
2- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XXVIII, 24.
3- ENNIUS, *Annales*, VI ; id, *Satires*, III. Cité par TISSOT Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, T. I*, p. 388.
4- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 99.
5- DECRET F., et FANTAR M.-H., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, p. 26.
6- Ibid., p. 23.
7- GSELL S., *HAAN*, T. VII, Otto Zeller Verlag Osnabrück, 1972, p. 2.
8- KOTULA J., Afri, dans *Ency. Berb.*, T. II, Aix-en-Provence, France, 1985, pp. 208-210, p. 208.
9- CIL, VIII, 14364 et 25850.
10- KOTULA J., Afri, p. 209.

معنى لجذر «إفري» في اللغة الأمازيغية الحديثة، وهو «المغارة»[1]. ويتضح ذلك أكثر في سياق حديث ابن خلدون عن أصل قبيلة «بني يفرن» حيث ربط اسمها بالمغارة[2]. كما وُجدت إحدى اشتقاقات لفظ «إفري» في نقيشة لاتينية بصيغة «إفرو» للإشارة إلى إحدى الأرباب المحلية التي عبدها الليبيون خلال عصر الاحتلال الروماني[3]. وخلال القرن 2 ق.م كان سكان الجزء الشرقي لشمال إفريقيا[4] يعبدون ربة محلية تدعى «أفريقيا»[5]. ومن هنا يرجح أن للتسمية التي استعملها اللاتينيون للإشارة إلى سكان المجال القرطاجي الإفريقي جذورا في اللغة الليبية القديمة.

1-2 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال المصادر الأدبية:

تساهم النصوص القديمة في إعطاء فكرة عن أهمية انتشار العنصر المحلي في البلاد التي تبعت للدولة القرطاجية، رغم ما يحيط بالمصطلح الدال على هؤلاء المحليين من صعوبات في النصوص الإغريقية واللاتينية كما أسلفنا. ولا بد من التذكير بأن دراستنا لهذا الموضوع ستتم انطلاقا من الإطار الجغرافي ذو البعدين السياسي والحضاري، والذي أسميناه ب»المجال القرطاجي الإفريقي» كما توصلنا إلى تحديد خطوطه العريضة في الباب الأول من هذا العمل، والذي يشمل السواحل الواقعة بين أعماق السرت الكبرى شرقا إلى غاية هيبوريغيوس غربا مرورا بالمناطق الداخلية بوسط وغرب وجنوب تونس، بالإضافة إلى الشريط الساحلي المحاذي لمنطقة السرت.

قبل تقييم أهمية حضور العنصر المحلي في المجال القرطاجي الإفريقي من خلال النصوص القديمة، لابد من الإشارة لبعض الاستنتاجات التي توصل إليها بعض الباحثين المعاصرين. وهكذا، قدم موسكاتي تقسيما غريبا للمكونات البشرية التي تشكل منها المجال

1- Ibidem.

2- ورد في النص الأصلي لكتاب العبر أن كلمة «بني يفرن» تعني في لغة «البربر» «القار»، وقد صحح المترجم الكلمة ودوّنها بصيغة «الغار»، وأضاف ابن خلدون أن جزءًا من بني يفرن استقروا بإفريقية. أنظر:
ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد السابع، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، ص. 22.

3- CIL, VIII, 5673.

4- الركيك(عبد اللطيف)، صورة الربة أفريقيا على ضوء المستخرجات الأثرية : التماثيل والفسيفساء والنقود كنماذج، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000 (مرقون) ، ص. 109.

5- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XXVIII, 24.

التابع لقرطاج من خلال ثنائية: فينيقيون في المدن، وأصلاء، وعبيد في الأرياف[1]. في حين اعتبر ستيفان كسيل أن الليبيين كانوا يقطنون بالمناطق الواقعة بجوار المدن التي يستقر بها الفينيقيون[2]. إذا تمعنا في إفادات النصوص الإغريقية واللاتينية حول سكان المجال القرطاجي، سنجد أنها تحدثت بالأساس عن مجموعات بشرية ليبية ونوميدية. ويعد هيرودوتوس أول من تحدث بتفصيل عن سكان جزء من المجال التي كان تابعا لقرطاج، والممتد من الساحل الشرقي التونسي الحالي إلى أعمدة فيلان بأعماق السرت الكبرى، حيث أشار إلى استيطان المنطقة من طرف مجموعات بشرية ليبية.

فانطلاقا من غرب أعمدة فيلان بسواحل السرت الكبرى، نجد أولى المجموعات البشرية الليبية التي صنفها هيرودوتوس ضمن الرحل[3]، وهي قبيلة الماكيين[4]، أو الكينوفيين(نسبة إلى نهر كينوبس)[5] حسب نص هيرودوتوس. بينما أشار ديودوروس الصقلي إلى أنهم مزارعون كثيرو العدد، ويستقرون بالقرب من السرت[6]. ويرجح أن الحدود الفاصلة بين ممتلكات القرطاجيين والقورينائيين بالسرت الكبرى قد أنشأت بمجال هذه القبيلة. ويقع مجالهم بالضبط، حسب أوصاف القدامى، بالساحل الغربي للسرت الكبرى[7]. ولا شك أنهم هم من تحالف مع القرطاجيين لطرد الإغريقي دوريوس الذي نزل بالقرب من نهر كينوبس[8] نظرا لوقوع النهر بمجالهم. وبالقرب من مجال الماكيين تحدث بلينيوس القديم عن مجموعة بشرية تحمل اسم الأمانت *(Hammanientes)* خلال حديثه عن قبائل السرت الكبرى. مضيفا أنها تقع على مسيرة 12

1- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 183.

2- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 113.

3- مبدئيا يمكن القول بأن القبائل الليبية المنتشرة ما بين أعماق السرت الكبرى والصغرى هي قبائل غير مستقرة، فرغم أن هيرودوتوس قد حدد مجال كل قبيلة على حدة، فهو يصنف، في ختام حديثه عن قبائل السرت، تلك القبائل ضمن ما أسماهم ب«الليبيين الرحل» تمييزا لهم عن المزارعين. لكن ما يهمنا أن ذلك المجال كان مأهولا بالسكان الليبيين الذين ظلوا، على ما يبدو، يمارسون الترحال داخل ذلك المجال الشاسع:

- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 181.

4- الماكيون هم مجموعة بشرية ليبية استوطنت المناطق الساحلية بالسرت غرب مجال النازامونيين، ويخترق نهر كينوبس أراضيهم حسب نص هيرودوتوس المشار إليه في الهامش أسفله.

5- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 175 ; Périple du PSEUDO-SCYLAX, 93F 110M.

6- ترد هذه الإشارة في معظم الترجمات بالفقرة 49 من الكتاب الثالث، بينما اطلعنا عليها بالفقرة 25 من الترجمة المشار إليها أسفله:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 25(DIODORE DE SICILE, *BH*, T. I, liv. III, Traduction française de l'abbé TERRASSON, Chez De Bure l'aîné, Pris, DCC XXXVII).

7- GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, p. 129.

8- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 42.

يوما غرب السرت الكبرى التي حدد طرفها الغربي بلمطة الكبرى[1]، أي لبدة بليبيا الحالية. كما أشار إليهم يولينوس باسم الأمنتيس *(Amantes)*، وصنفهم ضمن الليبيين المزارعين[2].

وغرب السرت الكبرى، تحدث هيرودوتوس عن مجموعات ليبية أخرى تستوطن المناطق الواقعة غرب أعمدة فيلان، حيث انفرد دون باقي الكتاب القدامى بالإشارة إلى قبيلة الجندان *(Gindanes)*[3]. كما أشار بطوليمايوس بدوره إلى مجموعة من القبائل مثل سمموكي *(Samamuk)*، وإليون *(Elaeônes)*، إيريبيد *(Erebidae)*، وإيروبا *(Eropaei)*[4]. ويمكن توطين تلك القبائل بسواحل السرت الكبرى[5]. وباتجاه ساحل السرت الصغرى، أشارت المصادر أيضا إلى استقرار مجموعات ليبية. ويعد اللوطوفاج من أكبر قبائل السرت الصغرى، حيث أشار إليهم هوميروس[6] منذ القرن 8 ق.م، رغم أنه لم يحدد موطنهم بالضبط. بينما وطنهم هيرودوتوس على مقربة من البحر[7]. أما سكيلاكس المزعوم فجعل مجالهم بين السرت الكبرى والصغرى[8]، ولا يستبعد أن الأمر يتعلق ببحيرة البيبان بالجنوب التونسي[9]. بينما وطّنهم بوليبيوس وسترابون بجزيرة ميننكس بالسرت الصغرى[10]، أي جزيرة جربة بخليج قابس بجنوب شرق تونس الحالية. في حين وطّنهم بطوليمايوس بالقرب من نهر كينوبس[11]، وجعل بلينيوس القديم مجالهم بخليج السرت الكبرى[12].

ورغم أن أغلب الكتاب القدامى يوطنون مجال اللوطوفاج بمحاذاة السرت الصغرى، وهو ما تزكيه معظم القرائن[13]، فإن الإشارة أحيانا إلى نفس المجموعة البشرية بكل من

1- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 4.
2- SOLIN, *Polyhistor*, 29.
3- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 176.
4- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6.
5- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Publications de la section d'histoire, n°4, Université de Dakar, 1962, p. 88-89.
6- HOMERE, *Odyssée*, IX, 80-84.
7- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 177.
8- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 93F 110M.
9- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 104.
10- POLYBE, *Histoires*, I, 39, 2; STRABON, *Géographie*, III, 4, 3; id, ibid., XVII, 3, 17.
11- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 363.
12- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 28.
13- أثبتت معطيات علم النبات أن جزيرة جربة الواقعة بالسرت الصغرى هي نفسها الجزيرة التي ينمو بها نبات اللوتس الذي كان يقتات اللوطوفاج من ثماره كما ذكر سترابون. ويتضح من المعطيات اللغوية بالجزيرة محافظة سكانها على لغتهم الأمازيغية. ولذلك يرجح أن الليبيين هم أول من سكن الجزيرة، واستمروا بها خلال الحقب الموالية. لمزيد من التفاصيل

السرت الكبرى والصغرى، ربما، يفسَّر بانتشارها بمناطق السرت كما يرى الباحث دوزونج[1]، أو ربما بسبب تنقل أفرادها من أجل الانتجاع. وبالسرت أيضا تحدث هيرودوتوس عن قبيلة ليبية أخرى هي الماكلييس *(Machlyes)*، ووطنها بين مجال اللوطوفاج وبحيرة تريتونيس *(Tritonis)*، التي تفصلهم عن قبيلة أخرى تدعى الأوس *(Auses)*[2]، أي أن مجالهم يقع عموما بالسرت الصغرى[3]. إلا أن معطياتنا حول سكان مناطق السرت الصغرى لن تصبح أكثر وفرة إلا في مصادر الفترات اللاحقة لسقوط قرطاج. فقد أشار كتاب إغريق ولاتينيون أمثال بلينيوس القديم[4]، وسترابون[5] وبطوليمايوس[6]، وتاكيتوس *(Tacitus)*[7] إلى عدد كبير من المجموعات البشرية المحلية التي كانت تستوطن ذلك المجال.

أما بشمال السرت الصغرى، أي انطلاقا من بحيرة تريتونيس بخليج قابس، فقد تحدث الكتاب القدامى عن عدة مجموعات بشرية ليبية. فقد أخبرنا هيرودوتوس أن مجال قبيلة الأوسيس *(Auses)* يقع مباشرة بعد تلك البحيرة[8]. وإذا صح أن البحيرة تقع بعمق السرت الصغرى، فإنه يمكن توطين مجال هذه المجموعة البشرية بشمال السرت الصغرى[9]. بينما أشار بطوليمايوس إلى أسماء عدد كبير من القبائل المحلية[10] التي يمكن توطينها بشمال وغرب السرت الصغرى[11]، وأخرى[12] ربما يقع مجالها بجنوب السرت الصغرى كذلك[13].

راجع:

- TLATLI S., *Djerba et djerbiens*, Imprimerie J. Aloccio, Tunis, 1942, pp. 73 ; 85 et 89.

1- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 105.

2- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 178.

3- GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, p. 132.

4- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 30 (Cinithi).

5- STRABON, *Géographie*, II, 5, 33 (Sintae- Sintes).

6- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6(Akhaemeneis-Sigiplonsii-Astakoures-Dolopes-Gépheis)

7- TACITE, *Annales*, T. II, 52(Cinithi).

8- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 180.

9- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 81.

10- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6 (Makhrues- Makuni- Mimakes).

11- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 107 et 115.

12- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6(Moukthousii- Moutourgoures- Nigitimi).

13- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 116 et 125.

أما بخصوص قبائل الساحل الشرقي التونسي الحالي، فقد تمت الإشارة في نص رحلة سكيلاكس المزعوم إلى قبيلة البوزنتس *(Buzantes)*، ويقع مجالها بعد بحيرة تريتونيس بالسرت الصغرى[14]. بينما تحدث سترابون عن قبيلة تحمل اسم بوزاكي *(Buzaki)*[15]، ولا يستبعد أن الأمر يتعلق بنفس المجموعة البشرية التي وردت في رحلة سكيلاكس المزعوم، وذكرها بوليبيوس تارة باسم بوزكيس *(Buzakis)*، وتارة أخرى باسم بوستيس *(Bussatis)*[16]. ويبدو أن مجال انتشار هذه القبيلة يوافق، إلى حد ما، المجال الذي أصبح فيما بعد مقاطعة رومانية حملت اسم البيزاكيوم[17]. وإذا كانت التسميات المذكورة سابقا تخص نفس المجال والمجموعة البشرية، فإنه يمكن توطينها بين مدينة قابس وخليج الحمامات بشمال شرقي تونس، وذلك قياسا على الحدود المقترحة لمقاطعة البيزاكيوم خلال عصر الاحتلال الروماني[18].

إلا أن ذلك لا يمنع من التنبيه إلى التطورات التي لحقت المعطيات البشرية بالمجال المذكور بين فترة وأخرى. فقد أشار أبيانوس مثلا بنفس المنطقة إلى قبيلتي أريكيد *(Areakidae)* وميزوتول *(Mézotyle)* بالقرب من موقع أدروميتوم (سوسة على الساحل الشرقي التونسي)[19]. الأمر الذي يبعث على الشك فيما إذا كانت تلك المجموعات البشرية تستقر بالفعل بشكل دائما بالمناطق التي أشار إليها أبيانوس أم بداخل البلاد، خصوصا وأنه اعتبرها قبائل «نوميدية».

وكلما اتجهنا من خليج قابس باتجاه مدينة قرطاج، أي على الساحل الشرقي التونسي كلما أصبح توطين المجموعات البشرية الليبية التي ذكرتها النصوص التاريخية صعبا للغاية. فقد أشار هيرودوتوس إلى استقرار عدة مجموعات بشرية بالمنطقة، وصنفها ضمن الليبيين المزارعين، وأول تلك القبائل المزارعة نجد الماكسييس[20]، ثم الزوكييس[21]، ف«الجيزانتس»[22]. ولا يستبعد أن الماكسييس عند هيرودوتوس هم نفس المجموعة البشرية التي وُجدت بموقع

14- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 93F 110M.
15- STRABON, *Géographie*, II, 5, 33.
16- POLYBE, *Histoires*, III, 23, 2 ; id, ibid., XII, 1, 1.
17- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 24.
18- LANCEL S., *Carthage*, p. 308.
19- APPIAN, *PW*, VIII, 33.
20- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 191 (Maxues).
21- Id, ibid., IV, 193 (Zauekes).
22- Id, ibid., IV, 194 (Guzantes).

قرطاج قبيل تأسيسها، وأعطاها جوستينوس اسم الماكستاني[1]. غير أن هيرودوتوس، وإن جعل مجالهم غرب بحيرة تريتونيس، بالشمال الشرقي للسرت الصغرى، فإنه لم يقدم توطينا مضبوطا يحول دون افتراض استقرار تلك القبيلة بجوار قرطاج خلال عهده، أو أنها انتقلت منذ فترة غير معروفة من مجالها الأصلي بنواحي قرطاج باتجاه الجنوب. أما بالنسبة للجيزانتس، فلا يمكن توطينهم بالسرت الصغرى لأن هيرودوتوس أشار إلى استقرارهم بالمرتفعات[2]. ويمكن توطينهم بجوار شبه جزيرة رأس بون(الوطن القبلي)، حيث توجد تضاريس مرتفعة تتمثل في مرتفعات الزوجيتان.[3]

إذن، ما يمكن استنتاجه من دراسة القبائل الليبية المنتشرة ما بين السرت الكبرى والصغرى وبالساحل الشرقي التونسي هو أن ذلك المجال الساحلي كان مأهولا بالسكان الليبيين، سواء كانوا رحلا أو مزارعين. ولعل انتشار الليبيين بذلك المجال قد اتسم بالاستمرارية من عصر هيرودوتوس إلى غاية سقوط قرطاج. ذلك ما يستشف من الإطار الزمني للنصوص التي تحدثت عن سكان ذلك المجال، والذي ينحصر بين القرن 5 ق.م، والفترة التالية لسقوط قرطاج. فإذا انطلقنا من تأريخ النصوص التي تحدث فيها هيرودوتوس عن المجموعات الليبية لوجدنا أن استقرارها بالمجال المذكور يعود على الأقل إلى القرن 5 ق.م، وعلى الأرجح منذ فترات أقدم بكثير، وهو تاريخ يوافق تقريبا مرحلة التوسع القرطاجي بالمنطقة. إن حديث النصوص القديمة المنتمية لفترة ما بعد سقوط قرطاج عن نفس المجموعات، وبنفس الاسم أحيانا، يؤكد أن الوضع الديمغرافي للمجال المذكور، كما يستشف من نصوص هيرودوتوس والنصوص المتأخرة، لم يعرف تغييرا جوهريا باستقرار الفينيقيين ببعض المدن الساحلية (أدروميتوم، أويا، لبدة...إلخ)، بمعنى أن العنصر الليبي ظل يمثل أغلبية ساكنة المجال الساحلي.

أما بالنسبة لسكان المناطق الداخلية للمجال القرطاجي الواقعة بمحاذاة الشريط الساحلي الممتد من الساحل الشرقي التونسي إلى رأس بون/الرأس الطيب، والمقصود بذلك مناطق شمال ووسط وغرب تونس الحالية، أو ما يسمى ببلاد النوميديين، فإن معطيات المصادر الأدبية تتسم بالشح مقارنة بما وفرته عن سكان المناطق الساحلية، وبالتالي تصبح إشكالية التوطين أكثر تعقيدا. فقد تحدث ديودوروس الصقلي، خلال وصفه لأحداث هجوم

1- JUSTIN, XVIII, 6 (Maxitani).
2- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 194-195.
3- GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, p. 136 (Zeugitane).

أغاطوكليس خلال نهاية القرن 4 ق.م ضد الممتلكات القرطاجية، عن قبيلتي الزوفون والأسفودلود.[1] ورغم أن المؤرخ الإغريقي لم يشر بالضبط إلى مواقع الأحداث التي رواها، فإن تتبع سير المعارك في المجال التابع لقرطاج يرجح توطين الزوفون بوسط تونس حسب تأويل معظم الباحثين المعاصرين[2]، والأسفودلود بجبال خمير بشمال غرب تونس[3]. تنضاف إلى ما سبق ذكره، المجموعات البشرية التي أشارت إليها المصادر المتأخرة بالمنطقة، ولا سيّما بطوليمايوس[4]. فرغم أن الجغرافي الإغريقي لم يحدد توطينا واضحا لمجال تلك المجموعات، فلا يستبعد حسب رأي الباحث دوزونج أن يكون مجالها بالمناطق الداخلية لتونس الحالية[5]. كما تحدث عن مجموعات أخرى[6] يقع مجالها ربما بشمال تونس الحالية[7].

يستفاد من النصوص الإغريقية واللاتينية أن مناطق وسط وغرب تونس، بالخصوص، قد شكلت جزءا من البلاد النوميدية التي توسعت بها قرطاج، وأخضعتها لسلطتها. علما أن مجال النوميديين يبدو غامضا في النصوص القديمة، فهناك من جعل مناطق السرت جزءا من البلاد النوميدية. وهو ما يتضح من مطالبة مسنيسا باسترجاع مناطق بذلك المجال بدعوى أنها كانت جزءا من ممتلكات أجداده. وبصفة عامة، فإن قسما من النوميديين قد خضعوا للسلطة القرطاجية على الأقل منذ القرن 3 ق.م كما يفهم من إفادات الكتاب القدامى، ولا سيّما اللاتينيون، حيث وصفوا سكان المناطق الواقعة بالهوامش الغربية للمجال القرطاجي الإفريقي ب«النوميديين»[8]. لقد شكل هؤلاء النوميديون القوة الضاربة في الجيش القرطاجي، فضلا عن أولئك المستقلين عن قرطاج، أو الذين كانت تُخضعهم بالقوة كما يتضح من كثرة

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57 (Zuphones-Asphodélodes).

2- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 143 ; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 36 ; GSELL S., *HAAN*, T. V, p. 86.

3- Ibidem.

4- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6 (Motoutourii- Musulames- Musuni- Nukpii- Nybgenii- Ouzalae- Mampsari- Miadii- Kerophaei).

5- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, pp. 116-118 ; 127-129 ; 108 ; 130.

6- PTOLÉMÉE, *Géographie*, IV, 3, 6 (Mideni- Haliardi- Sabourboures- Nisibes- Nattaboutes- Iontii- Nabathrae).

7- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, pp. 100-101.

8- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55 ; POLYBE, *Histoires*, III, 33, 15 ; SALLUSTE, *GJ*, XCI, 4 et 6.

الثورات التي كان يقودونها ضد قرطاج، ومن تدخل القرطاجيين لإخضاعهم في عديد المرات[1].

يتضح من النصوص التاريخية المذكورة سابقا أن الكتاب القدامى الذين قدموا معلومات عن سكان المجال القرطاجي الإفريقي، سواء خلال الفترة القرطاجية، أو خلال عصر الاحتلال الروماني إنما أشاروا بالأساس إلى سكان محليين من الليبيين والنوميديين مما يعني أن معظم المناطق التي كانت تابعة لسلطة قرطاج كانت مأهولة من طرف ساكنة محلية. لقد كان هؤلاء السكان الليبيون والنوميديون ، سواء بالمدن، أو الأرياف، يتحينون الفرص للتخلص من السيطرة القرطاجية كما يتضح من كثرة الثورات التي قاموا بها ضد العاصمة الإفريقية. فقد أخبرنا ديودوروس الصقلي عن عدد من الثورات التي تبين أهمية العنصر الليبي في المجال التابع لقرطاج. فقد ذكر أن الليبيين هاجموا قرطاج، حوالي 396 ق.م، بجيش قوامه مائة ألف فرد[2]. كما تحدث ديودوروس الصقلي عن ثورة الليبيين ضد الدولة القرطاجية حوالي 379 ق.م بسبب انتشار الطاعون، حيث وجد هؤلاء الفرصة مواتية للثورة ضد القرطاجيين[3].

وظهرت أهمية السكان الليبيين أكثر خلال منتصف القرن 4 ق.م، حيث استعان بهم حانون خلال محاولته الاستيلاء على الحكم بقرطاج[4]. وذكر ديودوروس الصقلي أن عددا من المدن الإفريقية قد خضعت لسيطرة أغاطوكليس خلال حملته بالساحل الشرقي التونسي مع نهاية القرن 4 ق.م بسبب عداء السكان المحليين لسلطة قرطاج[5]. مما يعني أن سكان ذلك المجال كانوا من الليبيين، وهو ما تعزز من خلال إشارة أبيانوس إلى سهولة استيلاء القائد الروماني ريغولوس *(Regulus)* على نفس المجال خلال أواسط القرن 3 ق.م[6].

وتمثل أحداث الثورة الإفريقية(بين 241 و237 ق.م) أهم مواجهة مباشرة بين قرطاج وسكان مجالها الإفريقي، بحيث كادت تعصف بقرطاج. كما كشفت، من ناحية أخرى، عن أهمية تلك الكتلة البشرية الهائلة من السكان الليبيين الذين توسعت قرطاج بأراضيهم. فقد ورد في النصوص التاريخية أن جميع سكان ليبيا (كذا) قد هبّوا للثورة ضد قرطاج[7] بحيث

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XXVI, 23.
2- Id, ibid., XIV, 77.
3- Id, ibid., XIV, 24.
4- JUSTIN, XXI, 4.
5- JUSTIN, XX, 17.
6- APPIAN, *PW*, VIII, 3.
7- POLYBE, *Histoires*, I, 70, 9 ; CORNÉLIUS NÉPOS, *Hamilcar*, XXII, 2, 2.

أصبحت المدينة، في نهاية المطاف، معزولة بمجالها الإفريقي، وكادت أن تسقط بيد الثائرين من السكان الليبيين والنوميديين[1] الذين جنّدوا لمحاربة قرطاج جيشا قوامه 70.000 رجل حسب رواية بوليبيوس[2]، و100.000 رجل حسب إفادة كورنيليوس نيبوس[3].

كما تظهر أهمية السكان النوميديين من خلال كثرة عدد المدن النوميدية التي استرجعها مسنيسا من قبضة القرطاجيين خلال الأحداث التي تلت الحرب البونية الثانية. فقد بادر مسنيسا منذ 182 ق.م إلى الاستيلاء على عدد من المناطق التي كان يسيطر عليها القرطاجيون[4]. وخلال الفترة ما بين 174 و173 ق.م استعاد الملك النوميدي من القرطاجيين ستين مدينة وبلدة[5]. وما بين سنتي 153 و152 ضم لمملكته حوالي خمسين مدينة كانت بحوزة القرطاجيين بمجال يدعى توسكا[6]، ويمكن توطينه على الأرجح بوسط غرب تونس الحالية. وقبيل اندلاع الحرب البونية الثالثة، ذكر سترابون أن قرطاج كانت تسيطر على حوالي ثلاث مائة مدينة[7].

وقد سبق أن أوردنا إفادات بوليبيوس[8] وأبيانوس[9] بخصوص سيطرة مسنيسا على ساحل الأمبوريات، واقتطاعه من المجال القرطاجي الإفريقي. وأشار بوليبيوس إلى كثرة المدن بمنطقة السرت[10] التي توافق ساحل الأمبوريات. ولعل سبب انضمام تلك المناطق القرطاجية لمسنيسا هو نفس السبب الذي ظل يدفع السكان المحليين للثورة ضد قرطاج مستغلين حالة الاضطراب التي عاشتها المدينة جراء الحملات العسكرية الإغريقية والرومانية، والمتمثل في رغبة الليبيين والنوميديين في الاستقلال عن حكام قرطاج.

1- ذكر كونيليوس نيبوس أن قرطاج لم تشهد مثيلا لتلك الحرب باستثناء المعارك التي أدت إلى سقوطها بيد الرومان. واعتبر أبيانوس أن تلك الحرب كانت لها عواقب وخيمة على قرطاج. بينما أخبرنا بوليبيوس أن ثورة الأفارقة لم تهدد مدينة قرطاج وحسب، وإنما مصير دولتها، وأرواح سكانها. للمزيد من المعلومات راجع النصوص التالية:

-POLYBE, *Histoires*, I, 65, 4 ; CORNÉLIUS NÉPOS, *Hamilcar*, XXII, 2, 1 ; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 4, 15-16.

2- POLYBE, *Histoires*, I, 73, 3.

3- CORNÉLIUS NÉPOS, *Hamilcar*, II, 4.

4- TITE-LIVE, *HR*, XL, 17, 2-3.

5- Id, Ibid, XLII, 23, 2.

6- APPIAN, *PW*, VIII, 68.

7- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 15.

8- POLYBE, *Histoires*, XXXII, 2, 4.

9- APPIAN, *PW*, VIII, 72.

10- POLYBE, *Histoires*, XXXI, 2, 1.

أما بخصوص الخصائص الطبيعية لمجال استقرار الليبيين والنوميديين بالمجال القرطاجي الإفريقي، فقد ذكر جوستينوس أن الأفارقة، بالمجال القرطاجي، كانوا يقطنون البلاد المنبسطة[1]، وهو ما يَصْدُقُ على مدن الساحل التونسي، والسهول الكبرى التي يخترقها نهر المجردة، وربما مناطق أخرى، وهي مناطق كانت تابعا للدولة القرطاجية قبل انتزاعها منهم. ويظهر أن مناطق انتشار الليبيين والنوميديين لم تكن تقتصر على البوادي، فقد أشار بوليبيوس وأبيانوس إلى أن الليبيين كانوا يقيمون في مدن محصنة[2].

يتضح من خلال المعطيات التي تضمنتها النصوص القديمة أن السكان الليبيين والنوميديين كانوا ينتشرون بشكل مكثف بأنحاء المجال القرطاجي الإفريقي، سواء بالمناطق الساحلية، أو الداخلية (انظر الخريطة رقم 3) الأمر الذي يطرح مسألة مراجعة الآراء التي قللت من أهمية استقرار العنصر المحلي بالمجال القرطاجي الإفريقي. ولا شك أن ذلك قد نتج عن إهمال الكثير من النصوص القديمة التي أشارت إلى الانتشار الواسع لليبيين والنوميديين بالمناطق التي أشرفت عليها قرطاج، مقابل الاعتقاد بحجية النصوص القديمة عندما يتعلق الأمر بالاستيطان الفينيقي بالمنطقة.

إن استقرار الفينيقيين بقرطاج وبالمدن التي نُسبت إلى تأسيس فينيقي أمر لا يرقى إليه شك، وتدعمه قرائن متعددة، ولكن تقدير أهميته يبقى محل نقاش. فعلى خلاف المؤرخين القدامى، يلاحظ أن الباحثين المعاصرين قد جعلوا ذلك المجال يعجّ بالفينيقيين، وهو ما لم نلحظه عند دراستنا لسكان المجال القرطاجي الإفريقي اعتمادا على وثائق متنوعة، حيث وجدنا أن معظم أنحاء ذلك المجال كانت تستقر به بالأساس ساكنة ليبية ونوميدية. ولعل إهمال دور العنصر البشري المحلي قد ترتبت عنه تبعات على مستوى دراسة باقي جوانب الحضارة القرطاجية. ولذلك يمكن اعتبار ذلك بمثابة عقبة منهجية تعترض دراسة الجوانب المحلية في الحضارة القرطاجية.

1- JUSTIN, XII, 5.
2- POLYBE, *Histoires*, I, 30, 4 ; APPIAN, *PW*, VIII, 101.

1-3 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال المعطيات الأثرية:

أ- معطيات ما قبل التاريخ:

خلصت الأبحاث المهتمة بحقبة ما قبل التاريخ إلى أن المجال الإفريقي الذي صار تابعا لقرطاج، على الأقل منذ القرن 6 ق.م لم يكن أرضا خلاء عند مقدم الفينيقيين إليه وتأسيس قرطاج، وتوسعها به لاحقا، وإنما عرف استقرارا بشريا قديما، يعود على الأقل إلى العصر الحجري القديم[1]. وقد تأكد ذلك بفضل الحفريات الأثرية التي أجريت بالخصوص بمواقع الجنوب التونسي، حيث عثر هناك على آثار أقدم حضارات ما قبل التاريخ. ويتعلق الأمر بحضارة الحصى[2]، والحضارة الأشولية بوسط وجنوب تونس[3]، والموستيرية بجنوب تونس[4]، والعاطرية بشمال ووسط وجنوب تونس[5]، والوهرانية بالساحل الشمالي الغربي لتونس وساحل السرت الصغرى[6]، والقفصية بمحيط موقع قفصة بالجنوب التونسي[7]، وصولا إلى العصر الحجري الحديث (أغلب أنحاء تونس)[8].

وينطبق نفس الشيء على ساحل الطرابلسية، فقد اكتشفت به أيضا بقايا حضارات ما قبل التاريخ[9] التي أكدت انتظام الحضارات ما قبل التاريخية، وبالتالي تعاقب الاستقرار البشري بالخصوص في المناطق الساحلية التي كانت أقل تضررا من التأثيرات الصحراوية، وأكثر

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 17.

2- CINTAS P., *Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie*, PUF, Paris, 1961, p. 8.

3- Ibidem; VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955, p. 107; GOBERT E.-G., Notes générales acquises sur la protohistoire de la Tunisie, dans *Actes du congrès panafricain de préhistoire*, 2è session, Alger, 1952, pp. 221-239, p. 224.

4- VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, p. 89 et 119; GOBERT E.-G., Notes générales acquises sur la protohistoire de la Tunisie, p. 225; BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, AMG, Paris, 1955, p. 292; CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Dion, Paris, 1974, p. 23.

5- BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, p. 298 et 316; GOBERT E.-G., Notes générales acquises sur la protohistoire de la Tunisie, p. 226.

6- VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, p. 260; BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, p. 139 et 348; GOBERT E.-G., Notes générales acquises sur la protohistoire de la Tunisie, p. 228-229.

7- CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 110, 117, 119; VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, pp. 132-174 et 239-303.

8- BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, p. 450 et 464; DESPOIS J., *La Tunisie, ses régions*, Librairie Armand Colin, Paris, 1961, p. 33.

9- CAMPS, G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 61 et 152.

قربا من التأثيرات المتوسطية[1]. ويتضح مما سبق أن المجال الإفريقي الذي توسعت به قرطاج كان بلا شك مأهولا بالسكان الأصلاء بشكل شبه منتظم منذ فترات سابقة على الهجرات الفينيقية نحو المنطقة[2].

ب- معطيات الفترة القرطاجية:

رغم ضعف الاهتمام بالمستويات الأثرية السابقة على الفترة القرطاجية، وقلة التحريات الأثرية بالمواقع التي كانت مأهولة بالليبيين والنوميديين[3]، وخصوصا بوسط وغرب تونس، أو ما يسمى بالبلاد النوميدية[4]، فإن الأبحاث المنجزة لحد الآن بعدد من المواقع التونسية القديمة قد كشفت عن وجود أدلة مادية مهمة حول استقرار السكان الأصلاء بأهم أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي. وتعد الممارسات الجنائزية التي تميز بها الليبيون منذ حقب موغلة من أبرز الأدلة على قدم استقرارهم بالمجالات التي توسعت بها قرطاج. لقد كشفت الحفريات الأثرية عن بقايا تلك الممارسات الليبية العتيقة في عدة مواقع بالساحل الشرقي التونسي مثل سوسة (أدروميتوم قديما) وبمنطقة العالية (قصور الساف/المهدية)، والنفيضة (ولاية سوسة)[5]، والحكايمة (حوالي20 كلم من ولاية المهدية)[6]، والسميرات (قرب المكنين)[7]، وموكنين[8]. كما عثر على بقايا مماثلة برأس بون بالوطن القبلي[9]

1- DESPOIS J., *DESPOIS J., La Tunisie, ses régions*, pp. 8-12 et 32-34.

2- تقع أغلب مواقع ما قبل التاريخ بتونس وليبيا بداخل البلاد. لكن الأبحاث الأثرية بدأت تُظهر، شيئا فشيئا، بقايا حضارات ما قبل التاريخ بالبلدين بالقرب من السواحل كما هو الشأن بالنسبة للساحل الشمالي الغربي، والساحل الشرقي (جربة والمنستير مثلا)، ومنطقة رأس بون بالوطن القبلي. وينطبق نفس الشيء على ساحل السرت الكبرى بليبيا.
- BARICH B., Libye préhistorique, dans *Ency. Berb.*, 28-29, 2008, pp. 4389-4393.

3- عرف الساحل الشرقي التونسي خلال السنوات القليلة الماضية حفريات وتحريات أثرية مهمة، ومن ذلك نذكر الأبحاث التي قام بها الحبيب بن يونس للكشف عن حضارة المنطقة.

4- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, dans *Africa(série REPPAL), T. IX, 1995, pp. 93-108*, p. 106.

5- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 114.

6- BEN YOUNES H., 1986, La nécropole punique d'ElHkayma, p. 65.

7- GOBERT E.-G., et CINTAS P., Smirat, dans *Rev. Tun.*, 1er, 2è et 3è Trimestres, n.s., n°45-46-47, 1941, pp. 83-121, passim.

8- BEN YOUNES H., La nécropole punique de Moknine. Etat de la question, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 19-27, p. 27.

9- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 88-89.

مثل كركوان[1]، وحمام الأنف[2]. وتؤكد هذه البقايا أهمية انتشار الساكنة الليبية بالوطني القبلي، وبالساحل الشرقي التونسي[3].

أما بالنسبة لمناطق وسط وغرب تونس، فإن الحفريات الأثرية تبدو أقل أهمية بالمقارنة مع الساحل الشرقي. ورغم ذلك، فإن بقايا الصروح الميغاليتية، باعتبارها معالم بارزة، تعطي فكرة عن قدم استقرار السكان الأصلاء بتلك المناطق، قبل أن تصبح فيما بعد جزءًا من المجال القرطاجي الإفريقي. كما بدأت الأبحاث الأثرية تكشف، تباعا، عن معطيات جديدة حول قدم الاستقرار البشري بالبلاد النوميدية، وبالتالي الطابع المحلي لحضارة المجال النوميدي[4].

وعلاوة على ذلك، تمثل الحوانيت مصدرا مهما للبحث عن مجال استقرار السكان الأصلاء باعتبارها مدافن تخص ساكنة ليبية أكثر تمسكا بالعمارة الجنائزية المحلية العتيقة، وأقل تأثرا بمظاهر الحضارة السائدة بقرطاج[5]. علما أن مجال الحوانيت يشكل القسم الأكبر من المجال الذي خضع لسلطة قرطاج، حيث نجدها في الشمال الغربي لتونس بخمير ومقعد *(Mogods)* وبالوطن القبلي، وبالتل الشمالي الشرقي، وبمناطق الظهير التونسي، وبالساحل الشرقي لتونس[6]. مما يعني أن هذا المجال الشاسع كان يعرف، خلال الفترة القرطاجية، انتشارا كثيفا للسكان الليبيين، بصرف النظر عن الإشكال المرتبط بتأريخ الحوانيت.

إن أهم ما يمكن استخلاصه من المعطيات التي وفرتها الأبحاث الأثرية بخصوص استقرار العنصر الليبي بالمجال القرطاجي الإفريقي هو أن معظم أنحاء ذلك المجال كانت تستوطنه ساكنة محلية، ليبية ونوميدية، ويظهر من بقايا حضارة تلك الساكنة أنها كانت تشكل-على الأرجح-غالبية سكان المجال الذي سيطرت عليه قرطاج.

1- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, p. 202 et 214.

2- CHÉRIF Z., Découverte fortuite d'une tombe punique à Hammam El Enf, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 83-95, p. 93.

3- يرى الباحث فنطر، من خلال البقايا الأثرية للمواقع التي أجرى بها بحوثا(كركوان وأسبيس بالوطن القبلي)، أن الأمر يتعلق بتعايش ثقافتين ليبية وبونية [لعل المقصود هو ثقافة ذوي الأصول الفينيقية]. ونستنتج من هذه الفكرة وجود تعايش بين العنصرين الليبي والفينيقي بالوطن القبلي، وهو ما ينطبق أيضا على الساحل الشرقي، وعلى مواقع وسط وغرب تونس:

- FANTAR M.-H., Présence punique et libyque dans les environs d'Aspis au cap Bon, dans *CRAI*, Année 1988, 132-3, pp. 502-518, p. 517.

4- KRANDEL-BEN YOUNES A., La nécropole rurale de Thigibba Bure (Djebba), dans *REPPAL*, T. VII-VII, 1992-1993, pp. 179-219, p. 187.

5- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 139 et 168.

6- Ibid., p. 139.

ج- إفادات النقائش والطوبونيميا:

أبدينا سابقا ملاحظات نقدية بخصوص إفادات أسماء الأعلام فيما يخص دراسة الساكنة، غير أن الأمر يبدو مختلفا، على الأقل، فيما يتعلق بأسماء الأعلام ذات الطابع الليبي[1]. ويلاحظ أن المواقع القديمة، التي تندرج ضمن المجال القرطاجي الإفريقي، لم تقدم معطيات أعلامية كافية بخلاف المعلومات الوفيرة المستقاة من النقائش البونية بقرطاج. ورغم ذلك، تكشف المعطيات المتوفرة، لحد الآن، عن غلبة الأسماء ذات الطابع الليبي بالنقائش البونية والنيوبونية والليبية المكتشفة بمناطق وسط وغرب تونس كما هو الشأن، على سبيل المثال، بالنسبة لنقائش ثوگا[2] وهنشير غياضة بشمال شرق مكثر[3]. وتنسحب نفس الملاحظة على معطيات المناطق الساحلية انطلاقا من لبدة بالسواحل الليبية الحالية[4]. لقد تضمنت النقائش البونية المكتشفة بالسواحل الواقعة بين لبدة وقرطاج أسماء أعلام ذات طابع ليبي[5]. كما وفّرت مصادر الفترة المتأخرة والنقائش اللاتينية معطيات مهمة حول حضور أسماء الأعلام الليبية بالمجال الساحلي[6].

تظل مسألة علاقة أصل أسماء الأماكن بطبيعة العنصر البشري المستقر بها قابلة للنقاش. فقد زعم ستيفان كسيل بأن أسماء الأعلام ذات الطابع الليبي لا تُعبّر بالضرورة عن

1- مبدئيا، لا يُقْبِلُ الوافدون على منطقة ما على اتخاذ أسماء الأعلام السائدة بالمجال المُستقبِل باعتبار أن الأسماء تعد موروثا حضاريا لكل جماعة بشرية. فغالبا ما يسعى الوافدون إلى نشر أسمائهم التي ورثوها ونقلوها معهم من موطنهم الأصلي، أو اشتقوها من لغتهم باعتبارها حاملة لقيم الحضارة التي يعملون على نشرها. وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار اتخاذ الليبيين والنوميديين لأسماء محلية أمرا دالا على نزوع طبيعي نحو المحافظة على الموروث الحضاري لهؤلاء السكان، ومثابة دليل على استقرارهم بالمواقع التي عثر بها على النقائش الحاملة لأسمائهم.

2- CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, pp. 89-95 ; GSELL S., *HAAN*, T. VI, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1929, p. 77.

3- FERJAOUI A., et M'CHAREK A., Le sanctuaire de Baal Hammon-Saturne à Henchir Ghayada, dans *REPPAL*, T. V, 1990, pp. 117-141, pp. 121 ; 125 ; 132.

4- AMADASI GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine : essai de mise au point, dans *BCTH*, n.s. 17, fasc. B, 19984, pp.189-196, p. 191.

5- وجدت أسماء الأعلام ذات الطابع الليبي بنقائش لبدة بالساحل الليبي الحالي، وأدروميتوم(سوسة) بالساحل التونسي. انظر المقالين التاليين:

- FANTAR M.-H., Stèles épigraphiques du Tophet de Sousse, dans *REPPAL*, T. IX, 1995, pp. 25-43, p. 41-42 ; AMADASI GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine : essai de mise au point, p. 191.

6- انظر الدراسة التي أنجزها غابرييل كامبس بهذا الشأن :

- CAMPS G., Liste onomastique libyque d'après les sources latines, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 39-73, pp. 46-73.

وجود ساكنة ليبية مستقرة منذ فترات قديمة[1] بالرغم من أن الباحث الفرنسي لم يحسم رأيه بكيفية واضحة في مؤلفاته حول تاريخ شمال إفريقيا القديم[2]. بينما انتقد غابرييل كامبس هذا الرأي معتبرا أن أهم المدن الإفريقية التي صارت تابعة لقرطاج تحمل أسماء ذات أصول ليبية[3]، مستشهدا على ذلك بمدينة تيفست *(Theveste)* التي هاجمها القرطاجيون أواسط القرن 3 ق.م، وقد كانت قبل ذلك مدينة عظيمة كما ورد عند ديودوروس الصقلي[4].

ويتضح هذا الأمر أكثر في وثائق عصر الاحتلال الروماني للمنطقة، حيث يبدو أن الرومان قد اكتفوا بنقل أسماء الأماكن الليبية التي كانت مستعملة خلال الفترة القرطاجية إلى اللسان اللاتيني[5]، خصوصا وأن أغلب تلك الأسماء تحمل طابعا ليبيا[6]. وكيفما كان الأمر، ربطا بصعوبة الاعتماد على الدراسات اللسانية لمعرفة المعطيات البشرية خلال الفترة القرطاجية، فإنه من المنطقي أن يتخذ السكان الأصلاء الذين كانوا مستقرين بالمجال القرطاجي، كما تشهد على ذلك الوثائق التي اشرنا إليها سابقا، أسماء ليبية على المناطق التي استوطنوها منذ حقب سابقة على الوجود الفينيقي بالمنطقة، وأن تبقى تلك الأسماء متداولة خلال الفترة القرطاجية نظرا لما تتسم به الطوبونيميا عادة من قدرة على المقاومة عبر العصور، حتى ولو اختلت المعطيات البشرية خلال فترة معينة.

ويعد استعمال اللغة الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي من مؤشرات البحث في موضوع استقرار الليبيين بذلك المجال. غير أن ذلك المسعى يصطدم بعدة عوائق موضوعية العائق الكرونولوجي المتمثل في كون معظم النقائش الليبية المكتشفة بذلك المجال متأخرة زمنيا مقارنة بالنقائش البونية، حيث تنتمي معظمها لما بعد سقوط قرطاج، بالرغم من أن

1- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 241.

2- نلحظ تناقضا في استنتاجات ستيفان كسيل. فقد سبق له في الكتاب الثاني أن أبدى رأيا مخالفا تماما لما استنتجه في الفكرة المتضمنة في الجزء السادس كما في الهامش السابق. انظر بهذا الخصوص:

- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 106.

3- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 48.

4- Ibid., p. 49; DIODORE DE SICILE, *BH*, IV, 18, 3 ; id, ibid., XXIV, 10, 2.

5- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, dans *JA*, T. CCIV, Octobre-Décembre 1924, pp. 189-320, p. 240-241; PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'»influences», p. 219.

6- جرد الباحثون عددا كبيرا من أسماء الأماكن، وبحثوا لها عن أصل في اللغة الليبية القديمة والأمازيغية الحديثة. للاطلاع على مزيد من المعطيات راجع أبحاث ميرسيي وبيراس المشار إليهما في الهامش السابق.

إشكالية تأريخ تلك النقائش يبقى مطروحا للنقاش العلمي. ثم العائق المجالي الذي يكمن في غياب النقائش الليبية بالمناطق التي أثبتت المعطيات الأدبية والأثرية استقرار الليبيين بها، فإذا كانت تلك المعطيات قد بينت استمرار تقاليد حضارية ليبية في مواقع المجال القرطاجي الإفريقي، فإن عدد النقائش الليبية بذلك المجال يبدو قليلا جدا. الأمر الذي قد يُفَسَّر إما بتراجع الكتابة الليبية مقابل انتشار اللغة البونية، وإما أن النقائش الليبية قد تعرضت للتلف، أو لم تكتشف بعد. فلا يوجد ما يمنع من افتراض استمرار الليبيين في استعمال لغتهم الأم خلال الفترة القرطاجية. الأمر الذي يطرح عقبات أمام كل مسعى للاعتماد على آثار الكتابة الليبية للبحث في موضوع المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي.

فإذا قمنا مثلا بمقارنة بين مناطق انتشار السكان الليبيين والنوميديين بالمجال القرطاجي الإفريقي من جهة، ومجال توزيع العمارة الجنائزية والكتابة الليبية من جهة أخرى، سنلاحظ عدم تطابق المعطيات، فمجال الحوانيت (رأس بون/الوطن القبلي، وجبال مقعد، والساحل الشرقي التونسي) الذي يعكس معالم حضارة محلية لم يقدم سوى عددا قليلا من النقائش الليبية[1]. بينما يلاحَظ العكس في مناطق السهول والتلال التونسية، وخصوصا بثوگا ومكثر وبجنوب الظهير التونسي، أي بمجال الصروح الميغاليتية، حيث عُثر على عدد مهم من النقائش الليبية. لكن مع ملاحظة عدم تطابق المعطيات أيضا، حيث تغطي الصروح الميغاليتية مجالا أوسع من المجال الذي عثر به على نقائش ليبية[2]. وقد يُفَسَّرُ ذلك بمجاورة تلك المناطق للمملكة النوميدية، وتبعيتها لها فيما بعد، دون أن نستبعد أن يكون استعمال الكتابة الليبية قد ارتبط بالخصوص بسكان وسط وغرب تونس[3]، أي بالهوامش الغربية للمجال القرطاجي الإفريقي[4].

1- من أهم تلك النقائش نشير نقيشة جبل المنقوب بسيدي محمد الأطرش برأس بون بالوطن القبلي/شمال شرق تونس، ثم نقيشة سبخة حلق المنجل قرب الساحل الشرقي التونسي.

2- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, dans REPPAL, T. IX, 1995, pp. 93-108, p. 96.

3- يلاحظ، بصفة عامة، تركز النقائش الليبية بالحدود التونسية الجزائرية. للمزيد من التوضيح راجع:

- CAMPS G., Essais de cartographie culturelle, dans *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique: Hommage à Pierre Salama*, Études réunies par DUPUIS, X. et LEPELLEY, C., Éditions de la Sorbonne, Paris, 1999, pp. 31-47, p. 32.

4- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p. 107.

وإذا كانت النصوص التاريخية قد أشارت إلى استقرار سكان ليبيين بمناطق الساحل الشرقي التونسي، فقد اعتُبرت السواحل مجالا «فينيقيا/بونيا» خالصا نظرا لعدم اكتشاف نقائش ليبية بتلك المناطق-ربما-بسبب طغيان الكتابة البونية[1] كأداة للاستعمال الرسمي والديني كما يستشف من معطيات موقع قرطاج، حيث لم يعثر به على أي دليل على استعمال الكتابة الليبية[2]، قبل أن تتغير فكرة غياب النقائش الليبية بالساحل الشرقي بعد اكتشاف نقيشة ليبية جديدة بضفاف سبخة حلق المنجل *(Halq el Menjel)*[3] قرب الساحل[4]. علما أن عدم العثور على نقائش ليبية بالمجال المذكور لا يعني عدم استقرار الليبيين به نظرا لقوة تأثير اللغة البونية وتأثر المحليين بها في مختلف الأغراض.

د- معطيات الأنثروبولوجيا البيولوجية:

يمكن الاستئناس بمعطيات الأبحاث الأنثروبولوجية لتقييم أهمية استقرار العنصر الليبي بالمجال القرطاجي الإفريقي مع استحضار العوائق الموضوعية التي أشرنا إليها سابقا. لقد خلصت الأبحاث التي اهتمت بدراسة بقايا العظام البشرية لبعض المواقع القرطاجية (رأس بون/الرأس الطيب والسميرات) إلى أن ساكنة المجال القرطاجي لم تكن تتشكل من الفينيقيين لوحدهم[5]. واعتبرت تلك الدراسات أن جذور سكان تلك المواقع ترجع، ربما، إلى العنصر الإفريقي الزنجي[6]. ورغم أهمية هذه الخلاصات التي يعززها اكتشاف هياكل عظمية بموقع السميرات تنطبق عليها الخصائص الجسمانية للزنوج، وخصوصا من حيث مؤشري الجمجمة والشعر المجعد المفتول[7]، فإن الحذر من التعميم يظل ضروريا لأن تلك الخلاصة لا تخص سوى المواقع التي وجدت بها تلك البقايا بانتظار أن تحرز الأبحاث الأنثروبولوجية البيولوجية بشمال إفريقيا تقدما ملموسا يسمح بالاستنتاج بناء على معطيات مضبوطة.

1- Ibid., p. 100.

2- Ibidem.

3- Id, Le libyque, dans *Revue Tunisienne d'Archéologie*, n°1, 2013, pp. 9-28, p. 17.

4- يتعلق الأمر بكتابة ليبية أفقية الاتجاه على نصب، عثر عليها من طرف فريق تونسي إيطالي متخصص في حقبة ما قبل التاريخ. وتتميز الحروف بقربها من الكتابة الليبية الغربية.

5- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 49.

6- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 137.

7- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 47.

لقد فُسر وجود الزنوج بالمجال القرطاجي باستقرار سكان قدموا من الصحراء حسب البعض[1]، وباستقدام عبيد صحراويين حسب البعض الآخر[2]. ولا يستبعد أن الأمر يتعلق بجنود استقدموا من الهوامش الصحراوية، رغم أن مصادر الحروب البونية لم تشر لذلك إذا استثنينا ولوكانوس *(Lucanus)* الذي تحدث عن تجنيد الجرمنتيين[3]، وسيليوس إيطاليكوس الذي أشار إلى الجنود الجرمنتيين[4] والإثيوبيين، والنوبيين[5]، والأطلول، والجيتوليين[6] والأديرماشيديين[7] في الجيش القرطاجي. وأشار كتاب آخرون إلى بعض الخصائص الجسمانية للإثيوبيين مثل البشرة السوداء والشعر الأشعث[8]، وهو ما أكدته الأبحاث الأنثروبولوجية التي تمت عينات من هياكل عظمية اكتشفت بفزان، أي مجال الجرمنتيين، حيث اتضح وجود خصائص زنجية لبعض سكان المنطقة[9].

ينضاف لما سبق عامل القرب الجغرافي، حيث يستفاد من النصوص التاريخية مدى قرب الإثيوبيين مثلا من المجال النوميدي[10] الشيء الذي يعني أنه كان بمقدور سكان الهوامش الصحراوية الانتقال شمالا نحو المجال القرطاجي، خصوصا وأن النصوص أشارت إلى هذه الإمكانية خلال فترات لاحقة، كما هو الشأن بالنسبة للجرمنتيين الذين صعدوا إلى ساحل السرت الكبرى في ظروف الحرب لمواجهة الرومان[11]، وفي ظروف السلم بقصد التجارة. ومن ناحية أخرى، لا يستبعد وجود زنوج من بين السكان الليبيين أو النوميديين بالمجال القرطاجيين الإفريقي كما يستخلص من النصوص التاريخية ومن الخصائص الجسدية لبعض سكان شمال إفريقيا خلال حقبة ما قبل التاريخ. فقد أشار سيليوس إيطاليكوس إلى شعب ليبيا الأسود[12]،

1- Ibid., p. 51.
2- GSELL S., *HAAN*, T. I, p. 302; id, ibid., T. IV, p. 173-174.
3- LUCAIN, *La guerre civile (La Pharsale)*, IV, 674-685.
4- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 313.
5- Id, ibid., III, 265-268.
6- Id, *La guerre punique*, V, 544-547; id, ibid., VII, 338.
7- Id, ibid., IX, 220-226.
8- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 8 ; HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 70 ; SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 265-268 ; PAUSANIAS, *Description de la Grèce*, IX, 21.
9- HACHID, M., *Les premiers berbères*, p. 284.
10- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 43 ; STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 3.
11- TACITE, *Annales*, III, 74 ; id, *Histoires*, IV, 49.
12- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 682.

وأخبرنا ديودوروس الصقلي أن لون بشرة أفراد قبيلة الأسفوديلود (تُوطّن على الأرجح بشمال تونس)[1] كان يشبه لون بشرة الإثيوبيين[2]. بينما أشار كوريبيوس إلى أن سكان جنوب تونس والطرابلسية كانوا من ذوي البشرة السوداء[3].

أكدت الأبحاث الأنثروبولوجية المعطيات التي وردت في المصادر القديمة، حيث أن الإنسان القفصي الذي عاش خلال العصر الحجري الحديث بجنوب تونس كان يحمل خصائص زنجية[4]. وسارت معطيات الفن الصخري في نفس الاتجاه، حيث يمكن الحديث عن مزيج من العناصر البشرية ذات البشرة السوداء والبيضاء بشمال إفريقيا مند حقب موغلة في القدم[5]. كما اتضح أيضا أن العنصر الزنجي كان يشكل جزءا من ساكنة شمال إفريقيا خلال عصر الصروح الميغاليتية[6]. وبناء على ما سلف، يمكن الحديث عن استقرار ساكنة محلية ذات بشرة سوداء بالمجال الإفريقي الذي خضع لسلطة قرطاج دون أن نستبعد بالطبع احتمال هجرة سكان هوامش الصحراء نحو ذلك المجال بحكم الإغراء الذي مثله الازدهار التجاري بالمناطق الخاضعة لسلطة قرطاج.

يتضح، إذن، أن النصوص التاريخية، والمعطيات الأثرية، والنقائشية، تتكامل فيما بينها للبرهنة على انتشار السكان الليبيين بمناطق شاسعة من المجال الإفريقي الذي شكل الكيان السياسي لقرطاج، وفي نفس الوقت المجال الجغرافي التي تطورت فيه الحضارة المسماة «بونية». الأمر الذي يخالف الرأي الذي لطالما كرسته الدراسات الفينيقية البونية من خلال المبالغة في تقدير أهمية العنصر الفينيقي الوافد على المنطقة مقابل إغفال حضور العنصر الليبي بمنطقة عثر بها على أدلة الاستقرار البشري منذ حقبة ما قبل التاريخ.

1- GSELL S., *HAAN*, T. I, p. 303.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.

3- CORIPPE, *Johannide*, VI, 92-95.

4- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, AMG, Paris, 1961, p. 31; HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 198 ; BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, p. 126.

5- أسمهر (المحفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003 (مرقونة)، ص. 87.

6- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p.250 .

الفصل الثالث:

العناصر الوافدة على المجال القرطاجي الإفريقي

1 - الفينيقيون:

1-1 - مدلولات تسمية «ليبوفينيقيين»:

يستلزم البحث في موضوع استقرار العنصر الفينيقي بالمجال القرطاجي الإفريقي التطرق لمدلولات تسمية «ليبوفينيقيين»[1] التي وردت في المصادر الأدبية للإشارة إلى ساكنة تستوطن مجالا ساحليا شاسعا. إلا أن هذا المسعى يصطدم بالغموض الذي يكتنف التسمية في حد ذاتها. الأمر الذي يفرض طرح الأسئلة التالية، ومحاولة الإجابة عنها على ضوء ما بحوزتنا من معطيات: هل استعملت التسمية للإشارة إلى مجالي إداري له وضعية معينة إزاء قرطاج؟ أم أن تركيب التسمية من فينيقيين وليبيين يمثل دليلا على استقرار الفينيقيين بذلك المجال إلى جانب الليبيين؟

لقد أوردنا سابقا المعطيات التي ترجح استعمال الكتاب القدامى لتلك التسمية للإشارة إلى وضعية إدارية تحدد علاقة مدن وسكان ذلك المجال بالعاصمة البونية. إلا أن ذلك لا يلغي تماما أهمية البحث في البعد البشري للتسمية من خلال تركيبها من مكونين بشريين: محلي، ووافد. ولعل هذا ما يُفهم من نص ديودوروس الصقلي عندما استعمل التسمية في هذا السياق، أي عند وصفه لسكان شمال إفريقيا[2].

أثارت التسمية جدلا كبيرا بين المختصين في التاريخ القرطاجي، وخصوصا بشأن تاريخ استعمالها لأول مرة. فقد اعتبر ستيفان كسيل أنها لم تظهر إلا خلال القرن الأول الميلادي[3]. غير أن تتبع السياقات التاريخية للنصوص القديمة التي وردت بها التسمية يكشف عن قدمها، وارتباطها بالفترة القرطاجية كما يتجلى من ذكر التسمية في كتابات هيكتايوس المليتي

1- وردت التسمية عند الكتاب الإغريق بصيغة ليبو-فوينيكس (Λιβοφοίνικες)، بينما وردت عند الكتاب اللاتينيين بصيغة ليبيـ-فوينيكس (Libyphoenices).

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.

3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, pp. 493-494.

(*Ἑκαταῖος*) منذ القرن 5 ق.م[1]، ووروداها عند ديودوروس الصقلي في سياق زمني قريب من عصر هيكتايوس المليتي[2]. هذا بالإضافة إلى ذكرها في رحلة حانون[3] التي تُحَدَّدُ زمنيا بما بين القرنين 5 و4 ق.م.

ثمة انقسام بين الباحثين فيما يهم مدلولات التسمية. ويمكننا التمييز بين ثلاثة آراء بهذا الخصوص. فهناك رأي يعتبر أن الليبوفينيقيين هم الفينيقيون الذين استوطنوا المدن الساحلية التي أسستها قرطاج كما يرى ورمنغطون على سبيل المثال[4]، أو فينيقيو ليبيا حسب رأي ستيفان كسيل[5]. ويتمثل المبرر الذي قدمه أصحاب هذا الرأي في عدم استيعاب الكتاب القدامى لمدلولات التسمية التي استعملوها في كتاباتهم[6]، وأن تركيبها من مكونين لا يعني أنها تدل عل على سكان فينيقيين وليبيين.

أما الرأي الثاني، فمؤداه أن الليبوفينيقيين هم السكان الليبيون المتأثرون بالحضارة الفينيقية[7] والقاطنون بالمجال التابع لقرطاج. وهكذا استنتج كروزي من نص بوليبيوس، العائد لسنة 219 ق.م، والذي ذكر فيه أن الليبيين والليبوفينيقيين كانوا يشكلون فرقة واحدة في الجيش القرطاجي[8] أن المقصود بالليبوفينيقيين في النص هم السكان الليبيون بالمجال القرطاجي الإفريقي[9]. بينما يعتبر الرأي الثالث الليبوفينيقيين بمثابة خليط بين الفينيقيين والليبيين. فقد توصلت حليمة غازي من دراستها لمدلولات التسمية إلى أن الليبوفينيقيين

1- HÉCATÉE DE MILET cité par STÉPHANE DE BYZANCE Clef DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 103.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.

3- Périple d'Hannon, 1.

4- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 99.

5- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 112.

6- فسّر كسيل رأيه في الموضوع بكون الكتاب القدامى استعملوا لفظ «ليبيين» في تركيب التسمية على سبيل الخطأ، وأن الأمر كان يتعلق فقط بسكان فينيقيين. لكنه لم يستقر على رأي واحد بهذا الشأن، فقد كتب عكس ذلك تماما في إحدى مقالاته: «...لعل جزءا من هذه الساكنة [أي الليبوفينيقيين] قد تبنت العادات البونية. ويمكن اعتبارهم ليبيين متأثرين بالحضارة الفينيقية...»! انظر كسيل:

- GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, p. 365.

7- MARCY G., Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, dans *Hespéris*, T. XX, fasc. 1-2, 1935, pp. 21-72, p. 22; CAMPS G., Réflexions sur la pénétration de la civilisation punique en Numidie, p. 12, n° 12.

8- POLYBE, *Histoires*, III, 33, 15.

9- CROUZET, S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 667.

هم ثمرة زواج مختلط بين الفينيقيين والليبيين[1]. ورغم ذلك يبقى سبب استعمال بوليبيوس لمصطلح «ليبوفينيقيين» مجهولا، وهو الذي استعمل في كتاباته مصطلح «ليبيون» للإشارة إلى السكان الأصلاء.

لكن بالعودة إلى المصادر القديمة، وإذا دققنا في نصوص ديودوروس الصقلي وبوليبيوس لوجدنا أنهما يميزان تميزا واضحا بين الليبيين والليبوفينيقيين مما يعني أنهما كانا يدركان أسباب ذلك التمييز الذي أفصح ديودوروس الصقلي عن فحواه حينما فسر إطلاق تلك التسمية بالقرابة الدموية التي تجمع هؤلاء السكان بالقرطاجيين (وهم فينيقيون في نظره)[2]، أي تركيبها من مقطعين: «ليبيين» و«فينيقيين». وهو الأمر الذي يتضح أكثر في نص تيتوس-ليفيوس الذي اعتبر الليبوفينيقيين خليطا من الأفارقة [يقصد الليبيين] والبونيين[يقصد الفينيقيين][3]. ومن هذا المنطلق تم فهم التسمية في معظم الأبحاث التاريخية على أساس أنها تمثل انعكاسا للقرابة الدموية التي جمعت بين الفينيقيين والليبيين[4].

يبدو هذا التفسير منطقيا، لكنه لا يبدد بشكل نهائي الغموض الذي يكتنف معنى التسمية، فالملاحظ مثلا أن ديودوروس الصقلي، الذي أرجع الطابع المركب للتسمية إلى الاختلاط البشري الذي حدث بين الفينيقيين والليبيين، لم يستعمل نفس التسمية للإشارة إلى سكان قرطاج حيث يفترض قيام نفس الصلات الاجتماعية -وربما- بشكل أوسع، بل نجده ينعت سكان المدينة ب «الفينيقيين»، ويميزهم عن الليبوفينيقيين[5]. وبالمقابل، وإذا كانت تلك العلاقات «الدموية» قد حدثت-حسب رأي ديودوروس الصقلي-بين فينيقيي قرطاج وفينيقيي المناطق الساحلية (الساحل الشرقي التونسي) فما الذي يبرر، في هذه الحالة، إدخال الليبيين في تركيب التسمية؟

إذن، نحن أمام احتمالين. فإما أن الأمر يتعلق بسكان ليبيين ربطوا علاقات مصاهرة مع وافدين فينيقيين، وإما بفينيقيين ربطوا علاقات مصاهرة مع الليبيين المجاورين للمدن التي

1- GHAZI-BEN MAISSA H., Muttines, le libyphéniciens (212-190 avt. j.-c.), dans *Hespèris Tamuda*, Vol. XXXII, 1994, pp. 7-10, p. 9.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 55.

3- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12.

4- TISSOT G., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, T. I, p. 425; MELLERCH H.-E.-L., *Carthage*, Weidenfeld et Nicilson LTD, London, 1963, p. 52.

5- DIODORE DE SICILE, *BH*, XVII, 113, 2.

أنشؤوها بالسواحل. ويتمثل وجه الاختلاف بين الاحتمالين في أن الأول يحيل إلى وجود أنوية محلية قديمة لمدن وفد إليها مهاجرون فينيقيون، بينما يطرح الثاني فرضية إنشاء مستوطنات فينيقية ضمت ساكنة فينيقية مهمة، ثم التحق بها السكان المحليون في مرحلة تالية[1]. بيد أن الإشكال يكمن في معرفة ما إذا كان حضور العنصر الفينيقي بمجال الليبوفينيقيين-كما حددناه سابقا-كان بتلك الكثرة التي جعلت القدامى يستعملون تسمية توحي بوجود اختلاط واسع بين العنصرين الفينيقي والليبي مما يعني وجود ساكنة فينيقية كبيرة بذلك المجال، وهو ما يصعب تصديقه في كتابات القدامى، فبالأحرى في تأويلات الباحثين المعاصرين.

لا نستبعد، بالنظر لعدم دقة المصطلحات التي استعملها الكتاب القدامى، أن يكون لجوء هؤلاء إلى استعمال تلك التسمية المركبة ناتجا بالأساس عن سوء فهمهم للتركيبة السكانية للمناطق الساحلية الممتدة بين قرطاج والسرت الكبرى[2]، وعدم قدرتهم على التمييز بين الفينيقيين والليبيين بعد انصرام فترة طويلة من التجاور والاختلاط بين العنصرين البشريين[3]. ولهذا السبب شكك البعض في دقة ومصداقية المصادر التي نقلت التسمية، وفي مدى إمكانية تطابقها مع الوضع السكاني للمجال المفترض لليبوفينيقيين. فقد اعتبر كروزي أن المصدر الأول الذي وردت به التسمية هو رحلة حانون[4] ونقيشة كاب لكينيوم *(Cap lacinium)*[5]، وأن باقي الكتاب القدامى نقلوا عن ذلك المصدر، ومن بينهم بوليبيوس. فإذا كان الأمر يتعلق بوثائق بونية تُرجمت إلى الإغريقية، فالراجح أن التسمية الأصلية قد خضعت للتحريف[6].

كما أن إدخال اسم الفينيقيين في تركيب الاسم لا يعني بالضرورة وجود سكان فينيقيين لأن هؤلاء غالبا ما يعبرون عن هويتهم من خلال أسماء مدنهم، وهو ما لم يحصل في هذه الحالة، حيث نلاحظ غيابا تاما لتسميتي «فينيقيين» و«ليبـوفينيقيين» في النقائش البونية

1- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 663.

2- من بين أمثلة التناقض الذي حدث في استعمالات الكتاب القدامى نُدرج ما نقله بوليبيوس وتيتوس-ليفيوس عن أصل المحارب موتنس، وهو أحد قادة جيش حنبعل. فقد نُسب إلى مدينة هيبوأكرا، ثم نُعت تارة ب«النوميدي»، وتارة أخرى ب«الليبوفينيقي»، أو «الليبي»، أو «الإفريقي». انظر بهذا الشأن النصوص التالية:

- TITE-LIVE, *HR*, XXV, 50, 12 ; id, ibid., XXV, 50, 5; id, ibid., XXVI, 40, 3; id, ibid, XXXVIII, 41, 12; POLYBE, *Histoires*, IX, 23, 4.

3- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 663.

4- معلوم أن تسمية «ليبوفينيقيين» وردت أيضا عن المؤرخ الإغريقي هيكتايوس المليتي الذي عاش خلال القرن 5 ق.م.

5- ذكر بوليبيوس أن حنبعل أنشأ هذا التذكار بمنطقة كاب لكينيوم، ونقش عليه نصا بالحروف البونية والإغريقية:

-POLYBE, *Histoires*, III, 33, 18.

6- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 666.

المكتشفة بقرطاج ومجالها الإفريقي[1]. إذا كانت فكرة كروزي تبدو منطقية، حيث أن قلة تداول التسمية في الكتابات الإغريقية واللاتينية، وانعدامها في الوثائق البونية يوحي بأنها من وضع الكتاب القدامى، فإن ذلك لا يعني بالضرورة استبعاد ما توحي به التسمية في حد ذاتها من اختلاط بشري بين الفينيقيين والليبيين يجهل، لحد الآن، المدى الذي بلغه.

وبناء على ما سبق، يمكن الاستنتاج بأن الفرضيات التي صيغت بشأن تسمية الليبوفينيقيين لم تقدم في الواقع حلا يحسم النقاش الذي لا يزال مطروحا لحد الآن، خصوصا بشأن مدى تعبيرها عن الاختلاط البشري الذي يوحي به تركيبها، والمتمثل في تجاور سكان فينيقيين وليبيين الأمر الذي يبدو منطقيا في نظرنا. ومع ذلك يبقى الغموض قائما بشأن دلالة التسمية فيما يخص تعبيرها عن وجود العنصر الفينيقي بأعداد كبيرة، وعلى مجال جغرافي واسع. الأمر الذي تصعب معالجته من خلال البحث في المصطلحات التي استعملها القدامى، وإنما من خلال الاستعانة بمعطيات أخرى قد تساعد على فهم معنى التسمية في علاقتها بالمعطيات البشرية للمجال الذي تشمله، وفي مقدمتها النصوص القديمة، وإفادات علم الآثار.

1-2 - الفينيقيون بالمجال القرطاجي من خلال المصادر التاريخية والأثرية:

تحدثت المصادر الأدبية عن وصول الفينيقيين إلى مناطق المجال القرطاجي الإفريقي، وتأسيسهم لعدة مدن في تاريخ غير محدد بالضبط، وهي المدن التي شملها التوسع القرطاجي فيما بعد. ولذلك، فإن البحث في إشكالية الهجرات الفينيقية إلى المناطق التي خضعت لسلطة قرطاج، وخصوصا باتجاه مجال الليبـوفينيقيين بالساحل الشرقي التونسي مرتبط بالتحقق من مدى صحة الروايات التي أوردها الكتاب القدامى حول تأسيس الفينيقيين للمدن بذلك المجال.

اعتبر هيرودوتوس الفينيقيين شعبا أجنبيا يحتل قسما من شمال إفريقيا القديم[2] دون أن يحدد المجال الذي كان يستوطنه هؤلاء. وأشار بلينيوس القديم إلى تأسيس الفينيقيين لمدينة أوتيك[3] قبل إنشاء قرطاج كما يستشف أيضا من إشارة جوستينوس[4]. وأشار سالوستيوس، وهو مصدر متأخر، إلى تأسيس الفينيقيين لعديد المدن بالسواحل الواقعة

1- Ibidem.
2- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 32.
3- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XVI, 79, 3.
4- JUSTIN, XVIII, 4.

شرقي قرطاج، والممتدة إلى غاية إقليم الطرابلسية. فعلى الساحل الشرقي التونسي، أخبرنا المؤرخ اللاتيني بأن أدروميتوم (سوسة الحالية) كانت مستعمرة فينيقية قديمة[1]. وجاء عند سولينوس *(Solinus)* أنها أُنشأت من طرف الشعب الصوري[2]. وتحدث سالوستيوس عن أيضا تأسيس الفينيقيين لمدينة أخرى تدعى هيبو يبقى توطينها غامضا، يبدو أن الأمر لا يتعلق بهيبو *(Hippo Diarrhytus)* التي تُوطّن ببنزرت، وإنما بمدينة أخرى تحمل نفس الاسم، ولا يستبعد أنها تقع بالساحل الشرقي أيضا[3].

كما تحدث سالوستيوس عن تأسيس الفينيقيين لمدينة لمطة الكبرى (لبدة حاليا)[4]. وذكر في موضع آخر أن هذه الأخيرة أسست من طرف الصوريين[5]، مضيفا أنها حافظت خلال عصره على قوانين الفينيقيين وعاداتهم[6]. بينما تحدث سيليوس إيطاليكوس عن الصوريين بلمطة الكبرى وبصبراتة[7]. كما نتوفر على نصين متناقضين حول تأسيس مدينة قفصة بداخل البلاد. فقد نسب أوروسيوس تأسيسها إلى هرقل الجبار[8]، أي ملقرت الفينيقي، بينما ذكر سالوستيوس أنها كانت مدينة كبيرة أسست من طرف هرقل الليبي[9].

يلاحظ من الناحية المجالية أن المدن ذات التأسيس الفينيقي المفترض التي أشرنا إليها أعلاه تقع بمجال ساحلي يمتد بين أوتيك بشمال تونس، مرورا بالساحل الشرقي التونسي وسواحل السرت الصغرى، ووصولا إلى لبدة غرب السرت الكبرى، هذا باستثناء مدينة قفصة التي تقع بعيدا عن الساحل. وبهذا يستجيب هذا المجال-ظاهريا-لخصوصيات الانتشار الفينيقي كظاهرة ساحلية من جهة، ويتوافق نسبيا مع مجال الليبوفينيقيين. وانطلاقا من النصوص المشار إليها سابقا، سارع بعض الباحثين إلى تصديق ما ورد في تلك الروايات الأسطورية دون أن يستطيعوا فك الألغاز المحيطة بظروف وتاريخ تأسيس المدن الفينيقية المفترضة، ومعرفة من

1- SALLUSTE, *GJ*, XIX, 1.
2- SOLIN, *Polyhistor*, 28.
3- SALLUSTE, *GJ*, XIX, 1.
4- Ibidem.
5- Id, ibid., LXXIX, 1.
6- Id, ibid., LXXVIII, 4.
7- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 257.
8- أوروسيوس (أبلوس)، تاريخ العالم، الباب الخامس، الجزء الخامس، ص. 343.
9- SALLUSTE, *GJ*, LXXXIX, 4.

قام بذلك التأسيس المفترض: هل تم من طرف فينيقيي الشرق؟ أم من طرف فينيقيي قرطاج؟

يعد كسيل من أشد المتحمسين للنصوص التي تحدثت عما اعتبرها مستوطنات فينيقية مستدلا على ذلك بالطابع الفينيقي لأسماء المواقع التي أشار إليها القدامى بمناطق السرت، بل نجده يضيف إلى ذلك إمكانية وجود مدن فينيقية شرق لبدة[1]. بل اعتبر بعض الباحثين أن المجال القرطاجي الإفريقي شكل قبلة لهجرات فينيقية كثيفة بعد تأسيس قرطاج، وخمّنوا لذلك أسبابا من قبيل تزايد الضغوط الأجنبية على المدن الفينيقية في الشرق، وكساد الوضع الاقتصادي بها الشيء الذي دفع بالفئات المتوسطة والفقيرة للهجرة إلى المجال الإفريقي مستفيدة من دعم حكام صور[2].

غير أن مثل هذه الآراء تبقى افتراضية، وتُفتقد لأساس متين في المصدرين الأدبي والأثري على حد سواء، فالكتاب القدامى لم يهتموا في أغلب الأحيان بذكر أسباب وتاريخ تأسيس المدن الفينيقية المفترضة، مثلما لم يحدثونا عن مناطق استقرار المهاجرين، وأسباب هجرتهم، وأعدادهم، وأهميتهم مكتفين بتقديم أسباب غامضة كما هو الشأن بالنسبة لسالوستيوس الذي ساق عدة مبررات لهجرة الفينيقيين إلى السواحل الممتدة بين السرت الكبرى والصغرى، ومنها رغبة الفينيقيين في الفرار من الصراعات الأهلية ببلادهم[3]، أو رغبتهم في تخفيض حدة الاكتظاظ بمدنهم، أو حبّا في المغامرة[4]. ولعل التناقض الذي يطبع دوافع قدوم الفينيقيين إلى المنطقة، انطلاقا من نصوص سالوستيوس، يمكن ردّه إلى غموض مصادر المؤرخ اللاتيني، وجهله بالأسباب الحقيقية لتلك الهجرات المفترضة.

إلا أن ثقل الآراء التي تشكلت بشأن دور الفينيقيين بالمنطقة لا يعني بالضرورة التسليم بتاريخية الروايات التي تنسب للفينيقيين تأسيس المدن بها. إذ يلاحظ أن المصادر التي أشارت لتلك الأحداث تعد متأخرة زمنيا، فضلا عن الشكوك التي تحوم حولها[5]، إذا لا

1- GSELL S., *HAAN*, T. II, pp. 118-147.

2- الشريف(زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 139.

3- SALLUSTE, *GJ*, LXXIX, 1.

4- Id, ibid., *GJ*, XIX, 1.

5- إذا كان حديث أوروسيوس عن تأسيس قفصة من طرف هرقل الفينيقي قد يفسر بتأسيس المدينة من طرف الفينيقيين، خصوصا إذا كان المقصود بهرقل الفينيقي هو ملقرت الصوري الذي رافق الانتشار الفينيقي، فإن النص يبقى عبارة عن رواية أسطورية نسجت خلال فترة متأخرة، والدليل على ذلك هو أن سالوستيوس زعم بأن المدينة أسست من طرف هرقل الليبي. في حين أن تيتوس-ليفيوس نعت سكان قفصة ب«النوميديين». كما أشار بلينيوس القديم إلى القفصيين (Capsitani) من بين المجموعات البشرية المحلية. ينضاف إلى ذلك موقع المدينة بداخل البلاد بعيدا عن متناول الفينيقيين الذي ركزوا في حركتهم

تتعدى معلوماتنا ما نسجه سيليوس إيطاليكوس في مروياته الشعرية، والروايات ذات الطابع الأسطوري التي أقحمها سالوستيوس في مؤلفه حول حرب يوغرطة[1]. في حين يلاحظ أن المصادر الأساسية حول تاريخ المنطقة، وتلك المنتمية للقرن 5 ق.م وما بعده، أشارت فقط إلى تأسيس الفينيقيين لمدينتي قرطاج وأوتيك، ولم تنسب للفينيقيين تأسيس مدن أخرى.

كما لم تذكر تلك المصادر شيئا عن الفينيقيين كسكان مستقرين بالمنطقة ما عدا استعمال غامض لتسمية «ليبوفينيقيين» التي أبدينا بصددها عدة ملاحظات نقدية. ويكفي هنا أن نراجع ما كتبه هيرودوتوس الذي كان على اطلاع جيد بسكان الجزء الشرقي لشمال إفريقيا، وخصوصا مناطق الساحل الشرقي التونسي، إذ لم يتحدث المؤرخ الإغريقي عن الفينيقيين بالمنطقة، ولم يشر إلى وجود مستعمرات فينيقية قديمة على الأقل بالمناطق التي تحدث عن ساكنتها، وهي مناطق السرت والساحل الشرقي التونسي، أي بالمجال الذي أسست به المدن الفينيقية المزعومة حسب روايات سالوستيوس.

وينطبق نفس الشيء على نص رحلة سكيلاكس، حيث لم يشر النص إلى أي من المستعمرات الفينيقية بذلك المجال. وبذلك لا يمكن الزعم بأن الروايات التي أشارت إلى تأسيس مدن فينيقية بمناطق السرت والساحل الشرقي التونسي ترقى إلى مرتبة المعطى التاريخي بسبب تناقضها، وعدم تأكيدها من مؤرخين إغريق ولاتينيين آخرين ممن قدموا معطيات عن بعض أحداث المنطقة. ويطرح هذا الأمر الشكوك بصدد مصداقية الروايات حول وصول الفينيقيين إلى تلك المناطق، وتأسيس مدن استيطانية بها على الأقل انطلاقا من النصوص التي أشرنا إليها. ويحق التساؤل عن مدى جدية الحديث عن هجرات فينيقية كثيفة نحو المجال القرطاجي الإفريقي باستحضار معطيين: يخص الأول الطابع العام للانتشار الفينيقي بغرب البحر الأبيض المتوسط، ويهم الثاني علاقة عدد الفينيقيين بموطنهم بالشرق بقدرتهم على استيطان كل تلك المناطق الشاسعة بغرب المتوسط.

على المناطق الساحلية. أما من الناحية الأثرية، فتتميز قفصة بكثرة المواقع الأثرية العائدة إلى العصر الحجري الحديث، الشيء الذي يعني قدم الاستقرار البشري بها. وبالنتيجة، يصعب الوثوق بروايات أسطورية متناقضة. انظر على سبيل المثال ما ورد عند سالوستيوس وتيتوس-ليفيوس:

- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 22, 3; id, ibid., XXI, 29, 1.

1- من أمثلة ذلك أيضا نذكر إشارة سالوستيوس إلى أن لمطة الكبرى أسست من طرف «الفينيقيين»، ثم ذكر في موضع آخر أن سكانها كانوا «نوميديين».

- SALLUSTE, *GJ*, XLI, 4, 6 ; id, ibid., LXXVIII, 4.

معلوم أن معظم التوسعات الاستيطانية الفينيقية قد نُسبت لمدينة صور بفينيقيا. ونتساءل هنا عن قدرة تلك المدينة على تسيير كل تلك الرحلات المذكورة في المصادر، ونقل الفينيقيين إلى كل المدن التي نُسب إليها تأسيسها عبر حركة استيطانية بذلك الاتساع المجالي مع ما يقتضيه ذلك من ضخامة في عدد السكان المفروض نقلهم إلى المستعمرات الجديدة. وبالرجوع إلى المعطيات البشرية والمجالية الخاصة بصور، يتضح نقلا عن الوثائق المصرية والآشورية أنها أُنشأت على جزيرة صخرية صغيرة قبالة البر الفينيقي[1]. وبالنظر لضيق مجال المدينة[2]، وبالتالي قلة عدد سكانها، فإنه من المستغرب أن تكون هي مصدر ذلك العدد الكبير من المهاجرين الفينيقيين الذين وفدوا إلى شمال إفريقيا لوحدها كما أشار إلي ذلك القدامى، وصدّق بذلك الباحثون المعاصرون.

فلعله من غير المنطقي أن يكون بمقدور مدينة واحدة بحجم صور نقل عدد كبير من المستوطنين للإقامة الدائمة أو المؤقتة في المدن أو المراكز الشمال إفريقية التي يفترض وصلوهم إليها[3]. وحتى ولو افترضنا أنها لم تكن لوحدها مسؤولة عن الاستيطان الفينيقي، وأن المستوطنين قدموا من مدن فينيقية أخرى[4] كما يرى ستيفان كسيل[5]، أو أن المهاجرين قدموا أيضا من المستعمرات الفينيقية بغرب البحر المتوسط، فإن المقارنة المنطقية بين العدد الكبير من السكان اللازمين لاستيطان مجال شاسع وبين المساحة الصغيرة للأرض الفينيقية[6] تبين بأن

1- بخصوص ذكر مدينة صور في الوثائق المصرية والآشورية انظر المراجع التالية:
- بيومي (محمد مهران)، المدن الفينيقية، بيروت، 1994، ص. 162.
- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 32 et 45.

2- هناك من بالغ كثيرا في تقدير مجال مدينة صور من منطلق الاعتقاد بأنها شكلت إلى جانب مدينة صيدا مملكة واحدة منذ القرن 9 ق.م، ضمت أنحاء واسعة من المناطق الساحلية الواقعة بين أنفه (Anfé) جنوب طرابلس في الشمال وعكا بشمال فلسطين المحتلة في الجنوب، قبل أن ينفرط عقد هذا التحالف بعد تدخل الملك الآشوري سنحريب في شؤون المنطقة سنة 701 ق.م. وهذا افتراض لا تدعمه المصادر الأدبية والأثرية:
- KATZENSTEIN, 1973, p. 130 apud SADER H., Les territoires des cités phéniciennes entre continuité et changement, dans *Topoi. Orient-Occident*, Année 2015, Suppl. 13, pp. 107-121, p. 116-117.

3- اقتبسنا فكرة المقارنة بين سكان مدينة صور بالساحل الفينيقي بالعدد الهائل للسكان المفترض انتقالهم إلى المراكز التي وصل إليها الفينيقيون بحوض البحر المتوسط من إحدى محاضرات الباحثة حليمة غازي، أستاذة التعليم العالي سابقا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

4- GSELL S., *HAAN*, T. I, pp. 371-372.

5- يتناقض كسيل هنا مع إفادات النصوص القديمة التي اعتمد عليها، والتي اعتُبرت دليلا على صحة فرضية قيام هجرات فينيقية كثيفة، حيث أنها تعطي لمدينة صور قصب السبق في حركة الانتشار الفينيقي بغرب البحر الأبيض المتوسط.

6- جاء في رحلة سكيلاكس المزعوم(القرن 4 ق.م) أن مجال الفينيقيين كان يضم شريطا ضيقا يمتد من أرواد بالشمال إلى

المجال الفينيقي لا يمكن أن يضم عددا هائلا من السكان بالقدر الذي يمكن أن يضمن التوازن السكاني بالمدن الفينيقية[1]، وفي نفس الآن استيطان كل البلاد التي يُفترض أن الفينيقيين نزلوا بها.

وأمام ضعف الروايات الأدبية التي أشرنا إليها، لجأ كسيل إلى الاستعانة بأسماء الأماكن بمناطق السرت لمحاولة البرهنة على تأسيس الفينيقيين لمستوطنات بذلك المجال من خلال الطابع الفينيقي المفترض لتلك الأسماء[2]. لكن لا تبدو المقاربة اللغوية موفقة على الأقل بالنسبة للنماذج التي قدمها كسيل. ذلك أن البحث عن أصل فينيقي لأسماء أماكن قديمة يعد عملا صعبا، ونتائجه غير مؤكدة لجهلنا بأصلها، وبالظروف التاريخية التي أحاطت باستعمالها، فضلا-بالطبع-عن صعوبة الاستناد إلى أسماء مواقع إفريقية للحديث عن استيطان فينيقي قديم باعتراف كسيل نفسه[3]. ومن هنا تبرز أهمية توظيف المعطيات الأثرية للمجال الذي نسب للفينيقيين تأسيس المدن به من أجل محاولة تجاوز الروايات الأسطورية التي شكلت أساسا للفرضيات التي صيغت حول حجم حضور العنصر الفينيقي بالمجال القرطاجي الإفريقي.

لقد سمح تقدم الأبحاث الأثرية بالسواحل الليبية والتونسية بتوفير معطيات قد تسعفنا لاقتراح فرضيات مغايرة ومحدودة بحدود ما بحوزتنا من الوثائق المادية بغية تجاوز الأحكام المسبقة التي خلص إليها كسيل، ومن حذا حذوه، اعتمادا على الروايات الأسطورية والمقاربة اللسانية. بالنسبة لمدينة أوتيك التي أسست سنة 1101 ق.م حسب النقط المرجعية التي قدمها بلينيوس القديم[4]، أي قبل تأسيس قرطاج ب287 سنة، فالملاحظ أن تأريخ تأسيسها

عسقلان بالجنوب ضاما باتجاه الساحل السهول دون الجبال، بحيث لا يتعدى عرض الشريط الساحلي 40 غلوة، وأقل من 10 غلوات في بعض الأنحاء:

- Périple du PSEUDO-SCYLAX, 104.

1- حكمت إكراهات التضاريس على الفينيقيين، بمجالهم بالسواحل الفلسطينية واللبنانية والسورية، باستيطان مساحة ضيقة جدا من الأرض على شكل شريط ساحلي محصور بين البحر وسلسلة جبال لبنان، لا يتعدى طوله حوالي 200 كلم. ولذلك أقيمت معظم المدن الفينيقية على الجزر، أو الرؤوس البحرية الضيقة، ولاسيما تلك التي اضطلعت بدور كبير في التوسع الفينيقي نحو غرب المتوسط مثل صور وصيدا. لقد أظهرت الحفريات المجراة بعدد من المواقع الفينيقية أن المدن الفينيقية أصبحت خلال الفترة الهلنستية، وهي فترة جد متأخرة، تحتل مجالا أوسع باتجاه داخل الأراضي، وهو ما ينطبق أكثر على مدينة صور. للمزيد راجع:

- SADER H., Les territoires des cités phéniciennes entre continuité et changement, p. 107 et 118.

2- GSELL S., *HAAN*, T. II, pp. 118-147.

3- Ibid., p. 106.

4- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XVI, 79, 3.

بنهاية القرن 12 ق.م لا يحظى بالمصداقية ربطا بنتائج الحفريات التي تمت بالموقع[1]. لم يُعثر لحد الآن على دليل يؤكد التأسيس الفينيقي المبكر للمدينة، أو أهمية حضور العنصر الفينيقي بها باستثناء بعض القبور التي يعود تاريخها إلى القرن 7 ق.م، وربما القرن 8 ق.م[2]، وبذلك يبقى الفرق بين تاريخ أقدم بقايا الموقع العائدة للقرن 8 ق.م والتاريخ المستفاد من نص بلينيوس القديم حوالي ثلاثة قرون[3]، وهي ثغرة ليس من السهل تجاوزها.

لقد فُسّر غياب بقايا الاستيطان الفينيقي المبكر بأوتيك بكونه لم يكن قارا في البداية[4]، وبالتالي لم يترك آثارا واضحة[5]، وذلك على غرار ظاهرة الانتشار الفينيقي بصفة عامة[6]. إلا أن الأمر يتعلق بفرضية من ضمن فرضيات أخرى، لأن البقايا المادية لا تدعم فكرة قدم تأسيس المدينة فبالأحرى إثبات قيام استيطان فينيقي مكثف بها. ويتضح من خلال قبور موقع أوتيك المؤرخة بالقرن 8 ق.م أن الفينيقيين قد وصلوا على الأرجح إلى الموقع، دون أن نستطيع تقدير أهميتهم، وأنهم أقاموا به إلى جانب السكان الليبيين. وهو ما يمكن ملاحظته أيضا من النصوص التاريخية، حيث أشار تيتوس-ليفيوس إلى ساكنة إفريقية قرب المدينة[7]، وهو ما بينته حفريات موقع سيدي يحيي بضواحي بنزرت، حيث أظهرت أن المنطقة كانت مأهولة بساكنة تتشكل في معظمها من السكان الليبيين[8]. لقد قام الباحثان برطولون وشانطر بمقارنة بعض جماجم قبور أوتيك بجماجم السكان المعاصرين بالموقع، وخلصا إلى أن سكان أوتيك

1- PICARD C., et PICARD G., Problèmes d'Utique, dans *Bulletin de la Société nationale des Antiquaires de France*, Année 1996, 1994, pp. 71-72, p. 71.

2- LANCEL S, *Carthage*, p. 301.

3- MONCHAMBERT J.-Y., ET AUTRES, Utique, Chronique des activités archéologiques de l'École française de Rome [En ligne], Maghreb, mis en ligne le 24 juillet 2013, consulté le :31-05-2020.URL:http://journals.openedition.org/cefr/996;DOI: https://doi.org/10.4000/cefr.996.

4- فسرت الباحثة زهراء الشريف انعدام البقايا الدالة على قدم الاستقرار بموقع أوتيك بعدم استقرار المهاجرين الأوائل بصفة دائمة بالموقع، وقدومهم إليه على شكل موجات متتابعة كانت تعود بعد فترة زمنية إلى موطنها الأصلي. معتبرة أن هؤلاء كانوا مكلفين بإعداد تقارير حول مؤهلات المجال الإفريقي تمهيدا لتأسيس قرطاج. لمزيد من التوضيح بخصوص رأي الباحثة راجع:
- الشريف(زهراء)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مرجع سابق، ص. 133.

5- نفس المرجع، نفس الصفحة.

6- MOSCATI S., L'expansion phénico-punique dans la Méditerranée occidentale, p. 20.

7- TITE-LIVE, *HR*, XXIX, 29, 2.

8- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 114.

القرطاجية كانوا من الأفارقة الأصلاء[1].

أما بالنسبة للمستوطنة الفينيقية المزعومة التي تحمل اسم «هيبو»، فإن موقعها لايزال مجهولا. فرغم إشارة المصادر إلى مدينتين يتركب اسمهما من لفظ «هيبو»، وهما هيبو ريغيوس (عنابة)، وهيبو أكرا (بنزرت)، فإن البقايا الأثرية بالموقعين المذكورين تؤرخ بفترة متأخرة مما يزيد من الغموض الذي يلف موضوع مدينة «هيبو»، ومدى تاريخية تأسيسها من طرف الفينيقيين. ومن ناحية أخرى، فإننا لا نتوفر على أدلة أثرية تسمح باعتبار موقع قفصة بمثابة مستوطنة فينيقية[2].

وكشف موقعا سوسة (أدروميتوم قديما) بالساحل الشرقي التونسي، ولبدة(لمطة الكبرى قديما) بالساحل الغربي الليبي عن بقايا أثرية قديمة نسبيا، حيث تؤرخ أقدم البقايا بالقرن 7 ق.م بالنسبة للبدة[3]، والقرن 6 ق.م بالنسبة لأدروميتوم[4]. إلا أن إشكالية التأسيس الفينيقي لهذين الموقعين، ووجود مستوطنين فينيقيين بهما تبقى مطروحة للنقاش بسبب عدم العثور على بقايا أثرية تعود لفترة التأسيس الفينيقي. وإذا كان بعض الباحثين قد حاولوا ملائمة نتائج الحفريات بالموقعين المذكورين مع ما جاء في الروايات الأسطورية، واعتبار البقايا التي كشفت عنها الحفريات المجراة كافية لتصديق تلك الروايات[5] بدعوى أنه كان بمقدور الفينيقيين الإبحار غربا خلال القرنين 7 و6 ق.م بالموازاة مع البروز القرطاجي في الحوض المتوسطي، وتأسيس مراكز جديدة على غرار رشقون، ومرسى مداح بالجزائر، وموكادور بالمغرب[6].

يبقى الاستدلال بالتأسيس الفينيقي لمدن قديمة بسواحل المغرب والجزائر هشا نظرا للإشكاليات المعقدة التي مازال يطرحها دور الفينيقيين في تأسيس المدن بسواحل البلدين[7]،

1- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 282.

2- CECCHINI S.-M., Gafsa, dans *DCPP*, p. 183.

3- CARTER T.-H., Western Phoenician and Lepcis, p. 125-126.

4- CINTAS P., Le sanctuaire punique de Sousse, dans *Rev. Afr.*, n°410-411, 1947, pp. 1-80, p. 4-5.

5- LANCEL S., *Carthage*, p. 108 ; GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 121.

6- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 53.

7- ساد عند أوائل الأوروبيين الذي اهتموا بدراسة الحضور الفينيقي بشمال إفريقيا القديم تساهل منهجي واضح جعلهم يستنبتون الفينيقيين في كل مكان من الضفة الجنوبية للمتوسط، وينسبون إليهم تأسيس المدن الاستيطانية التي كانت تعج بهم، سواء عبر التسليم بصدقية النصوص القديمة، دون إخضاعها للنقد والتمحيص، أو من خلال إسقاط معطيات مواقع معينة على مواقع أخرى. ذلك أن تأكد وصول الفينيقيين إلى مواقع معينة يعد صالحا للتعميم على مواقع أخرى بجعل الفينيقيين ينتشرون في أي مكان أشارت إليهم به الروايات الأسطورية، ولو في غياب أدلة مقنعة من البقايا المادية. والحال

فإن بقايا أدروميتوم ولبدة تكشف بالأساس عن حضارة بونية ذات جذور إفريقية كما استخلص لبينسكي[1]. وعدا ذلك، فقد أظهرت الأبحاث الأثرية- في حدود المعطيات الحالية- بعدد من المواقع بالسواحل الليبية والتونسية[2] أن أغلبها تلك المواقع ليست قديمة بدليل أنها لم تكن مأهولة قبل القرن 5 أو 4 ق.م[3].

وبناء على إفادات الحفريات الأثرية، يبقى تأسيس الفينيقيين للمدن بالمجال القرطاجي الإفريقي مجرد فرضيات تعوزها أدلة كافية في المصادر الأثرية. ويطرح غموض الوجود الفينيقي مسألة ربط وجود مدن بسواحل السرت الكبرى والصغرى والساحل الشرقي التونسي، إما بتجمعات قديمة للسكان الليبيين، أو بمبادرات توسعية من طرف مدينة قرطاج التي وصلت أساطيلها مبكرا إلى مناطق السرت. فلا يستبعد، إذن، أن تكون روايات القدامى حول تأسيس الفينيقيين للمدن بالسواحل الليبية والتونسية تمثل مجرد ذكرى لوصول القرطاجيين إلى المنطقة. لقد كان بمقدور المدينة -كما بيّنا سابقا-التدخل خلال القرنين 7 و6 ق.م بغرب حوض البحر المتوسط للدفاع عن مصالحها. ولعله من المنطقي افتراض قيامها بنفس الشيء بالسواحل الإفريقية القريبة منها، وهو ما يتضح من تدخل القرطاجيين خلال الربع الأخير من القرن 6 ق.م لطرد الإغريقي دوريوس الذي نزل بالقرب من لبدة[4]. ومن ناحية أخرى، فإن استمرار الفينيقيين خلال هذه الفترة في الملاحة بغرب المتوسط، وهو أمر غير محسوم في حدود المعطيات الحالية بالنظر لأوضاع المدن الفينيقية خلال تلك الفترة، لا يمثل دليلا حاسما لصالح فرضية التأسيس الفينيقي للمستوطنات بسواحل السرت والساحل الشرقي التونسي.

أن موضوع تأسيس المدن من طرف الفينيقيين يظل بحاجة إلى دراسة نقدية للنصوص القديمة تروم التحري في صدق هذا المصدر أو ذاك في رواياته حول تأسيس الفينيقيين لهذه المدينة أو تلك، سيما أن الوثائق الأثرية لا تزال غير كافية للحسم في إشكالية تاريخ وطبيعة الانتشار الفينيقي بشمال إفريقيا القديم. وإسهاما منا في هذا النقاش العلمي نكتفي، في هذا الحيز، بطرح بعض الأسئلة التمهيدية التي تلامس جانبا من الموضوع: ما معنى تأسيس مدينة خلال الفترة القديمة؟ وما الأدلة التي لا تترك مجالا للتردد في أن الفينيقيين هم من أسس هذه المدينة أو تلك؟ خصوصا مع احتمال أن تكون معظم تلك المدن عبارة عن أنوية لاستقرار بشري قديم، وسابق على وصول الفينيقيين إلى المنطقة.

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 38.

2- من بين تلك المواقع نذكر صبراتة، وطرابلس بالسواحل الليبية، وجربة، وجكتيس(بوغرارة)، وقابس، وأشولا، ومهدية، ولمطة الصغرى(...) بالسواحل التونسية.

3- LANCEL S., *Carthage*, p. 110-111 ; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 229; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 171; DRINE A., Le sanctuaire de Tala (Ile de Djerba), dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 29-32, p. 32.

4- HÉRODOTE, *Histoires*, I, 42.

إن ربط الروايات الأدبية حول تأسيس الفينيقيين للمدن بالسواحل التونسية والليبية بالتوسعات القرطاجية بالمنطقة يعد فرضية تسندها قرائن تاريخية تبدو منطقية، ولكنها لا تمثل حلا للإشكاليات الكبرى التي ما تزال مطروحة في تاريخ شمال إفريقيا القديم، سواء فيما يتعلق بتأسيس المدن، أو تزامن النشاط الملاحي للفينيقيين والقرطاجيين بغرب البحر الأبيض المتوسط. ولذلك، تبقى ظروف تأسيس تلك المدن الفينيقية غامضة، فنحن نجهل ظروف إقامة الأنوية، أو التجمعات البشرية المستقرة، وملابسات تحولها إلى مدن، وذلك نتيجة لعدم دراسة المستويات الأثرية الأقدم للمواقع المفترضة لتلك المدن. ولا يمكن الادعاء بأن الحفريات التي أجريت لحد الآن تعد كافية لحسم الجدل في قضية معقدة مثل هاته. فمثلما تتعذر البرهنة بدلائل ملموسة على أن تأسيس تلك المدن كان بالفعل من عمل الفينيقيين، فإننا لا نستطيع في نفس الوقت إلغاء فرضية وجود تجمعات، أو مدن محلية وصل إليها الفينيقيون في إطار تجارتهم البحرية دون أن يكونوا هم من أسسها لأول مرة، ودون أن يقيموا فيها بصفة دائمة ومكثفة.

ساهمت المعطيات الأثرية التي وفرتها الحفريات بمناطق السرت والساحل الشرقي التونسي في إثارة النقاش حول فكرة قيام تجارة فينيقية مع المجال المذكور. إذ يعرف ذلك المجال تجاوز قبور ذات تأثير فينيقي (الأقبية) مع الصروح الميغاليتية الليبية. وفي هذا الإطار طُرحت إشكالية مصدر التأثير الفينيقي الملاحظ بالمنطقة خصوصا على مستوى العمارة الجنائزية: هل تم عبر قرطاج؟ أم عبر هجرات فينيقية مباشرة نحو المنطقة؟ ما مدلولات وجود قبور ذات تأثير فينيقي بعادات وطقوس جنائزية ذات جذور محلية عتيقة؟ وهل تمثل تلك العمارة الجنائزية، وخصوصا بالساحل الشرقي التونسي، دليلا على استقرار العنصر الفينيقي بالمنطقة إلى جانب الليبيين؟ وإلى أي حد يدعم ذلك فرضية إطلاق القدامى لتسمية «ليبوفينيقيين» على سكان ذلك المجال؟

تجذر الإشارة مُقَدّما إلى أن استعمال قبور معينة لا يعني بالضرورة استقرار العنصر التي تنسب إليه بالمنطقة[1]. علما أن ربط بعض أنواع القبور بالفينيقيين ليس محسوما، ويطرح جدالا لم يتوقف لحد الآن. لقد بينت بقايا مواقع الساحل الشرقي التونسي، من خلال

1- انظر بخصوص هذه الفكرة مقال الباحثة حليمة غازي :

- غازي-بن ميس (حليمة)، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مرجع سابق، ص. 9.

كثرة المدافن الليبية، أو ما يسمى بالصروح الميغاليتية، استمرار الموروث الحضاري الليبي خلال الفترة القرطاجية[1]. إلا أن المدافن الليبية تزامنت مع قبور شبيهة بتلك التي استعملها الفينيقيون في الشرق، والقرطاجيون بإفريقيا (حفر القبور تحت الأرض)[2]. لكن إذا كانت تلك القبور قد حُفرت على نفس الشكل السائد في قرطاج وفينيقيا، فإن الطقوس الجنائزية تبدو مختلفة تماما عن الطقوس الفينيقية[3]، بل تشبه تلك المتبعة في المدافن الليبية ذات الأصول المحلية. لقد دُفن الميت بالوضع الجنيني وبوضعية الثني مع استعمال المغر، وهي طقوس نادرة بقرطاج، حيث أكدت الأبحاث الأثرية طغيان عادة الدفن بوضعية الاستلقاء على الظهر.

يتضح من دراستنا للوضع السكاني للساحل الشرقي من خلال البور والممارسات الجنائزية أن ساكنة ليبية متأثرة بالحضارة الفينيقية-البونية هي التي استوطنت المنطقة، وأن التأثير الفينيقي-البوني نجم إما عن نزوح جماعات فينيقية محدودة إلى الساحل الشرقي، أو التأثر بمظاهر الحضارة القرطاجية بسبب تبعية المنطقة للحكم القرطاجي. وقد ذهب الباحث برطولون أبعد من ذلك في دراسته لسكان الجزء الشرقي لشمال إفريقيا عندما توصل إلى أن أغلبية سكان المجال القرطاجي الإفريقي كانوا أفارقة، وأن العنصر الفينيقي كان يمثل- وفق نتائج أبحاثه-أقلية مقابل عدد كبير من السكان الأصلاء الذين كانوا مستقرين بالمجال قبل وصول الفينيقيين إليه[4].

نستنتج في ختام مقاربتنا لإشكالية استقرار العنصر الفينيقي بمناطق السرت والساحل الشرقي التونسي على ضوء إفادات النصوص القديمة والمعطيات الأثرية بأن الآراء التي صيغت حول الوجود الفينيقي بالمنطقة تنطوي على مبالغة لا سند لها في الوثائق المتوفرة لحد الآن، وبالتالي فإننا لا نتوفر على ما يكفي من البراهين للاستنتاج بوجود استيطان فينيقي تمخض عن انتقال الفينيقيين بأعداد ضخمة للاستقرار بسواحل ذلك المجال الإفريقي[5]. وينطبق نفس الشيء على باقي سواحل شمال إفريقيا القديم، حيث ليس لدينا لحد الآن يقين بوجود

1- LANCEL S., et LIPINSKI E., Sahel, dans *DCPP*, p. 384.

2- Id, *Carthage*, p. 309.

3- Ibidem ; GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 131.

4- BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, p. 391.

5- وصف جون مازيل أصحاب الفرضيات المبالغة في تقدير حجم الاستيطان الفينيقي ب»كتاب العصر الرومنطيقي» الذين استغلوا الروايات القديمة لإحلال الفينيقيين في كل مكان أشارت المصادر إلى وصولهم إليه. انظر ما كتبه مازيل:
- مازيل (جان)، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، مرجع سابق، ص. 9.

تخطيط مسبق من جانب فينيقيي الشرق لنقل عدد هائل من الفينيقيين لاستيطان المدن التي نُسبت لهم المصادر تأسيسها[1].

وبالنتيجة، يصعب الحسم في فرضية قيام هجرات فينيقية كثيفة وواسعة نحو المجال القرطاجي، أو الحكم بأن قرطاج قد توسعت خلال القرن 6 ق.م على حساب مدن تعج بالفينيقيين بالسواحل التونسية والليبية الحالية لدرجة تغيير الوضع البشري لذلك المجال. بيد أن ذلك لا ينفي احتمال وصول جماعات فينيقية إلى المنطقة، بحيث لا يستبعد أن يمثل الازدهار التجاري لقرطاج ومجالها الإفريقي مصدر إغراء للتجار الفينيقيين بالقدوم إلى المنطقة، سواء من أجل الإقامة المؤقتة، أو من أجل الاستقرار الدائم دون أن يكون في الإمكان، في حدود الوضعية الحالية للبحث الأثري، تقدير حجم تلك الهجرات الفينيقية.

2 - الجاليات المهاجرة إلى قرطاج ومجالها الإفريقي:

ثمة ثلاثة أسباب تدفع إلى البحث في موضوع استقرار جاليات أجنبية بقرطاج، وربما بمدن المجال الإفريقي التابع لها. يتمثل السبب الأول في تشعب محاور التجارة القرطاجية ودور قرطاج كمركز جذب تجاري بحوض البحر الأبيض المتوسط مما يرجح توافد الأجانب إلى العاصمة البونية من أجل تنفيذ الأعمال التجارية. ويكمن السبب الثاني في السياسة التي اتبعتها الدولة القرطاجية في تشكيل جيوشها، والمتمثلة في تجنيد الأجانب في جيشها، وبالتالي بداهة إقامة هؤلاء الأجانب بشكل مؤقت، سواء بقرطاج، أو بالمدن التي كانت تعسكر بها الجيوش، واحتمال استقرار بعضهم بصفة دائمة. ويتمثل السبب الثالث في انتشار القرطاجيين بعدد من السواحل والجزر المتوسطية مما قد يفتح المجال أمام إمكانية انتقال سكان تلك المناطق، الذين كانت لهم صلات قوية بقرطاج، نحو المجال القرطاجي الإفريقي.

2-1 - الإغريق:

يطرح موضوع استقرار أو إقامة الإغريق بقرطاج ومجالها الإفريقي مسألة حضور هؤلاء بالمنطقة من خلال الروايات الأسطورية التي تحدثت عن تأسيس مدن إغريقية في

1- MOSCATI S., L'expansion phénico-punique dans la Méditerranée occidentale, dans *Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale,* T. I, Alger, 1976, pp. 9-33, p. 19; WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 13.

الفترات السابقة على اتصال الفينيقيين بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم، وعن الأصول الإغريقية لبعض المجموعات البشرية التي تستقر بذلك المجال. صنف هيرودوتوس الإغريق في عداد الشعوب الأجنبية التي تحتل جزءا من شمال إفريقيا[1]، لم يحدده بالضبط[2]. ثم أورد المؤرخ الإغريقي قصصا أسطورية حول النبوءة التي قادت الإسبرطيين إلى استيطان جزيرة فلا *(Phla)* بضفاف بحيرة تريتونيس[3] بالسرت الصغرى[4]. كما أشار المؤرخ الإغريقي إلى جنوح سفينة الإغريقي جازون *(Jason)* بنفس المنطقة، ونبوءة الربة الإغريقية تريتون *(Τρίτων)* بتأسيس مائة مدينة إغريقية هناك[5]. وأخبرنا هيرودوتوس أيضا أن الماكسييس، وهم إحدى المجموعات البشرية الليبية بالساحل الشرقي التونسي، يُنسبون إلى أصل طروادي[6].

انفرد سترابون بإشارة مفادها أن الطاغية الإغريقي أغاطوكليس قد بنى مدينة إغريقية قرب قرطاج[7]، بينما تحدث ديودوروس الصقلي عن مدينة إغريقية خرافية بالمنطقة تدعى مشيلا *(Meschela)*[8]، زاعما أنها أسست من طرف الإغريق أثناء عودتهم من حرب طروادة[9]. بينما ذكر سولينوس أن مدينة هيبوديارِيتوس، بنزرت بالشمال الشرقي لتونس، قد أسست من طرف الإغريق، ونفس الشيء بالنسبة لمدينة هيبوريغيوس (عنابة) [10] بالشمال الشرقي للجزائر. مضيفا أن الصقليين هم من بنى مدينة قليبية *(Clypea)*، التي سميت منذئذ أسبيس *(Aspis)*[11]. وذكر سيليوس إيطاليكوس أن ساكنة مدينة أويا، أي طرابلس بالسرت الكبرى،

1- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 32.

2- لعل المقصود من كلام هيرودوتوس هم إغريق قورينا التي أسسها الإغريق سنة 631 ق.م، وتُوطّن بمدينة شحات الحالية الواقعة في إقليم الجبل الأخضر في أقصى شمال شرق ليبيا.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 178.

4- طالما تمت المطابقة بين بحيرة تريتونيس والسرت الصغرى، فإنه يمكن توطين جزيرة «فلا» الواردة عند هيرودوتوس بجزيرة جربة:

- CHEYNS A., et ISEBAERT L.(dir.), *Heureux qui comme Ulysse*, Hommage à Monique Mund-Dopchie, Presses universitaires di louvain, Paris, 2013, p. 66.

5- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 179.

6- Id, ibid., IV, 191.

7- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 16.

8- اعتقد كسيل بإمكانية توطين مدينة مشيلا الأسطورية بشمال غرب تونس، أو شمال شرق الجزائر، علما أن إشارة ديودوروس الصقلي إليها جاء في سياق حديثه عن أطوار حرب أغاطوكليس بإفريقيا.

- GSELL S., *HAAN*, T. I, p. 344.

9- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 57.

10- SOLIN, *Polyhistor*, 28.

11- ظهر اسم مدينة أسبيس(Aspis) لأول مرة خلال حملة أغاطوكليس(Agathocles) في غشت 310 ق.م. تقع أسبيس على الساحل الشرقي لرأس بون، على بعد 30 كم إلى الجنوب من نهاية الرأس.

كانت تتشكل من الصقليين والأفارقة[1]، في حين أخبرنا سولينوس أن الآخيين قد أعطوا، من لغتهم، اسم «تريبوليس» لثلاث مدن هي أويا وصبراتة ولمطة الكبرى[2].

حاولت بعض الدراسات توظيف هذه النصوص الأسطورية لتفسير الطابع الإغريقي بعض مظاهر الحضارة بشمال إفريقيا القديم من خلال الحديث عن قيام هجرات إغريقية نحو المنطقة. وهكذا اعتبر برطولون تلك الروايات بمثابة أساس تاريخي للحديث عن هجرات إغريقية منذ العصر الحجري الحديث نحو الجزء الشرقي لشمال إفريقيا انطلاقا من آسيا الصغرى ومرورا بكريت، وذلك قبل وصول الفينيقيين إلى المنطقة[3]. وقد اعتبر الباحث أن بعض أسماء الأماكن والمجموعات البشرية بمناطق السرت والساحل الشرقي التونسي لها أصول إغريقية[4] بدعوى وجود نفس الأسماء ببلاد الإغريق، وبالضبط بمنطقة إيونيا[5]، مُفسّرا ذلك التشابه باستقرار شعوب البحر بمدن إفريقية أصبحت فيما بعد تحمل أسماء إغريقية[6]. وقد رُبط ذلك كله بالفرضيات التي صيغت حول الأصل الإيجي للحوانيت والصروح الميغاليتية[7].

لكن المعطيات المتوفرة حول هذا الموضوع تسمح بإدراج الروايات التي أوردها القدامى حول الوجود الإغريقي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا ضمن الفكر الأسطوري الإغريقي الحافل بالمغامرات التي قادت الإغريق إلى أكثر من مكان من شمال إفريقيا أكثر مما يتعلق الأمر بمعلومات تمتلك أساسا تاريخيا. ذلك أن الماكسيين الذين نسبهم هيرودوتوس لأصل طروادي كانت لهم نفس عادات المجموعات البشرية الليبية[8] مثل صبغ الجسد بالمغر وطريقة قص الشعر[9]. هذا فضلا عن أن اسمهم مشتق على الأرجح من لفظ أمازيغي ذو

1- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 257.

2- SOLIN, *Polyhistor*, 28.

3- BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, p. 393, 401 et 404.

4- من بين الأسماء المتشابهة بين بلاد الإغريق وإفريقيا نذكر المواقع والأسماء التالية كما وردت في دراسة برطولون المشار إليها في الهامش السابق:

- Astacures- Charax- Hippouacra- Gergis- Meninx- Lotophages- Byzantes- Adryeton- Néapolis- Thenae- Psylles.

5- BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, p. 394.

6- Ibid., p. 398.

7- Ibid., p. 400.

8- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 175 ; 180 et 194.

9- كان الماكسيون، وفق ما ذكر هيرودوتوس، يقصون الجانب الأيسر من شعر الرأس، ويتركون شعر الجانب الأيمن متدليا:

- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 191.

صلة بجذر «مازيغ» *(Mazice)* الذي حملته عدة مجموعات بشرية[1]. وفوق ذلك، فإن هيرودوتوس، نفسه، لم يكن واثقا من المعلومة التي ذكرها بدليل أنه كتب: «يزعمون أن أصلهم من طروادة»[2].

ومن ناحية أخرى، لا يستبعد أن نسج المؤرخ الإغريقي لرواية حول الأرغونيين *(Argaunites)*-رفاق جازون- يدخل ضمن محاولته تبرير الأطماع الإغريقية في السرت من خلال اختلاق سابقة قدوم جازون إلى المنطقة، ربما، كتمهيد لمغامرة دوريوس بالمنطقة لاحقا. كما لا يوجد أساس تاريخي يسمح بتصديق رواية تأسيس الإغريق لمدينة مشيلا، أو تأسيسهم لمدينة قرب قرطاج خلال غزوة أغاطوكليس، أو استقرار الصقليين بأويا (طرابلس). فالراجح أن القدامى قد قدموا معلومات خاطئة نتيجة لمحاولتهم ربط قارة ليبيا ببلاد الإغريق، وجعلها مسرحا لأساطيرهم، والمبالغة في ربط أحداث العالم القديم بتداعيات حرب طروادة، وذلك بجعل الإغريق ينتقلون إلى عدة مناطق من العالم القديم.

والملاحظ أن النصوص التاريخية حول قدوم الإغريق إلى إفريقيا لم تتجاوز ما رُوِيَ عن تأسيسهم لعدة مدن بالمجال الذي سيعرف باسم بالقورينائية[3]، والإشارة التاريخية التي يمكن بحثها في سياق الحديث عن الوجود الإغريقي بالمناطق التي كانت تسيطر عليها قرطاج بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا هي محاولة الإسبرطي دوريوس إنشاء مستوطنة إغريقية بالسرت الكبرى، وهي المحاولة التي أفشلها القرطاجيون. وإذا كان قدوم جماعات إغريقية إلى قرطاج أمرا ممكنا في إطار التجارة، أو التجنيد في الجيش القرطاجي، فإنه لا يوجد في حدود المعطيات الحالية ما يسمح بالاستنتاج بأن مستوطنين إغريق كانوا مستقرين بالبلاد الإفريقية التي صارت تابعة لقرطاج منذ فترات سابقة على مجيء الفينيقيين إلى المنطقة وتأسيس قرطاج.

تتضمن الرواية الأسطورية لتأسيس قرطاج ما يمكن اعتباره أقدم حضور للإغريق بالمدينة، فقد وردت في الرواية إشارة إلى اصطحاب عليسا لفتيات قبرصيات في طريقها نحو

1- انظر بهذا الخصوص ما كتبه باطس ودوزونج وكسيل :

- DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, p. 111 ; BATES O., *The eastern libyans*, p. 77 ; GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, p. 120 et 134-135.

2- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 191.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 169 ; STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 21 ; PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 31.

قرطاج[1]. وأشار ديودوروس الصقلي، خلال روايته لأحداث القرن 4 ق.م، إلى وجود إغريق ذوو مكانة رفيعة بقرطاج[2]. اعتبر بعض الباحثين أن ما جاء في نص ديودوروس الصقلي يمثل دليلا على وجود مستوطنة إغريقية بالمدينة[3] كانت خاضعة للحكم القرطاجي[4]، دون أن يتسن معرفة علاقة ذلك بإقدام القرطاجيين على منع تعليم اللغة الإغريقية بقرطاج حسب ما ذكر جوستينوس[5]. فإذا كانت رواية ديودوروس الصقلي تتسم بالغموض لعدم الإشارة إليها من طرف كتاب آخرين، فإن التفسير الأنسب لما ذكره جوستينوس هو الخشية من تعاظم التأثير الإغريقي، مع استبعاد فكرة وجود مستوطنة إغريقية لأن ديودوروس الصقلي نفسه لم يشر إلى مستوطنة، وإنما تحدث عن أفراد.

ومع ذلك، فقد حاول بعض الباحثين تأكيد فرضية وجود مستوطنة إغريقية بقرطاج من خلال المعطيات الأثرية، واعتبروا التشابه الشكلي الملاحظ بين بعض المنتجات الخزفية القرطاجية والإغريقية بمثابة دليل على وجود تجمعات سكنية إغريقية كانت مسؤولة عن صناعة المنتجات المُقَلِّدَةِ لما كان معروفا ببلاد الإغريق، ويعد كسيل من أبرز المتحمسين للفكرة[6]. إلا أن فرضيته لم تصمد أمام الانتقادات التي قللت من شأن العلاقة بين التأثيرات الإغريقية المفترضة على المواد الخزفية، وبين أصل الساكنة المنتجة لها[7]. لكن رفض التفسير الآلي لوجود مواد إغريقية بوجود مستعمرة إغريقية بقرطاج لا ينفي إمكانية وجود حرفيين إغريق بالمدينة.

لقد زكت المعطيات الأعلامية فكرة وجود إغريق بقرطاج، وذلك من خلال وجود أسماء أعلام إغريقية[8] بنقائش المدينة. ينضاف إلى ذلك إشارة المصادر الأدبية إلى وجود جنود إغريق في الجيش القرطاجي، سواء في مهام حربية بمناطق الصراع خارج إفريقيا، أو

1- JUSTIN, XVIII, 5.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIV, 77, 5.

3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 175; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 123 ; PIGANIOL A., *La conquête romain*, p. 123.

4- DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p.168 .

5- JUSTIN, XX, 5.

6- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 108.

7- PICARD C., Les sources de l'iconographie hellénistique à Carthage, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. III, Roma, 1983, pp. 725-729, p. 728.

8- من بين أسماء الأعلام الإغريقية الواردة في ديوان النقائش السامية، الجزء الأول، نذكر ما يلي:

- CIS I, 191 ; 1301 ; 1256 ; 4439 ; 5011 ; 4701 ; 4501 ; 3148 ; 4949.

بالمجال القرطاجي الإفريقي[1]. وقد أسفر الوجود الإغريقي عن انعقاد علاقات مصاهرة بين القرطاجيين والمهاجرين الإغريق كما يتضح من النصوص القديمة، ومن عديد النقائش البونية. هكذا أخبرنا هيرودوتوس أن القائد القرطاجي أملقار *(Amilcar)*، الذي تزعم القرطاجيين في معركة هيميرا سنة 480 ق.م، كان من أم سيراكوزية[2]. وتزوج القائدان القرطاجيان حنبعل[3] وأسدربعل[4] من اسبانيتين، وأشارت مصادر متنوعة إلى أن القائدان القرطاجيان هيبوقراط *(Hippocrate)* وإبيسيد *(Epicyde)* قد ولدا من أم قرطاجية، وأب إغريقي من سيراكوزة[5]. وينطبق نفس الشيء على فيلسوف ولد بقرطاج حوالي 187 ق.م من أم قرطاجية وأب إغريقي يدعى ديونيتوس *(Diognétos)*، فأصبح يحمل اسما مركبا قرطاجيا إغريقيا *(Asdrubal calitomaque)*[6]. وهذا دليل على انفتاح القرطاجيين من ذوي الأصول الفينيقية على الأعراق الأخرى[7]، وأنهم لم يكونوا حريصين على الحفاظ على نقاء عرقهم.

1- بدأ تجنيد الإغريق في الجيش القرطاجي منذ معركة هيميرا خلال القرن 5 ق.م، واستمر إلى غاية فترة الحروب البونية. ومن أهم الإشارات الواردة في المصادر الإغريقية واللاتينية بشأن تجنيد الإغريق في الجيش القرطاجي نذكر ما يلي:
TITE-LIVE, *HR*, XXX, 26,3 ; id, ibid., XXX, 33, 5 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XVII, 418-421, HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c) ; DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 43 (406 av. j.-c) ; id, ibid., XIX, 106, 2 (311-310 av. j.-c), POLYBE, *Histoires*, I, 17, 4 (264-241 av. j.-c) ; id, ibid, I, 67, 7 (241-238 av. j.-c) ; id, ibid., III, 33, 9-11 (Hannibal en Espagne); id, ibid., XI, 19, 4 ; id, ibid., III, 33, 16; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 24, 94-96 (dans l'armée d'Hasdrubal en Espagne :229-222 av. j.-c); TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12; id, ibid., XXX, 7, 10 (202 av. j.-c à Zama); id, ibid., XXXVIII, 37, 4 et 9 (206 av. j.-c); SILIUS ITALICUS*, La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie) ; APPIAN, *PW*, VIII, 40 et 48, HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c) ; POLYBE, *Histoires*, I, 17, 4 (264-241 av. j.-c) ; id, ibid., I, 67, 7 (241-238 av. j.-c) ; id, ibid., XI, 19, 4 ; id, ibid., III, 33, 16 ; TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12 (Hannibal en Italie) ; APPIAN, *PW*, VIII, 40 (202 av. j.-c à Zama), APPIAN, *PW*, VIII, 5 (241-238 av. j.-c); id, ibid., 40 (202 av. j.-c à Zama) APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 4, 15 (Amilcar Barca en Espagne) ; POLYBE, *Histoires*, XI, 19, 4 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie), POLYBE, *Histoires*, I, 17, 4 (264-241 av. j.-c); id, ibid., I, 67, 1 (241-238 av. j.-c) ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie), HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c.(

2- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 166.

3- TITE-LIVE, *HR*, XXIV, 41, 6.; SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 97-99.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XXV, 12.

5- POLYBE, *Histoires*, I, 32, 1 ; SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, IV, 355-365 ; id, *La guerre punique*, XIV, 286-290 ; Tite-Live, *HR*, XXIV, 6, 2.

6- MEKLER S., *Academicorum philosophorum index Herculanensis, Berlin*, 1902, pp. 88-89 cité par DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 169, n° 20.

7- FANTAR M. H., À propos de la présence des Grecs à Carthage, dans *Ant. Afr.*, T. 34, 1998, pp. 11-19, p. 13.

ولئن كان الزواج المختلط مع الإغريق قد كان حكرا على القادة والأسر الغنية بقرطاج كما يستشف من النصوص القديمة، فلا يوجد ما يمنع من تصور انتشارها في صفوف باقي الفئات بقرطاج ومجالها الإفريقي. فهذا ما يستفاد من معطيات النقائش البونية، فقد بيّنت هذه الأخيرة أن ذلك الاختلاط البشري بقرطاج كان أوسع مما نتصور، بحيث يلاحظ مثلا أن أفراد الأسرة الواحدة كانوا يحملون أحيانا أسماء ليبية، وإغريقية وإيطالية[1]. وأشارت المصادر أيضا إلى انتقال إغريق من أصل قرطاجي إلى بلاد الإغريق للعيش هناك[2]. ويطرح انتشار اللغة الإغريقية بقرطاج، وإتقانها من طرف بعض القادة القرطاجيين[3] احتمال استقرار الإغريق بالمدينة، ليس فقط من أولئك المجندين بالجيش القرطاجي[4]، وإنما من المدنيين أيضا[5]. ويمكن اعتبار إدخال عبادة أرباب إغريقية إلى قرطاج، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لديميتير وكوري[6]، دليلا على استقرار العنصر الإغريقي بالمدينة.

من ناحية أخرى، يطرح التشابه الملحوظ بين بعض المواد الإغريقية، سواء بموقع قرطاج، أو ببعض مواقع المجال القرطاجي الإفريقي احتمال وجود حرفيين إغريق بالمنطقة خلال الفترة القرطاجية، صنعوا منتجات على الطراز الإغريقي[7]. دون استبعاد أن تكون تلك المواد مستوردة في إطار المبادلات التجارية مع بلاد الإغريق. وهذا يطرح أيضا احتمال إقامة

1- FERJAOUI A., Fonctions et métiers de Carthage punique à travers les inscriptions, dans *REPPAL*, T. VI, 1991, pp. 71-86, p. 78 ; Id, *Recherches*…, p. 324-325.

2- عثر بموقع مدينة إفيزوس (Ἔφεσος/Éphèse) الإغريقية بآسيا الصغرى، غرب تركيا الحالية، على قاعدة تمثال نُقش عليها اسم شخص قرطاجي يحمل اسما إغريقيا ويدعى بويتوس القرطاجي (Boéthos carthaginois) ابن أبولودور (Apolodore)، وهو اسم إغريقي. كما اكتشفت ببلاد الإغريق عدة نقائش على نصب جنائزية نجد بها قرطاجيين يحملون أسماء إغريقية. راجع ما كتبه كسيل ودوزونج بهذا الصدد:

- GSELL S., *HAAN*, IV, p. 12, n° 7 et 8 ; DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 168.

3- عُرف عن حنبعل-على سبيل المثال-إتقانه الحديث باللغة الإغريقية كما ذكر كيكرو (Cicero)، ولعله ألف بها كتبا على حد زعم كورنيليوس نيبوس. كما قام الإغريق بترجمة عديد الكتب والنصوص البونية إلى لغتهم كما هو الشأن بالنسبة للكتب البونية (Libri punici) التي أشار إليها أوريليوس أغسطينوس (Aurelius Augustinus)، ولا يستبعد أنها ترجمت إلى اللغة الإغريقية:

-CICÉRON, *De l'orateur*, II, 18 ; CORNÉLIUS NÉPOS, *Dion*, XIII, 2 ; AUGUSTIN, *Épitres*, XVII, 2.

4- اتخذ حنبعل كثيرا من الجنود الإغريق كمرتزقة، واستعان كذلك بمستشارين إغريق:

-GSELL S., *HAAN*, II, pp. 228-229 et 427.

5- ميّز ستيفان كسيل بين حرفيين وفلاسفة ومعلمين...إلخ:

-GSELL S., *HAAN*, IV, p. 214.

6- DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 169.

7- GSELL S., *HAAN*, IV, p. 108.

تجار إغريق بقرطاج وبمجالها الإفريقي بغرض تنفيذ مختلف الأعمال التجارية، ومن بينها طبعا نقل المنتجات الإغريقية إلى المنطقة.

2-2 - المصريون:

من المحتمل أن يشكل الازدهار الذي عرفته قرطاج ومجالها الإفريقي دافعا لهجرة جاليات أخرى نحو المنطقة، نذكر من بينها المصريين. لقد تضمنت النقائش البونية بقرطاج أسماء أعلام (مشري-مشرت-مصري)[1] تشير على ما يبدو لأفراد مصريين كانوا مقيمين بقرطاج كما يتضح من حملهم للاسم «القومي» لبلادهم، الذي نجده بنفس الصيغة تقريبا(مشرم) في ألواح أوغاريت برأس شمراء[2]. كما عثر بموقع قرطاج على نقيشة مصرية كانت في ملكية راهب مصري شغل مهمة ممثل للبطالمة بقرطاج[3].

2-3 - الإتروسكيون والإيطاليون:

إذا أخذنا بعين الاعتبار جودة العلاقات التجارية بين قرطاج وإتروريا لأمكن افتراض قدوم إتروسكيين وإيطاليين إلى قرطاج ومجالها الإفريقي. وفعلا، عثر بقرطاج على ما يؤكد ذلك من خلال نقيشة إتروسكية[4] تؤرخ بمنتصف القرن 4 ق.م، وتحمل اسم شخص قرطاجي[5]. ينضاف إلى ذلك تجنيد الإتروسكيين في الجيش القرطاجي[6]، وكذلك الأمر بالنسبة للإيطاليين[7]، حيث أشارت النصوص إلى إقامة جنود من المرتزقة الإيطاليين بقرطاج حوالي 149 ق.م[8]، وبالمجال الإفريقي خلال النصف الثاني من القرن 3 ق.م(خلال الحرب الإفريقية)[9]. ورغم

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

2- VIROLLEAUD Ch., Les textes alphabétiques de Ras-Shamra (Ugarit) provenant de la XVIè campagne (1952), dans *CRAI*, Novembre-Décembre 1953, pp. 209-211, p. 209.

3- DRIOTON É., et MONTET P., Une inscription égyptienne du Musée de Carthage, dans *CRAI,* Année 1959, 103-2, pp. 442-447, p. 447.

4- PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 123.

5- DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 168-169.

6- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIX, 106.

7- من أهم الإشارات الواردة في المصادر القديمة حول مشاركة الإيطاليين في الجيش القرطاجي نشير إلى ما يلي:
POLYBE, *Histoires*, XI, 19, 4 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XI, 1-24 ; TITE-LIVE, *HR*, XXII,61, 11 ; APPIAN, *PW*, VIII, 40 (deuxième guerre punique).

8- TITE-LIVE, *HR*, XXXVI, 7, 5.

9- POLYBE, *Histoires*, I, 83, 10.

ذلك نلاحظ أسماء الأعلام اللاتينية قليلة للغاية في النقائش البونية بقرطاج[1].

2-4 - الإيبيريون:

من المحتمل استقرار الإيبيريين والبلياريين بمدينة قرطاج نتيجة تجنيدهم بالجيش القرطاجي. ففي نقائش المدينة نجد شخصا من إبيزا[2]، وهو أمر لا يبدو مستغربا بالنظر لخضوع الجزيرة للسيطرة القرطاجية، وتجنيد البلياريين في الجيش القرطاجي على غرار مرتزقة آخرين لا يستبعد حصول بعضهم على حق المواطنة القرطاجية التي تخول لهم الاستقرار الدائم بالعاصمة الإفريقية مثل الإيبيريين والإسبان والغاليين والليغوريين[3]. كما تشير المعطيات الأثرية إلى وجود أفراد من مناطق مختلفة. فقد ضمت النقائش أسماء أعلام من جزيرة سردينيا[4] وجزيرة بنتليريا *(Pantelleria)* الصقلية، القريبة من قرطاج[5].

2-5 - اليهود:

أما بالنسبة لليهود، فقد أشار المؤرخ الروماني تاكيتوس إلى هجرات يهودية قديمة نحو قارة ليبيا انطلاقا من جزيرة كريت[6]. وتحدث بروكوبيوس في رواية أسطورية عن هجرات

1- تضمنت بعض نقائش قرطاج أسماء أعلام إيطالية نذكر من بينها:
- CIS I, 5984 ; 6005 ; 5251 ; 5273 ; 3934 ; 1315 ; 1273.

2- CIS I, 266.

3- وردت في المصادر القديمة إشارات لمشاركة البلياريين، والإيبيريين، والغاليين والليغوريين في الجيش القرطاجي من أهمها:
HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c) ; DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 43 (406 av. j.-c) ; id, ibid., XIX, 106, 2 (310-311 av. j.-c), POLYBE, *Histoires*, I, 17, 4 (264-241 av. j.-c); id, ibid, I, 67, 7 (238-241 av. j.-c) ; id, ibid., III, 33, 9-11 (Hannibal en Espagne); id, ibid., XI, 19, 4 ; id, ibid., III, 33, 16; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 24, 94-96 (dans l'armée d'Hasdrubal en Espagne :222-229 av. j.-c); TITE-LIVE, *HR*, XXI, 12; id, ibid., XXX, 7, 10 (202 av. j.-c à Zama); id, ibid., XXXVIII, 37, 4 et 9 (206 av. j.-c); SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie) ; APPIAN, *PW*, VIII, 40 et 48, HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c) ; *POLYBE, Histoires*, I, 17, 4 (241-264 av. j.-c) ; id, ibid., I, 67, 7 (238-241 av. j.-c) ; id, ibid., XI, 19, 4 ; id, ibid., III, 33, 16 ; TITE-LIVE, *H*R, XXI, 12 (Hannibal en Italie) ; APPIAN, *PW*, VIII, 40 (202 av. j.-c à Zama), APPIAN, *PW*, VIII, 5 (238-241 av. j.-c); id, ibid., 40(202 av. j.-c à Zama) APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 4, 15 (Amilcar Barca en Espagne) ; POLYBE, *Histoires*, XI, 19, 4 ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie), POLYBE, *Histoires*, I, 17, 4 (241-264 av. j.-c); id, ibid., I, 67, 1 (238-241 av. j.-c) ; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 227-240 (Hannibal en Italie), HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 165 (480 av. j.-c).

4- CIS I, 28 ; 878 ; 2022 ; 2245 ; 4771 ; 4772 ; 5521.

5- CIS I, 265.

6- TACITE, *Histoires*, V, 2.

يهودية كثيفة نحو شمال إفريقيا قبل تأسيس قرطاج[1]. لقد افترض المؤرخ اليهودي سلوش استقرار عدد كبير من اليهود بقرطاج منذ فترة مبكرة من خلال إقحام الأسفار التوراتية، واعتبار صور مدينة عبرية[2]. علما أن قرطاج لم تذكر في الأسفار التي تحدثت عن رحلات الصوريين ومناطق تجارتهم. وقد انطلق الباحث تلاتلي من الروايات الشفوية المتداولة في جزيرة جربة بتونس ليفترض لجوء اليهود إليها إثر حملة البابليين على الشرق خلال القرن 5 ق.م حاملين معهم الوثائق العبرية لحمايتها من الخطر الفارسي فيما بعد[3]. بيد أن ما يُتداول بهذا الشأن يبقى افتراضيا، لأن ما بحوزتنا من المعطيات لا يتعدى ما ذُكر عن هجرة اليهود إلى القورينائية عندما غزا ملك مصر بطوليمايوس سوتير *(Πτολεμαίος Σωτήρ)* أرض فلسطين حوالي 320 ق.م[4]. بينما تبقى الشواهد المادية والمعطيات النقائشية نادرة، ولا تقدم ما يسمح بترجيح فرضية استقرار مهاجرين، أو سكان يهود قدامى بالمنطقة الإفريقية التي خضعت للسلطة القرطاجية[5] رغم أن ذلك غير مستبعد كفكرة منطقية ربطا بأوضاع المشرق بوجه عام.

وإجمالا، يمكن الاستنتاج بأن تقييم حضور الأجانب بقرطاج وبمجالها الإفريقي يبقى مثار نقاش مستمر، لا سيّما وأن إقامة التجار الأجانب غالبا ما تكون مؤقتة، بينما يعود الجنود الأجانب إلى بلدانهم بعد انقضاء فترة تجنيدهم[6]. علما أن بعض الجنود ربما اختاروا البقاء في قرطاج بعد منحهم أراضي، والسماح لهم بالإقامة الدائمة بالمدينة[7]. ويبدو أن المنفيين من البلاد الأجنبية والعبيد قد استفادوا بدورهم من حق الاستقرار بالعاصمة الإفريقية[8]. ويمثل الزواج المختلط أبرز دليل على ارتباط بعض الأجانب بالأرض الإفريقية، وانصهارهم في تركيبتها البشرية.

1- PROCOPE DE CÉSARÉE, *La guerre contre les vandales*, II, 10, 20.

2- SLOUCSH N., La civilisation hébraïque et phénicienne à Carthage, p. 225.

3- TLATLI S., *Djerba et Djerbiens*, p. 89.

4- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 305.

5- CAMPS G., Réflexions sur l'origine des juifs des régions nord-sahariennes, dans Travaux du *LAPEMO*, étude n° 10, 1980, pp. 1-11, p. 4.

6- تم تخيير الجنود الإغريق بعد نهاية حرب أغاطوكليس بإفريقيا بين العودة إلى بلادهم والبقاء بإفريقيا. ومن ناحية أخرى، كان الجنود الليبيون خلال الحرب الإفريقية ضد قرطاج يدركون أن الجنود الأجانب سيعودون إلى بلادهم، وسينتقم منهم القرطاجيون:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 69 ; POLYBE, *Histoires*, I, 69, 7.

7- وعد حنبعل جنوده الأجانب خلال حرب إسبانيا بمنحهم أراضي بإفريقيا، والسماح لهم بالإقامة في قرطاج. كما أرسل جنودا إسبان إلى إفريقيا لحفظ الأمن بها، وتقوية الأواصر بين الشعبين. أنظر نص بوليبيوس بهذا الشأن:

- POLYBE, *Histoires*, III, 33, 8.

8- POLYBE, *Histoires*, I, 67, 7 ; id, ibid., I, 69, 4-5; SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, IX, 66-69.

خلاصة:

يتضح من خلال دراستنا لإفادات النصوص القديمة حول سكان مدينة قرطاج أن الآراء التي تداولها المؤرخون الأوروبيون بهذا الشأن تستند بالدرجة الأولى إلى تأويل خاص لنصوص معينة مع إغفال أخرى، إذ توجد في النصوص القديمة إشارات لاستقرار السكان الليبيين بقرطاج منذ تأسيسها وخلال الفترات الموالية. لقد زكت المعطيات الأثرية والنقائشية والأنثروبولوجية هذه الخلاصة بأدلة كافية. كما استقر بالمدينة الإفريقية مهاجرون فينيقيون وجاليات أجنبية أخرى قدمت إليها بغرض الاستقرار، أو التجارة، أو بدافع الارتزاق، الشيء الذي أعطى للمدينة طابعا خاصا ميزها عن باقي أنحاء شمال إفريقيا القديم من خلال استقطاب عناصر بشرية متنوعة، وأثبت أنها كانت بالفعل مدينة منفتحة على العالم الخارجي.

لقد بينت المعطيات التي درسناها أن قرطاج قد انفتحت، على الأقل منذ القرن 6 ق.م، على مجال إفريقي كان مأهولا بالأساس، ومنذ فترات جد قديمة، من طرف السكان الأصلاء من ليبيين ونوميديين. والراجح أن مناطق المجال القرطاجي الإفريقي قد كانت مقصدا لعناصر بشرية أجنبية من بينها الفينيقيون بدوافع الرغبة في الكسب والبحث عن الثروة وممارسة الأعمال التجارية. ويتضح أن ازدهار التجارة بالمنطقة ربما أغرى الفينيقيين المشهورين بالبحث عن الأسواق التجارية في المناطق البعيدة، فبالأحرى تلك التي استقر بها أبناء عمومتهم. ولئن كان وجود الفينيقيين يمثل معطى تاريخي أكيد، فإن المعطيات المتوفرة لحد الآن لا تسمح، في نظرنا، بالحديث عن هجرات فينيقية كثيفة ومنظمة نحو المنطقة.

لقد أظهرت الوثائق الأدبية والنقائشية أن المصاهرات والعلاقات الاجتماعية بين الليبيين والفينيقيين، وأيضا مع الجاليات الأخرى، كانت قوية خلال الفترة القرطاجية الأمر الذي ساهم، على الأقل في مناطق معينة، في انصهار الوافدين في تلك الكتلة الهائلة من السكان المحليين، وأدى إلى اختلاط الدم الفينيقي بالدم الليبي مما يسمح بالحديث عن ساكنة مختلطة. إلا أنه يتوجب عدم المبالغة في مسألة الاختلاط لأن المعطيات الأثرية تبين في عديد المواقع، سواء الساحلية أو بداخل الأراضي، أن جزءا من المجال الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي قد حافظ على عادات وطبائع مستمدة من الحضارة المحلية بالمنطقة كما يظهر من طغيان تقاليد الحضارة الليبية به.

وهكذا، وإذا كان الجانب المحلي في موضوع المجال ثاويا في المزايا الطبيعية والجغرافية التي أتاحها الموقع الإفريقي لقرطاج، فإن أهمية العنصر البشري المحلي بذلك المجال تكمن في الحضارة التي حملها هؤلاء السكان، وتوارثوها، وساهموا بها، بلا شك، في انبثاق مظاهر الحضارة التي نسميها «قرطاجية» أو «بونية». هذا فضلا عن الإضافات الأجنبية التي ساهمت بها العناصر البشرية التي وفدت إلى المنطقة وفي المقدمة يأتي الفينيقيون طبعا. ولهذا، فإن دراسة الحضارة القرطاجية ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار المعطيات البشرية للمجال الإفريقي الذي تطورت به تلك الحضارة، وبالتالي تجاوز النظريات التي بالغت في تقدير أهمية العنصر الفينيقي بذلك المجال، وركزت على محاولة إثبات استقرار الفينيقيين به بشكل مكثف مع تجاهل حضور السكان المحليين الذين عاشوا بالمجال المذكور منذ فترات جد قديمة.

الباب الرابع:
اللغة والكتابة في الحضارة القرطاجية: بين المحلي والوافد

تقديم:

تعد اللغة والكتابة من أكثر المظاهر تجسيدا لطبيعة الحضارة التي يبلورها الإنسان بمجال جغرافي معين. فإذا كانت الكتابة أداة لتداول اللغة، ونقل الأفكار من طور المشافهة إلى طور التدوين، فإنها تتعدى مجرد كونها قوالب شكلية جامدة، لأنها تُعبّر أيضا عن صيرورة حضارية من خلال إنتاج الرموز والعلامات التي تختزل مراحل من تطور حضارة الساكنة. أما اللغة فتمثل وعاء يكتنز مجموع الأفكار، والمقولات، والخبرات المادية، وغير المادية التي يراكمها الأفراد على مدى حقب زمنية طويلة. ومن هنا تأتي أهمية دراسة الجوانب المحلية والوافدة على مستوى الكتابة واللغة المتداولة بالمجال القرطاجي الإفريقي. علما أن دراستنا لن تقتصر، مثلما هو سائد في الأبحاث التي تناولت الموضوع، على البحث في تطور اللغة والكتابة الفينيقية، بل نهتم أيضا بالأساس المحلي في ميدان اللغة والكتابة، أي المقارنة بين تطور اللغتين البونية والليبية باعتبار ذلك منحى جديدا في حقل الدراسات القرطاجية.

لقد أدخل الفينيقيون بالطبع لغتهم إلى المناطق التي استقروا بها. ولهذا، فإن وظيفة الدراسات اللسانية تتركز على مقارنة اللغة المسماة «بونية» باللغة الفينيقية في الشرق بهدف رصد مظاهر التشابه والاختلاف بينهما. وبالتالي معرفة التطورات التي لحقت بالمعطيات اللغوية بقرطاج وبمجالها الإفريقي. وفي نفس الإطار تندرج محاولة البحث في العلاقات اللغوية بين اللغة البونية واللغة الليبية القديمة. وتتلخص النظرية التي ربطت استعمال الكتابة بشمال إفريقيا القديم بتأثير فينيقي أو بوني، وكان لها حظ وافر من الرواج بين المختصين في علم الكتابات القديمة، في مسلّمة أن سكان شمال إفريقيا القديم قد انتظروا مجيء الفينيقيين لتدوين لغتهم، واستعمال الكتابة. لكن الاهتمام بالكتابة الليبية المنقوشة على اللوحات الصخرية قدم معطيات جديدة فيما يخص تأريخ أقدم آثار الكتابة الليبية، ومكّن تدريجيا من إعادة طرح مسألة أصل الكتابة الليبية، وعلاقتها بالكتابة الفينيقية.

ويمكن تفكيك إشكالية المحلي والوافد في اللغة والكتابة بالمجال القرطاجي من خلال طرح الأسئلة التالية، ومحاولة التوصل إلى إجابات لها بتوظيف المعطيات المتوفرة: هل بقيت اللغة التي نشرها الفينيقيون بقرطاج وبمجالها الإفريقي لغة فينيقية صرفة؟ أم اكتسبت خصائص جديدة نتيجة تداولها من طرف السكان الأفارقة؟ وما نوع التغييرات التي حصلت؟ هل يعود الفضل للفينيقيين في استعمال الكتابة من طرف الليبيين؟ وهل استعمل الليبيون كتابة خاصة بهم قبل الاتصال بالفينيقيين؟ ما جوانب التفاعل الذي حصل بين الكتابتين الليبية والبونية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم؟

الفصل الأول:
إشكالية أصل اللغة البونية

1 - تاريخ ظهور اللغة البونية:

يمكن تعريف اللغة البونية بأنها اللغة التي تكلم بها القرطاجيون ونشروها في مجالهم الإفريقي، وفي باقي أنحاء شمال إفريقيا، وفي المستعمرات والمراكز التجارية القرطاجية في البحر الأبيض المتوسط. ويعد تحديد تاريخ ظهور البونية بشمال إفريقيا من القضايا الشائكة التي يطرحها التاريخ القرطاجي. لقد أثار ذلك نقاشا واسعا بين المختصين، ولا سميا حول معايير التمييز بين اللغة الفينيقية بالشرق، واللغة البونية التي استُعملت بقرطاج، وبمجالها الإفريقي، وانتشرت بغرب البحر المتوسط، وتاريخ ظهور اللغة البونية بخصائص مميزة عن لغة الوطن الأم بفينيقيا. لقد اعتمدنا لمقاربة هذه الإشكالية، في غياب نصوص قديمة، على مقارنة معطيات النقائش بمجالين مختلفين هما: الشرق الفينيقي من ناحية، وغرب البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك نقائش قرطاج من ناحية أخرى. وذلك بتوظيف معيارين أساسيين: الأول شكلي مرتبط بتطور شكل الحروف، والثاني لغوي يخص مقارنة بعض مفردات المعجم اللغوي.

أسفرت الدراسات الباليوغرافية[1] عن عدة محاولات لإبراز الفروق بين نقائش الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط، وتم بناء على ذلك تأريخ ظهور اللغة البونية بالجزء الغربي للبحر المتوسط. وإذا كان بعض الباحثين قد أرجعوا أقدم أثر لاستعمال اللغة البونية بقرطاج كلغة لها مميزات متفردة إلى القرن 7 ق.م[2] من خلال تأريخ نقيشة النوط الذهبي اعتمادا على معيار شكل الحروف[3]، واستنادا أيضا إلى الطبقة الأثرية التي وجدت بها النقيشة، أي

1- تعتبر الباليوغرافيا (Paléographie)، أي علم الخطوط القديمة، علما مستقلا يصنف ضمن العلوم المساعدة للتاريخ.

2- BENICHOU- SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage,* CNRS, Paris, 1982, p. 296 et 329 ; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 302-303.

3- افترض بيار سنتاس أنها نقيشة فينيقية، بينما أرجع فيرون أصلها إلى قبرص اعتمادا على معيار شكل الحروف. غير أن لبينسكي قدّم معطيات مقنعة تلغي فرضية الأصل القبرصي للنقيشة، إذ اتضح أن الأمر يتعلق بنقيشة بونية زُبرت بقبرص. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع الأبحاث التالية:

- CINTAS P., À propos de Motyé CIS, 1,2, n°157, réflexions sur l'épigraphie paléopunique, dans *Karthago*, T. XII, 2è année, 1963-64, pp. 174-163, p. 152; LIPINSKI E., *Dieux et*

تاريخ القبر ومحتوياته. انطلاقا من هذه المعايير أرخ بعض الباحثين تلك النقيشة بتاريخ أقدم (القرن 9 ق.م) من خلال مقارنتها بنقائش فينيقيا وقبرص[1] بحجة عدم وجود علاقة بين الإقبار وتاريخ القبر[2]، بحيث يمكن أن تُدفن مواد قديمة بقبر يعود إلى القرن 7 ق.م، وهي ظاهرة مؤكدة في قبور قرطاج[3].

وعلى كل، فإذا كان تأريخ النقيشة يثير بعض الشكوك، فلا أحد ينازع في إرجاعها على الأقل إلى القرن 7 ق.م[4]. لكن إذا استثنينا هذه النقيشة، فإننا نلاحظ ندرة نقائش الفترة العتيقة بقرطاج، حيث لم يساعد المعيار الباليوغرافي كثيرا في تأريخ النقائش بسبب هشاشته، ونسبية نتائجه[5]. ذلك أن نقائش المواقع البونية لم يتم العثور عليها في طبقات أثرية مضبوطة نظرا لغياب مؤشرات تساعد على التأريخ بخلاف نقائش الشرق الفينيقي، حيث ساعدت المواد المصرية على تأريخها[6].

لقد سمح التصنيف التقني والكرونولوجي للأنصاب والنذور بتأريخ معظم النقائش بنهاية القرن 5 ق.م[7]. ولعل ثمة عوامل قد تفسر قلة نقائش الفترة العتيقة بقرطاج، ووفرة تلك المنتمية للقرن 5 ق.م. افترض بيار سنتاس وجود عامل تقني أو عملي يتمثل في صعوبة الكتابة على حجر الحث قبل القرن 5 ق.م مقابل سهولة النقش على الحجر الكلسي بعد القرن 5 ق.م[8] مرجّحا تعرض نقائش الفترة العتيقة للتلف، لا سميا أن صعوبة الكتابة على الحث ربما دفعت القرطاجيين إلى استعمال مواد قابلة للتلف[9]، بينما فسّرت بنيشو- صفر ازدهار الكتابة

---

déesses de l'univers phénicien et punique, p. 302; FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, dans *Mélanges de Carthage offerts à Saumagne*, Ch., Paris, 1964-65, pp. 46-64, p.46.

1- FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, p.46-47.

2- فنطر (محمد حسين)، حول النقائش البونية، مجلة الدراسات الفينيقية-البونية والآثار اللوبية، عدد 11، 1999، ص ص. 1- 35، ص. 9.

3- FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, p. 49.

4- فنطر (محمد حسين)، حول النقائش البونية، مجلة الدراسات الفينيقية-البونية والآثار اللوبية، مرجع سابق، ص. 10.

5- SZNYCER M., Rapports sur l'épigraphie phénicienne et punique (1979-1987), dans *ACSFP*, II, vol. II, Roma, 1991, pp. 535-543, p. 536; LIPINSKI E., Écriture, dans *DCPP*, p. 142 ; FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, p.56.

6- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, Payot, Paris, 1984, p. 206.

7- HOURS-MIÉDAN M., *Carthage*, p. 16.

8- CINTAS P., À propos de Motyé CIS, 1,2, n°157, réflexions sur l'épigraphie paléopunique, p. 156.

9- Ibid, p. 161.

خلال القرن 5 ق.م بتزايد استعمال آلات حديدية في النقش على الحجارة[1].

لقد حاول الباحثون الخوض في مسألة تاريخ بداية ظهور اللغة البونية من خلال مقارنة متن النقائش الفينيقية والبونية[2]، وبالتالي تحديد الفترة التي بدأت تظهر فيها الاختلافات بين اللغتين. فقد خلص الباحث الفرجاوي من دراسته المقارنة للنصوص الفينيقية والبونية اعتمادا على المقياس اللغوي إلى تأريخ الفترة التي اكتسبت فيها اللغة البونية خصائصها المميزة[3] بمنتصف القرن 6 ق.م، وبداية القرن 5 ق[4]. واستنتج أن تسمية «لغة بونية» تنطبق على اللغة المُتكلّم بها ابتداء من تلك الفترة[5].

غير أن ثمة عدة عوائق منهجية تبعث الشك في النتيجة التي تم التوصل إليها. لعل أبرزها العائق الكرونولوجي المتمثل في اقتصار الدراسة على نقائش القرن 5 ق.م بالنظر لغياب نقائش الفترة العتيقة. كما أن نقائش القرن 5 ق.م تبقى غير كافية لوحدها لتحديد تاريخ مضبوط للتحولات التي لحقت اللغة الفينيقية بالمجال الإفريقي، وأفضت إلى اكتسابها لسمات جديدة تجعلنا نطلق عليها تسمية جديدة هي «اللغة البونية». فالراجح أن خصائص لغة نقائش تلك الفترة إنما تعكس التغييرات التي مست اللغة خلال الفترة المذكورة. ولا يمكن أن تؤرخ لبداية تلك التغييرات، أو لبداية تشكل لغة بونية ذات خصائص مميزة، طالما أنه يتعذر القيام بدراسة مقارنة للنحوت اللغوية لنقائش القرن 5 ق.م، ونقائش الفترة العتيقة (القرنين 8 و7 ق.م).

فإذا كانت أقدم النقائش تؤرخ بالقرن 7 ق.م، فإنه يتوجب الإقرار بأن المعيار الباليوغرافي والسياق الأثري لا يقدمان حلولا حاسمة لتأريخ ظهور اللغة البونية. لكن، إذا كان للغة البونية علاقة بتلك التي استعملها الفينيقيون عند قدومهم إلى المنطقة، فلا يوجد ما يمنع من افتراض بداية التفاعل اللغوي الذي أفضى إلى تشكل اللغة البونية منذ الفترة العتيقة من تاريخ المدينة. ومع ذلك، فإن تحديد إطار زمني مضبوط لذلك يعد مجازفة في حدود المعطيات الحالية.

1- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 327.

2- يشمل هذا النوع من الدراسة بالإضافة إلى الصيغ التعبيرية المستعملة في الإهداءات وأسماء الأعلام والأرباب، بنية اللغة ككل، أي نظامها الصوتي، والصرفي، والمعجمي.

3- تتمثل هذه الخصائص في ضعف النظام الصوتي والصوتي، أي إدغام، أو اختزال، أو استبدال الصوائت. فضلا عن تحولات في النظام الصرفي.

4- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 158- 159.

5- نفسه، نفس الصفحات.

2 - بعض عناصر المقارنة بين اللغتين البونية والفينيقية:

2-1 - فرضية الأصل الفينيقي للغة البونية:

منذ بداية الاهتمام بدراسة اللغة البونية طُرحت فرضية الأصل الفينيقي[1]، ولقيت رواجا كبيرا في أوساط المهتمين بدراسة اللغات القديمة، وبمرور الوقت ترسخت الفرضية، وصارت مقبولة، ومُجمع حولها، لا تحتاج سوى للمزيد من الأدلة لتأكيد صحتها. علما أنها ارتكزت على حكم عام مؤداه أن كل ما هو بوني هو فينيقي بالضرورة. وهذا منطقيا قد يكون صحيحا بالنسبة لبعض جوانب الحضارة في مدينة قرطاج لولا أن المعطيات المادية لم تكن كافية بدليل أنه حينما صيغت هذه الفرضية في بداية القرن20م[2]، لم تكن معرفتنا كافية بخصائص اللغة الفينيقية في موطنها بفينيقيا[3] حتى يتسنى مقارنتها باللغة البونية بإفريقيا ومواقع غرب البحر المتوسط، وبالتالي التوصل إلى مثل هذه الخلاصات.

اعتُبرت اللغة البونية، عند بداية دراسة آثارها بشمال إفريقيا، لهجة[4] من اللهجات الفينيقية[5]، حيث تم التمييز بين لهجات شرقية بفينيقيا، ولهجة غربية بإفريقيا[6]، وتم الاستنتاج

1- جعل هذا التصنيف اللغة البونية بمثابة لغة فينيقية. وتندرج اللغة الفينيقية بدورها ضمن عائلة اللغات السامية الشمالية-الغربية، وهي فرع من اللغات الأفروأسيوية.

2- RENAN E., *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, 2è partie, 8è édition, Calmann-Levy, Éditeurs, Paris, 1928, p. 197.

3- تتميز نقائش الشرق الفينيقي بندرتها، وخصوصا نقائش الفينيقية العتيقة، ولا تتجاوز أقدمها القرن 10 ق.م، ومن أهمها: نقيشة يحيملك (بين 950 و940 ق.م)، ونقيشة أبيعل (بين 935 و914 ق.م)، ونقيشة أليبعل (بين 914 و874 ق.م)، ونقيشة ستيبتيعل (900 ق.م). وتعد نقيشة أحيرام بمثابة نموذج للنقائش الفينيقية العتيقة. يتعلق الأمر بنقيشة تابوت أحيرام ملك مدينة بيبلوس (جبيل حاليا) بالساحل الفينيقي. اكتشفت النقيشة من طرف بيير مونتي سنة 1923. وقد بدأ نشر النقائش الفينيقية منذ 1867 في ديوان النقائش السامية (CIS) بمبادرة من إرنست رينان. كما تم جمع نقائش أخرى في فهرس الدراسات السامية(RES). انظر نص النقيشة كما راجعه ونشره روني ديسو بتاريخ 24 مارس 1924:

- DUSSAUD R., Les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram, roi de Byblos, découvertes par M. Montet, dans *Syria. Archéologie, Art et histoire*, Année 1924, 68-2, pp. 99-101.

4- انطلاقا من تعريف اللهجة من حيث كونها «عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، بحيث يشترك في تلك الصفات جميع أفراد هذه البيئة»، فإن البونية تمثل-حسب هذا التعريف- لغة فينيقية خضعت لمجموعة من التحولات جراء استعمالها في بيئتها الجديدة بشمال إفريقيا. بخصوص تعريف اللهجة انظر:

- ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 9، القاهرة،1995، ص. 16.

5- وجدت -حسب المختصين -عدة لهجات بفينيقيا تفرعت منذ الألف الأول ق.م عن اللغة الفينيقية الأم، فهناك لهجات بيبلوس، وأور (Ur)، وكرتبي (Kartépé) إلخ ... أنظر بهذا الشأن:

- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 135.

6- RENAN E., *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, p. 197; MOSCATI

تبعا لذلك أن البونية بقيت، وإلى غاية القرن 5 ق.م، لهجة قريبة من اللغة الفينيقية[1]. وهو ما يتماشى مع فكرة القدامى عن لغة القرطاجيين. لقد استعمل الكاتب الروماني فارو خلال الفترة المتأخرة من تاريخ قرطاج تسمية اللغة الفينيقية *(Phoenica lingua)* للإشارة إلى لغة القرطاجيين خلال حديثه عن اللغة التي ألف بها القرطاجي ماغون *(Magon)* كتبه حول الزراعة[2]. غير أن الكاتب الروماني ربما وقع في الخلط، فهو لم يكن يميز تمييزا دقيقا بين الفينيقيين *(Phoenicas)* والبونيين *(Poenii)*[3] حتى يميز اللغة المستعملة بإفريقيا خلال عصر ماغون عن لغة الفينيقيين بالشرق.

رفض الكثير من الباحثين فكرة وجود اختلافات جوهرية بين اللغتين الفينيقية بفينيقيا والبونية بقرطاج ومجال نفوذها بإفريقيا[4]، معتبرين أن تسميات «لغة فينيقية» و«لغة بونية» تعبر عن كيان لغوي واحد هو اللغة الفينيقية[5]، وفي هذا السياق استنتج بعض الباحثين أن اللغة البونية التي استعملت بشمال إفريقيا خلال الفترة القرطاجية بقيت لغة فينيقية خالصة[6]. في حين اعتبر البعض الآخر أن وجود بعض الاختلافات بين اللغتين راجع إلى تطور داخلي في بنية اللغة الفينيقية خلال فترة استعمالها بشمال إفريقيا.

وانطلاقا من هذا الرأي الأخير تم الإقرار بأن الافتراق المجالي الذي حدث للغة الفينيقية على مدى فترات زمنية طويلة قد أفضى إلى ظهور اختلافات في بعض العناصر اللغوية بين اللغة الفينيقية المستعملة بإفريقيا وتلك المتداولة بفينيقيا. وهذا أمر منطقي، لأن اختلاف الزمان

S., *L'épopée des phéniciens*, p.252; RÔLLING W., The phoenician language, dremarks on the present state of research, dans *ACISPP*, I, vol. II, Roma, 1983, pp. 375-385, p. 376 et 379; FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, p. 64; LIPINSKI E., Langue, dans *DCPP*, p. 255.

1- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 625.

2- VARRON apud PLINE L'ANCIEN, *HN*, III, 3, 3.

3- Ibidem.

4- انتشرت اللغة البونية في مجموع المناطق التي امتد إليها إشعاع قرطاج بالبحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك سواحل شمال إفريقيا وجنوب إسبانيا والجزر المتوسطية مثل صقلية وسردينيا. ويحق التساؤل حول ما إذا كانت اللغة الفينيقية قد خضعت لديناميات تحوُّل متشابهة في قرطاج وباقي مناطق نفوذها بغرب البحر الأبيض المتوسط؟ أم أن التغييرات التي مست اللغة الفينيقية قد اعتملت بالأساس في المجال القرطاجي الإفريقي، ومنه انتقل التأثير إلى باقي مناطق النفوذ القرطاجي بالمجال المتوسطي؟ أم أن ذلك التحول قد حصل بشكل متزامن في مجموع ذلك المجال الشاسع؟

5- LIPINSKI E., Langue, dans *DCPP*, p. 255 ; SZNYCER M., L'emploi des termes «phénicien» et «punique», «néopunique», dans *Atti dell II congresso internazionale di linguista camito-semitica*, Firenze, 1978, pp. 261-268, p. 268, MOSCATI, S., *L'épopée des phéniciens*, p.251.

6- RENAN E., *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, p. 198.

والمجال، وتأثير المعطيات البشرية تمثل عوامل مسؤولة عن مظاهر الاختلاف الملحوظة بين اللغتين، لكن أوائل من تبنوا هذا الرأي لم يوضحوا لنا بالضبط نوعية التغييرات التي مسّت اللغة الفينيقية بشمال إفريقيا، ولو أن هناك من اختزلها في ضعف النظام الصوتي والصوتمي للغة البونية بشمال إفريقيا مقارنة باللغة الفينيقية في الشرق[1].

يجذر بنا -قبل المقارنة بين اللغتين كل في مجالها -بسط بعض الملاحظات المرتبطة بطبيعة المادة المتوفرة، والسياق العام الذي أطر نتائج الأبحاث التي اهتمت بالموضوع. فليس خافيا أن علماء الساميات[2] هم من تصدى لدراسة اللغتين الفينيقية والبونية. وكان لذلك بالطبع تأثير على نتائج الدراسات المنجزة. فقد ركز هؤلاء في أعمالهم على البحث عن الألفاظ الشرقية في اللغة البونية، وغيّبوا بالتالي المعطى اللغوي المحلي المتمثل في لغة السكان الليبيين بالمجال القرطاجي الإفريقي لأسباب تعود إما لثقل النظريات السائدة في حقل الدراسات الفينيقية والبونية، وإما لعدم إلمام هؤلاء المختصين باللغة الأمازيغية الحديثة[3].

1- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 155.
FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 197.

2- علماء الساميات (Sémitisants) هم دارسو الحضارات واللغات السامية. ويعد عالم اللغات القديمة الألماني أوغست لودويك شلوتزر(Schloetzer) أول من استعمل مصطلح «ساميون» منذ 1781م للإشارة إلى مجموع شعوب آسيا الغربية بحكم ما يجمعها من روابط عرقية ولغوية، ثم شاع استعماله فيما بعد من طرف علماء آخرين. و»ساميون» هو اصطلاح منهجي -ذو حمولة أنثروبولوجية، -اتُّخذ في البداية لتسهيل المأمورية على الباحثين، استوحاه شلوتزر من التوراة من خلال قصة نوح وأبنائه، ومن بينهم «سام».

3- يتوقف توظيف الأمازيغية في دراسة النقائش الليبية على حل إشكال العلاقة بينها وبين اللغة الليبية القديمة. وقد أفرز الجدل بهذا الخصوص رأيين متناقضين. الأول يرى بوجود انقطاع تام بين اللغة الليبية القديمة ممثلة في نقائشها القديمة والأمازيغية الحديثة، وأن الحديث عن الاتصال ليس أكثر من مجرد سراب (رأي اللساني الجزائري سالم شاكر)، ورأي ثان يعتبر أن ثمة اتصال وثيق بينهما، وأن الأمر يتعلق بمكون لغوي واحد (رأي الباحث المغربي محمد شفيق). ولو أن ثمة تراجع لتيار القطيعة بين الليبية القديمة والأمازيغية الحديثة، فهذا ما يستشف مما ورد بين ثنايا سؤال طرحه حسين فنطر في إحدى مقالاته، ونصه: «فهل يستطيع المختصون السيطرة على هذه اللغة العتيقة [يقصد الليبية] انطلاقا من اللهجات الأمازيغية التي هي فروعا منها؟» ثم أجاب: «الفرضية واردة» مشترطا «أن تكون دراسة تلك اللهجات في ضوء تحاليل علمية دقيقة تتناول أخص خصائص المعاجم والنحو والصرف». كما نلاحظ أن سالم شاكر، نفسه، يوظف اللهجة القبائلية في الكثير من الأحيان لدراسة لغة النقائش القديمة في تناقض صريح مع قوله بالانقطاع، وهو الأمر الذي ينطبق أيضا على عدد من اللسانيين الأوربيين الذي درسوا النقائش الليبية. فكيف تتم الاستعانة باللهجات الأمازيغية إن لم تكن لها صلة بلغة النقائش؟! الواقع أن مسألة الاتصال تبدو بديهية، حتى وإن كانت بقايا الليبية القديمة لا تسمح بالبرهنة عمليا على ظروف الانتقال من الليبية القديمة إلى الأمازيغية الحديثة بحكم عدم قدرة الناطقين بهذه الأخيرة على فهم كل ألفاظ النقائش الليبية. كما أن صعوبة فهم مضامين النقائش الليبية انطلاقا من اللهجات الأمازيغية لا ينهض دليلا على انقطاع الصلة بينهما، ولعل العامل المفسر لذلك هو حدوث تحولات لغوية عميقة لحقت لغة النقائش على مدى قرون عديدة. وفي كل الأحوال، فالليبية القديمة لا يمكن أن تكون شيئا آخر غير الأمازيغية الحديثة التي يتكلم بها سكان شمال في صيغة لهجات إقليمية. فمجال اللغة الليبية القديمة- أي شمال إفريقيا والصحراء- لم يعرف تحولات إثنوغرافية كبيرة، إذ استمرت أسماء الأعلام

دفعت الصعوبات المرتبطة بقراءة نقائش الشرق الفينيقي إلى الاستعانة باللغات المنتمية لنفس الغور اللغوي للغة الفينيقية، ويتعلق الأمر باللغات الأوغاريتية، والعبرية، والآرامية، والعربية. ومع أهمية هذا التوجه، فإنه قاد إلى انزلاقات في قراءة النصوص، وفهمها، والركون أحيانا إلى الحلول السهلة، خاصة بالنسبة لمفسري التوراة، وهو ما يقر به المختصون في اللغات الفينيقية والبونية أنفسهم[1]. أما على مستوى المعطيات المتوفرة، فإن قراءة وثائق الشرق الفينيقي تطرح مشاكل حقيقية بسبب اعتماد اللغة الفينيقية على رسم الصوامت دون المصوتات *(Voyelles)*. ينضاف إلى ذلك طغيان المجانسة (ألفاظ لها نفس المعنى)، وتماثل الأصوات (تشابه مخارج الحروف)، وقلة مفردات المعجم الفينيقي، وغموض معاني أغلب ألفاظه[2]. وهذه كلها معطيات ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند تقييم نتائج الأبحاث التي قارنت بين اللغتين الفينيقية والبونية.

2 - 2 - العلاقات اللغوية بين الفينيقية والبونية:

ركزنا في دراسة مظاهر التشابه والاختلاف بين اللغتين الفينيقية والبونية على ثلاثة عناصر أساسية هي: المعجم، والصرف، ثم الصواتة، مع مراعاة نسبية ما يمكن أن تسفر عنه مثل هذه الدراسة الجزئية بحكم قلة ما بحوزتنا من مفردات اللغتين معا.

والأماكن والأقوام إلى اليوم مما يعني أنها هي نفسها اللغة الأمازيغية المتداولة حاليا. ولذلك لا نملك إلا أن نوافق ما ذهب إليه كلاند لما أجاب المشككين بسؤال استنكاري يستبطن إجابة منطقية، وهو «ماذا عساها تكون الليبية القديمة إن لم تكن شكلا عتيقا للأمازيغية؟». كما تطرح دراسة العلاقة بين الأمازيغية الحديثة ولغة النقائش القديمة إشكالا آخر يهم خاصية التنوع في اللغة الأمازيغية. ذلك أنه وبسبب ضعف معرفتنا بالنحوت اللغوية لليبية القديمة، فنحن لا نعرف ما إذا كانت لغة النقائش القديمة لغة موحدة قديمة تكلم مجموع سكان شمال إفريقيا القديم منذ فترات موغلة، ثم استحالت إلى لهجات إقليمية في سياق تطورات لغوية نجهلها، أم أن التنوع اللغوي يعد ظاهرة قديمة ملازمة للأمازيغية، وبالتالي يجد جذوره في الفترة القديمة. انظر آراء محمد شفيق وسالم شاكر وكلاند في الموضوع:

- شفيق (محمد)، اللغة الأمازيغية: بنيتها اللسانية، منشورات الفنك، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2000، فنطر (محمد حسين)، معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان، ضمن نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، أعمال الندوتين المنظمتين بالدار البيضاء من طرف مؤسسة الملك عبدالله آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الإنسانية، أيام 17-18 يناير و18-19 أبريل 2002، تنسيق محمد سيراج ومحمد حسين فنطر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ديسمبر 2004، ص ص 9-16، ص. 10.

- CHAKER S., *Textes en linguistique berbère (Introduction au domaine berbère)*, Editions du CNRS, Paris, 1984; GALAND L., Les alphabets libyques, dans *Ant. Afr.*, T. 25, 1989, pp. 69-81, p. 70; RENAN E., *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, p. 202.

1- SZNYCER M., Rapport sur l'épigraphie punique, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 Novembre 1979, Vol. II, Roma, 1983, pp. 387-295, p. 394.

2- Ibidem.

أ- على مستوى المعجم:

تستلزم المقارنة بين المعجمين الفينيقي والبوني التوفر على عدد كاف من ألفاظ اللغتين، وهو أمر متعذر في حدود المعطيات الحالية. فالمعجم الفينيقي المستفاد من نقائش الشرق الفينيقي يتسم بقلة عدد مفرداته وصعوبة قراءتها. وتنطبق نفس الملاحظة على المعجم البوني. فرغم اكتشاف آلاف النذور والأنصاب الحاملة لنصوص بونية بقرطاج وبمجالها الإفريقي، وبمناطق نفوذها بالبحر الأبيض المتوسط، فإن ما بحوزتنا من الألفاظ لا يقدم عناصر لغوية كافية للتعرف على بنية اللغة البونية. ذلك أن معظم النقائش هي عبارة عن إهداءات دينية تتضمن صيغ وتعابير مختصرة ومكررة[1].

كما أننا لا نتوفر على نصوص بونية متكاملة وذلك-ربما-بسبب إحراق مكتبة قرطاج، وضياع محتوياتها من المؤلفات التي دونت باللغة البونية. والنص الوحيد الذي بقي من الأدب البوني هو عبارة عن محادثة باللغة البونية تضمنتها مسرحية «البوني» *(Poenulus)* التي نقلها الكاتب المسرحي الروماني بلاوتوس *(Plautus)*[2]. لكن رغم تضمن النص لبعض التعابير البونية، فإن فائدته العلمية تبقى محدودة جدا لأنه وضع أساسا لغايات هزلية مما يطرح احتمال تعرضه للتحريف.

كما أن هنالك شكوكا حول قدرة بلاوتوس على نقل لألفاظ البونية بشكل سليم عبر استعمال الحروف اللاتينية. تنضاف إلى ذلك صعوبة قراءة هذه الوثيقة الأدبية، فالنص اللاتيني المفترض اشتماله على النص البوني الأصلي لم يُترجم كلمة كلمة. كما يلاحظ غياب الفواصل في النص البوني المُدون بالحروف اللاتينية، والتي يمكن أن تساعد على تمييز الألفاظ البونية. ولعل التحريف الذي لحق هذا النص متأت من الترجمة، حيث كان في الأصل نصا بونيا ترجم إلى اللغة الإغريقية، ثم نقله بلاوتوس فيما بعد مُدونا بحروف لاتينية[3]. ولذلك لم تساعد الفقرات البونية الواردة عند بلاوتوس في تفكيك النقائش بقدر ما حدث العكس، حيث تمت الاستعانة بهذه الأخيرة لقراءة نص مسرحية «البوني»، الأمر الذي قاد إلى ترجمات غير منسجمة، وأحيانا متناقضة لألفاظ تلك الفقرات.

1- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 60.
2- PLAUTE, *Poenulus*, V, 930-939.
3- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, Librairie C. Klinkseick, Paris, 1967, p. 131.

لم تمنع قلة الوثائق المتوفرة حول اللغتين الفينيقية والبونية من القيام بدراسات مقارنة بينهما بغرض إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين المكونين اللغويين كل في مهده. لكن قلة بقايا اللغتين تبدو مهمة لجهة إبراز ذلك التناقض القائم بين حجم الأطروحات التي توصل إليها علماء الساميات، وبين الطابع الجزئي لمعطياتنا. مما يطرح السؤال حول كيفية توصل هؤلاء إلى الحكم بالأصل الفينيقي للغة البونية، والحال أن معرفتنا بألفاظ اللغتين الفينيقية والبونية تبقى محدودة مما يستلزم الحرص على إبداء تقييم نسبي ومؤقت في الموضوع.

تسمح مقارنة الأعداد في اللغتين البونية والفينيقية، وفي لغات الشرق القديم عموما بملاحظة تشابه الأعداد في اللغة البونية وفي اللغات الشرقية القديمة (انظر الجدول رقم 1). حيث نلاحظ توافق العدد والمعدود في اللغتين الفينيقية[1] والبونية. فالعدد واحد واثنان، على سبيل المثال، يطابقان المعدود في اللغتين معا. وهكذا يأتي العدد مذكرا مع المعدود إذا كان مذكرا، ويأتي مؤنثا مع المعدود إذا كان مؤنثا[2]. أما الأعداد من ثلاثة إلى عشرة، فيلاحظ العكس، حيث يُذكّر العدد إذا كان المعدود مؤنثا، ويُؤنّث إذا كان المعدود مذكرا[3]. كما تتبع الأعداد المركبة نفس النظام في اللغتين معا، فعلى سبيل المثال يأتي العدد أربعة عشر بصيغة «عسر وأربع»[4]. ويشار إلى الشهر في اللغات البونية[5]، والفينيقية[6]، والعبرية[7] على السواء باسم «يرح». أما اسم السنة فورد في النقائش البونية والفينيقية بصيغة «شنت»، وتنفرد النقائش البونية بإضافة صيغة «ششت»[8].

أما بالنسبة للصيغ اللغوية بما في ذلك الألفاظ والتعابير والأفعال، فإن مقارنة نقائش الشرق الفينيقي بنقائش قرطاج وغرب المتوسط تُظهر مجموعة من القواسم المشتركة بين اللغتين الفينيقية والبونية، لاسيّما بالنسبة للألفاظ الأكثر استعمالا في نقائش الحوضين الغربي

1- كان الفينيقيون من أوائل الشعوب التي توصلت إلى استعمال الأرقام، ويعتقد أنهم اقتبسوها من تجارب تأسيسية في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين وأشار سترابون إلى السبق الذي حازه الصيدونيون في الحساب:
- STRABON, *Géographie*, XVII, 24.

2- حامدة (أحمد)، اللغة الكنعانية والفينيقية، منشورات جامعة ، دمشق، 1995، ص. 46.

3- نفسه، نفس الصفحة.

4- نفسه، نفس الصفحة.

5- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, p. 51, n° 56 et 53, n° 58.

6- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص. 69.

7- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 211.

8- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص. 69.

والشرقي للمتوسط (انظر الجدول رقم 2). غير أن الدراسة التي أنجزها الباحث الفرجاوي بينت، من جهة أخرى، انفراد البونيين باستعمال تعابير لم تكن متداولة عند فينيقيي الشرق[1].

كما أن استمرار نفس أسماء الأعلام المشتقة من أسماء الأرباب الفينيقية في النقائش البونية[2] يعكس جانبا من التأثيرات اللغوية الفينيقية في اللغة البونية. لكن ذلك التأثير لم يكن شاملا، حيث نلاحظ ظهور أسماء أعلام جديدة في النقائش البونية لم تكن معروفة في نقائش الشرق الفينيقي[3] مما يكشف- على هذا المستوى على الأقل- عن خصوصية تميزت بها اللغة البونية بالمجال الإفريقي.

لكن إذا كانت الأمثلة التي قدمناها سالفا تبين بعض أوجه التقارب بين اللغتين، فإن الحجم الحقيقي للاختلافات بينهما يبقى مجهولا بسبب فقر المعجم الفينيقي والبوني كما بينا سابقا. وتبعا لذلك، تبقى النتائج المترتبة عن مقارنة بعص ألفاظ اللغتين الفينيقية والبونية نسبية ومؤقتة بسبب صعوبة إسقاط نتائج المقارنة اعتمادا على النزر اليسير من معجم اللغتين على باقي الوعاء اللغوي للفينيقية والبونية، والذي يظل غائبا عنا في حدود معطياتنا الحالية.

ب- على مستوى الصواتة:

تشترك اللغتان الفينيقية والبونية في اختزال نظامهما الصوتي، إذ يُعبّر كل حرف عن صوت ساكن معين مع غياب الرموز الدالة على الحركات(الصوائت)، وهي خاصية تشترك فيها مع لغات أخرى. وتطرح هذه الخاصية صعوبات أمام دراسة النظام الصوتي للغتين، فالرسم الإملائي للحروف الهجائية الساكنة يطرح أمام الباحث صعـوبة معرفة الأصوات الحقيقية للألفاظ[4]. غير أن اللغتين الفينيقية والبونية تتميزان عن باقي اللغات باستعمال أشباه الحركات، أو ما يسمى بحروف المد، أي الحركات الأساسية، وهي عبارة عن حروف حلقية (الواو، والياء، والهاء، والحاء) فقدت شيئا فشيئا وظيفتها كحروف صامتة ولم تعد تنطق[5].

1- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p..244-245

2- Ibid, p. 303-305.

3- Ibid, p. 260.

4- موسكاتي(سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة مهدي المخزومي عبد الجبار المطليبي، عالم الكتب، بيروت، 1993، ص. 165.

5- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p.61.

حاول المختصون في الدراسات اللغوية مقارنة نطق الصواتم في النقائش الفينيقية والبونية انطلاقا من ملاحظة تطور رسم الحروف بالنسبة لكل لفظ على حدة. وبالتالي تمييز الخصائص الصواتية التي تميز اللغة الفينيقية بإفريقيا عن اللغة الفينيقية في الشرق. وهي عملية صعبة بحكم أن موت اللغة يدفن معها الكثير من أسرار الصواتة، وبالتالي فإن الاكتفاء بالرسم الإملائي كمعيار وحيد لرصد التغييرات الصواتية يظل محفوفا بهامش كبير للخطأ. إذ لا يمكن الاستهانة بالأخطاء التي ربما وقع فيها الكتبة والنقاشون والتي قد يعتمدها الباحثون- خطأ- كأدلة على حدوث تغييرات على مستوى الصواتة.

ويبقى لأسماء الأعلام نفع حاسم للبحث في موضوع الصواتة نظرا لكونها تتميز، مبدئيا، بالمحافظة على رسم إملائي ثابت مما يعني أن تكرار نفس الظواهر الصوتية في نطق أسماء الأعلام يمثل دليلا على وجود تحولات فعلية على هذا المستوى. لكن يتوجب الحذر عند توظيف أسماء الأعلام لدراسة النظام الصوتي لأنها قد لا تمكن من الإحاطة بمجموع التحولات الصواتية التي مست اللغة البونية.

تتمثل أول ملاحظة فيما يخص الفروق بين اللغتين الفينيقية والبونية على مستوى النظام الصواتي في تميز اللغة البونية بإبدال أو حذف الصواتم الحلقية الاحتكاكية والصواتم الحنجرية[1]، وهي الحاء، والعين، والهاء، والألف. ويتضح ذلك في الأمثلة التالية: نطق «أد» (אר) عوض «أحد» (אחר) بحذف الحاء[2]، أو نطق «بدعشترت» (ברצשתרת) عوض «عبدعشترت» (צברצשתרת) بحذف العين[3]. كما تقدم النقائش البونية أمثلة كثيرة على حذف صوتم الألف مثل نطق «دن» (רנ) عوض «أدن» (ארנ)[4].

يحدث كذلك قلب الصواتم الحلقية والحنجرية وتعويضها بصواتم أخرى. ويلاحظ ذلك في الحرف الحلقي الرخوي المجهور (عين) الذي يقلب ألفا كنطق «أبدعشترت» (אברצשתרת) عوض «عبدعشترت» (צברמלקרת)[5]. وينطبق نفس الشيء على الحرف الحلقي الرخوي المهموس (الحاء) الذي يُقلب عينا بنطق «بعلعمن»(בצלצמנ) بدل «بعلحمن»

1- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p. 147.

2- موسكاتي (سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، مرجع سابق، ص. 77-78.

3- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

4- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص.146- 147.

5- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

(בצלחמן)، أو حاء بنطق «بحلحمن» (בחלחמן) عوض «بعلحمن» (בצלחמן)، أو إبدال الحاء بالألف بنطق «بعلأمن» (בצלאמן) عوض «بعلحمن» (בצלחמן)[1]، وأحيانا بصوتم الهاء. كما يلاحظ أحيانا ضعف صوتم الحرف الحنجري(الهاء)، حيث يقلب ألفا، أو حاء[2]. كما نجد أمثلة لقلب الألف عينا[3]. وبصفة عامة، فالأمثلة كثيرة في النقائش البونية لسقوط وضعف الصواتم الحنجرية والحلقية.

يلاحظ الضعف الصواتي كذلك بالنسبة لصواتم أخرى، ولا سيّما الصواتم الصفيرية. ويعد التبادل بين الصواتم الاحتكاكية الأسنانية والاحتكاكية اللثوية كثير الحدوث في اللغة البونية مقارنة باللغة الفينيقية. ونذكر من أمثلة ذلك نطق صوتم الشين سينا في نموذج «سبعم» (סבצם) بدل «شبعم» (שבצם)[4]، و«سفط» (ספט) عوض «شفط» (שפט)[5]. كما يحدث أحيانا قلب الزاي سينا مثل نطق «سكربعل» (סכרבצל) عوض «زكربعل» (זכרבצל)[6]. وأحيانا يقع الخلط بين صوتمي الصاد والزاي.

تشمل نفس الظاهرة اللغوية، أي الإبدال والحذف، الصواتم المائعة والخيشومية، وهي اللام، والميم، والنون. وكذلك الصواتم الشفوية الأسنانية، إما بسقوطها من النطق، أو إبدالها بصواتم أخرى. ومن أمثلة ذلك نذكر حذف الدال بنطق «بملقرت» (במלקרת) عوض «بدملقرت» (ברמלקרת)[7]، وإبدال الدال والنون باء بنطق «أببعل» (אבבצל) بدل «أدنبعل» (ארנבצל)[8]. كما يُقلب الميم باءً ا بنطق «حبلكت» (חבלכת) بدل «حملكت» (חבלכת)[9]. وأحيانا يحذف اللام في آخر الكلمة بنطق «بدبع» (ברבצ) عوض «بدبعل» (ברבצ)[10]، أو حذف الدال والعين معا بنطق «ببل» (בבל) «بدل» «بدبعل» (ברבצל)[11]...إلخ. لقد أثبت النص البوني

1- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p. 147.

2- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 147.

3- نفس المرجع، نفس الصفحة.

4- موسكاتي (سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، مرجع سابق، ص.ص 68-67.

5- HALF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

6- MOSCATI S., *L'épopée de phéniciens*, p. 252.

7- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 82.

8- Ibid, p. 83.

9- Ibidem.

10- Ibidem.

11- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p. 147-150.

في مسرحية «البوني» وجود نفس التغييرات الصواتية التي لاحظناها أعلاه على لغة النقائش البونية[1]. وتأتي أهمية هذا التأكيد من توفر النص على الحركات ما دام كُتب بالحروف اللاتينية.

تمثل النماذج المذكورة سالفا أهم خصوصيات اللغة البونية إذا ما قورنت باللغة الفينيقية من خلال بعض ألفاظ النقائش. ومن هذا المنطلق، يلاحظ أن اللغة المستعملة بالمجال القرطاجي الإفريقي تختلف عن لغة الفينيقيين بالشرق بضعف الصواتم الحنجرية والحلقية، والتبادل بين الصواتم الصفيرية، ولا سيّما الصواتم الاحتكاكية الأسنانية والاحتكاكية اللثوية. وكذلك بضعف الصواتم المائعة والخيشومية والصواتم الشفوية الأسنانية، سواء بسقوطها، أو إبدالها.

أما بالنسبة لحجم التغييرات التي مست النظام الصواتي للغة البونية ككل، فقد درس الباحث الفرجاوي ما يناهز 6000 نقيشة بونية بموقع قرطاج من خلال تصنيف إحصائي لمجمل خصائص النظام الصواتي للغة البونية مقارنة بلغة نقائش الشرق الفينيقي، وخلص إلى محدودية التحولات التي عرفتها اللغة البونية بإفريقيا[2].

لكن يستحسن عدم إغفال محدودية المتن اللغوي للنقائش المتوفرة، فعدد النقائش المدروسة لا يمثل مؤشرات دالة وكافية لإعطائنا فكرة متكاملة عن طبيعة النظام الصواتي للغة البونية لافتقاد عنصر التنوع فيها، واستحالة استيفائها لمجموع الخصوصيات الصواتية للغة التدوين دون الحديث-بالطبع-عن لغة التداول اليومي التي لا نعلم عنها شيئا.

ولذلك، ورغم أهمية النتائج التي تم التوصل إليها من مقارنة متون النقائش الفينيقية والبونية، فإنها تبقى غير مكتملة، وغير قابلة للتعميم من منطلق صعوبة دراسة نماذج محدودة، وتعميم النتائج على باقي مكونات النظام الصواتي للغة البونية، والذي يبقى مجهولا بالنسبة إلينا في حدود المعطيات التي توفرها النقائش المعروفة لحد الآن. إذن ما يمكن استخلاصه هو أن تغييرات صواتية قد حدثت في نقائش قرطاج العائدة إلى القرن 5 ق.م. ولعل ثمة عوامل ساهمت في حصول تلك التغييرات على الأرض الإفريقية، وهو ما سيكون موضوع تقييم في عند دراسة العلاقات اللغوية بين اللغتين البونية والليبية (انظر الفصل الثاني من الباب الرابع).

1- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 154.
2- نفس المرجع، نفس الصفحة.

ج- على مستوى النظام الصيغي والصرفي:

يشار إلى الضمير العائد على المفرد الغائب- وهو الأكثر تداولا في النقائش البونية- بحروف «الألف»، أو «الياء»، أو «الميم» مع كثرة استعمال «الألف»، بينما يشار إليه في نقائش الشرق الفينيقي بحرفي «الهاء»، أو «الألف»، مع كثرة استعمال هذا الأخير[1]. ويلاحظ أن استعمال حرف «الألف» لرسم الضمير العائد على المفرد الغائب يبقى نادرا في نقائش قرطاج. وبعكس ذلك لم يستعمل الفينيقيون حرفي «الألف» و«الميم» للإشارة إلى هذا الضمير مع العلم أنهما الأكثر تداولا في اللغة البونية[2]. مما يعني أن اللغة البونية عرفت ظهور صيغ لغوية جديدة لم تكن معروفة في لغة الفينيقيين بالشرق[3].

تشترك اللغتان البونية والفينيقية في رسم اسم الإشارة العائد على المفرد المذكر تارة بحرف «الزاي» (ז): الذي، وتارة أخرى بحرفي «الألف» و«الزاي» (אז): الذي)[4]. لكن مع ملاحظة حدوث تغييرات في اللغة الفينيقية بالشرق من خلال طريقة رسم اسم الإشارة، مثل إضافة حرف النون عند رسم اسم الإشارة العائد على المفرد المذكر للأداة (ז) المتداولة عند الفينيقيين لتصبح «زن» (זנ)، وخاصة في نقائش بيبلوس(جبيل)[5]. أما في اللغة البونية بإفريقيا، فيلاحظ غياب الأداة «ست» (סת) (للإشارة لاسم الإشارة العائد على المذكر والمؤنث[6]. ويلاحظ أيضا تقارب بين اللغتين في رسم اسم الإشارة العائد على الجمع المذكر، ففي النص البوني لمسرحية «*Poenulus*» تمت الإشارة إليه بصيغة «ألأ» (אלא)[7]، بينما رُسم في نقائش الشرق الفينيقي باستعمال الأداة «أل» (אל)[8]، وفي اللغة العبرية يشار إليه بالأداة «أله»(אלה)[9].

1- نفسه، ص. 139.

2- نفسه، ص. 140.

3- نفسه، نفس الصفحة.

4- نفسه، ص. 144، موسكاتي (سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، مرجع سابق، ص. 187.

5- موسكاتي (سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، مرجع سابق، ص. 187.

6- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p.151.

7- Ibid, p. 152.

8- Ibidem.

9- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 141.

يشار إلى اسم الموصول في النقائش البونية والفينيقية على السواء باستعمال الأداتين «أش» (אש) و«ش» (ש)[1]. لكن النقائش البونية تنفرد باستعمال الأداتين «عش» (צש)[2] و«شع» (שצ)[3]. ولم يثبت بعد استعمال هاتين الأداتين في اللغة الفينيقية. أما أداة التعريف، فقد رُسمت في اللغتين معا باستعمال حرف «الهاء» (ה)، غير أن اللغة البونية انفردت بشكل محدود باستعمال حرفي «الألف» (א). أو «الحاء» (ח) للإشارة إلى أداة التعريف[4].

ويتضح من خلال نص مسرحية «البوني» أن القرطاجيين استعملوا حرف الياء للإشارة إلى لاحقة صفة التملك لضمير المفرد المتكلم مثل «بينوتـي» *(Bynuthi)*، بمعنى «بناتي». واستُعمل حرفا الياء والميم للإشارة إلى لاحقة صفة التملك لضمير المفرد المذكر الغائب مثل «بينيـم» *(Binim)* بمعنى «ابنه». وأداة «هم» للإشارة إلى لاحقة صفة التملك لجمع المذكر الغائب مثل «مسرتهم» *(Mysyrthohom)* بمعنى «مسرتهم»، أو «عدلهم»[5]، وهي مفردات قريبة من اللغة العربية.

أما بخصوص تصريف الأفعال في اللغة البونية، فإن حظنا من المعطيات يبقى ضئيلا جدا. ويعد فعل «ندر» (נדך) من أكثر الأفعال استعمالا في الإهداءات البونية. وقد أمكن معرفة تصريفه مع ضمير المفرد المؤنث الغائب فقط، فالملاحظ- كما توصل إلى ذلك الباحث الفرجاوي-أنه غالبا ما وقع تصريف فعل «ندر» مع الضمير المذكور سالفا دون وجود علامة التصريف بنسبة حوالي 52%، في حين تمت الإشارة إلى علامة التصريف باستعمال حرف العين (ندرع) بنسبة تصل إلى 12%، أو حرف الألف (ندرأ) بنسبة حوالي 35% [6]. ويتضح من مقارنة هذه الاستعمالات بما كان سائدا بنقائش الشرق الفينيقي أن اللغة البونية تميزت عن اللغة الفينيقية باستعمال علامتي التصريف «الألف» و«العين»[7].

1- نفسه، نفس الصفحة.

2- CIS I, 770.

3- CIS I, 654.

4- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p.152.

5- Ibid, p.151 .

6- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج، مرجع سابق، ص. 140.

7- نفسه، ص. 141.

تميزت اللغة البونية أيضا باستعمال حرف «الألف» للإشارة إلى علامة تصريف الفعل المجرد والمزيد مع ضمير الجمع الغائب في الماضي والمضارع، بينما لا نجد نفس العلامات في النقائش الفينيقية[1]. كما يلاحظ عدم إدغام نون الفعل «يتن» (יתנ)، أي «أعطى»، مع الفعل المجرد في الماضي «يتنت» (יתנ)، أي «أعطيت»، ومع الفعل المزيد «نفعل» في الحاضر «ننتن» (ננתנ)، أي «نعطي» مقابل إدغامها في اللغة الفينيقية[2].

يتضح من خلال الأمثلة المشار إليها سالفا أن اللغة البونية بشمال إفريقيا القديم تنفرد بخصوصيات تميزها عن اللغة الفينيقية بالشرق على مستوى النظام الصيغي والصرفي والمعجم اللغوي. ويرى بعض الباحثين أن ذلك التميز لا يعكس تحولا جوهريا في بنية اللغة البونية كلغة فينيقية استعملت بشمال إفريقيا القديم، لأن الاختلافات المسجلة بالنقائش غالبا ما تُفسَّر بتغييرات صواتية مست اللغة التي أدخلها الفينيقيون إلى إفريقيا، سواء من خلال الاختزال، أو الإدغام، أو تغير نطق بعض الحروف[3]. وقد انطلق الباحث الفرجاوي من خلال المقارنة بين لغة النقائش التي تشير إلى الفئات الحاكمة في قرطاج (الشوفط)، وباقي النقائش البونية ليخلص إلى وجود لهجة في البونية استعملتها الفئات الأرستقراطية، وبقيت أكثر قربا من الفينيقية[4].

بقطع النظر عن العوامل المسؤولة عن الاختلافات المسجلة بين اللغتين البونية والفينيقية، فإن النماذج المدروسة تبين بجلاء أهمية العلاقات اللغوية بين البونية والفينيقية، وصلة الأولى بالثانية. لكن هذه الخلاصة تبقى محدودة بحدود المعطيات التي وفرتها النقائش الفينيقية والبونية لحد الآن. ذلك أن الجزء الأعظم من مكونات اللغة البونية ما زال مجهولا بالنسبة إلينا.

كما أن الدراسات المنجزة اعتمدت بالأساس على نقائش موقع قرطاج دون باقي المواقع القرطاجية الإفريقية الأخرى. ولهذا، فإن المعطيات المتوفرة لا تسمح بمعرفة المدى

1- نفسه، ص. 143.

2- نفسه، نفس الصفحة.

3- نفسه، ص. 144-145.

4- FERJAOUI A., À propos des inscriptions mentionnant les Suffètes et Rabs dans la généalogie des dédicants à Carthage, dans *ACISPP, II*, Roma 9-4 novembre 1987, Vol. II, Roma, 1991, pp. 479-483, p. 483.

الذي بلغته التغيرات التي عرفتها اللغة البونية في شموليتها مما يستوجب الحذر عند تقييم الأسس الفينيقية والإضافات الليبية في باقي عناصر تلك اللغة.

ويبدو أن الاختلافات الموجودة بين النقائش القرطاجية ونقائش الشرق الفينيقي تبرز في مظاهر أخرى زيادة على التغييرات الصواتية، خاصة عندما يتعلق الأمر باستعمال البونيين لصيغ وألفاظ لم تكن معروفة عند الفينيقيين. الأمر الذي يتطلب استحضار المعطيات اللغوية والبشرية للمجال الإفريقي الذي انتشرت به اللغة البونية، وأهمية التفاعل المحتمل حصوله بين لغة الفينيقيين ولغة السكان الليبيين، أي اللغة الليبية، أو الأمازيغية في شكلها القديم.

الفصل الثاني:
العلاقات اللغوية بين البونية والليبية

1- إشكالية تزامن اللغتين البونية والليبية بالمجال القرطاجي:

1-1 - الأساس اللغوي المحلي بالمجال القرطاجي:

تستلزم دراسة الوضع اللغوي بالمجال القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم خلال الفترة القرطاجية استحضار المعطيات التمهيدية التالية:

- أولا: من الناحية المجالية، يطرح استقرار الليبيين بالمجال القرطاجي الإفريقي كما حددناه سالفا (انظر الفصل الثاني من الباب الثاني) ضرورة توسيع مجال البحث في الوضع اللغوي خلال الفترة القرطاجية ليشمل مجموع المجال الإفريقي الذي توسعت به قرطاج، وعدم الاقتصار على دراسة انتشار اللغة الفينيقية بقرطاج ومجالها الإفريقي، وظروف تحولها نتيجة تطورات داخلية إلى لغة بونية دون الاهتمام بالمكون اللغوي المحلي.

- ثانيا: من الناحية البشرية، تميز المجال الإفريقي الذي توسعت به قرطاج-كما توصلنا إلى ذلك في هذه الدراسة(انظر الفصل الثاني من الباب الثالث)-بغلبة العنصر الليبي الذي استوطن جزءا مهما من البلاد الإفريقية التي خضعت للحكم القرطاجي، أو تلك التي امتد إليه الإشعاع الحضاري لقرطاج، ولهذا مدلول في سياق دراسة الوضع اللغوي خلال الفترة القرطاجية.

- ثالثا: من الناحية اللغوية، يعد استمرار استعمال الليبيين للغتهم الأم كأداة للتخاطب اليومي خلال الفترة القرطاجية أمرا بديهيا، وليس بحاجة إلى دليل في النقائش المكتوبة. ذلك أن استمرار تداولها في صيغة لهجات إقليمية إلى وقتنا الحالي، رغم تسرب مكونات لغوية أخرى إلى المنطقة يعد دليلا على المقاومة التي تمثلها اللغة. ولهذا، فإن استبعاد هذا الأساس اللغوي المحلي من أية دراسة تروم البحث في الوضع اللغوي خلال الفترة القرطاجية معناه التسليم مسبقا بانقراض اللغة الليبية[1] بمجرد مجيئ الفينيقيين لصالح اللغة الوافدة.

1- يستعمل توصيف «ليبية» للإشارة إلى لغة النقائش الليبية القديمة مما يطرح السؤال بصدد التسمية التي يجب إطلاقها على لغة سكان شمال إفريقيا منذ الفترة القديمة وإلى غاية وقتنا الحاضر إذا نحن سايرنا نظرية الاتصال بين لغة النقائش واللغة

-رابعا من الناحية الكرونولوجية: يلاحظ أن اللغة الليبية، أو لهجاتها، كانت قديمة بالمنطقة عندما وصل إليها الفينيقيون. فمع تأسيسهم لأوتيك (1101 ق.م)، ثم بعدها ذلك بقرطاج (814 ق.م)، ووصلوا إلى مراكز أخرى بسواحل السرت، كانت لغتهم بفينيقيا بالكاد قد اتخذت خصائصها كلغة مستقلة عن جذع اللغات السامية الشمالية الغربية. فلا تتجاوز أقدم آثار الفينيقية بمجالها بالساحل السوري اللبناني الفترة المتراوحة بين القرنين 13 و11 ق.م، بحيث لا يصح الحديث عن لغة فينيقية مستقلة إلا انطلاقا من ذلك التاريخ[1]، خاصة بعد أن اتضح اختلافها عن اللغة الأوغاريتية العائدة إلى القرن 14 ق.م في عدة أوجه[2]. بينما ظهرت اللغة الليبية بشمال إفريقيا والصحراء، باعتبارها لغة تخاطب، منذ فترات قديمة جدا، حددتها الباحثة مليكة حشيد بالعصر الحجري الحديث (حوالي 7000-8000 ق.م)[3].

1-2 - التجاور المجالي والزماني للغتين البونية والليبية:

انتشرت اللغة البونية بعدد من مناطق شمال إفريقيا، سواء تلك التي شملتها السيطرة القرطاجية المباشرة (السواحل التونسية والليبية الحالية)، أو التي امتد إليها النفوذ التجاري القرطاجي (السواحل الجزائرية والمغربية الحالية)[4]. أما إذا ركزنا على المجال المباشر للسيطرة القرطاجية، فقد عثر به على عدد كبير من النقائش البونية. مع ملاحظة تركزها بموقعي قرطاج وأوتيك، ومنطقة رأس بون بالوطن القبلي. كما تنتشر بالساحل الشرقي التونسي[5]، ووسط

الأمازيغية الحديثة. اختار الباحثون الأوربيون الذين درسوا لغة المنطقة تسمية «بربرية» للإشارة إلى اللهجات المنتشرة بمجال جغرافي شاسع يشمل شمال إفريقيا والصحراء وجزءًا من ساحل غرب إفريقيا، في حين احتفظوا بتسمية «ليبية» للإشارة إلى لغة النقائش. تجد تسمية «بربر» جذورها في الفترة القديمة عندما استعملها الإغريق، ثم الرومان لمّا أطلقوها-بشكل عام- على الشعوب الأجنبية عن حضارتهم، بما في ذلك سكان شمال إفريقيا، دون أن تعني حصرا هؤلاء الأخيرين ، وإنما قُصد بها جميع الشعوب الخارجة عن الحضارة الرومانية مما يفيد أن «بربر» ليس اسما موحدا لشعب بعينه. استُعملت التسمية لاحقا في المصادر العربية الوسيطية. ونجد من الأفضل استعمال تسمية «أمازيغية» للإشارة إلى لغة سكان المجال المذكور بحكم شمولية المصطلح، دون الارتهان بالجدل الذي يحيط بمسألة قدم استعماله في العصر القديم من عدمه.

1- BORDREUIL P., Épigraphes phéniciennes sur bronze, sur pierre, et sur céramique, dans *Archéologie du Levant*, Lyon, 1982, pp. 179-186, p. 186; FÉVRIER J.-G., Les fouilles de Byblos et la date de l'alphabet phénicien, dans *JA*, T. CCXVI, 1948, pp. 1-10, p. 2.

2- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 175.

3- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 168.

4- تكثر النقائش البونية- خارج المجال القرطاجي الإفريقي - بشرق الجزائر (گملة وقسنطينة)، أي بمجال الممالك النوميدية. في حين تقل كلما اتجهنا غربا، أي بالمغرب.

5- نذكر منها المواقع الآتية: سوسة، قصيبة سوسة، السميرات (قرب مكنين)، التلالسة (قرب مهدية)، قابس، سيدي خليفة (قرب النفيضة)..إلخ.

وشمال غرب تونس[1]. وهناك أدلة على استعمالها بمناطق أبعد باتجاه الجنوب والشرق، وخصوصا بالجنوب الشرقي الصحراوي التونسي[2]، وبمواقع بالساحل الليبي الحالي[3].

إذا كان ستيفان كسيل قد بادر إلى افتراض استعمال كل أفارقة المجال القرطاجي الإفريقي للغة البونية في مختلف الميادين الإدارية والاقتصادية والعسكرية، حتى لو لم يتعلموها في «المدارس»[4]، فإن استقراء التوزيع المجالي للنقائش البونية دفع الباحثين إلى ترجيح فكرة مؤداها أن استعمال البونية اقتصر خلال الفترة القرطاجية على المدن[5]. دافع منصور غاقي عن هذه الفكرة دون أن ينفي احتمال تداول اللغة البونية بأرياف المدن التابعة لسلطة قرطاج، وفَسّر عدم العثور على نقائش بونية بالأرياف بإكراهات اقتصادية متمثلة في ارتفاع أتعاب الكتبة والنقاشين مقابل تواضع إمكانيات سكان الأرياف[6].

من ناحية أخرى، يمكن أن يكون لغياب آثار مادية على استعمال البونية في المجال الريفي تفسيرا آخر، حتى ولو لم تكن هنالك علاقة أكيدة بين استعمال الكتابة وتداول اللغة. فمن الممكن تفسير انعدام النقائش ببطء تأثير اللغة البونية نحو داخل البلاد، حيث تستقر الساكنة المحلية الليبية والنوميدية. ففي مقابل انتشارها بالسواحل والسهول، حيث يفترض انتشار ذوي الأصول الفينيقية، نلاحظ أن بعض المناطق، لا سميا المناطق الجبلية، بقيت بمعزل عن تلك الدينامية اللغوية بالنظر لاحتمال استعمال لهجات محلية ليبية[7].

وهنا تطرح مسألة استعمال اللغة الليبية القديمة إلى جانب اللغة البونية بالمجال القرطاجي الإفريقي: فهل حافظ السكان الليبيون والنوميديون المستقرون بالأرياف والمدن الواقعة بداخل الأراضي وبالمدن الساحلية على لغتهم الأم؟ أم تخلوا عنها بسبب تأثير استعمال

1- يتعلق الأمر على سبيل المثال بمواقع مكثر واللاس ومديدي وألتيبوروس (Althiburos) بولاية الكاف.

2- نشير هنا إلى موقعي موقعي هنشير زيان (قرب بوغرارة) وتطاوين. بخصوص مواقع انتشار النقائش البونية راجع:
فنطر (محمد حسين)، حول النقائش البونية، مرجع سابق، ص. 4-5، نفسه، معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان، مرجع سابق، ص. 12.

3- LEVI DELLA VIDA G., Iscrizione punico da Sabratha, dans *LA*, T. VIII-IX, 1966-1967, pp. 9-11, p. 9; Id, Le iscrizione neopuniche della Tripolitania, dans *Libya*, T.2, 1927, pp. 1-26, passim.

4- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p.108.

5- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 90.

6- Ibidem.

7- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 200.

اللغة البونية في مختلف الأغراض باعتبارها لغة رسمية للدولة القرطاجية؟

إذا كان غياب النقائش البونية في عدة مناطق من المجال القرطاجي الإفريقي قد يفسر بتمسك الليبيين بلغتهم الأصلية، فإن الاستناد فقط إلى توزيع النقائش قد يعطي صورة غير دقيقة حول انتشار اللغة البونية، ووضعيتها إزاء اللغة الليبية. ذلك أن النقائش المكتشفة تعكس فقط اللغة الرسمية التي اعتمدتها الدولة القرطاجية لأغراض متنوعة، وخاصة الأغراض الدينية.

لقد استعملت تلك اللغة في كتابة الوثائق العامة كالتعريفات القربانية، وقوائم التقدمات، والأنصاب التذكارية، والجنائزية والنذرية[1]. كما استعملت أيضا في الكتابات الأدبية كما يتضح من إشارة سالوستيوس إلى الكتب البونية[2]، ومؤلفات عالم الزراعة القرطاجي ماغون بنفس اللغة[3]، وكذلك الحديث عن مكتبة قرطاج، وما احتوته من مؤلفات بونية.

وتكشف النقائش عن وجود كتبة مختصين في نقش الكتابات لفائدة العموم كما يتضح من وجود لقب «سفر» (ספר) بمعنى «كاتب» في نقائش قرطاج[4]، ولقب رئيس الكتبة «رب سفرم» (רבספרם) في نقائش الحفرة بقسنطينة[5]. ولا يستبعد أن هؤلاء الكتبة احتكروا استعمال الكتابة واللغة الرسميتين في الأغراض المدنية، بينما اضطلع الكهنة بدور ما في الاستعمالات الدينية.

ولهذا، فالغالب على الظن أن استعمال اللغة المكتوبة لم يكن في متناول الجميع، وأن فئة قليلة من السكان هي التي كانت قادرة على تعلم اللغة البونية في «المدارس». أما فيما يتعلق بلغة التخاطب اليومي، فنجد من المنطقي أن يحافظ السكان الليبيون والنوميديون، خاصة بالمناطق التي لم ينتشر بها المهاجرون الفينيقيون، أو كانوا أقلية بها، على لغة أجدادهم، أي شكلا معينا من اللغة الليبية القديمة.

ومن ناحية أخرى، يُفترض ظهور لهجات وسيطة في المناطق التي عرفت اختلاطا بشريا بين الفينيقيين والمحليين كما يستفاد من بعض النصوص القديمة. فقد أخبرنا سالوستيوس

1- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p.221.
2- SALLUSTE, *GJ*, XVII, 8.
3- VARRON, apud PLINE L'ANCIEN, *HN*, III, 3, 3.
4- CIS I, 240-242 ; 273 ; 277.
5- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, marge n° 281.

أن لغة سكان لبدة شهدت تغييرات مهمة بسبب الاختلاط بين الفينيقيين والليبيين[1]. وأشار سيليوس إيطاليكوس إلى قبائل إفريقية تتكلم لغتين[2]. بينما زعم بومبونيوس ميلا أن عددا قليلا فقط من سكان منطقة لبدة حافظوا على لغتهم[3]. وانطلاقا من معطيات النصوص المشار إليها أعلاه اعتبر مرسيي أن المجال القرطاجي عرف استمرار تداول اللغة الليبية بموازاة نشوء لهجات محلية[4]، بالإضافة طبعا للغة البونية.

إذا كان التوزيع المجالي للنقائش يسمح بافتراض انتشار واسع للغة البونية مجاليا، فإنها لا تكفي لمعرفة مدى اتساع استعمالها من طرف سكان المجال القرطاجي الإفريقي، والاستنتاج تبعا لذلك أن استعمالها تم على حساب اللغة الليبية. فالمفروض أن الأخيرة، ربما، بلهجاتها المختلفة هي لغة عتيقة للسكان المحليين، وجزء من مقوماتهم الحضارية، ومن المنطقي أن يواظبوا على استعمالها في مختلف الأغراض.

وينطبق هذا الأمر بشكل خاص على الليبيين والنوميديين الذين لم يتأثروا كثيرا بحضارة قرطاج. تنضاف إلى ذلك أن لغة التداول اليومي - خصوصا في المناطق البعيدة عن المدن، والتي تعد منطقيا الأكثر اتساعا من الناحية المجالية إذا ما قورنت بمجال اللغة البونية المستعملة في الكتابة بالمدن-والتي لا تترك في الغالب آثارا مادية يمكن أن تبرهن على مدى استعمالها على خلاف اللغة المكتوبة.

فما هي القرائن التي تنفي أو تدعم فرضية استمرار تداول اللغة الليبية إلى جانب اللغة البونية بقطع النظر عما يستخلص من إعمال العقل والمنطق؟ هل هناك آثار مكتوبة تدل على استعمال اللغة الليبية بالمجال القرطاجي، وبالتالي مزامنتها للغة البونية؟ هل اقتصر تراجع اللغة الليبية على مستوى الكتابة فقط؟ أم تعدى ذلك ليشمل لغة التخاطب اليومي؟

يساعدنا البحث عن انتشار الكتابة الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي على توفير بعض عناصر الإجابة عن الأسئلة المطروحة مع الأخذ بعين الاعتبار ملاحظاتنا السابقة بشأن مدى إفادة النقائش في إعطاء فكرة عن اللغة المستعملة. استخلص الباحثان الحسين فنطر ومنصور

1- SALLUSTE, *GJ*, LXXVIII, 4.
2- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, II, 56.
3- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 200.
4- Ibidem.

غاقي من خلال ملاحظة توزيع النقائش الليبية أن اللغة الليبية لم تصمد طويلا أمام تقدم اللغة البونية في المجال القرطاجي، باستثناء المناطق المعزولة التي لم يصلها التأثير الفينيقي-البوني، ولا سيّما في الجبال والفلوات[1]، وأن البونية هي التي اقتحمت مجال الليبية، وليس العكس[2].

ومن بين الأدلة التي سيقت للبرهنة على هيمنة اللغة البونية، مقابل اقتصار استعمال الليبية على الجبال والأرياف، نذكر انعدام آثار مادية لاستعمال اللغة والكتابة الليبيتين بالمجال القرطاجي الإفريقي. علما أن هذا الرأي ينبني أساسا على فهم معين للمجال القرطاجي بجعله ضيقا ومقتصرا على الزاوية الشمالية الشرقية لتونس الحالية، بينما هو، في الواقع، أوسع من ذلك بكثير[3]. ميز الباحث غاقي، انطلاقا من ملاحظة توزيع النقائش الليبية والبونية، بين مجالين لغويين مختلفين: مجال لغوي أول خاص باللغة البونية في البلاد التي تقع تحت سيطرة قرطاج، ومجال لغوي ثان خاص باللغة الليبية يشمل المناطق التي لا تقع تحت نفوذ قرطاج[4].

حقا، لم تكتشف لحد الآن نقائش ليبية بموقع قرطاج. كما ظلت آثار الكتابة الليبية منعدمة بالسواحل التونسية والليبية التي خضعت لقرطاج وبالجزر القريبة منها، وبسهول الحوض الأسفل لمجردة وسليانة ومنطقة رأس بون، أي أن آثار اللغة الليبية تنعدم بصفة عامة بمجال سيطرة اللغة البونية على الأقل خلال فترة الحرب البونية[5]. كما لم يعثر على نقائش ليبية أو ليبية- بونية في المدن الكبرى الخاضعة لقرطاج مثل أوتيك، وأدروميتوم، ولمطة الكبرى... إلخ. وقد يفسر ذلك -نظريا- بسيطرة اللغة البونية كلغة رسمية. وتبعا لهذه الملاحظة تم حصر آثار اللغة الليبية في المجالين النوميدي والموري[6].

غير أن استبعاد الليبية من مجال سيطرة البونية لا يبدو نهائيا، ويصعب الحسم فيه، فقد ظهرت مستجدات في ميدان النقائش الليبية بالمجال الذي اعتُبر خاصا بالبونية مما أظهر

1- فنطر (محمد حسين)، حول النقائش البونية، مرجع سابق، ص.6.

2- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p. 106.

3- أبدينا ملاحظات نقدية بخصوص ما أسميناه «المجال القرطاجي الإفريقي» اعتمادا على معيار التبعية السياسية لقرطاج، وبيّنا، بتوظيف وثائق متنوعة، أن ذلك المجال كان أوسع بكثير مما ظل سائدا في الدراسات الفينيقية-البونية. إن حرصنا على التذكير بحدود هذا المجال متأت من كون مظاهر الحضارة القرطاجية المدروسة في هذا العمل ترتكز بشكل خاص على تصور معين للمجال القرطاجي، تصور مدعوم طبعا بأدلة ومعطيات مادية وأدبية. بخصوص اتساع المجال القرطاجي الإفريقي، خصوصا من جهات الغرب والجنوب والشرق، انظر ما كتبناه في الفصل الثاني من الباب الثاني من الكتاب.

4- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p. 94.

5- Ibid, p. 100.

6- Ibidem.

صعوبة التمييز بين مجال لغوي بوني وآخر ليبي، وأن الليبية ليست ظاهرة لغوية مرتبطة بداخل الأراضي، بل انتشرت أيضا بالمناطق الساحلية.

لقد اكتشفت خربشات ليبية بحانوت جبل المنقوب قرب سيدي محمد الأطرش (الحمامات بالجنوب الشرقي للوطن القبلي)، وعلى مقربة من الساحل. كما تم اكتشاف نقيشة ليبية جديدة بضفاف سبخة حلق المنجل[1] بولاية سوسة غير بعيد عن الساحل الشرقي. هذا علاوة على بقايا مواقع بالجنوب الشرقي التونسي غير بعيدة من الساحل كما هو الشأن مثلا بالنسبة لنقيشة هنشير الخنافير[2] قرب مطماطة[3]، ونقائش قابس[4]، وقصر كوتين بولاية مدنين[5]. ولئن كانت مزامنة هذه النقائش للفترة القرطاجية تبقى أمرا غير مؤكد بسبب صعوبة تأريخها، فإن وجود نقائش محلية بهذا المجال بُعيد سقوط قرطاج يمثل دليلا على قدم استعمال الكتابة بالمنطقة، ولا موجب لاعتبار أن استعمالها برز فجأة، ومن عدم بعد سقوط قرطاج.

يتضح مما سبق أن اللغة الليبية قد تجاورت مع البونية في عدد من أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي مما يقلل-ولو نسبيا-من إطلاقية الحكم بغياب الليبية بمجال البونية إذا اعتبرنا مناطق السرت جزءا من المجال القرطاجي الإفريقي. ولهذا يصعب، في ظل المعطيات الحالية، الحديث عن وجود مجال خاص باللغة البونية اللهم إذا كان الأمر يتعلق باللغة المكتوبة، أما تعميم ذلك على لغة التخاطب اليومي، فليس له أدلة تدعمه. ويستحسن إعادة النظر في مثل هذا التقسيم اللغوي لاعتبارات أخرى لا ترتبط بوجود النقائش الليبية من عدمه.

ومن تلك الاعتبارات، أن التمييز بين مجال خاص باللغة والكتابة البونيتين ويوافق مجال السيطرة القرطاجية، ومجال الكتابة واللغة الليبيتين، ويطابق ممتلكات النوميديين غرب قرطاج نابع من محاولة إيجاد علاقة بين مواقع انتشار الكتابة الليبية والحدود السياسية الناتجة عن نتائج الحرب البونية الثالثة من جهة، وبين تاريخ ذلك الحدث، وتاريخ أقدم نقيشة

1- Id, Le libyque, p. 17.

2- CHABOT J.-B., RIL, 1er fascicule, Imprimerie nationale, Paris, 1940, n° 63-67.

3- انظر خريطة توزيع النقائش الليبية بتونس في مقال منصور غاقي:

- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p.94 .

4- RIL, I, 58-59.

5- RIL, I, 68(3 fragments).

ليبية- وهي نقيشة ثوگا (دقة) المؤرخة بحوالي 138 ق.م- من جهة ثانية، وكأن اللغة والكتابة لم يعرفا طريقهما إلى المجال النوميدي (غرب تونس) الذي كان تابعا لقرطاج إلا بعد سقوط الأخيرة إثر الحرب البونية الثالثة، حيث سينتقل ذلك المجال لسيطرة مملكة نوميديا الشرقية.

ويدفعنا الحديث عن مجال لغوي خاص بالبونية إلى طرح السؤالين التاليين: هل كان المجال الجغرافي الذي استُعملت به اللغة البونية خاليا تماما من السكان الليبيين؟ هل تعلّم هؤلاء الليبيون-بعد استقرار الفينيقيين ببلادهم-اللغة البونية، وأصبحوا يستعملونها في حياتهم اليومية عوض لغتهم الأصلية؟

وكمساهمة في توفير عناصر أولية للإجابة عن السؤالين أعلاه نذكّر بما سبق أن عرضنا له في فصول الباب الثاني من هذه الدراسة بخصوص أهمية الساكنة الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي، حيث يتضح بأدلة مادية ملموسة في المصدرين الأدبي والأثري استقرار الليبيين بشكل مكثف بذلك المجال. إذا أخذنا هذا المعطى بعين الاعتبار، فسيكون من الصعب معرفة اللغة التي كانت مستعملة بالمجال القرطاجي الإفريقي بالاعتماد فقط على النقائش المكتوبة المكتشفة لحد الآن.

فمادامت اللغة البونية لغة رسمية، تتعلمها وتدرُسها النخب القرطاجية، أو ذوو الأصول الفينيقية، فمن المرجح أن لهجات التخاطب الشفوي كانت هي الغالبة خلال الفترة القرطاجية بالمقارنة مع اللغة المكتوبة لأن حظ الغالبية الساحقة في تعلم اللغة والكتابة في «المدارس» يبدو ضئيلا. وتبعا لذلك، نرجح أن معظم سكان المجال القرطاجي من الليبيين والنوميديين قد حافظوا على شكل من الليبية القديمة باعتبارها لغة للتواصل الشفهي اليومي. مما يعني أن المجال القرطاجي الإفريقي قد عرف تجاورا بين لغتين، واحدة تطورت عن الفينيقية، وأخرى محلية أصيلة. وتقودنا هذه الفكرة إلى طرح السؤال بصدد وجود مجال خاص بالليبية: هل يصح الحديث بداخل المجال القرطاجي الإفريقي عن مجال تسود به الليبية لوحدها دون البونية؟

إذا سايرنا فكرة وجود مجال خاص بالليبية، فإن ملاحظة التوزيع المجالي للنقائش الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي من شأنه إعطائنا فكرة عن مدى انتشار اللغة الليبية، وأهميتها في حياة السكان المحليين، وبالتالي تقييم صحة فكرة تجاورها مع البونية كما بيّنا أعلاه. وهكذا تنتشر النقائش الليبية بالمجال النوميدي الذي كان تابعا لقرطاج (وسط تونس

وشمال غربها)، واقتطع النوميديون أجزاء منه تواليا خلال الحربين البونيتين الثانية والثالثة، حيث نجدها في السهول والتلال التونسية، وجنوب الظهير التونسي في مواقع ثوگا، ومكثر، ومغراوة، وهنشير غياضة، وتبرسق[1]، وبمواقع أخرى بوسط البلاد[2].

ويلاحظ أن النقائش الليبية تتجاوز بكثير ما اعتُبر مجالا للغة الليبية، أو ما يسمى ب«البلاد النوميدية». فقد سبق لنا الإشارة إلى بقاياها بداخل ما اعتبر مجالا خاصا بالبونية، وخاصة بالقرب من الساحل(نقيشة جبل المنقوب قرب سيدي محمد الأطرش، وسبخة حلق المنجل قرب سوسة)، وبمواقع بالجنوب الشرقي (هنشير الخنافير، وقابس، وقصر كوتين). إضافة إلى نقائش أخرى بالجنوب الغربي والشرقي لتونس[3] وبالسواحل الليبية الحالية[4].

ويستفاد من هذا التوزيع أنه لا يمكن حصر مجال الكتابة واللغة الليبيتين فيما يعرف بالبلاد النوميدية، لأن النقائش أثبتت أن الليبية تجاوزت ذلك المجال باتجاه الجنوب والشرق، أي بسواحل السرت الكبرى والصغرى وبداخل الأراضي. (انظر الخريطة رقم 4). قد لا تكون هذه الوثائق ذات أهمية من الناحية الكمية، لكن لا يمكن إنكار دلالاتها لجهة تأكيد تداول اللغة الليبية في المجال القرطاجي الإفريقي الذي كان تابعا للدولة القرطاجية، وليس فقط بالبلاد الإفريقية التي اقتطعها النوميديون بعد الحرب البونيتين الثانية والثالثة.

وإجمالا، تبقى الأفكار المستخلصة انطلاقا من توزيع النقائش، سواء البونية أو الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي مؤقتة، ونتائجها نسبية ومحدودة بحدود المعطيات الحالية. ذلك أن اكتشاف نقائش ليبية جديدة في المجال الذي اعتبر مجالا خاصا باللغة البونية وحدها من شأنه تغيير كل الأطروحات التي صيغت في الموضوع. فإذا انطلقنا فقط من تاريخ نقيشة ثوگا، سنجد أنه لا معنى للاعتقاد بأن سكان المدينة لم يستعملوا اللغة أو الكتابة الليبية إلا بعد أن افتكها النوميديون من قبضة القرطاجيين.

1- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p. 96 ; RIL, I, 8 ; 8bis ; 10-51 ; POINSSOT L., Inscriptions libyques de Tunisie, dans *Rev. Tun.*, n° 13-14, 1er et 2è Trimestre 1933, pp. 19-30, passim.

2- RIL, I, 72-89; et n° 52-54.

3- RIL, I, 58-70 ; POINSSOT L., Inscriptions libyques de Tunisie, p. 29.

4- REBUFFAT R., Graffiti en libyque de Bu Njem, dans *LA*, Vol. XI-XII, 1974-1975, pp. 165-187, p. 165.

وعلى ضوء ما سبق، يبدو من غير الممكن الحديث عن تقسيمات مجالية تفصل بين مجال استعمال البونية والليبية، واستبعاد استعمال اللغة الليبية باعتبارها اللغة الأم بالنسبة لكتلة هائلة من الساكنة المحلية التي كانت مجالاتها خاضعة للحكم القرطاجي. ولا يمكن اعتبار قلة النقائش الليبية دليلا نهائيا وحاسما للاستنتاج بوجود مجال خاص باللغة البونية، فغياب النقائش يشمل أيضا معظم مناطق شمال إفريقيا بما فيها تلك التي لم تثبت تبعيتها لقرطاج. ذلك أن عدم العثور على النقائش بمجال معين لا يعني بالضرورة عدم استعمال لغة معينة به، فإذا قارنا مثلا مجال المدافن المنسوبة للسكان الليبيين بالمجال القرطاجي الإفريقي بمجال توزيع الكتابة الليبية سنجد تناقضات كثيرة تدعم ما ذهبنا إليه.

لقد اكتشفت آثار الكتابة الليبية في مناطق الصروح الميغاليتية بالتلال والسهول التونسية(دقة ومكثر والظهير التونسي عموما)، وهي مناطق سادت بها التأثيرات القرطاجية. وعلى خلاف ذلك تنعدم آثارها في مجال الحوانيت (رأس بون ومقعد وخمير) الذي يحتضن قبورا محلية تقل بها التأثيرات القرطاجية[1]. ويُضاف لما سبق أن النقائش كُتبت بشكل مزدوج في بعض مناطق المجال القرطاجي الإفريقي، أي باللغتين البونية والليبية في عدة مواقع من بينها دقة، وبرج هلال، ومكثر بوسط وغرب تونس[2].

غير أن معرفة تجاور اللغتين والكتابتين يطرح إشكالا كرونولوجيا يرتبط بصعوبة إثبات تزامن استعمالهما خلال الفترة البونية ما دام أن النقائش الليبية التي أشرنا إليها تؤرخ بفترات لاحقة لسقوط قرطاج[3]. وإذا كان محتوى بعض النقائش قد ساعد على عملية التأريخ، فإن العثور على أخرى خارج أي سياق أثري مضبوط يجعل تأريخها قائما على افتراضات قابلة للنقاش. ومع ذلك تقدم النقائش المزدوجة إفادات مهمة في هذا الإطار.

فإذا كان أقدم نص من هذا النوع (نقيشة ثوگا) يؤرخ حسب معظم الباحثين بحوالي 138 ق.م، فإن هذا التاريخ - رغم كونه لاحقا لسقوط قرطاج- يمثل مؤشرا على ما كان عليه الأمر قبل ذلك، أي استعمال اللغة والكتابة الليبيتين خلال فترة السيطرة القرطاجية، إذ ليس

1- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, p. 96.
2- Ibid., p. 105.
3- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 322; CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, p. 67-68.

من المنطقي أن نحصر تلك الممارسة بالفترة التي أرخت بها النقيشة، حيث لا يستبعد أن يكون ذلك نتيجة للتفاعل الذي حدث بين اللغتين قبل الربع الثاني من القرن 2 ق.م، تاريخ افتكاك جزء من البلاد النوميدية من السيطرة القرطاجية.

كما أن ربط استعمال اللغة الليبية بالمناطق المذكورة بفترة السيطرة النوميدية هناك بحجة أن الملوك النوميديين هم من عمل على استعمال اللغة الليبية في الوثائق الرسمية لا يبدو دقيقا، وإلا فبماذا نفسر تفضيل اللغة البونية كلغة للكتابة في عواصم الممالك النوميدية نفسها؟! لقد مكنت محاولات تأريخ الأنصاب الليبية التي عثر عليها بغرب تونس، بالإضافة إلى إفادات تأريخ النقائش الليبية المكتشفة بالمجال القرطاجي الإفريقي، من طرح مسألة قدم استعمال اللغة الليبية بالبلاد النوميدية التي استولى عليها الملوك النوميديون عقب الحربين البونيتين الثانية والثالثة.

فقد تم تأريخ بعض الأنصاب بالقرن 3 ق.م[1]، وهناك من اقترح إرجاعها إلى القرن 4 ق.م[2]. علما أن حروفا ليبية على إحدى الشقف الخزفية في تيديس *(Tiddis)* التي لا تبعد كثيرا عن ثوگا قد أرخت بما بين 350 و150 ق.م[3]. ومن هنا يمكن النظر لتداول الكتابة واللغة الليبيتين في مناطق كانت خاضعة لقرطاج مثل ثوگا، ومكثر، وتبرسق بمثابة مؤشر يبين صمود تلك اللغة، واستمرارها بتلك المناطق رغم تأثير البونية كلغة رسمية، وبالتالي تمسك السكان المحليين الذين خضعوا للحكم القرطاجي بلغتهم الأم.

وبناء على المعطيات التي أشرنا إليها، نتفق مع الرأي الذي عبر عنه لبينسكي لما طرح فرضية استمرار اللغة الليبية إلى جانب اللغة البونية في الأرياف والمدن على حد سواء[4]، وكذلك رأي كامبس، ومفاده أن الأنصاب والنقائش المزدوجة ونقائش الحوانيت تعطي فكرة عن استمرار تداول اللغة الليبية في البلاد الإفريقية[5] التابعة لقرطاج.

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 181.

2- GALAND L., Les alphabets libyques, p. 70.

3- CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, dans *BCTH*, n.s, n°10-11, fasc. A, 1977, pp. 143-166, p. 156.

4- LIPINSKI E., Langue, dans *DCPP*, p. 254.

5- CAMPS G., 1987, Protohistoire de l'Afrique du Nord : questions de terminologie et de chronologie, p. 55.

وتبدو فكرة كسيل بشأن تشبث بعض الليبيين بالإرث اللغوي القديم، وتفضيل آخرين استعمال الكتابتين واللغتين معا[1] منطقية ومقبولة بالنظر للوضع البشري بالمجال القرطاجي الإفريقي. وكيفما كان الأمر، فإن المعطيات المتوفرة تسمح، على الأقل، بتأكيد تزامن استعمال اللغتين، وعدم اندثار اللغة الليبية نتيجة انتشار اللغة البونية، رغم الغموض الذي يلف حاجة نفس الساكنة إلى التعبير، وبنفس المجال، بلغتين وكتابتين مختلفتين كما تدل على ذلك النقائش المزدوجة[2].

ورغم أهمية ما ذكرنا سابقا من تجاور اللغتين مجاليا، وإلى حد ما زمانيا، فإن ضعف استعمال اللغة الليبية، مقارنة بالبونية، كلغة لكتابة مختلف الوثائق خلال الفترة القرطاجية يبقى أمرا غير مفهوم، ولو أن الانتشار المجالي الواسع للسكان الليبيين والنوميديين يوحي بأن ذلك الاستعمال كان واسعا، إذ لا نعثر خارج ثوگا على دليل يثبت استعمال اللغة الليبية في الوثائق الإدارية، حيث استعملت في باقي النقائش الليبية المكتشفة بالمجال القرطاجي الإفريقي لأغراض دينية.

ويمكن افتراض عدة أسباب لتراجع دور الليبية في الوثائق الإدارية، ومنها أن هذا الدور قد أوكل حصرا للبونية باعتبارها لغة «رسمية» للدولة القرطاجية[3]. ويمكن تفسير ذلك أيضا بضعف تقاليد الكتابة عند الليبيين مقارنة بالفينيقيين، وقلة الكتبة والعارفين بتلك الكتابة التي بدأ استعمالها يضيق بفعل هيمنة البونية[4]. وقد يرجع ذلك لطغيان التداول الشفوي عند الليبيين[5]، وهو أمر محتمل بالنظر لصعوبة الحكم بتراجع اللغة الليبية كلغة تخاطب أمام تقدم اللغة البونية فقط من خلال البقايا المادية مادام أن اللغة الشفهية لا تترك بقايا مادية مباشرة. ومن ناحية أخرى، فإن استمرار اللغة الأمازيغية الحديثة في مناطق بالجنوب التونسي (جربة ومطماطة) يعطي فكرة عن صمود تلك اللغة في تلك الربوع بعد انصرام قرون على موت اللغة البونية.

1- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 107.

2- يبدو أن حرص الليبيين على استعمال كتابتهم ولغتهم إلى جانب البونية، التي كانوا ملمين بها، يعكس نوعا من المحافظة والتجذر، والرغبة في إبراز الهوية الحضارية، بحيث يمثل استعمال الليبية في الوثائق المزدوجة، وفي الأنصاب تشبثا بلغة محلية نعكس هوية الليبيين.

3- LANCEL S., *Carthage*, p. 374.

4- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 288.

5- أسمهر(محفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، مرجع سابق، ص. 300.

2 - العلاقات اللغوية بين البونية والليبية:

2-1 - عوائق دراسة التفاعل بين اللغتين:

تصطدم دراسة العلاقات اللغوية بين البونية والليبية بعدة عوائق موضوعية لعل أبرزها ضعف معرفتنا بالمكونات اللغوية لكلتا اللغتين. فبالنسبة للغة البونية، ورغم توفرنا عدد كبير من النقائش، فإن ما بحوزتنا من ألفاظ وتعابير تلك اللغة يبقى ضئيلا. وتنطبق نفس الملاحظة على المعجم الليبي لكن بحدة أكبر. ينضاف إلى ذلك عدم اهتمام الكتاب القدامى بالحديث عن لغة السكان المحليين بشمال إفريقيا بسبب جهلهم بها[1]. ولذلك تبقى النقائش الليبية هي المصدر الأساس لدراسة اللغة الليبية القديمة، ومحاولة فهم علاقتها باللغة البونية بحكم تجاور اللغتين بنفس المجال.

لقد عثر بالأقطار المغاربية، خصوصا بتونس وليبيا، على عدد كبير من النقائش الليبية، بحيث فاق عددها الألف نقيشة. غير أن دراسة تلك النصوص، وتفكيك رموزها، وقراءة ألفاظها، وفهم معانيها ما زال أمرا معقدا[2]، ونتائجه غير مؤكدة باتفاق معظم المختصين[3]. لقد اتضح من خلال المحاولات التي تمت في هذا الإطار مدى ضعف إفادة النقائش الليبية بسبب قلة الألفاظ، والصيغ، والأفعال، والتعابير، مقابل كثرة أسماء الأعلام.

ومرد فقر المعجم الليبي إلى الطابع الجنائزي والتذكاري للنقائش[4]. كما تتسم الألفاظ التي ميزها الباحثون من تلك الوثائق بعدم التنوع نظرا لتكرارها باستمرار دون أن يتمكن المختصون في اللغات القديمة من فهم معانيها[5]. ولم تساهم نقائش الصحراء في إزالة الغموض

1- انظر بعض النصوص القديمة التي تحدثت عن اللغة الليبية القديمة بشكل غير مباشر:
- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 183 ; PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 1 ; SALLUSTE, *GJ*, XVIII, 8.

2- تصدى الباحثون الأوربيون، ولا سيما الفرنسيون، في البداية لجمع النقائش الليبية ودراستها، أمثال شابو وكلاند وهالفي وفيفريي وأندري باصي، وبيراس وغيرهم. ورغم كونهم أجانب عن المنطقة، وغير ملمين بلغتها، فقد كان لهم فضل اكتشاف وتوثيق وجمع ذلك التراث اللغوي الأصيل. فإلى كلاند يعود الفضل في جمع النقائش الليبية المكتشفة في كل من المغرب والجزائر وتونس في ديوان النقائش الليبية المعروف اختصارا ب RIL، والذي اشتمل على ما يزيد عن ألف نقيشة ليبية عُثر عليها بالدول الثلاث، في حين بقيت نقائش ليبيا مشتتة في دراسات الباحثين الإيطاليين.

3- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 322; CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 39.

4- FÉVRIER J.-G., Que savons-nous du libyque, p. 264.

5- CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, p. 68.

الذي يطبع نقائش المناطق الساحلية بشمال إفريقيا، حيث تتميز بدورها بنفس خاصية الاختصار[1].

دفع ضعف النقائش الليبية إلى تركيز الاهتمام على النقائش المزدوجة (ما يناهز 20 نقيشة في مختلف أنحاء شمال إفريقيا) باستغلال التقدم النسبي الذي حصل في فهم النقائش البونية. إلا أنه إذا استثنينا نص ثوگا، فإن معظم النصوص المزدوجة اللغة تتميز هي الأخرى بقصرها، وبالتالي قلة ألفاظها، وضعف أهميتها من الناحية اللغوية. ثمة عائق آخر اعترض منذ البداية دراسة اللغة الليبية، ويتمثل في تصدي علماء اللغات السامية للبحث في قضاياها.

لقد انصب اهتمام هؤلاء عند دراسة لغة النقائش الليبية على البحث فيها عن الأصل الفينيقي، وذلك بحكم عدم إلمامهم باللغة الأمازيغية الحديثة باعتبارها أداة مساعدة على دراسة الليبية القديمة[2]، أو بسبب إنكارهم لتلك الصلة من الأساس. كما يمثل الميل المفرط والخطي للبحث في اللغة الليبية القديمة عن تأثيرات بونية محتملة، دونما إمكانية لافتراض العكس، توجها معرقلا لدراسة اللغة الليبية ككيان لغوي مستقل، وذو خصوصيات مميزة. .

2-2 - مستويات التفاعل بين اللغتين البونية والليبية:

من المنطقي تماما أن ينشأ عن تجاور مكونين لغويين مختلفين بنفس المجال الجغرافي دينامية خاصة من التفاعل على مستوى أهم عناصر اللغة، خصوصا إذا أخذنا في الحسبان المعطيات البشرية للمجال القرطاجي الإفريقي الذي استعملت فيه اللغتان الليبية والبونية. لقد بيّنا سابقا أن العنصر الفينيقي الذي أدخل اللغة الفينيقية لم يكن يعيش وحده بالمجال الشاسع الذي توسعت به قرطاج لاحقا، بل اختلط بعدد كبير من السكان المحليين الذين يفترض أنهم استعملوا لغتهم الأم كأداة للتخاطب اليومي.

تحول العوائق-التي أشرنا إليها سالفا-دون إحراز تقدم كبير في معرفة التفاعل الذي حصل على الأرض الإفريقية بين المعجم الليبي والبوني، وبالتالي لا يمكن الادعاء بأن الأبحاث

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 186.

2- كان أوائل الباحثين في اللغة البونية والليبية أقل إلماما باللغة الأمازيغية الحديثة، وكان بعضهم يجهلون كل شيء عن تلك اللغة. ويمكن الاستشهاد هنا بالرسائل المتبادلة بين أبرز من اهتموا بالأبحاث اللغوية، وهما شابو ومارصي، والتي تتضمن اتهامات متبادلة بالجهل باللغة الأمازيغية الحديثة. انظر مثلا:

- MARCY G., Réponse à M. l'Abbé Chabot, dans *Rev. Afr.*, T. LXXX, n° 371, 2è Trimestre 1937, pp. 142-158, p. 143.

اللسانية قد توفقت في تمييز الألفاظ ذات الأصل الفينيقي في اللغة البونية عن تلك المستمدة من اللغة الليبية. فإذا كانت النقائش الفينيقية في الشرق قد ساعدت على معرفة بعض الألفاظ الفينيقية المستعملة في اللغة البونية بإفريقيا، فإنه من غير المنطقي تعميم تلك القواسم المشتركة على كل المعجم البوني الذي لا تزال معظم مفرداته مجهولة.

كما ينبغي الحذر أيضا من محاولة رد بعض الألفاظ البونية التي لها معنى في اللغة العربية بصفة تلقائية إلى أصل فينيقي على اعتبار أن كلتاهما تنتميان إلى أصل «سامي»، فإذا كانت اللغة العربية قريبة من الفينيقية، فهي مختلفة عنها في نواح كثيرة[1]، وبالتالي فإن التماثل الصواتي بين بعض الألفاظ البونية والعربية لا يلغي فرضية الأصل الليبي[2] نظرا لاحتمال وجود علاقات لغوية قديمة بين اللغتين الفينيقية والليبية.

إذا قارنا بين بعض ألفاظ اللغتين من خلال النصوص المزدوجة بثوغا، سنلاحظ ما يوحي باستقلالهما عن بعضهما البعض، حيث نجد لمعظم ألفاظ النص البوني مقابلا في النص الليبي(انظر الجدول رقم 3). كما نجد ألفاظا بونية لا مقابل لها في النص الليبي مثل «واو العطف»، حيث أن النص البوني يتضمن أسماء أعلام يفصل بينها واو العطف، وهو ما لا نجده في النص الليبي، إذ كُتبت الأسماء دون وجود أداة تعوض واو العطف في النص البوني[3].

استنتج الباحثون من النقائش المزدوجة أن اللغة الليبية قد تأثرت ببعض ألفاظ المعجم البوني، سواء من خلال استعمال أسماء الأعلام المرتبطة بالأرباب القرطاجية[4]، أو من خلال الأصل البوني لبعض مفردات اللغة الليبية[5]. فهذا ما يُفهم من نقل ألفاظ بونية إلى النص الليبي دون ترجمة. ومن المرجح أن العيش المشترك بين الفينيقيين والليبيين قد أسفر عن استلهام الأخيرين لمفردات فينيقية نتيجة إدخال الفينيقيين لأفكار وأدوات جديدة لم تكن معروفة لديهم، وبالتالي اقتباس أسماء جديدة للإشارة إليها. غير أنه لا يمكن الادعاء بأن اللغة

1- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 199.

2- PEYRAS M., (Discussion) dans SZNYCER, M., Le problème de la «Mégara» de Carthage, dans *Actes du IIIè colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Montpellier 1-5 Avril 1985, CTHS, 1986, pp. 119-132, p. 132.

3- GALAND L., Observations sur l'enchaînement du récit en berbère, dans *Actes du 1er congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Alger, 1973, pp. 81-99, p. 91.

4- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 30.

5- BEHRENS P., Langues et migrations des premiers pasteurs du Sahara: la formation de la branche berbère, dans *LA*, n° 11, 1988, pp. 31-53, p. 37.

الليبية قد فقدت نتيجة لذلك سماتها كلغة مستقلة[1]. ذلك أن قلة المفردات المدروسة يدفع حسب باحثين آخرين إلى التقليل من أهمية تأثير المكون اللغوي الفينيقي-البوني في الليبية على المستوى المعجمي[2].

أما فيما يخص تأثير اللغة الليبية في اللغة البونية، فإن حضور أسماء الأعلام الليبية في النقائش البونية يمثل مؤشرا هاما على هذا التأثير المفترض الذي نجهل مداه[3]، والذي يبدو منطقيا بحكم تعايش الفينيقيين والليبيين. لكن معاني تلك الأسماء، التي ربما كانت بعضها مشتقة من أسماء الأرباب، ما تزال مجهولة لحد الآن. الأمر الذي يشكل عائقا أمام فهم دلالاتـها، وبالتالي التقرب أكثر من بعض عناصر اللغة الليبية القديمة، وهو العائق الذي لم يسعف توظيف الأمازيغية الحديثة في التغلب عليه[4].

افترض كسيل أن المعجم البوني اقتبس الكثير من ألفاظ اللغة الليبية لكن دون أن يؤثر ذلك في نظره على بنية هذه اللغة واستقلاليتها[5]. ونضيف لما ذكره كسيل احتمال تشبع اللغة البونية بمفردات من اللغة الليبية بفعل تأثير اللسان الليبي متمثلا في استعمال السكان الليبيين لتلك اللغة[6]. ويبدو الأمر منطقيا إذا أحذنا في الحسبان أمران أساسيان: أولهما طول فترة استعمال اللغة البونية من طرف الليبيين في المجال الذي توسعت به قرطاج. ثانيهما أن هؤلاء الليبيين كانوا يشكلون كتلة بشرية هائلة لن يُعدم تأثيرها في عنصر من عناصر اللغة.

انطلاقا من هذا السياق الاجتماعي والثقافي الذي واكب استعمال اللغة البونية بإفريقيا يمكننا افتراض أن ما تسرب إليها من تأثير ليبي لم يكن بسيطا، وإنما همّ التراكيب، ومخارج الأصوات التي تؤديها[7] كما سنبين لاحقا. بيد أن هذه الفرضيات الجزئية لا تحسم شيئا مما يُبقى كل الاحتمالات مطروحة للنقاش إلى أن يحرز تفكيك النقائش الليبية التقدم

1- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 199.
2- Ibid., p. 200.
3- Ibidem.
4- صعوبة توظيف لهجات الأمازيغية الحديثة في فهم اللغة الليبية القديمة لا يعني كما بينا سابقا-انعدام الصلة بينهما، ولعل مرد ذلك هو التحولات العميقة التي مسّت الليبية القديمة على مدى فترات زمنية طويلة، إضافة إلى اشتباكها مع لغات عديدة وفدت على المنطقة لتصبح على الشكل الذي هي عليه اليوم أبعد ما تكون عن لغة النقائش.
5- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 112.
6- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، ط. 2، عين مليلة، 2006، ص. 149.
7- غانم (محمد الصغير)، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، 2003، ص. 125.

الذي يسمح برصد التبادل اللغوي الذي حدث بين اللغتين انطلاقا من مقارنة عدد كاف من العناصر المعجمية والنحوية.

يعد الجانب الصواتي أحد أهم العناصر التي يمكن أن يختزن التفاعلات التي حصلت بين اللغتين. فقد مكنت النقائش المزدوجة من ملاحظة عدد من عناصر الاختلاف بين اللغتين على المستوى الصواتي. لقد بينا سابقا أن ضعف النظام الصواتي للغة البونية يمثل إحدى العناصر اللغوية المميزة لهذه اللغة عن الفينيقية. وقد فُسر ضعف الصواتم الأقصى حلقية (الألف والعين والهاء والحاء) بتأثير اللسان الليبي في نطق الألفاظ البونية[1].

وهكذا يتضح من خلال النقائش المزدوجة أن الليبيين لم يكونوا ينطقون الصواتم الحلقية البونية، وإنما استعملوها كحركات أساسية *(Matres lectionis)*[2]. ويتجلى ذلك في إبدال عدد من الصواتم البونية في النص الليبي، مثل تعويض حرف الياء بالألف (مصصكي تُصبح مصصكأ)[3]، أو إبدال العين ياء (جعيي تنطق جيياً)[4]، أو الزي هاء (زللصن تُصبح هللصن)[5]، أو اختصار أسماء الأعلام البونية (عبدشمن تُصبح شمن)[6].

يبدو أن خاصيتي الإبدال والاختزال الملاحظة على النصوص الليبية من خلال هذه الأمثلة أعلاه تُظهران إلى أي حد لم يكن الليبيون قادرون على نقل جميع الصوائت البونية إلى لغتهم. ويمكن رصد أمثلة أخرى من خلال كيفية كتابة أسماء الأعلام بين اللغتين، والذي يُمكّن من رصد عدد من الظواهر الصواتية، ولا سيّما ضعف وإبدال الصواتم، والتي ربما لحقت اللغة البونية بتأثير اللسان الليبي (انظر الجدول رقم4).

لكن هذه التحولات الصواتية المسجلة بالخصوص اعتمادا على أسماء الأعلام المفروض أن تحافظ على نفس المقابل الصوتي في النصين البوني والليبي، وإن فتحت المجال أمام الدراسة المعمقة لتأثير الصواتة الليبية على اللغة البونية، فإنها تبقى جزئية ويصعب تعميمها. فنحن

1- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج، مرجع سابق، ص. 155.
- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 180.

2- CHABOT J.-B., À propos d'inscription punique, dans *Rev. Afr.*, 72è année, n°364-365, 3è et 4è Trimestres 1935, pp. 27-34, p. 33; FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 327.

3- MARCY, G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, Cahiers de la société asiatique, V, Imprimerie nationale, Paris, 1936, p. 23

4- Ibid., p. 25

5- Ibid., p. 26.

6- GHAKI M., Le libyque, p. 11.

لا نعرف بالضبط التحولات الصواتية التي عرفتها باقي ألفاظ اللغتين الليبية والبونية، فاللغة البونية تعد حاليا لغة ميتة، وأكثر من ذلك تعتمد على كتابة الحروف الصوامت دون الحركات على غرار الليبية، الأمر الذي يجعل محاولات تحديد العناصر الصواتية للألفاظ القليلة التي بحوزتنا أمرا صعبا، وتبقى نتائجه نسبية. كما لا يمكن الادعاء بأننا واثقون من أن اختلاف رسم أسماء الأعلام ناجم بالضرورة عن تغيرات صواتية صرفة، وليس بسبب أخطاء وقع فيها الكتبة، أو نتيجة تحريف مقصود للأسماء، أو لسبب آخر نجهله.

أما بالنسبة للغة الليبية، فلا ينبغي إغفال ضعف معرفتنا بنظام الصواتة في اللغة التي استعملها الليبيون خلال الفترة القرطاجية، وتعرفنا على بعض خصائصها الصواتية انطلاقا من النقائش المزدوجة بثوگا. ذلك أن تمييز المقابل الصوتي للحروف الليبية في النقائش المزدوجة لا يتعدى 14 حرفا من ضمن حوالي 24 حرفا لا نعرف طريقة نطقها بالضبط[1]. وهذا غير كاف بالنسبة لتطور البحث في موضوع التفاعلات الصواتية بين اللغتين البونية والليبية. فعدم وجود نتائج على هذا المستوى أفضل بكثير من الركون إلى تعميمات التي لا طائل منها.

أما على مستوى النظام الصيغي والصرفي، فاعتبر الباحث مرسيي أن ثمة عناصر مشتركة بين اللغتين على هذا المستوى كما يتضح من خلال تمييز المؤنث باستعمال السابقة (تاء)، وكذلك الجمع باستعمال اللاحقة (نون)، وأحيانا (ميم). بالإضافة إلى تشابه النظام الصرفي للغتين[2]. غير أن ضعف معطياتنا حول النظام الصيغي والصرفي للغة الليبية مقارنة بالبونية لا يسمح بالقيام بدراسة مقارنة تمكن من معرفة حجم التشابه بين اللغتين على هذا المستوى.

وربطا بما سبق ذكره، فإن أهم ما يمكن استخلاصه من خلال الاطلاع على نتائج الأبحاث التي اهتمت برصد العلاقات بين اللغتين هو أنهما استعملتا جنبا إلى جنب خلال الفترة القرطاجية، مع ملاحظة السبق الذي حازته اللغة البونية في كتابة الوثائق الإدارية والدينية، مقابل ضيق استعمال اللغة الليبية في تلك الأغراض، رغم استمرارها كلغة للتداول والتخاطب الاجتماعي بالنسبة للغالبية العظمى من السكان الليبيين والنوميديين الذي خضعوا للحكم القرطاجي.

فمن المنطقي أن يسفر التجاور بين اللغتين عن تفاعلات على مستوى جميع عناصر اللغة، ولا سيّما على مستوى الصواتة والمعجم. غير أن رصد تلك الظواهر اللغوية يبقى صعبا

1- GALAND L., Les alphabets libyques, p. 74.
2- MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, p. 199.

بسبب ضعف محتويات الوثائق المتوفرة من ألفاظ اللغتين معا. هذا فضلا عن أن ذلك التفاعل ربما تجسد بشكل أعمق في لغة التداول اليومي أكثر من اللغة المكتوبة. ولعل التفاعل اللغوي الذي حدث على الأرض الإفريقية قد انعكس بالأساس على مستوى اللهجات المتداولة من خلال استعمال لهجة أكثر تحريفا من اللغة البونية الرسمية[1]، رغم صعوبة الاستدلال على هذه الفكرة بقرائن كافية.

وبناء على دراسة إشكالية علاقة اللغة الفينيقية باللغة البونية، وعلاقة هذه الأخيرة باللغة الليبية من خلال وثائق سجلنا بصددها ملاحظات نقدية عديدة يمكن الوقوف عند بعض الاستنتاجات الأولية:

أولا: ثمة قواسم مشتركة أكيدة بين اللغة البونية بإفريقيا واللغة الفينيقية في الشرق على مستوى المعجم والنظام الصيغي والصرفي والصواتي، مع وجود بعض عناصر الاختلاف بين اللغتين على المستويات المذكورة.

ثانيا: وجود تجاور مجالي وزماني في استعمال اللغتين البونية والليبية، مع ملاحظة تمايز ألفاظهما، ووجود علاقة تأثير متبادل بينهما تجلت بالأساس في النظام الصواتي.

وتأسيسا على الملاحظتين أعلاه، يمكن الاستنتاج بأن اللغة التي أدخلها الفينيقيون إلى قرطاج، وبعض أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي قد خضعت لتحولات مهمة بالمجال الإفريقي كما يستشف من الفروق التي تميزها عن اللغة الفينيقية. ولا شك أن المجال الإفريقي قد ساهم في بلورة تلك التحولات من خلال معطياته البشرية، وأساسه اللغوي العتيق.

ومن هذا المنطلق يبدو أن ثمة حاجة لتعميق الأبحاث اللغوية، وربط الخلاصات بالأدلة المادية دون إهمال العناصر الأخرى التي تدخل في تطور اللغة مثل عوامل المكان والزمان، والسياقات الاجتماعية واللغوية والثقافية، وبالتالي استحضار الطابع الجزئي للمعطيات وللنتائج التي تتمخض عنها. وعليه، فإذا كانت صلة البونية بالفينيقية تعد أمرا محسوما، فلا ينبغي إغفال التحولات التي طرأت عليها بمجالها الجديد، بحيث يكون من الصعب احتفاظها، طيلة فترة تداولها بالبلاد الإفريقية، على جميع خصائص اللغة التي استعملت في الشرق الفينيقي.

1- FERJAOUI A., À propos des inscriptions mentionnant les Suffètes et Rabs dans la généalogie des dédicants à Carthage, p. 483.

وتأسيسا على ما ذكر أعلاه، تبرز ضرورة توخي النسبية قبل الحسم في تقييم التطور الذي عرفته اللغة البونية بإفريقيا، من خلال ربط حدود ما يتم التوصل إليه من نتائج بحجم المعطيات المتوفرة بالنسبة للغات الفينيقية، والبونية، والليبية، وهي معطيات تعد ضئيلة جدا بالنسبة لتلك اللغات بالمقارنة مع ما يمكن أن تكتنزه من عناصر لغوية متنوعة تعد أساسية لفهم التبادلات اللغوية التي حصلت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا خلال الفترة القرطاجية.

3 - اللغات الوافدة بقرطاج: اللغة الإغريقية نموذجا:

ساهمت العلاقات التجارية التي ربطت بين قرطاج وبلاد الإغريق، وكذلك الاحتكاك المباشر بين القرطاجيين والإغريق، خصوصا بصقلية، في ربط صلات حضارية متنوعة بين الجانبين. ويبدو أن تلك الصلات قد شملت أيضا الجانب اللغوي، خصوصا وأن فترة ازدهار العلاقات بين الجانبين، أو ما سمي بالفترة الهلنستية بقرطاج، قد تميزت في بلاد الإغريق بازدهار ملفت في ميادين اللغة والأدب. ولا يستبعد أن ذلك كان يشكل إغراء قويا بأوساط الفئات المتعلمة والأرستقراطية القرطاجية، وساهم على ما يبدو في إذكاء الرغبة في تعلم اللغة الإغريقية، وقراءة آدابها كما يستشف من المعطيات الأدبية والأثرية التي بحوزتنا.

وفي هذا الصدد، نجد أن بلاوتوس يقدم في مسرحية «البوني» الإنسان القرطاجي كشخص يعرف جميع اللغات معتبرا أن القرطاجي القح هو الذي يتصف بتلك الخاصية[1]. لقد تجلت تلك الصفات على الأرجح في التجار القرطاجيين الذين اتصلوا بالإغريق والقادة الميدانيين الذين احتكوا بالمرتزقة الإغريق في الجيش القرطاجي. فقد كان حنبعل حسب ما ورد في النصوص التاريخية قادرا على التفاهم مع جميع مكونات جيشه، كما مكنه استقراره بإسبانيا وإيطاليا من التعرف على اللهجات الإيبيرية واللاتينية[2]. هذا فضلا عن معرفته بالأدب واللغة الإغريقية[3]، التي يعتقد أنه ألف بها[4].

لقد كانت مدينة قرطاج وجهة لعدد من الإغريق للاستقرار بها لدرجة حديث القدامى عن وجود مستوطنة إغريقية بالمدينة. وضم الجيش القرطاجي في صفوفه عددا من المرتزقة

1- PLAUTE, *Poenulus*, 112-113.
2- PAÏS E., Leçons sur les guerres puniques, p. 40-41.
3- DION CASSIUS, *Histoire romaine*, I, XXXVI, CLXIX.
4- CORNÉLIUS NÉPOS, *Hannibal*, XIII, 2-3.

الإغريق، ولا شك أن استقرار هؤلاء الإغريق بقرطاج قد ساهم في التمهيد لتسرب الإغريقية إلى قرطاج، وخاصة في بعض الأوساط القرطاجية[1].

ويستفاد من نص أورده جوستينوس أن بعض الفئات بقرطاج تعلمت اللغة الإغريقية بمدارس كما يتضح من استعمال الإغريقية في مراسلات بين قادة الجيش القرطاجي وأحد القادة السيراكوزيين الأمر الذي دفع مجلس الشيوخ بقرطاج إلى إلغاء تعليم اللغة الإغريقية بالمدينة الإفريقية[2]. ولا يستبعد أن مدينة قرطاج كانت تحتضن مدرسة فيتاغورية قبل سقوطها بيد الرومان[3].

وعلى كل، فإن النقائش المزدوجة الإغريقية البونية (ق. 3 ق.م) توضح ما ورد في النصوص التاريخية بشأن الإقبال على تعلم اللغة الإغريقية بقرطاج[4]. كما يتضح نفس الأمر من خلال استعمال الحروف الإغريقية على الشقف الخزفية، وعلى عملة قرطاجية مؤرخة بحوالي 350 ق.م[5]، وعلى النقود المنسوبة للمرتزقة الذين ثاروا ضد قرطاج بعيد منتصف القرن 3 ق.م[6].

لكن إذا كانت المعطيات التي أشرنا إليها تدعم فكرة تعليم اللغة الإغريقية بقرطاج، فإنه لا يوجد ما يسمح بالمبالغة في تقدير انتشار تلك اللغة بالمنطقة لدرجة الحديث عن غلبتها هناك. كما هو الشأن مثلا بالنسبة للباحث برطولون الذي يرى أن اللغة الإغريقية كانت معروفة من طرف سكان الجزء الشرقي لشمال إفريقيا قبل الانتشار الفينيقي، وذلك بسبب الهجرات الإغريقية التي اتجهت إلى هناك من إيجة مما جعل اللغة الإغريقية خلال الفترة البونية بمثابة لغة الحياة العامة مقابل اقتصار البونية على أمور العبادة[7]. بينما حاول

1- بخصوص الإشارات التي وردت في النصوص القديمة حول تجنيد الإغريق في الجيش القرطاجي، انظر ما كتبناه في الهامش رقم 919 ص. 192-193.

2- JUSTIN, XX, 5.

3- JAMBLIQUE, *De Pyth. Vita*, XXVII, 128 et XXXVI, 267 cité par LEGLAY M., *Saturne africain*, Éditions E. de Boccard, Paris, 1966, n° 2, p. 445.

4- FERRON J., L'inscription dite bilingue des disques en plomb de Carthage, dans *Mélanges de Carthage offerts à Saumagne*, Ch., Paris, 1964-1965, pp. 65-83, p. 73; GAUCKLER P., *NP*, T. I, op. cit. pl. n° XXXII et p. 41.

5- DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 170.

6- CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, p. 671.

7- BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, p. 410-413.

الباحث برونو إثبات قدم اللغة الإغريقية بالمنطقة من خلال البحث عن ألفاظ إغريقية مزعومة استمرت إلى وقتنا الحالي في اللغات واللهجات العامية بشمال إفريقيا[1].

من المنطقي، إذن، الاستنتاج بأن التفاعلات التي حصلت في الميدان اللغوي بين القرطاجيين والإغريق وباقي الشعوب المتوسطية التي اتصل بها القرطاجيون كانت متبادلة، حيث يظهر أن الشعوب الأخرى تأثرت هي أيضا باللغة البونية. فقد تعلم الإغريق واللاتينيون تلك اللغة. وبفضل ذلك تمكنوا من ترجمة عدة نصوص بونية مثل الرحلات القرطاجية (حانون وهيميلكون)، وكذلك المعاهدات(قسم حنبعل)، ثم رواية «البوني»، وهي عبارة عن مسرحية نُقلت - خلال القرنين 4 و3 ق.م- في الأصل من نص بوني[2].

إن ترجمة الإغريق للكتب البونية *(Lipri Punici)* من اللغة البونية إلى لغتهم يمثل دليلا على معرفتهم باللغة البونية[3]. ولا شك أنه عُهد بالترجمة لإغريق يتقنون اللغة البونية. فمن المنطقي أن الإغريق الذين كانوا مقيمين في قرطاج قد تعلموا اللغة البونية. وينطبق ذلك أيضا على القادة الإغريق الذين عملوا في صفوف الجيش القرطاجي الذي كانوا يتحدثون اللغة البونية كما يتضح من النصوص التاريخية[4]. وكان بعض الرومان بدورهم ملمين باللغة البونية، وهو ما يفهم من حديث بوليبيوس القديم عن تكليف مجلس الشيوخ الروماني لشخص يدعى سيلانوس *(D. Silanus)* بترجمة كتب القرطاجي ماغون حول الزراعة[5].

1- BRUNOT L., Grèce antique et Afrique du nord, *Extrait du Bulletin de l'enseignement public au Maroc*, n°223, mai-juin 1953, pp. 1-10, p. 1-3.

2- SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, p. 36.

3- DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, p. 171.

4- POLYBE *Histoires*, I, 80, 5-6.

5- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XVIII, 5, 1.

الفصل الثالث:
الكتابة بالمجال القرطاجي الإفريقي

سبق أن درسنا توزيع النقائش الليبية بتونس وليبيا، وعالجنا الإشكال الكرونولوجي المرتبط باستعمال الكتابة الليبية خلال الفترة البونية. وخلصنا إلى أن انتماء معظم النقائش الليبية إلى الفترة المتأخرة من التاريخ القرطاجي يدل على استمرار استعمال الكتابة الليبية، وإن بشكل محدود، وبالتالي عدم اندثارها هيمنة الكتابة البونية، وكثرة استعمالها في الوثائق الرسمية.

1 - خصائص الكتابة البونية بإفريقيا مقارنة بالخط الفينيقي بالشرق:

لقد أشرنا سابقا إلى الصعوبات المرتبطة بتأريخ بداية ظهور الكتابة البونية بالمجال القرطاجي الإفريقي بخصائصها المميزة، فرغم أن أقدم النقائش تعود إلى القرن 7 ق.م وربما أقدم، فإن تحديد تاريخ بداية استعمال الكتابة البونية بالمنطقة بخصائصها التي تظهر من خلال النقائش المتأخرة يبقى من الأمور المعقدة في علم اللغات القديمة.

ولهذا يلاحظ أن الدراسات التي اهتمت بتطور الخط البوني في إفريقيا قد ركزت بالأساس على نقائش القرن 5 ق.م نظرا لوفرتها، وكونها تعكس المرحلة التي أخذت فيها الكتابة البونية سماتها المميزة من خلال التخلي عن الرسم الفينيقي العتيق للحروف[1]. ومن خلال المقارنة الباليوغرافية تم الاستنتاج بأن الحروف البونية بدأت تأخذ شكلها المميز انطلاقا من القرن 5 ق.م[2].

1-1 - الخصائص المشتركة بين الكتابتين البونية والفينيقية:

تسمح المقارنة الباليوغرافية لتطور شكل الحروف في الخط الفينيقي بالشرق والبوني بشمال إفريقيا بملاحظة عدد من القواسم المشتركة على مستوى الشكل، إذ لكليهما اتجاه

1- FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, p. 61.

2- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 89; SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 591.

أفقي من اليمين إلى اليسار[1]. كما يتجسد التقارب أيضا على مستوى عدد الحروف(22 حرفا)، ووظيفتها من حيث رسم الصوامت دون الصوائت في الكتابتين معا[2]. لقد استعملت الفواصل أو النقط لتمييز ألفاظ الكتابة الفينيقية العتيقة في قبرص، وبالساحل الفينيقي[3]، لكن سرعان ما اندثرت فيما بعد[4]. ولعل الخط البوني يمثل إحدى مراحل ذلك التطور كما يستشف من غياب الفواصل في نقائش قرطاج[5]. لكنها تظهر في نقيشة ضريح ثوگا على شكل نقط[6].

ورغم أهمية هذه القواسم المشتركة العامة التي تجمع بين الكتابتين الفينيقية والبونية، فإن الخط البوني بإفريقيا يتسم بخصائص مميزة ومختلفة عن الخط الفينيقي. مما يسمح بالحديث عن تغيرات حصلت بإفريقيا مثل استعمال الحركات الأساسية *(Matres lectionis)* من خلال بعض الحروف الصوامت لرسم الحركات، وهو شيء لم يُعرف في النقائش الفينيقية[7].

1-2 - المقارنة الباليوغرافية:

ينبغي التذكير بنسبية المعيار الباليوغرافي القائم على مقارنة شكل الحروف (انظر الجدول رقم5). ذلك أن معايير الحكم بتغير شكل الحروف من عدمه ليست مضبوطة على نحو دقيق في الدراسات المنجزة، حيث لا يتم التركيز عادة على التغييرات الثانوية التي تلحق شكل بعض الحروف. ذلك أن معاينة النقائش تبين أن شكل الحروف قد لا يعكس درجة التشابه التي نجدها بهذه الدراسة أو تلك.

علما أن شكل الحروف يختلف بين نقيشة وأخرى بنفس المجال برغم الخلاصات العامة التي تعطي للحروف شكلا معينا في هذا المجال أو ذاك. وهذا أمر يصعب الحسم فيه لأن اختلاف مواد وتقنيات الكتابة يمكن أن يسفر عن تغير في شكل الحروف بشكل لا يعبر بالضرورة عن رغبة الكتبة، وبالتالي قد لا يعكس حقيقة التحولات التي مست شكل الحروف.

1- GRAS M., ROUILLARD P., et TEIXIDOR J., *L'Univers phénicien*, Édition révisée, Hachette, Paris, 1995, p. 34.
2- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 208.
3- Ibid, p. 207-216; BERGER PH., *l'Ecriture dans l'antiquité*, Imprimerie nationale, Paris, MDCCCXCI, p. 176.
4- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 210.
5- FERRON J., Restauration de l'autel et gravure d'une image sacrée dans un sanctuaire sahélien de Baal Addir, dans *SP*, T.III, 1987, pp. 193-224, p. 194.
6- MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, p. 55.
7- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 208.

ومن هذا المنطلق، ينبغي الوقوف على تطور شكل كل حرف على حدة بنفس المجال قبل مقارنته مع نفس الحرف بمجال آخر بعيد. كما أن النماذج الأصلية للحروف كما وجدت في النقائش، والتي يمكن للباحث دراستها مباشرة، قد نُقلت عبر الرسم اليدوي الشيء الذي لا يعبر بالدقة اللازمة عن شكل الحروف كما كانت في الوثائق الأصلية. وبناء على الملاحظات السابقة تُطرح ضرورة مقارنة حروف نقائش قرطاج بحروف الخط الفينيقي العتيق، وذلك لأن الخط الفينيقي نفسه قد خضع لتغيرات مهمة بمجاله بالساحل الفينيقي.

نجد في نقائش قرطاج عدة طرق لرسم حرف الألف. ويتميز شكل الحرف إذا ما قورن بالخط الفينيقي العتيق بالشكل المكون من عارضة مقطوعة بخطين. وقد ظهر هذا الشكل في قرطاج ومجال نفوذها قبل ظهوره بقبرص وبالساحل الفينيقي[1]. أما حرف الزاي، فلم يحافظ بدوره على الرسم السائد في الخط الفينيقي العتيق، بل اتخذ أشكالا مختلفة في الخط البوني. لكنه رُسم أيضا بطرق أخرى كانت معروفة أيضا في النقائش الفينيقية. وفي مقابل ذلك، حافظ حرف الحاء في بعض نقائش قرطاج على شكل قريب من الشكل الذي اتخذه الحرف في الخط الفينيقي العتيق من خلال خطين عموديين متوازيين تقطعهما ثلاثة خـطوط. لكن رسمه تميز في معظم الأحيان بتقوس الخطين العموديين[2].

عرف رسم حرف الطاء تغيرا ملحوظا، إذ لا نجد بنقائش قرطاج الرسم المتداول في نقائش الشرق من خلال دائرة يتوسطها صليب، أو خط قصير، بل نجده يتخذ شكل دائرة بيضوية مغلقة غالبا، وتتوسطها نقطة[3]. وتنطبق نفس الملاحظة تقريبا على حرف اللام الذي رُسم بفينيقيا على شكل عارضة بأسفلها قاعدة على شكل خط قصير، غير أن تلك القاعدة أصبحت معقوفة في نقائش قرطاج[4]. أما حرف الكاف، فقد رُسم في الخط الفينيقي العتيق بعدة أشكال، أما في قرطاج فلم يحافظ على كل الطرق التي رسم بها في الشرق الفينيقي إلا إذا استثنينا شكلا واحدا.

ويرى الباحث الفرجاوي أن رسم حرف الميم بنقائش الفترة الممتدة ما بين القرنين 7 و4 ق.م قد عرف تطورا شبيها بذلك المسجل بمناطق شرق البحر الأبيض المتوسط[5]. إلا أنه في

1- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 274.
2- Ibid., p. 275.
3- Ibid., p. 276.
4- Ibidem.
5- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 278.

نفس الوقت لم يحافظ على نفس الأشكال الفينيقية العتيقة، بل اتخذ أحيانا أشكالا لم تكن معروفة في نقائش الشرق الفينيقي، لكنه مع ذلك رُسم أحيانا بنفس الأشكال المعروفة في النقائش الفينيقية.

لم يحافظ حرف السين على شكله في الخط الفينيقي العتيق، أما في قرطاج فقد عرف تعديلات شبيهة بتلك الملاحظة بنقائش الشرق الفينيقي[1]. بينما حافظ حرف الصاد على الشكل المعروف في وثائق الشرق الفينيقي، لكنه خضع بدوره لتعديل طفيف تمثل في تقوس العارضة العمودية للحرف.

رُسم حرف القاف في قرطاج بنفس الطريقة المعروفة في الخط الفينيقي عموما، لكنه لم يحافظ على الرسم العتيق الذي عرف به في النقائش الفينيقية. وتسمح مقارنة الحروف من خلال الجدول رقم 5 بملاحظة بعض التعديلات البسيطة التي أُدخلت على حروف التاء، والهاء، والشين بنقائش إفريقيا، بينما حافظت حروف أخرى مثل الباء، والجيم، والدال، والواو، والياء، والراء، والنون، والعين، والفاء، على الرسم المعروف في نقائش الشرق الفينيقي.

يتضح من خلال الملاحظات المسجلة بناء على مقارنة حروف نقائش قرطاج بحروف الخط الفينيقي العتيق أن الخط البوني يتميز عموما بحروفه الطويلة والمائلة نحو اليمين مقارنة بحروف الخط الفينيقي العتيق[2]، ذلك أن الحروف التي تكتب عادة فوق السطر تنتهي في الغالب بقنزعات صغيرة. كما يلاحظ إطالة حروف الراء والقاف، والكاف، والميم، والحاء، والواو، والهاء، والألف والنون[3]. وتتميز الحروف البونية أيضا بكبر حجمها وأناقتها ودقتها[4] مقارنة بالحروف الفينيقية.

إذا كانت مقارنتنا لأشكال الحروف قد ركزت على مقارنة الخط الفينيقي العتيق بالخط البوني، فإن ما يلاحظ هو أن الحروف الفينيقية في الشرق الفينيقي قد عرفت هي الأخرى تعديلات مهمة هي التي دفعت الباحثين إلى التمييز في الخط الفينيقي بين كتابة فينيقية عتيقة(القرن 10 ق.م)، وكتابة وسطى (بين القرنين 8 و6 ق.م)، ثم كتابة فينيقية متأخرة(بين ق. 5 ق.م وبداية الفترة المسيحية)[5].

1- Ibid, p. 279.
2- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 251.
3- BERGER PH., *l'Ecriture dans l'antiquité*, p. 177; LANCEL S., *Carthage*, p. 373.
4- Ibidem.
5- LIPINSKI E., *Écriture*, dans DCPP, pp. 141-142.

ويمكن ملاحظة تشابه شكل حروف الخط البوني خلال القرن 5 ق.م مع حروف الكتابة الفينيقية المتأخرة[1]. ولا يستبعد أن استعمال القلم والحبر في الكتابة بقرطاج[2] وبالشرق الفينيقي كذلك قد أثر على طريقة رسم الحروف في المجالين معا[3]. وذلك بالرغم من عدم العثور لحد الآن على كتابة من هذا النوع بفعل اندثار المواد التي دونت عليها كورق البردي وورق الرق[4].

من ناحية أخرى، سمحت مقارنة شكل الحروف في نقائش قرطاج ومناطق نفوذها بغرب البحر الأبيض المتوسط، لا سيّما منذ القرن 5 ق.م بملاحظة بعض عناصر التشابه، ولكن مع وجود تطورات خاصة بكل مجال على حدة، إذ نلاحظ، على سبيل المثال، وجود اختلافات هامة بين شكل بعض الحروف في نقائش قرطاج ومالطا، وصقلية، وسردينيا[5]، وإيبيريا[6].

ولهذا نرجح حصول تغييرات مستقلة في رسم الحروف، سواء بقرطاج، أو بباقي مناطق نفوذها بغرب المتوسط. وقد يفسر ذلك بالحاجة إلى تطور الخط بكل مجال، وحسب حاجة كل شعب على حدة، ليس فقط بسبب تغير مواد وتقنيات الكتابة، وإنما على الأرجح بسبب تداخل عوامل أخرى، ساهمت في بلورة هذا التطور المستعصي على الفهم، يمكن إجمالها في مجموع الخصوصيات الحضارية التي تميز كل مجال على حدة. ومثالنا هنا هو اقتباس الإغريق للحروف الأبجدية الفينيقية كما ذكر هيرودوتوس[7]، وإدخالهم تعديلات عليها حسب رواية ديودوروس الصقلي[8].

لكن إذا كانت المقارنة الباليوغرافية تثبت اختلاف رسم الحروف البونية على الأقل منذ القرن 7 ق.م عن طريقة رسمها في الشرق الفينيقي[9]، فإن السؤال الذي تطرحه إشكالية أصل

1- BERGER PH., *l'Ecriture dans l'antiquité*, p. 177.
2- CINTAS P., À propos de Motyé CIS, 1,2, n°157, réflexions sur l'épigraphie paléopunique, p. 161.
3- BERGER PH., *l'Ecriture dans l'antiquité*, p. 177.
4- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 221.
5- LANCEL S., *Carthage*, p. 373.
6- AMADASI GUZZO M.-G., Remarques sur la présence phénico-punique en Espagne d'après la documentation épigraphique, dans *2ème congrès internationale d'études des cultures de la méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 33-41, p. 35.
7- HÉRODOTE, *Histoires*, V, 58.
8- DIODORE DE SICILE, *BH*, V, 57.
9- FERJAOUI A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, p. 299-300.

هذا الخط تكمن في معرفة الظروف الدقيقة التي أملت التحولات التي عرفها الخط البوني بإفريقيا. فهل يتعلق الأمر بتطور محلي للحروف التي أدخلها الفينيقيون بسبب متطلبات المجال الإفريقي؟ أم أن الخط البوني يمثل شيئا آخر مختلفا تماما عن الخط الفينيقي؟

خلصت معظم الأبحاث التي اهتمت بالموضوع إلى أن الخط البوني ليس سوى تحريف للخط الفينيقي نظر لمحافظته على الشكل الكلاسيكي للحروف الفينيقية العتيقة[1]، وعدم حدوث تغييرات جذرية على شكل الحروف خلال الفترة البونية[2]. ولذلك تجمع الدراسات على أن الخط البوني يمثل تطورا للخط الفينيقي[3]. ورغم أن حروف النقائش البونية بقرطاج لم تفقد الشكل الذي يذكر بأصلها الفينيقي، فإنه لا يمكن إنكار التغييرات المهمة التي مست الطابع العام للكتابة ككل بما يمكننا من التمييز بين خط بوني بقرطاج وبمجالها الإفريقي، وباقي الخطوط التي نجدها بمناطق غرب البحر الأبيض المتوسط.

وربطا بما سبق، يجوز الحديث عن خط بوني إفريقي، ذو أصول فينيقية، يعكس الخصوصيات المجالية التي طبعت الكتابة بالمنطقة، خصوصا وأن الخط البوني عرف في الفترة اللاحقة لسقوط قرطاج تغيرات أكثر عمقا في شكل الحروف، بحيث جعلها تفقد الشكل الفينيقي العتيق لأسباب عديدة قد يكون من بينها الكتابة بتقنية الرسم السريع *(Cursif)*[4]، وهو الخط الذي يسميه الباحثون بالخط النيوبوني، أو البوني الجديد[5]. وتميل معظم الأبحاث المتخصصة إلى ترجيح فرضية حصول التحول الذي أدى إلى ظهور حروف الخط النيوبوني قبل سقوط قرطاج، وأن حروف الرسم السريع قد زامنت مرحلة الكتابة البونية إلى غاية منتصف القرن 1 ق.م[6].

1- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 221; SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 590.

2- BERGER, PH., *l'Écriture dans l'antiquité*, p. 178.

3- LIPINSKI, E., Écriture, dans *DCPP*, pp. 142.

4- SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 591.

5- أُطْلِق اسم الكتابة النيوبونية منذ القرن 19م للإشارة إلى نقائش شمال إفريقيا التي اختُطت بكتابة ذات خصائص متميزة، بحيث يسهل تمييزها عن الحروف الفينيقية والبونية بخلاف الصعوبات التي تطرحها عملية تمييز الحروف البونية عن الفينيقية. إلا أن تمييز كل حرف على حدة من حروف الكتابة النيوبونية يطرح عدة مصاعب بسبب تدوينها بتقنية الرسم السريع مما يؤدي أحيانا إلى الخلط بين بعض الحروف التي تتخذ أشكالا مختلفة بين نقيشة وأخرى، وأحيانا بنفس النقيشة.

6- SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, p. 591.

2 - العلاقة بين الكتابتين البونية والليبية:

2-1 - الأساس المحلي الليبي في الكتابة:

أدى تعثر تأريخ أقدم النقائش الليبية بشمال إفريقيا، وعدم معرفة التطورات التي مرت منها الكتابة عند الليبيين[1] إلى اتساع تداول الفرضية التي تنسب استعمال الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء لأصل أجنبي، ولا سيّما بالنسبة للدراسات التي أسست للبحث في هذا الموضوع. وهكذا طُرحت في البداية أصول أجنبية متنوعة ومتناقضة لاستعمال الكتابة بشمال إفريقيا القديم مثل الأصل الإيجي[2]، أو الكريتي[3]، أو المصري[4]، أو العربي (جنوب بلاد العرب)[5] إلخ...

لكن مع توالي الدراسات اتضحت هشاشة الفرضيات السابقة لاستنادها على تشابه محدود وغير دقيق لبعض حروف الكتابة الليبية مع حروف الكتابات الإيجية والكريتية والعربية الجنوبية[6] ليتم الاتجاه نحو ترجيح فرضية الأصل الفينيقي التي عرفت رواجا كبيرا بحكم استنادها إلى قرينة تاريخية مؤكدة تمثلت في وصول الفينيقيين إلى المنطقة، واتصالهم بسكانها، فضلا عن الانتشار المجالي لأغلب نقائش الكتابة الليبية بالمناطق الساحلية بشمال إفريقيا، وهي المجالات التي يفترض وصول الفينيقيين إليها، وكذلك انتماء النقائش الليبية زمنيا لما بعد فترة الانتشار الفينيقي بالمنطقة.

ويمكن التمييز داخل أطروحة الأصل الفينيقي بين توجهين، واحد يرى أن الكتابة الليبية اشتُقت من الكتابة الفينيقية، وأن الفينيقيين لما وصلوا إلى شمال إفريقيا القديم لم يجدوا لدى السكان الليبيين تجارب محلية في الكتابة[7] مما يعني إنكار وجود أي اساس محلي

1- أطلق الباحثون الأوربيون على الكتابة المحلية لتي استعملها الليبيون تسمية الكتابة الليبية-البربرية(Libyco-berbère) للدلالة على كتابة النقائش الليبية وكتابة تيفيناغ التي لا زال يستعملها الطوارق. وبقيت التسمية-ولاتزال-متداولة في بعض الدراسات المنجزة باللغة العربية.

2- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, p. 518.

3- SOLIGNAC M., *Les pierres écrites de la Berbérie orientale (Est costantinois et Tunisie)*, Imprimerie J. Barlier et Cie, Tunis, 1928, p. 136.

4- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 325 ; REBUFFAT R., Le libyque de Bu Njem et le libyque, dans *Débuts de l'écriture au Maghreb*, *Actes des colloques organisés à Casablanca par la Fondation Al Saoud*, 2004, pp. 55-83, p. 83.

5- LITTMAN M.-E., L'origine de l'alphabet libyque, dans *JA*, 1904, pp. 423-442, p. 441.

6- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 105; FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 323 et 325.

7- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 62;

يمكن أن يقود إلى استعمال مستقل للأبجدية طالما لم يوجد دليل على أن تلك التجارب المحلية في الكتابة قد مرت من نفس المراحل التمهيدية الطويلة التي مرت منها عملية اختراع الكتابة في الشرق القديم، أي المرور من المراحل التصويرية والرمزية، والمقطعية.

وهناك توجه ثان، مختلف قليلا عن الأول، ويعتبر أن الكتابة الليبية لم تُشتق مباشرة من الكتابة الفينيقية[1]، وإنما تطورت بتأثير فينيقي من خلال تطوير رموز ليبية قديمة، واقتباس بعض الحروف الفينيقية[2]، أي أن الكتابة الفينيقية ساعدت على انبثاق الكتابة الليبية عن طريق تطوير رموز محلية ورثها الليبيون من تجارب محلية في الكتابة[3].

ويمكننا تصنيف الأدلة التي ساقها دعاة أطروحة الأصل الفينيقي للبرهنة على صلة الكتابة الليبية بالفينيقية كما يلي[4]:

-كرونولوجيا: انتماء بقايا الكتابة الليبية زمنيا لمرحلة ما بعد قدوم الفينيقيين إلى المنطقة[5]. وقد قامت هذه الفكرة على إنكار قدم الكتابة بالصحراء من خلال رفض وجود علاقة بين الكتابة باللوحات الصخرية والموضوعات المنقوشة عليها، والتي تؤرخ بفترات جد قديمة[6]، أو محاولة الفصل بين نقائش الصحراء والمنطق الساحلية بشمال إفريقيا[7].

- مجاليا: العثور على أغلب النقائش الليبية بالقرب من مجال التأثير القرطاجي[8].

PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité (l'Égypte)*, T. I, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1882, p. 87.

1- يعتبر أصحاب هذا الرأي أن سكان شمال إفريقيا والصحراء تمكنوا من التوصل إلى إنتاج رموز كتابية في إطار عمل محلي داخلي، لكن ذلك العمل لم يصل إلى درجة الاكتمال(أي اختراع الأبجدية بشكل مستقل)، وهو الشي الذي حصل فيما بعد- بحسب هذا الرأي- بفضل تقليد الأبجدية الفينيقية.

2- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 107.

3- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 325 ; BATES O., *The Eastern Libyan*, p. 86.

4- للمزيد من التفاصيل بخصوص هذه الأدلة، راجع-على سبيل المثال-المقال التالي:

-CHAKER S., et HACHI, S., A propos de l'origine et de l'âge de l'écriture libyco-berbère», dans *Etudes berbères et chamito-sémitiques*, Mélanges offerts à Karl-G. Prasse, (S. Chaker, éd.), Paris/Louvain, Editions Peeters, 2000, pp. 95-111, passim.

5- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 321-322.

6- GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, dans *EPHE*- IV section, n° 7, 2001, pp. 1-2, p. 2.

7- Id, Les alphabets libyques, p. 70.

8- أنجز الباحث التونسي منصور غاقي خرائط لانتشار النقائش الليبية في شمال إفريقيا:

- GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, pp. 93-108.

- لغويا: اعتماد الكتابة الليبية على الحروف الصامتة، وعدم رسم الحركات[1]، وهذه خاصية مميزة للغة الفينيقية.

- تاريخيا: يمثل وصول الفينيقيين إلى الأجزاء الساحلية من شمال إفريقيا القديم، واتصالهم بساكنتها حدثا تاريخيا تدعمه قرائن أكيدة، مع ما يمكن أن يتمخض عن ذلك من نشر الفينيقيين لأبجديتهم بتلك المناطق. فضلا عن غياب أي دليل على مرور تجارب الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء من مرحلة ما قبل الأبجدية[2].

- باليوغرافيا: تشابه بعض حروف الكتابة الليبية مع الحروف الفينيقية (من 6 إلى 7 حروف[3] من حيث الشكل والمقابل الصوتي[4] (انظر الجدول رقم6)، واقتصار الكتابتين معا على عدد محدود من الحروف[5]، وهو ما ينطبق على الكتابة الليبية الشرقية. إضافة إلى تطابق اتجاه الكتابتين، أي اعتمادهما على الاتجاه الأفقي من اليمين نحو اليسار[6]، وهو ما ينسحب فقط على الكتابة الليبية الشرقية.

- اصطلاحا: اعتبار أن تسمية «تيفيناغ» التي تطلق على الكتابة المحلية المستعملة من طرف الطوارق ذات أصل في اللغة الفينيقية (من جذر «فن»)، أو أنها تحريف للاسم القومي للفينيقيين.

وبالرجوع إلى المعطيات المشار إليها أعلاه، يبدو لنا للوهلة الأولى أن المقارنة بين الحروف الفينيقية والليبية قد افتقدت إلى الصرامة المنهجية اللازمة. فلا بد من الإشارة في هذا

1- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 323. ; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 105.

2- لا شك أن دوافع ثقافية واجتماعية واقتصادية كانت وراء بروز الحاجة إلى الكتابة عند عدد من الشعوب، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لشعوب الشرق الأدنى القديم، وأن التوصل إلى باكورة هذا العمل لم يتم دفعة واحدة، وإنما على مراحل. ونضيف إلى ذلك أن تلك السيرورة الطويلة لم تتم بالضرورة بنسق خطي، وبنفس الشكل، وعند جميع الشعوب التي مرت من تجارب تأسيسية في الكتابة، والراجح أنها تمت حسب خصوصيات كل شعب وبيئة على حدة. وعلى هذا الأساس ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار، عند البحث في مرحلة ما قبل الأبجدية بشمال إفريقيا، ذلك الغنى الذي يميز المنطقة من الرموز والعلامات التي تظهر على اللوحات الصخرية، وعلى الخزف، والوشم، ومختلف الأشكال التعبيرية عند سكان المنطقة، وهو خزان رمزي يعود، بلا شك، إلى ما قبل التاريخ.

3- الباليوغرافيا مصطلح إغريقي يتركب من لفظتين: باليو (παλαιός)، وتعني قديم، وكرافيا (γραφία)، وتفيد معنى الكتابة. وعليه، فالباليوغرافيا هي علم الكتابات القديمة، وهو علم مستقل يرتكز على جانبين: أولا، فك رموز الكتابات القديمة، ثانيا، دراسة تطور شكل الحروف القديمة.

4- BATES O., *The Eastern Libyan*, p. 85; FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 323.

5- Ibidem.

6- Ibid., p. 107.

المضمار إلى الصعوبات التي تواجه تحديد أصول الكتابات القديمة بصفة عامة، إذ أن تشابه حروف تلك الكتابات، حتى وإن كانت متباعدة مجاليا، يرقى إلى مرتبة الظاهرة. ولذلك، فإن بعض عناصر التشابه قد تُفسَّر بوجود نموذج أصلي تفرعت عنه جميع الكتابات القديمة بما فيها الفينيقية والعربية الجنوبية والليبية[1].

وبالعودة إلى مسألة تشابه الحروف الفينيقية والليبية، نلاحظ أن عدد الحروف المتشابهة هي - في الواقع - أقل مما تصور أصحاب فرضية الأصل الفينيقي[2]. فإذا استثنينا تشابه حروف التاء، والشين، والياء، والجيم على مستوى الشكل والمقابل الصواتي، فإن معظم الحروف الليبية تختلف في شكلها، وربما مقابلها السمعي عن حروف الخط الفينيقي العتيق، حيث أن الحروف الفينيقية تتميز بصغرها واتجاهها نحو الرسم السريع، بينما تتسم الحروف الليبية بخصائصها الأيقونية[3]، فهي بارزة، وهندسية الشكل[4]، فضلا عن المشاكل التقنية التي تطرحها حوامل النقائش الليبية، وصعوبة تمييز ما تتضمنه من حروف[5].

ينضاف إلى ذلك أن الحرف الليبي الواحد يكتب أحيانا بأشكال مختلفة[6]، وهي خاصية-ربما-نجمت عن عدة تجارب تمهيدية محلية مكنت من إعطاء الحروف شكلها النهائي. ذلك أن عناصر التشابه بين الكتابتين لا تقتصر في الواقع على الكتابتين الليبية والفينيقية، وإنما تعد ظاهرة عامة بالنسبة لمعظم الكتابات القديمة، ولا تسلم منها الكتابة الفينيقية نفسها إذا

1- BATES O., *The Eastern Libyan*, p. 86 ; CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 144.

2- نشير في هذا الصدد إلى فحوى تقرير أعده اللساني هالفي بتكليف من أكاديمية النقوش والآداب بباريس، ونشر في مجلة الأكاديمية(CRAI) سنة 1872، وتم عرض نتائجه على أعضاء الأكاديمية في إحدى اجتماعاتها، وجاء فيه أن الكتابة الليبية لم تأخذ من الأبجدية الفينيقية سوى عدد قليل جدا من الحروف، وهو ما عرّضه لانتقادات شديدة، خاصة من طرف إرنيست رينان الذي استغرب اقتباس الليبيين لبعض الحروف الفينيقية، وتخليهم عن الباقي. انظر بهذا الخصوص:

- HALVEY, J., Étude sur l'alphabet libyque et ses rapports avec l'alphabet phénicien, dans *CRAI*, Année 1872, 16, pp. 231-233, p. 231.

3- تتميز الحروف الليبية بكونها عبارة عن دوائر، ومثلثات، ونقط مفتوحة، أو متقاطعة، وخطوط مستقيمة، أفقية ومتوازية.

4- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 184.

5- أغلب حوامل النقائش الليبية غير مكتملة بسبب تعرضها للكسر، وكثير من حروفها منقوشة بطريقة سيئة مما يجعل من الصعب قراءتها، وتتميز الحروف الليبية عن الرموز والأشكال والنقط التي ربما أضيفت إلى النقيشة الأصلية.

6- GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, p. 2.

ما قورنت بكتابات أخرى[1]. ويطرح هذا الأمر إشكالية تحديد أصل الكتابات القديمة باعتبارها إحدى القضايا المعقدة التي تعترض علم الكتابات القديمة.

ولا يكاد الباحثون يتفقون على شيء بهذا الخصوص. لقد أظهرت الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب وجود عدة قواسم مشتركة بين بعض حروف الكتابات القديمة الأمر الذي يدل على أن تلك الكتابات لم تُخترع، على ما يبدو، بشكل مستقل عن بعضها البعض. مما يطرح فرضية وجود نواة أولية مشتركة لتطور الكتابة بصفة عامة[2] تشمل عدة كتابات بما في ذلك الكتابتين الليبية والفينيقية[3]. وقد يُفسّر هذا الأمر حسب الباحثة حشيد بالتفاعلات القديمة التي حدثت بين الليبيين وشعوب الضفة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط[4].

بناء على الملاحظات السابقة، يبدو أن تشابه بعض الحروف بين الكتابتين الليبية والفينيقية ليس كافيا للبرهنة على الأصل الفينيقي للكتابة بشمال إفريقيا بالنظر للإشكالات التي تطرحها عملية تحديد أصول الحروف المتشابهة في مختلف الكتابات القديمة. ويرى المختصون في علم الخطوط القديمة أن الصعوبات التي تواجهها عملية فك التشابه الملحوظ بين حروف عدد من الخطوط القديمة تُوجب الحذر، لكننا نرى أنهم لم يتوخوا ذلك الحذر عندما درسوا أصل الكتابة الليبية. كما أن التشابه لا يلغي من دائرة البحث احتمالا آخر يتمثل في إمكانية تأثير الكتابة الليبية على كتابات أخرى، أو على الأقل اشتراكها معها في أساس مشترك قديم نجهله لحد الآن.

أما بالنسبة لاعتماد الكتابتين على رسم الحروف الصامتة دون الحركات، فالأمر يتعلق بخاصية عامة تتميز بها معظم الكتابات القديمة بما في ذلك الفينيقية والليبية، وبالتالي لا تعد دليلا مقنعا للحكم بالأصل الفينيقي للكتابة الليبية[5]. بينما لا يستبعد أن يكون الاتجاه الأفقي بمثابة تطور متأخر من مراحل تطور الخط الليبي، وقد يرتبط بمسألة أصل الكتابة ككل ما

1- يبدو أن الفينيقيين كما يُفهم من نص ورد عند ديودوروس الصقلي لم يخترعوا الحروف، وإنما طوّروها، وعملوا على نشر النظام الأبجدي. ومن هنا، طُرحت أصول مختلفة للكتابة الفينيقية نفسها كالأصل المصري والمسماري، والإيجي، والسينائي(نسبة إلى سيناء)...إلخ. للمزيد من المعلومات راجع ما يلي:

- DIODORE DE SICILE, *BH*, V, 74 ; CONTENAU G., *MAO*, T. I, p. 258-260.

2- Ibid, p. 261-262.

3- CAMPS G., *Les Berbères, mémoire et identité*, p. 202.

4- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 188.

5- GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, p. 2.

دامت الأبحاث تُجمع على قدم الاتجاه العمودي في الكتابة الليبية[1] الذي استجاب على ما يبدو لحاجيات محلية قديمة[2] مرتبطة بتقاليد الكتابة عند الليبيين، وبتطور داخلي للكتابة والحروف عندهم[3]. وهذه سمة تميز تطور الخط الليبي، وتجعله مختلفا عن مراحل تطور الكتابة في الخط الفينيقي[4].

وحتى إذا سلمنا بالتأثير الفينيقي على مستوى اتجاه الكتابة، فإن الأمر يتعلق باقتباس تقنيات، وليس نظاما للكتابة[5]. ذلك أن تغير عدد الحروف، واتجاه الكتابة يمثل، في محصلة الأمر، تطورا شكليا لا يلغي إمكانية وجود أساس محلي في الكتابة عند الليبيين، وبالتالي اختلاف الكتابة الليبية عن الفينيقية على مستوى التطور الداخلي كما يتضح مثلا من استعمال الحركات الأساسية في الكتابة الليبية، وغيابها في الكتابة الفينيقية[6].

وإجمالا، نستطيع الاستنتاج بأن دلائل الأصل الفينيقي-على الأقل-على المستوى الباليوغرافي لا تقوم على أساس متين وحاسم، وتبقى-في حدود المعطيات الحالية قابلة للنقد والنقاش. فلا يمكن الحكم بالأصل الفينيقي لليبية انطلاقا من تشابه ستة أو سبعة حروف. وبذلك، فإن الإشكال الكبير يبقي كرونولوجيا بالأساس، ويخص مدى قدم الكتابة عند الليبيين، واستعمالها قبل الانتشار الفينيقي بشمال إفريقيا القديم، خصوصا وأن عدم قدم الكتابة الليبية اعتبُر من أكثر العناصر تأييدا لفرضية الأصل الفينيقي. غير أن دراسة نقائش اللوحات الصخرية سمح بتوفير معطيات جديدة في هذا المضمار من منطلق عدم إمكانية الفصل بين عناصر الحضارة بالمجالين الصحراوي والساحلي الشمال إفريقي، بما في ذلك تطور الكتابة.

إذا كانت أقدم النقائش الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي لا تتعدى-بشكل عام-القرنين 4 و3 ق.م، أو القرنين 3 و2 ق.م[7]، فقد اكتشفت نقائش أقدم بالمناطق الساحلية

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 186 ; FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 322.
2- CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 145.
3- GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, p. 2.
4- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 38.
5- GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, p. 2.
6- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 325.
7- لا نتوفر لحد الآن على نقط كرونولوجية أكيدة بالنسبة لليبية، فهناك اختلاف كبير بين الباحثين بخصوص تحديد تاريخ

لشمال إفريقيا. إذ عثر بموقع رشقون بالساحل الجزائري على حروف ليبية مزبورة على شقف خزفية، أرخت بالقرنين 7 و6 ق.م[1]. ولذلك يبقى قدم الليبية من عدمه مرتبطا بتأريخ اللوحات الصخرية الحاملة لرموز كتابية ليبية ما من شأنه إفادتنا بمعطيات قد تحسم في صدقية الأصل الفينيقي للكتابة الليبية.

غير أن تأريخ الكتابة التي تحملها اللوحات الصخرية، ظل محل جدل بين الباحثين. ومن أبرز تلك اللوحات نذكر لوحة إكدن وشرن *(Ekaden Ouacharène)* بطاسيلي ناجّر بالأطلس الصحراوي الجزائري، والتي أرخت بما بين القرنين 6 و5 ق.م[2]، الشيء الذي جعل بعض الباحثين يستنتجون بأن أقدم آثار الكتابة الليبية-بعيدا عن المجال القرطاجي-لا تتعدى منتصف الألف الأول ق.م[3]. وهناك من أصبح مقتنعا بأن الكتابة الليبية تنتمي لفترات أقدم، لكن من خلال ربط ظهورها بالتأثير الأجنبي[4]. ويمكن أن تفيدنا الحروف الليبية المنقوشة على لوحة صخرية بموقع عزيب نكيس بالأطلس الكبير بالمغرب في تأريخ أقدم النقائش الليبية، لولا أن تأريخ تلك الحروف خضع لجدل غير مبرر بين الباحثين.

فقد أرخ الباحث مالوم اللوحة الصخرية الحاملة للحروف الليبية بالنصف الثاني من الألف الثاني ق.م، غير أنه تحاشى تأريخ الكتابة بنفس تاريخ اللوحة ككل[5]. بعد مالوم، عاين اللوحة الصخرية باحثون آخرون، وأقر عدد منهم بارتباط الحروف المنقوشة بباقي عناصر اللوحة، وألحوا على ضرورة تأريخ الحروف الكتابية بنفس تاريخ اللوحة[6]، لكنهم، وإن أقروا بذلك، فإنهم رفضوا-في نهاية المطاف-إعطاء نفس التاريخ لمجموع عناصر اللوحة الصخرية

انبثاق هذه الكتابة. فهناك من يرى أنها لم تتشكل إلا خلال فترة متأخرة(القرنين 3 و2 ق.م) على هامش الكتابة البونية التي كانت سائدة بقرطاج، وبتأثير منها:

- GHAKI M., Le libyque, p. 19.

1- VUILLEMOT G., La nécropole du phare dans l'île de Rachgoun (Oran), dans *Libyca* (Arch.-Épig.), T. III, 1955, pp. 7-76, p. 76.

2- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 174.

3- GHAKI M., l'apport des inscriptions libyques, dans *Débuts de l'écriture au Maghreb, Actes des colloques organisés à Casablanca par la Fondation Al Saoud*, 2004, pp. 19-24, p. 22.

4- REBUFFAT R., Le libyque de Bu Njem et le libyque, p. 61.

5- MALHOMME J., L'homme à l'inscription des Azibs n'Ikkis, Yagour, dans *BAM*, T. IV, 1960, pp. 411-417, p. 417.

6- G ALAND L., L'inscription d'Azib n'Ikkis, dans *BAM*, T. IV, 1960, pp. 418-421, p. 418; CAMPS, G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 148.

بما في ذلك الكتابة[1]. وهكذا فقد أرخها كامبس بالقرن 7 ق.م[2]، بينما أرجعها شنوركيان إلى حوالي 1000 ق.م[3].

لكن تأريخ النقيشة يفرض بالضرورة الانطلاق من التاريخ الذي أعطاه لها مالوم، ومن ارتباط الحروف المنقوشة بباقي عناصر اللوحة كما يتبين من خلال المقاييس الفنية (لون الزنجفر - النقش بطريقة التحزيز)، والموضوعاتية (تاريخ الأسلحة المعدنية). ويبدو أنه لا يوجد ما يمنع من الاستنتاج بتزامن الحروف مع باقي مكونات اللوحة، وبالتالي تأريخ النقيشة بنفس تاريخ اللوحة، أي منتصف الألف الثاني ق.م حسب رأي الباحثة حشيد[4].

وإضافة إلى نقيشة عزيب نكيس، اكتشفت بالمجال الساحلي لشمال إفريقيا رموز ليبية على اللوحات الصخرية بعدة مواقع، منها: «كهف مكتوبة» جنوب غرب أفلو (ناحية وهران بالجزائر)، وفي «واد زناتي» قرب قسنطينة، و«خنكة الحجر» (قرب كلمة بالجزائر)، وبموقع شابة نعيمة (جنوب غرب بسكرة) بالجزائر، وكذلك بموقع بالقرب من فكيك بالمغرب. غير أن المختصين، وإن أقروا بانتماء النقوش الصخرية بتلك المواقع إلى العصر الحجري الحديث، فإنهم رفضوا تأريخ الرموز الليبية بنفس تاريخ اللوحات الصخرية[5] لاعتقادهم بأنها أضيفت خلال فترات متأخرة[6]، أو أنها رموز عادية لا تعكس ممارسة مرتبطة بالكتابة[7].

وكيفما كان الأمر، ورغم رفض الباحثين إعطاء تواريخ أقدم للوثائق المذكورة سالفا، فإن تلك التي اقترحوها تعد، في حد ذاتها، مهمة من ناحيتين. أولا: تأكيد عدم ارتباط ظهور الكتابة الليبية بالكتابة البونية كما ساد الاعتقاد في البداية استنادا إلى تأريخ النقائش المزدوجة (البونية-

1- Ibidem; GALAND L., L'inscription d'Azib n'Ikkis, p. 421.

2- CAMPS, G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 148.

3- CHENORKIAN R., *Les armes métalliques dans l'art protohistorique de l'Occident méditerranéen*, CNRS, Paris, 1988, p. 439-440.

4- HACHID M., *Les pierres écrites de l'Atlas saharien*, El-Hadjra El-Mektouba, T. I, ENAG/ Éditions, 1992, p. 139.

5- يرى الباحث منصور غاقي، أحد المختصين في الكتابة الليبية، أن بعض الرموز الكتابية الليبية تزامن اللوحات الصخرية، بحيث يمكن تأريخ بعض اللوحات بالألف الثاني ق.م، لكنه أضاف: «إن معاصرة الكتابة لتاريخ اللوحات الصخرية أمر غير ممكن». أنظر مقال غاقي:

- GHAKI M., Le libyque, p. 17.

6- CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 147-148.

7- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 102.

الليبية) بثوغا[1]، وثانيا: إبراز تطور الكتابة الليبية بمناطق بعيدة عن التأثير الفينيقي والبوني.

ترى الباحثة مليكة حشيد أن البحث في موضوع قدم وأصالة الكتابة عند الليبيين، وفهم تطورها مجاليا وزمانيا ينبغي أن لا يقتصر على النقائش المكتشفة في المناطق الساحلية لشمال إفريقيا، ودافعت الباحثة عن فكرة توسيع النطاق الجغرافي للأبحاث ليشمل الصحراء وهوامشها الشمالية (طاسيلي ناجر، وتادرارت أكاكوس، والأطلس الصحراوي، وفزان)، حيث وُجدت هناك أقدم الرموز والعلامات والحروف الليبية القديمة[2].

ولعل من شأن الاهتمام بنقائش الصحراء تجاوز التقسيمات الكلاسيكية التي ميزت في تطور الكتابة عند الليبيين بين كتابة شرقية، وغربية، وصحراوية. ذلك أن البحث عن أصل الكتابة ينبغي أن يتركز عن التراث الحضاري الذي تبلور بمجموع المناطق التي سكنها الليبيون. وفي هذا الإطار اعتبرت الباحثة حشيد أن الوشم والرموز والعلامات والأشكال الفنية التي بدأ يصنعها الإنسان بالمنطقة منذ العصر القفصي (10000 ق.م)، أو تلك المنقوشة أو المرسومة على اللوحات الصخرية منذ المراحل الجاموسية والبقرية، تمثل أولى إرهاصات الكتابة عند أجداد الليبيين[3].

يمكن اعتبار اللوحات الصخرية، إذن، بمثابة خزان من الوثائق يكتنز التطورات المنطقية التي-ربما-قادت إلى التوصل إلى حروف الكتابة عند الليبيين. فقد عُثر على أقدم الرموز الليبية في الصحراء الوسطى بلوحات طاسيلي ناجر (الصحراء الجزائرية)، وتادرارت أكاكوس(جنوب غرب ليبيا) المنتمية لمرحلة العربة. وإذا أعطينا للكتابة نفس تواريخ اللوحات، وهو أمر منطقي، فإن تلك الكتابة الليبية تعود-حسب الباحثة حشيد-لما بين 1300 و1200 ق.م[4]، وهو تاريخ قريب من ذلك الذي توصل إليه الباحث كولان من خلال دراسة تطور أسماء

1- يتعلق الأمر بنقيشة كان يتزين بها ضريح أتبان (Atban) الليبي المكتشف بدقة (وسط غرب تونس)، وتتضمن نصا مزدوجا بلغتين وكتابتين: ليبية وبونية. ويذكر أن اكتشاف النقيشة يعود إلى القرن 17م، وبالضبط سنة 1631م، حيث عثر عليها الرحالة توماس داكروس الذي سلمها لأحد مواطنيه، وهو بيراز، الذي انكّب على دراستها. وفي سنة 1904 جرت حفريات بالموقع من طرف سادوكس (Sadoux) بإشراف من كوكلر (Gauckler) تم خلالها اكتشاف الضريح الليبي، والنقيشة المزدوجة المهداة لمسنيسا، وهي معروضة اليوم بالمتحف البريطاني بلندن:

- BERGER, PH., Découverte à Dougga (Tunisie) d'une inscription dédicatoire d'un temple élevé en l'honneur de Massinissa, dans *CRAI*, Année 1904, 48-4, pp. 406-407, p. 406.

2- HACHID M., *Les premiers berbères*, op.cit., p. 186.

3- Ibid., p. 185.

4- Ibid, p. 187.

الأعلام والأماكن والمجموعات البشرية الليبية في الوثائق المصرية والمصادر الأدبية والنقائش البونية والليبية، واستنتج بأن ظهور الكتابة الليبية تمّ ألف سنة قبل أن تتم الإشارة إليها في المصادر الأدبية[1].

ومن هذا المنطلق، فإن الكتابة الليبية في الصحراء تتزامن مع أقدم آثار الكتابة الفينيقية في الشرق[2]، والتي لا تتعدى القرن 13 ق.م حسب فيفريي[3]. وهذا يعني أن الكتابة الليبية قديمة هي الأخرى إذا ما قورنت بالفينيقية. وتبعا لذلك لا يمكن أن تتفرع عنها[4]، خصوصا وأن أقدم آثار الكتابة الليبية عثر عليها بالصحراء، أي بمجال بعيد جدا عن التأثير الفينيقي الذي اقتصر على السواحل[5]. وبالنتيجة، يمكن القول أن الفينيقيين عند قدومهم إلى شمال إفريقيا قد اتصلوا، على الأرجح، بشعب يستعمل الكتابة[6]، وإن كان ذلك-ربما-على نطاق ضيق.

يتضح، إذن، من خلال ما عرضنا له من معطيات أن الأدلة التي سيقت للبرهنة على الأصل الفينيقي للكتابة الليبية لا تبدو كافية[7]، على الأقل في حدود المعطيات المتوفرة لحد الآن. ذلك أن كل دليل من تلك الأدلة يمكن أن تحتمل العكس، ومن ذلك نذكر ما يلي:

-على المستوى الباليوغرافي: يبدو الشكل العام للحروف الليبية مختلفا تماما عن الحروف الفينيقية، وقلة عدد الحروف المتشابهة بين الكتابتين ليست في صالح الأصل الفينيقي، بل تدفع إلى الحديث عن استقلال الكتابة الليبية، وتأثرها الطارئ والمتأخر ببعض الجوانب الشكلية (شكل بعض الحروف، أو اتجاه الليبية الشرقية مثلا)، وليس العكس. ولذلك تُطرح ضرورة البحث في علاقة الحروف الليبية مع الأشكال والرموز المتضمنة في لوحات الفن الصخري باعتبارها خزانا رمزيا لم يُدرس بما فيه الكفاية، ولا زال يميز-إلى الآن-مختلف أشكال الفنون التقليدية في عدد من أرياف شمال إفريقيا.

1- COLIN F., Le vieux libyque dans les sources égyptiennes (de la nouvelle empire à l'époque romaine) et l'histoire des peuples libyco-phones dans le Nord de l'Afrique, *BCTH*, n.s, 25, 1999, pp. 13-18, p. 13 et n° 45.
2- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 184.
3- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 206.
4- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 168.
5- Ibid., p. 187.
6- Ibid., p. 138.
7- GHAKI M., Le libyque, p. 19.

- مدلول تسمية تيفيناغ: نلحظ أن محاولة إيجاد معنى للتسمية، وإقحامها ضمن أدلة أصل فينيقي مفترض لا تبدو موفقة، وتبقى مجرد اجتهاد، وبالتالي لا تفيد بشيء في موضوع أصل الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء.

- على المستوى الكرونولوجي: أظهرت دراسة الرموز الليبية بلوحات الفن الصخري بالصحراء قدم الكتابة الليبية بتلك المناطق مقارنة بسواحل شمال إفريقيا، وبالتالي تشكلها التراكمي المستقل بمجالات بعيدة جدا عن التأثير الفينيقي مما يعني احتمال تزامن الكتابة الليبية مع الكتابية الفينيقية، ويجعل معاصرتها للكتابة البونية أمرا مفروغا منه.

- على مستوى تنوع الكتابات الليبية: رغم التمييز في الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء بين كتابة شرقية في المناطق الواقعة غرب المجال القرطاجي الإفريقي، وغربية بنوميديا الغربية والمغرب القديم، وصحراوية بالهوامش الشمالية للصحراء، فإن هذا التقسيم يبقى منهجيا ليس إلا، فضلا عن أنه لا يحظى بالإجماع. وإلى أن يثبت أن الأمر يتعلق بكتابة واحدة أو العكس، فإن ذلك التنوع في الكتابات - في حد ذاته -يمكن أن يُفسّر بوجود تجارب محلية متنوعة في الكتابة، فلو كان مصدر التأثير واحدا لما ظهر هذا التنوع المجالي المستعصي على الفهم لحد الآن.

- التركز المجالي للنقائش الليبية: انطلاقا دراستنا للتوزيع المجالي للنقائش الليبية مقارنة مع النقائش البونية، يمكن الاستنتاج بأن تركز تلك النقائش بغرب المجال القرطاجي الإفريقي لا يدل على شيء، ولا يفيد بشيء في مسألة الأصل الفينيقي أو البوني. وكل ما هنالك أن ذلك التجاور المجالي والزماني يدل على أهمية التأثير البوني على استعمال كتابة كانت موجودة من قبل، لا سيّما في بعض النواحي الشكلية والتقنية (اتجاه الكتابة مثلا).

- غياب كتابة قد تمثل مرحلة انتقالية بين الكتابتين الفينيقية والبونية والكتابة الليبية، فالملاحظ أن الكتابة الليبية قد تجاورت مجاليا، ومنذ البداية مع تلك الكتابات، وهو ما يدل على تمايزها عن غيرها.

- أصالة الأسماء الدالة على فعل الكتابة في اللغة الأمازيغية الحديثة: يوجد في اللغة الأمازيغية الفعل الدال على الكتابة مثل كَتَبَ (أرا=أرو)[1]، والأسماء المرتبطة به مثل كتاب

1- Dictionnaire général de la langue amazighe, n° 3567, p. 173.

(أدليس=adlis)[1]، وهي ألفاظ محلية لا تدين بشيء للأصل الفينيقي.

وكخلاصة لما سبق، يمكن القول أننا بصدد كتابتين مختلفتين: فينيقية وافدة على المجال الإفريقي، وليبية نجمت على الأرجح عن تجارب محلية لم تتخذ بالضرورة نفس المسار الذي مرّ منه تطور الكتابة في الشرق الأدنى القديم. ولذلك يبقى من الصعب ربط الكتابة الليبية بأصل مباشر في الأبجدية الفينيقية، ولعل هذا الشكل المميز من الكتابة المسمى «ليبيا» ربما يعكس ديناميات طويلة، اجتماعية، وثقافية، واقتصادية داخلية، فرضتها حاجات الجماعات الليبية القديمة على امتداد مجال جغرافي شاسع.

وبناء على ما سبق، تُطرح الحاجة إلى إعادة النظر في الخلاصات التي تنسب الكتابة بشمال إفريقيا لتأثير أجنبي، رغم أن ذلك لا يعني إلغاء إمكانيات التفاعل والتأثير عندما يتعلق الأمر بتجاور كتابتين مستقلتين بنفس المجال الجغرافي. فإذا لم نكن واثقين من اختراع الكتابة بالصحراء، فلا شك أنها قد تطورت بالمنطقة كما يتضح من وجود أقدم النقائش هناك، وتشابه بعض حروف الكتابة المروية مع حروف الليبية، واكتشاف نقيشة تصنف ضمن الكتابة الليبية الغربية في بلاد النوبة جنوب مصر[2]. علما أن ديودوروس الصقلي أشار إلى أن المصريين اقتبسوا حروف كتابتهم من الإثيوبيين[3] سكان المجال الصحراوي.

لكن أطروحة الأصل المحلي للكتابة الليبية تبقى لها حدودها أيضا، ومازالت بحاجة إلى المزيد من التمحيص. فرغم أهمية خلاصات الباحثة حشيد فيما يتصل بتأريخ الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء، فهي لا تحسم الإشكاليات المرتبطة بمعايير تأريخ نقائش اللوحات الصخرية وتفكيك كتاباتها. ذلك أن معرفتنا بتطور استعمال الخط الليبي بشمال إفريقيا والصحراء تتسم بتفاوتات مجالية وزمانية. كما أننا لا نتوفر لحد الآن على ترتيب كرونولوجي يُبيّن بشكل واضح الصلة بين الكتابة الليبية المؤرخة بالقرن 13 ق.م-حسب الباحثة حشيد-والكتابة الليبية المستعملة خلال الفترة القرطاجية وما بعدها، حيث أن معظم المواقع الشمال إفريقية والصحراوية لم تقدم أدلة كافية تثبت انتظام استعمال الكتابة على امتداد تلك الفترات.

1- Id, n° 749, p. 48.

2- CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, p. 145.

3- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 3.

ويطرح هذا الأمر إشكالية التفاوت بين مناطق شمال إفريقيا والصحراء في تاريخ استعمال الكتابة وانتظامها، وهو أمر مهم، لا سيّما بالنسبة للمجال القرطاجي الإفريقي الذي توسعت به قرطاج، حيث لم يعثر لحد الآن على نقائش ليبية سابقة أو لاحقة لتأسيس قرطاج. وهو ما يجعلنا إزاء احتمالين يصعب الحسم فيهما، فإما أن الكتابة الليبية قد استعملت بالفعل بالمنطقة، ولم تترك آثارا مادية، وهذا من منطلق أن المجال القرطاجي لم يكن معزولا عن باقي المجال الشمال الإفريقي والصحراوي الذي عرف استعمال الكتابة، وإما أن الكتابة الليبية قد تراجعت بسبب تداول الكتابة الفينيقية وتطورها بالمجال القرطاجي الإفريقي إلى كتابة بونية.

2-2 - العلاقة بين الخط البوني والليبي:

انطلاقا مما سبق بيانه، فإن دراستنا للعلاقات المحتملة بين الخط البوني والليبي تندرج في إطار البحث في التفاعلات المحتملة بين كتابتين مستقلتين عن بعضهما البعض. ونظرا للاختلافات التي مازالت مطروحة بين ما يسمى بالكتابة الليبية الغربية والشرقية، والتي ترجع بالأساس إلى عدم تعميق البحث في هذا الموضوع بالقدر الكافي، فإننا سنركز على البحث في العلاقات الممكنة بين حروف الخط البوني وحروف الكتابة الليبية الشرقية[1] بحكم تجاورهما مجاليا، واستعمالهما في كتابة النصوص المزدوجة، وخاصة نصوص ثوگا[2].

1- يقصد بمصطلح الكتابة الليبية الشرقية الخط المستعمل في كتابة النقائش الليبية المكتشفة بتونس وشرق الجزائر. وهناك من أضاف إلى الأنواع الثلاثة للكتابة الليبية (شرقية، غربية وصحراوية) نوع رابع هو كتابة ثوگا (دقة)، وهو أمر لا يحظى بالإجماع في أوساط المختصين. ويطرح تصنيف هذه الكتابات الثلاث عدة إشكالات بالنظر لصعوبة ربط كل واحدة منهم بحدود جغرافية، أو بمجموعات بشرية معينة. فلا شيء يدل -لحد الآن- على وجود نظامين أبجديين مختلفين، واحد في شرق شمال إفريقيا، وآخر في غربها، وذلك بسبب عدم توصل الأبحاث إلى معرفة نهائية وحاسمة بعدد حروف الكتابتين الليبيتين، الشرقية والغربية، وبمضمون اللغة المستعملة في تلك النقائش. ولذاك، لم يعد المختصون يدافعون بنفس الحماس عن التقسيم الثلاثي للكتابة الليبية، وكثير منهم تخلى عنه، وأصبح الجميع يسلّم بأن التقسيم أملته ضرورات منهجية، وأخرى متعلقة بضعف المعطيات عن الكتابة الليبية بشمال إفريقيا والصحراء. يرى منصور غاقي، على سبيل المثال، أن كتابة ثوگا مختلفة نسبيا عن غيرها، ولا يستبعد أنها تمثل مرحلة من تطور الكتابة الليبية الغربية التي توجد بقاياها بتونس (بمدينة الكاف على سبيل المثال):

- GHAKI M., Inscriptions libyques de Tunisie, dans *Épigraphie libyco-berbères*, la lettre du RILB, n° 18-19, 2012-2013, pp. 2-4, p. 3.

2- عثر بموقع ثوگا القديمة (دقة الحالية/تونس) على ما مجموعه 13 نقيشة ليبية، بما في ذلك النقائش المزدوجة، معظمها منشورة في ديوان النقائش الليبية:

- *RIL*, 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 8 bis, 9, 10, 11(+fragment de stèle avec un lettre libyque trouvé par M. Carton).

يلاحظ من خلال المقارنة بين الحروف البونية وحروف الكتابة الليبية الشرقية (انظر الجدول رقم7) وجود عدة فروق جوهرية بين الكتابتين من أهمها محافظة الكتابة الليبية على الشكل الصغير والهندسي لحروفها لكونها لم تعرف نظام الرسم السريع على خلاف الكتابة البونية[1]. ويمكن اعتبار تلك الميزة دليلا على تطور قديم في الكتابة الليبية، وسابق-ربما-على استعمال البونية بالمنطقة، وبالتالي نرجح أنها لم تنسخ، أو تقلد حروف الخط البوني[2].

يبلغ عدد حروف الكتابة الليبية الغربية حسب الدراسات التي أنجزت لحد الآن حوالي 33 حرفا، أي أن بها حروفا لم توجد في الكتابة الليبية الشرقية[3] التي تتكون من عدد من الحروف يساوي تقريبا عدد حروف الكتابة البونية (22 حرفا، باستثناء حرفين محفوفين بالغموض)[4]، وهو ما يوافق تقريبا عدد الحروف التي تحدث عنها فولجنتيوس *(Fulgentius)* منذ القرن 6 م، أي حوالي 23 حرفا[5].

ويطرح اختلاف في عدد حروف الكتابة بنقاش الجزأين الشرقي والغربي لشمال إفريقيا، في مقابل تقارب عدد حروف الكتابة الليبية الشرقية والكتابة البونية، وتجاورهما مجاليا، مسألة تأثير الكتابة التي كانت مستعملة بقرطاج ومجالها الإفريقي على نظام الكتابة الليبية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا. ويصبح هذا التأثير مرجحا أكثر إذا نحن اعتبرنا أن الكتابتين الليبيتين الشرقية والغربية قد انبثقتا من أصل واحد[6]، وأن الكتابة الليبية الغربية، ذات الاتجاه العمودي، هي الأقدم[7].

ويرجح أن تأثير الخط البوني قد تجسد على مستوى تقليص عـدد حـروف الكتابة الليبية، وهو تأثير يبقى غامضا، ومن الصعب التحقق منه. ومادامت معطياتنا غير محسومة، فلا شيء يمنع من افتراض أن يكون تقلص عدد حروف الكتابة عند الليبيين والنوميديين الخاضعين لسلطة قرطاج، أو المجاورين لمجالها، قد جاء نتيجة لتطور داخلي مس نظام الكتابة

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 173.
2- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 38.
3- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 179.
4- فنطر(محمد حسين)، معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان، مرجع سابق، ص. 11.
5- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 99.
6- GALAND L., Les alphabets libyques, p. 69.
7- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 322.

وفق خصوصيات جهوية. كما أننا لا نعرف على وجه التحديد متى حدث التفاعل المفترض بين الليبية الشرقية والكتابة البونية ما دمنا لا نستطيع اعتبار نقائش ثوگا بمثابة أقدم آثار الكتابة الليبية الشرقية.

يستفاد من دراسة النقائش الليبية بشمال إفريقيا أن هناك أربعة طرق لانتظام الخط الليبي. فهناك انتظام أفقي باتجاه من اليمين نحو اليسار، أو من اليسار نحو اليمين. ثم هناك انتظام عمودي باتجاه من الأسفل نحو الأعلى، أو العكس[1]. ويعتبر الانتظام العمودي للحروف في الكتابة الليبية هو الأقدم زمنيا، والأكثر انتشارا مجاليا. فقد كتبت أقدم النقائش المكتشفة بالصحراء بهذه الطريقة[2]، ونفس الشيء في نقيشة عزيب نكيس بالأطلس الكبير بالمغرب[3]. وبنفس الانتظام كتبت معظم النقائش التي عثر عليها بباقي أنحاء شمال إفريقيا، ولا سيّما على الأنصاب الجنائزية[4].

وإذا كان الانتظام الأفقي باتجاه من اليسار نحو اليمين يعد متأخرا زمنيا، ويميز بالخصوص النقائش التي تُؤَرَّخُ بما بعد سقوط قرطاج، وخصوصا النقائش المزدوجة النيوبونية-اللاتينية والليبية-اللاتينية، حيث يمكن إرجاع ذلك التأثير إلى استعمال الكتابة اللاتينية بالمنطقة[5]، فإن الانتظام الأفقي باتجاه من اليمين نحو اليسار يتركز بالخصوص في نقائش ثوگا[6]. ويمكن اعتباره نادرا في نقائش باقي أنحاء شمال إفريقيا إذا استثنينا نقيشة جزر الكناري التي عثر عليها في ظروف غامضة[7]، ونقيشة أخرى عثر عليها بدرعة بالمغرب تحمل رموزا بعضها يشبه الحروف الليبية[8].

1- MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, p. 67.
2- HACHID M., *Les premiers berbères*, p. 186.
3- GALAND L., L'inscription d'Azib n'Ikkis, p. 418.
4- GHAKI M., Le cas de la stèle libyque Borj Hellal 3 : note sur l'orientation de l'écriture libyque, *Extrait dell Instituto Archeologico Germanico*, Sezione romana, Vol. 104, 1997, pp. 387-391, p. 390.
5- Ibidem.
6- CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, passim.
7- FAIDHERBE (Le général), Découverte d'une inscription libyque aux Canaries, dans *Rev. Afr.*, 1873, pp. 34.
8- SKOUNTI A., et NAMI M., Une inscription rupestre libyco-berbère peinte d'Ifrane-n-Taska (Sud marocain), dans *Sahara*, T. 12, 2000, pp. 174-176, p. 176.

لقد فُسّر انتظام الكتابة الليبية الشرقية بتأثير الكتابة البونية في اتجاه الكتابة عند الليبيين والنوميديين المستقرين بمناطق المجال القرطاجي، أو المجاورين لمناطق السيطرة القرطاجية، وذلك بحكم أصالة ذلك الانتظام في الكتابة البونية، وفي الفينيقية أيضا[1]. ورغم وجاهة الفكرة وسلامة الأساس التاريخي والمجالي الذي يبررها، فإن ذلك التأثير كان على الأرجح محدودا، ولم يتجاوز انطلاقا من المعطيات الحالية منطقة ثوگا[2].

ولعل ما ينهض دليلا على محدودية ذلك التأثير، واقتصاره على ثوگا استمرار الكتابة بانتظام عمودي بثوگا نفسها من خلال نقيشة مزدوجة نيوبونية-ليبية[3]. ويلاحظ نفس الشيء في مكثر[4]. كما استمر نفس الانتظام في الكتابة الليبية في مناطق أخرى بالمجال القرطاجي الإفريقي كما تدل على ذلك نقائش ليبية بجنوب وشمال غرب تونس[5]، وأخرى ليبية-لاتينية بتونس أيضا[6]، وفي مناطق أخرى من شمال إفريقيا كالجزائر (موقع بون بشرق الجزائر)[7]، والمغرب (ليكسوس)[8].

يتضح من خلال ملاحظة انتظام الكتابة بمجموع مناطق شمال إفريقيا القديم أن الكتابة الليبية حافظت على استقلالها من خلال تبني الانتظام العمودي، رغم التأثير البوني المتمثل في اتباع الانتظام الأفقي من اليمين نحو اليسار[9] الذي يعد من هذا المنطلق طارئا على الخط الليبي كما يتضح من غيابه في أقدم النقائش الليبية.

إذن، لا يبدو أن الخط الليبي قد اتبع الانتظام الأفقي منذ فترات سابقة على بداية التأثير البوني. ذلك أن النقيشة الليبية الوحيدة التي ربما أظهرت العكس، والتي عثر عليها

1- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 322; GHAKI M., Le cas de la stèle libyque Borj Hellal 3 : note sur l'orientation de l'écriture libyque, p. 388.

2- Ibid., p. 391.

3- MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, p. 67.

4- CHABOT J.-B., Punica, dans *JA*, T. XI, Mars-Avril 1918, pp. 249-302, p. 289.

5- CHABOT J.-B., Punica, dans *JA*, T. XI, Mars-Avril 1918, pp. 249-302, p. 293 et 299; POINSSOT L., Inscriptions libyques de Tunisie, pp. 31-33, pl. I-III; GHAKI M., Le cas de la stèle libyque Borj Hellal 3 : note sur l'orientation de l'écriture libyque, p. 387.

6- FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, p. 327.

7- CHABOT J.-B., 1918, Punica, p. 299.

8- MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, p. 94.

9- أسمهر(محفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، مرجع سابق، ص. 302.

بموقع إنوفنان *(Inoufnane)*[1]، وأُرجعت إلى الفترة الجرمنتية[2]، في حين أنها تعود-في الواقع-إلى مرحلة الجمل بالرسوم والنقوش الصخرية، أي إلى كتابة تيفيناغ الحديثة، وليس إلى الكتابة الليبية القديمة[3].

لقد دار نقاش طويل بين المختصين في الكتابات القديمة حول وظيفة النقط الموجودة في النص الليبي بالنقيشة المزدوجة بثوگا، وطُرح السؤال التالي: هل تمثل تلك النقط حروفا؟ أم أنها مجرد فواصل للتمييز بين الألفاظ؟[4]. هناك من اعتبر أنها تمثل حرف الفاء في الكتابة الليبية الشرقية، منكرا بذلك استعمال الفواصل في الكتابة الليبية الشرقية[5]. لكن، اتضح فيما بعد أنها مجرد فواصل تقع بأعلى السطر[6]. وهذا تحول طارئ بالنسبة للكتابة الليبية التي لم تعرف الفواصل كما يتضح من أقدم النقائش[7]. ومن هذا المنطلق تم ربط استعمال الفواصل في الكتابة الليبية الشرقية بتأثير الخط البوني[8].

غير أنه يصعب الحسم في هذه الفرضية، فإذا استثنينا النص البوني في النقيشة المزدوجة بثوگا، فإن النصوص البونية، سواء بقرطاج، أو بباقي المواقع الأخرى لم تعرف بدورها استعمال الفواصل، خصوصا وأن الفينيقيين كانوا قد تخلوا عن رسم الفواصل في كتابتهم منذ تاريخ مبكر. ينضاف إلى ذلك بالطبع أن استعمال الفواصل لم يكن حكرا على الكتابة الليبية الشرقية، بل وجدت النقط كذلك في نقائش الكتابة الليبية الغربية[9]، وإن لم يُحسم بعد في وظيفة النقط بها[10].

1- HACHID M., *Les premiers berbères*, fig. 263, p. 171.

2- أسمهر(محفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، مرجع سابق، ص. 303.

3- HACHID M., *Les premiers berbères*, fig. 263, p. 171.

4- FÉVRIER J.-G., Que savons-nous du libyque, p. 264.

5- MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, p. 64.

6- CHABOT J.-B., *RIL*, 1er fasc., insc. I, 2, p. 3.

7- أسمهر (محفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، مرجع سابق، ص. 301

8- CHAKER S., *Textes en linguistique berbère*, CNRS, Paris, 1984, pp. 233-234, passim.

9- CHAKER S., L'inscription libyque de Sidi Naamane, dan *CTHS*, n.s., fasc. 25, 1989, pp. 33-39, p. 36.

10- Ibid., p. 34.

إذا كانت فرضية التأثير البوني تدعمها قرينة غياب الفواصل في أقدم النقائش الليبية، فلا شيء يمنع من افتراض استعمال الفواصل في الكتابتين الليبية والبونية معا خلال مرحلة متأخرة. وذلك-ربما-استجابة لحاجات عملية مرتبطة بتطور داخلي للخط الليبي والبوني، ولعل من بينها تسهيل قراءة الوثائق. وهذا يعني أن التأثير البوني يبقى فرضية من ضمن فرضيات أخرى، ومرد ذلك إلى قلة وغموض الوثائق المتوفرة، وغياب كرونولوجيا واضحة لتطور الخط، وتقنيات الكتابة بالمنطقة، بما يسمح بترجيح هذه الفرضية، أو تلك.

خلاصة:

لن يكون بوسع الباحث في مجال اللغة والكتابة بالمجال القرطاجي الإفريقي، وبشمال إفريقيا القديم والصحراء الخروج بخلاصات تستند إلى أدلة وبراهين كافية دون أن يقرن نتائج أبحاثه بالمصاعب التي لا تزال تعترض دراسة مظاهر التأثير الأجنبي والأسس المحلية في ميدان اللغة والكتابة، خاصة بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم الذي خضع للحكم القرطاجي المباشر، أو تأثر عن قرب بمظاهر الحضارة البونية طوال الفترة القرطاجية.

ينتصب أمام هذا المسعى عائق موضوعي يتمثل في قلة الوثائق، وثقل الصعوبات التي لا تزال تواجه البحث في موضوع اللغات والكتابات القديمة، وعلاقتها ببعضها البعض، وبالأخص في منطقة شمال إفريقيا القديم. وهنالك أيضا ثقل الأطروحات التي صيغت حول الجوانب المحلية في مظاهر الحضارة القرطاجية عموما، وفي اللغة والكتابة خصوصا. واعتبارا لكل ذلك، يمكن القول بأن البحث في هذا الموضوع ما زال في بدايته، ولا يمكن الادعاء بأنه بوسعنا الحسم في القضايا الشائكة التي يثيرها.

إن الخلاصات التمهيدية التي سنبسطها أسفله تصلح لكي تكون أساسا لتعميق البحث في التفاعلات التي حصلت بالمجال القرطاجي الإفريقي على مستوى اللغة والكتابة، وفق منهجية علمية تتصدى لها فرق بحث متكاملة بالنظر لصعوبة المهمة. فلا زال من السابق لأوانه تحديد تاريخ مضبوط لظهور البونية بسماتها الخاصة كلغة ذات خصوصيات تميزها عن اللغة الفينيقية التي أدخلها المهاجرون الفينيقيون الذي قدموا إلى إفريقيا. علما أن تاريخ أقدم النقائش ليس محل إجماع بين المختصين لحد الآن.

لقد تبين لنا من خلال الدراسة المقارنة لبعض مكونات اللغة البونية بإفريقيا والفينيقية بالشرق وجود قواسم مشتركة أكيدة بين اللغتين، وفي نفس الوقت عددا من مظاهر الاختلاف

التي تجعلنا بصدد لغة لها بعض عناصر التميز عن لغة الفينيقيين في موطنهم بالساحل الفلسطيني اللبناني السوري. الأمر الذي لا يغير من واقع أننا بصدد غور لغوي واحد، لكن مع خضوع اللغة التي تكلم بها المهاجرون الفينيقيون إلى قرطاج ومجالها الإفريقي لتغييرات هامة بسبب تداولها في سياق اجتماعي مختلف.

لا شك أنه حدث تفاعل بين اللغة الفينيقية التي تكلم بها الفينيقيون، ولغة الليبيين الذين كانوا يستقرون بأنحاء البلاد الإفريقية التي ضمتها قرطاج، رغم الغموض الذي لا يزال يلف معظم الوعاء اللغوي الذي تجسدت فيه تلك التفاعلات. فنحن لا نعرف ما إذا كان ذلك قد حصل على مستوى اللغة البونية التي كُتبت بها الوثائق أم في إطار لهجات وسطى. وعلى كل، فقد اتضح من خلال الأبحاث المنجزة لحد الآن، والتي أبدينا بصددها ملاحظات نقدية أساسية، أن اللغة البونية قد تأثرت باللسان الليبي كما يبدو من خلال التغيرات الصواتية التي لحقتها.

غير أن المعطيات المتوفرة لا يسمح برصد المدى الذي بلغته تلك التأثيرات، خصوصا وأن تلك المعطيات تخص اللغة المكتوبة، وليس اللهجات التي ربما عكست أكثر التفاعل الذي تم على هذا المستوى. والراجح-تبعا لذلك-أن الليبيين قد استلهموا مكونات لغوية جديدة، وأثروا فيها وتأثروا بها كما يستشف من تطور اللغة الفينيقية ببلادهم، واتخاذها خصوصيات تميز المجال القرطاجي عن غيره، فضلا عن تعليم اللغة الإغريقية بقرطاج.

لقد اتضح من خلال تقدم الأبحاث في الكتابة بشمال إفريقيا والصحراء عموما أن سكان المنطقة قد استعملوا الكتابة منذ فترات جد قديمة مما يعني تجاوز الفرضية التي تنسب للفينيقيين فضلا على سكان المنطقة في موضوع إدخال الكتابة. وهذا لا يلغي دور الفينيقيين الذين أدخلوا الخط الفينيقي إلى شمال إفريقيا مع ما أسفر عنه ذلك من تفاعل مع الخط الليبي.

غير أن دراسة تطور الخط في قرطاج ومجالها الإفريقي، أظهر بأن الخط الذي استقدمه أوائل الفينيقيين قد خضع لتغييرات هامة بإفريقيا، مست بالخصوص طريقة كتابة عدد من الحروف. وفي نفس الآن يغلب على الظن بأن تأثير الكتابة البونية على الخط الليبي لم يتجاوز بعض النواحي الشكلية مثل اتجاه الكتابة.

ويتبين أن سكان المجال القرطاجي الإفريقي قد استوعبوا تأثيرات أجنبية فينيقية بالخصوص على مستوى اللغة والكتابة، لكنهم طوروها وفق خصوصيات المنطقة، وتمسكوا، بموازاة ذلك، بتراثهم القديم المتمثل في استمرار تداول اللغة الليبية، وعدم التفريط في الخط الليبي الذي سرعان ما عاد ليلعب دورا مهما في حياتهم، لا سيّما بعد سقوط قرطاج، وخضوع جزء من مجالها الإفريقي لسيطرة الملوك النوميديين.

الباب الخامس:
العقائد والمعبودات بالمجال القرطاجي الإفريقي

تقديم:

تعد المعتقدات الدينية من أهم مظاهر الحضارة القرطاجية الجديرة بالدراسة في سياق إشكالية المحلي والوافد نظرا لما يمثله الجانب الديني من أهمية في حياة الإنسان عبر العصور ما قد يعكس إما جانب المحافظة على الفكر الديني المحلي، أو الانفتاح على الآخر باستلهام بعض معتقداته. وتتغيأ دراسة هذا المظهر الحضاري القرطاجي رصد جوانب الاستمرارية، ومظاهر التأثير الأجنبي في عقائد سكان المجال القرطاجي الإفريقي.

نُدرك مسبقا أن تمييز الأسس المحلية في مجال الدين ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات هذا الجانب من الحضارة بصفة عامة. ذلك أن ارتباط الدين بحياة الأفراد والجماعات في التاريخ الراهن يجعله بؤرة مقاومة تجاه التأثيرات الدينية الدخيلة والطارئة على المجال المستقبِل. غير أن التاريخ القديم يقدم لنا صورة مختلفة شيئا ما. فهناك أدلة كثيرة تثبت أن عبادة أرباب أجنبية، أو اقتباس بعض خصائصها قد ارتقت إلى مرتبة الظاهرة في هذا العصر.

غير أنه لازال من المبكر فهم السبب الذي يجعل عبادة الأرباب الأجنبية أمرا مقبولا في المجال المُستقبِل. وبإمكاننا أن نضع مسبقا عدة فرضيات لتفسير هذا الأمر، منها ما يهم طابع التعدد الذي ميز الديانات القديمة، والذي، ربما، أوجد أرضية ملائمة سمحت لعدد من الشعوب القديمة بعبادة أرباب أجنبية، بحيث يمكن الانطلاق هنا من قدم فكرة الايمان بالخلاص الفردي الذي يمنح للأفراد والجماعات حرية اختيار الأرباب التي يرون في عبادتها استجابة لهواجسهم الروحية.

لكننا بصدد مبادئ عامة تظل بحاجة إلى تمحيص، وهو الأمر الذي سنسعى للقيام به من خلال دراسة المحلي والوافد في معتقدات سكان المجال القرطاجي الإفريقي من

خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية: هل حافظ الليبيون، خلال الفترة القرطاجية، على معتقداتهم الدينية والجنائزية التي ورثوها عن أجدادهم؟ ما أهم مظاهر التأثُّر بالمعتقدات الدينية الوافدة؟ وكيف يمكن تمييز المحلي والوافد، ونحن أمام إمكانية تفاعل واندماج تصورات وأفكار دينية مختلفة؟

حاولنا، انطلاقا من هذا الأساس النظري، استقراء إفادات النصوص القديمة والوثائق الأثرية بغية البحث في أهمية التأثيرات الدينية الأجنبية بالمجال القرطاجي الإفريقي، ولا سيّما التأثيرات الفينيقية، سواء على مستوى الأرباب، وما يرتبط بعبادتها من طقوس، أو ما يهم العمارة الدينية والجنائزية. منطلقين من قرينة استقرار الفينيقيين بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم، وعيشهم جنبا إلى جنب مع السكان الليبيين. كما سعينا لتوظيف الوثائق الأدبية والأثرية التي بحوزتنا لمناقشة الأطروحات التي قدمت إجابات حاسمة في مسألة أصول الدين القرطاجي بأن جعلته فينيقيا خالصا.

الفصل الأول:
الأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي

1 - مصادر دراسة الأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي:

نعتمد لدراسة إشكالية المحلي والوافد في عقائد ومعبودات المجال القرطاجي الإفريقي[1]، بدرجة أولى على المعطيات الأثرية والنقائشية، لأن المصادر الأدبية، فضلا عن فقر إفاداتها بهذا الخصوص، تطرح إشكالية معرفة وتمييز الأرباب القرطاجية التي أشار إليها الكتاب الأجانب باستعمال أسماء إغريقية ولاتينية[2]. وتنطبق نفس الملاحظة على الأرباب الفينيقية في الشرق.

لكن وجه الاختلاف بين معطيات المجال الإفريقي والمجال الفينيقي يكمن في أن وثائق الشرق عموما، ولا سيّما الوثائق المنتمية لعصر البرونز (لوائح رأس شمراء ورسائل تل العمارنة)، ولعصر الحديد (التوراة)، ونقائش مواقع الساحل الفينيقي، وإفادات الوثائق الأكادية والآشورية والبابلية قد مكنت من تكوين فكرة أوضح عن الأرباب التي عبدها الفينيقيون، سواء قبل تدشين حركة الانتشار الفينيقي نحو غرب المتوسط، أو بعدها.

كما ساعدت تلك الوثائق المباشرة على معرفة الأسماء الحقيقية لأهم الأرباب المعروفة في النصوص القديمة. وعلى خلاف ذلك، فإننا لا نتوفر، بالنسبة للمجال القرطاجي الإفريقي، على معطيات كافية حول الأساس الديني المحلي السابق على وصول الفينيقيين إلى الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. لقد ساهمت الرسوم والنقوش الصخرية في استيضاح بعض

1- لم نستعمل في هذه الدراسة مصطلح «مجمع الأرباب القرطاجي»، واكتفينا بالحديث عن معبودات المجال القرطاجي الإفريقي لأننا لا زلنا نجهل طبيعة التنظيم الديني خلال الفترة القرطاجية، أي الجهة المشرفة على تنظيم الطقوس الدينية، سواء تعلق الأمر بنظام كهنوتي، أو بإشراف مباشر من طرف الدولة القرطاجية. وبالتالي، قد لا تعكس الأرباب المعروفة من خلال النصوص والنقائش وجود مجمع منسجم يتركب من عدد محدود من الأرباب المعروفة.

2- يبدو أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا يعلمون عن تلك الديانة سوى القليل من المعلومات. فما نجده من إشارات يعكس في الواقع نظرات سطحية تبين أن تلك الديانة كانت غريبة عن هؤلاء الكتاب في أصولها وتطورها. ولذلك اعتادوا الإشارة إلى الأرباب القرطاجية باستعمال أسماء شائعة في لغاتهم الأصلية. إن انتقال أسماء تلك الأرباب مترجمة إلى اللغات الإغريقية واللاتينية معناه أن خصائصها قد تطابقت مع أرباب إغريقية ورومانية، وهو ما يصعب التأكد منه في حدود المعطيات الحالية.

جوانب الفكر الديني عند سكان شمال إفريقيا والصحراء منذ ما قبل وما قبيل التاريخ. لكن تلك الوثائق المحلية لم تمكّن للأسف من معرفة أسماء الأرباب التي عبدها السكان خلال تلك الحقبة.

2 -قدم الأساس الديني المحلي:

يُجمع الباحثون الذين تناولوا إشكالية أصل الديانة البونية على أن قرطاج قد استمرت طيلة تاريخها بإفريقيا مخلصة للأرباب الفينيقية، وأن الديانة البونية بقيت فينيقية في ملامحها الأساسية. أما بالنسبة لتأثير الأسس الدينية المحلية، فالملاحظ أنهم قللوا من شأن التحولات التي طرأت على العقائد الفينيقية بالمجال الإفريقي، واعتبروها ثانوية إذا ما قورنت بالأساس المشترك بين الديانتين الفينيقية والبونية[1]. وفي هذا الإطار، لم يتردد ستيفان كسيل في الاستنتاج بأن سكان شمال إفريقيا ككل لم يتوصلوا لوحدهم إلى عبادة أرباب خاصة بهم، وإنما اقتبسوها من غيرهم[2].

بينما استخلص بليكران ولبيري أن الليبيين انتظروا بالذات قدوم الفينيقيين للتوصل إلى عبادة أرباب ذات خصائص محددة[3]. وبالمقابل، تمسك باحثون آخرون بقوة التأثيرات الدينية الإغريقية في معتقدات القرطاجيين، فاعتبروا أن مدينة قرطاج، على وجه الخصوص، قد أصبحت بسبب تلك التأثيرات جزءًا من النسق الديني الإغريقي[4]. فهل تؤيد معطيات النصوص التاريخية القديمة والوثائق الأثرية مثل هذه الخلاصات؟ وهل كان الأساس المحلي غائبا بالفعل في اعتقادات سكان المجال القرطاجي الإفريقي؟

قبل البحث في مظاهر استمرار المعتقدات الليبية خلال الفترة القرطاجية، نرى اللازم معرفة الأساس الديني المحلي الذي ظل محل تهميش في الدراسات الفينيقية البونية من خلال إبراز مدى قدرة الليبيين والنوميديين بالمنطقة التي توسعت بها قرطاج على عبادة أرباب

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 350; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p.191; HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 73; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 491; DECRET F., et FANTAR M.-H., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, p. 69.

2- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 142.

3- LAPEYRE G.-G.et PELLEGRIN A., *Carthage punique*, p. 73.

4- PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, p. 84; LEGLAY M., *Saturne africain*, p. 446.

خاصة بهم كما هو الأمر بالنسبة لسائر شعوب العالم القديم[1]. وهكذا سنحاول تجميع أهم النصوص التاريخية والروايات الأسطورية التي تضمنت إشارات مهمة حول الفكر الديني لسكان شمال إفريقيا القديم، والتي تغافل عنها دارسو الديانة البونية بإفريقيا.

يتبين من الموضوعات المجسدة على اللوحات الصخرية بشمال إفريقيا والصحراء أن سكان المنطقة قد رسموا، أو نقشوا على الصخور الأرباب التي عبدوها، والأفكار الدينية التي آمنوا بها، وذلك منذ ما قبل التاريخ. ومن أهم تلك الأرباب نذكر الرب الأكبر المتوج بقرنين[2]. وجاء في رواية نقلها ديودوروس الصقلي أن الأرباب ولدت بمجال الأطلسيين الليبيين[3]. ونقل هوميروس على لسان الربة جينون *(Junon)* أنها ستذهب إلى المحيط، حيث ولدت الأرباب[4].

وتحدث الكتاب الإغريق، بالخصوص، عن الأصل الليبي لعدد من الأرباب الكبيرة التي عبدها الإغريق. فقد اعتبر هيرودوتوس أن الرب أوزوريس ذو أصل ليبي[5]. بينما نقل ديودوروس الصقلي عن الأطلسيين قولهم أن الرب زيوس *(Zeus)* ولد ببلادهم[6]، وأضاف مؤلف «الخزانة التاريخية» أن الإثيوبيين هم أول من علّم الناس عبادة الأرباب، وتقديم القرابين على شرفها[7].

يتضح من النصوص المذكورة أعلاه أن الليبيين قد توصلوا شأنهم شأن سائر شعوب العالم القديم، ومنذ فترات جد مبكرة إلى أشكال معينة من الاعتقادات الدينية، وعبدوا أربابا خاصة بهم. ولذلك لا نرى مبررا لتصديق الفرضية القائلة بأنهم قد انتظروا مجيء الفينيقيين، وتأسيس قرطاج لعبادة أرباب ذات خصائص محددة. ورغم الطابع الأسطوري للروايات المذكورة سابقا، فإن المنهجية العلمية تستلزم عدم تجاهلها، ذلك أن تناقل الإغريق لتلك الروايات لم يكن، على الأرجح، ليأتي من فراغ.

1- قد يبدو الأمر مُسلّما به، ولا يحتاج إلى تبيّن، لكن التهميش الذي طال هذا الجانب من حضارة المنطقة إلى الدرجة التي تم فيها ربط وجود الأرباب بها بقدوم الفينيقيين هي التي تفرض تسليط الضوء على الأساس الديني المحلي بشمال إفريقيا بصفة عامة، وبالمجال الليبي الذي سيصبح تابعا لقرطاج بصفة خاصة.

2- HACHID M., *Le Tassili des Ajjer : aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides*, Paris, 2000, p. 119 et 192.

3- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 53 ; Id, ibid., IV, 27.

4- HOMÈRE, *Iliade*, XXIV, 200.

5- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 144

6- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 63.

7- Id, ibid., III, 2.

3 - الأربـاب الكبـرى بالمجال القرطاجي الإفريقي:

لتسهيل دراسة الأرباب التي عُبدت بالمجال القرطاجي الإفريقي، ارتأينا تصنيفها إلى مجموعات أكثر انسجاما من التصنيفات السابقة. وذلك نظرا لعدم جدوى التقسيم الكلاسيكي في هذا المضمار، أي التمييز بين أرباب كبيرة، وأخرى صغيرة، أو ثانوية. فنحن لسنا متأكدين من الناحية التاريخية- ما عدا في حالات قليلة- من مدى انتشار عبادة كل الأرباب حتى نسلّم بأنها كانت رئيسية، أو ثانوية. ولهذا نقترح تعديلا بسيطا بتصنيف تانيت وبعل حمون ضمن الأرباب الكبيرة نظرا لتوفر ما يثبت انتشار عبادتهما، وتمييزهما بهذه الصفة عن باقي الأرباب التي سندرسها ضمن مجموعة ثانية. مع التنبيه إلى صعوبة الإحاطة بجميع الأرباب التي عُبدت خلال الفترة القرطاجية، وحسبنا التركيز على تلك التي تبدو مهمة في سياق إشكالية هذه الدراسة.

3-1 - تـانيت أو تينيت:

ورد اسم هذه الربة بصيغ متنوعة في النقائش البونية بقرطاج وبشمال إفريقيا، ومن أهمها «تنت»، و«تينيت» و«ثينيت»[1]، و«تانيت فن بعل» (أي المُقابلة أو المُواجهة لبعل)[2]. وتدل البقايا المادية على الانتشار الواسع لعبادتها من طرف سكان شمال إفريقيا عموما[3]، وسكان المجال القرطاجي الإفريقي خصوصا[4]. ومن أهم بقايا عبادتها بقرطاج نذكر المعبد المخصص لعبادتها إلى جانب الرب بعل حمون والمسمى توفاة *(Tophet)*[5].

1- تعد تسمية «تانيت» الأكثر تداولا في الدراسات التاريخية. ويبدو أن صيغة «تينيت»، أو «ثينيث» هي الأصح بحكم ورودها بهذه الصيغة في بعض نقائش الحفرة التي كتبت باللغة البونية والحروف الإغريقية. وتبعا لذلك اقترح فنطر نطقها بصيغة «تِنِّيْت» بتاء مكسورة ونون مشددة بالفتحة والياء الساكنة.

-فنطر(محمد حسين)، معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان، مرجع سابق، ص. 11.

2- بالنسبة لنقائش قرطاج، فقد ورد اسم الربة بصيغتي «ت ن ت» و«ت ن ت ف ن ب ع ل» وصفتها «ر ب ت ن»، أي سيدتنا. أما في نقائش الحفرة بالجزائر فتظهر صيغ أخرى، لا سيّما في النص الإغريقي الذي رُسمت به الحركات مثل «ت ن ي ت» و«ث ن ي ت». انظر بهذا الشأن:

- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, n° 2, p. 13, et n° 3, p. 14, et n° 80, p. 70.

3- لم تشر المصادر الإغريقية واللاتينية إلى تانيت بالاسم، ولا يستبعد أنهم أشاروا إليها بأسماء ربات شبيهات بها. ويرجح أن تانيت تشابهت عند الإغريق مع الربة أرتيميس، وعند الرومان مع عدة ربات أمثال ديانا وجنون كايليستي وفينوس. انظر بهذا الخصوص:

-فضيل المليار(عبد الحفيظ)، الحضارة الفينيقية في ليبيا، الطبعة الأولى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص. 206-208.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, Alif, Tunis, 1993, p. 251.

5- يعد معبد صلامبو بقرطاج بمثابة نموذج لهذه المعابد. أما تسمية «التوفاة»، فقد استوحاها الأثريون الأوائل من اسم مكان

وعلاوة على قرطاج، اكتشفت أدلة على انتشار عبادتها بباقي أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي. ففي الشمال الشرقي التونسي، وبالضبط في بئر بورقبة قرب نابل (ثينيسوت قديما)، تم اكتشاف معبد يعتقد أنه كان مخصصا لعبادة تانيت وبعل حمون[1]. وفي الساحل الشرقي التونسي تمثل توفاة الكنيسية قرب سوسة أبرز دليل على عبادتها في المنطقة[2]. ووجدت أدلة عبادتها كذلك بداخل الأراضي، أي بالبلاد النوميدية مثل موقع مديدي قرب مكثر بالشمال الغربي التونسي[3]. في حين تم اكتشاف بقايا التوفاة والرمز المنسوب للربة بعدد من مواقع سواحل السرت الصغرى والكبرى الكبرى[4].

ففي صبراتة عثر على توفاة مخصص لعبادتها مع بعل حمون[5]. هذا بالإضافة إلى اكتشاف الرمز المنسوب إليها بموقع أويا القديمة، أي طرابلس حاليا[6]، وفي لبدة الكبرى[7].

يوجد قرب القدس جاء ذكره في التوراة كمكان كان الكنعانيون يقومون فيه بالتضحية بالأطفال حرقا على شرف الرب «ملوك»(Moloch). وقد أطلقت التسمية على معبد صلامبو المكتشف بقرطاج بعد العثور على بقايا عظام محروقة تعود لأطفال. ورد لفظ «توفاة» في النصوص التوراتية باستعمال حرف «التاء» في بداية الكلمة، وليس الطاء. ولذلك فالصحيح هو كتابتها بصيغة «توفاة»، وليس «طوفيت» المستعملة في بعض الكتابات العربية. انظر بهذا الخصوص:

GRAS M., ROUILLARD P., et TEIXIDOR J., *L'Univers phénicien*, Édition révisée, Hachette, Paris, 1995, p. 219.

1- BEN ABID L., Le paysage religieux de Maktar à l'époque préromaine : l'aire sacrée de Baal Hammon, dans *Revue de l'histoire des religions*, T. 4, 2010, pp. 683-701.

2- قام لويس كارطون(Carton) بحفريات متوالية في الكنيسية، قرب سوسة، كشفت سنة 1903عن معلم ديني عثر به على رمز تانيت، وفي 1905، أعلن كارطون أن الأمر يتعلق بمعبد مخصص لتانيت وبعل حمون:

- CARTON, L., Les fouilles à El Kenissia, près de Sousse (Tunisie), dans *CRAI*, Année 1903, 47-4, pp. 283-287, p. 285; Id, Fouilles du sanctuaire punico-romain de Tanit découvert à El-Kenissia, près de Sousse, dans *CRAI*, Année 1905, 49-5, pp. 501-504, p. 501.

3- BEN ABID L., Le paysage religieux de Maktar à l'époque préromaine : l'aire sacrée de Baal Hammon, parag. 30.

4- إذا استثنينا بقايا توفاة قرطاج العائدة لفترة أقدم، فإن معظم بقايا عبادة تانيت بشمال إفريقيا القديم، سواء من خلال بقايا التوفاة، أو الأنصاب النذرية، تنتمي إلى فترات متأخرة. إذ تؤرخ بقايا توفاة صبراتة مثلا بأوائل القرن 3 ق.م، في حين تعود الجرار التي تحمل رمز تانيت بموقع لبدة الكبرى إلى القرن الأول ق.م، بينما كانت فترة نشاط توفاة سيرتا بموقع الحفرة في فترتي حكم الملكين مسنيسا وابنه مسيبسا(203- 118 ق.م).

- أبو شحمة(محمد عمي)، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، ضمن مجلة البحوث الأكاديمية، جامعة مصراتة، كلية الآداب، قسم السياحة والآثار(د.س)، ص ص 483-514، ص. 491.

5- AMADASI GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine: essai de mise au point, dans *BCTH*, n.s. 17, fasc. B, 19984, pp.189-196, p. 196.

6- GSELL S., *HAAN*, T.II, p. 122; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p.171.

7- الشريف (أحمد الريفي)، المعتقدات الدينية الفينيقية، ضمن مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية)، المجلد السابع، العدد الأول، 2008، ص ص 18-24، ص. 19.

وتتركز آثار عبادتها بالبلاد النوميدية الواقعة غرب المجال القرطاجي الإفريقي بشرق الجزائر، ولا سيّما بسيرتا[1] عاصمة الماسوليين. كما اكتشفت بقايا أخرى لما يعتقد أنها معابد التوفاة بالجزائر[2]. في حين لا يوجد-لحد الآن-دليل مادي مقنع يؤكد عبادة الربة تانيت من طرف الموريين بالمغرب القديم[3].

وخارج شمال إفريقيا، انتشرت عبادة تانيت في مختلف المناطق التي امتد إليها النفوذ القرطاجي. فقد عثر بمواقع حوض البحر الأبيض المتوسط[4] على ما يزيد عن 7000 نصب يخلد عبادتها، وذلك حسب إحصائية تغطي فقط الفترة ما بين 1806 و1946، إضافة إلى بقايا التوفاة في عدد من مراكز النفوذ الفينيقي البوني مثل موتي بصقلية، وسولكيس، وبيثيا، وثاروس بسردينيا، أرخت عموما بما بين القرنين 8 و6 ق.م[5].

1- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, passim.

2- من بين المواقع الجزائرية الأخرى التي عثر بها على معبد التوفاة المخصص لعبادة تانيت نذكر قلعة بوصبع والشافية، وسيجوس. انظر ما كتبه محمد الصغير غانم بهذا الخصوص:

- غانم(محمد الصغير)، النقوش البونية في الجزائر، ضمن نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، أعمال الندوتين المنظمتين بالدار البيضاء من طرف مؤسسة الملك عبد الله آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الإنسانية، أيام 17-18 يناير و18-19 أبريل 2002، تنسيق محمد سيراج ومحمد حسين فنطر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ديسمبر 2004، ص ص 17-22.، ص. 18.

3- يبدو أن قراءة الحروف المزبورة على إحدى الشقف الخزفية المكتشفة بموقع موكادور على أساس أنها تمثل اسم علم له صلة بعبادة تانيت(ع ب د ت ن ت) ليس صحيحا، وتأويله كذلك ليس مؤكدا. تتكون النقيشة من أربعة حروف فقط. وتصعب قراءة الحرف الثاني منها، فيحتمل أن يكون دالا أو راء فيعطينا (ب ر ت ن) أو (ب د ت ن). إذن النقيشة مبتورة، وتأويلها يبقى افتراضيا، بحيث لا نجد في مواقع المغرب ما يدل على عبادة تانيت. وفي 2019 نشر مقال لكل من برينو دندريا وسارا كياردينو ضمن أشغال المؤتمر الدولي السابع للدراسات الفينيقية البونية المنعقد في أكتوبر 2009، أشغال أشارا فيه إلى احتمال وجود توفاة في مدينة الرباط المغربية مع خريطة تُصنفه ضمن التوفاة غير المؤكدة، دون أن يظهر أثر لهذه المعلومة فيما بعد. للتوسع في الموضوع راجع:

- FÉVRIER J.-G., *Les inscriptions antiques du Maroc .Les inscriptions puniques*, n° 51, p. 113; D'ANDREA B. et, GIARDIN S., Le tophet : où et pourquoi. L'identité phénicienne, le cercle de Carthage et la phase tardo punique, dans l*a vie la mort et la religion dans l'univers phénicien et punique, Actes du VIIème congrès international des études phéniciennes et puniques*, Volume III, Institut National du Patrimoine, Tunis, 2019, pp. 1519-1551, p. 1519 (+fig.1, p. 1520).

4- يستثنى من ذلك جنوب إيبيريا، فرغم أن المنطقة عرفت حضورا فينيقيا ثم قرطاجيا مهما، فلم يعثر بها بعد على بقايا التوفاة الذي طالما ارتبط بالوجود الفينيقي البوني:

- D'ANDREA B. et, GIARDIN S., Le tophet: où et pourquoi. L'identité phénicienne, le cercle de Carthage et la phase tardo punique, p. 1519.

5- PICARD C., Les représentations du sacrifice molk sur les ex-voto de Carthage, dans *Karthago*, T. XVII, 1976, pp. 68-138, p. 68.

من الناحية الكرونولوجية، تعد تانيت من أقدم المعبودات بالمجال القرطاجي الإفريقي، فإذا كانت عبادتها مرتبطة بالتوفاة[1] بقرطاج، فإن هذا الأخير يعود إلى الفترة العتيقة من تاريخ المدينة، وإن كان ظهورها بكثرة يوافق الأنصاب النذرية المنتمية للقرن 5 ق.م مما دفع ورمنغطون إلى الاعتقاد بأن تانيت لم تتبوأ موقعا مهما بين أرباب قرطاج إلا ابتداء من تلك الفترة[2]. واعتبر بيكار أن ذلك كان جزءًا من إصلاح ديني عرفته المدينة[3].

أما بخصوص أصل تانيت فقد ظلت آراء الباحثين تتراوح بين أطروحتي الأصل الفينيقي ونظرية الأصل المحلي الليبي. فبعد مرور سنوات على ظهور أطروحة الأصل المحلي لتانيت راكم أصحاب أطروحة الأصل الفينيقي مجموعة من المعطيات لدعم موقفهم معتبرين أن إشكالية أصل الربة بات محسوما، وأن الأصل المحلي أصبح لاغيا[4]. استند هذا الرأي على ظهور اسم الربة بنقائش فينيقية في الشرق، ولا سيّما تلك التي عثر عليها بصربتا بتل الهرمل قرب صيدا بجنوب لبنان تشير إلى الربة «ت ن ت ع ش ت ر ت»، وأرخت بما بين القرنين 7 و6 ق.م[5].

كما دخل اسم تانيت في تركيب اسم علم (ج ر ت ن ت) بصيدا على لقية تعود إلى القرن 5 ق.م[6]، وعلى قنديل يعود إلى الفترة الفارسية (القرن 5 ق.م)، وفي تركيب اسم علم (ع ب د ت ن ت) بنفس الموقع (القرن 4 ق.م)[7]. وزعم لبينسكي- وهو من أشد المتحمسين لفكرة الأصل الفينيقي- العثور على نقيشة تحمل اسم الربة بتوفاة صور العائد إلى ق. 8 ق. م.[8] في حين اعتبر موسكاتي أن وجود اسم «ت ن ت ل ب ن ن» بإحدى نقائش قرطاج يمثل دليلا على الأصل الفينيقي لتانيت[9] من منطلق أن اسم «لبنان» قديم، وأُشير إليه في النقائش الفينيقية

1- التوفاة هو عبارة عن معبد اقترن بعبادة تانيت وبعل حمون. يتوفر هذا المعبد عادة على ساحة مقدسة يفصلها عن المحيط العادي جدار أو حاجز تراب، ويوجد بالساحة مذبح وخندق لإشعال النيران. كانت تقدم بالتوفاة مختلف أنواع القرابين، وإن كان قد ارتبط بشعيرة تقديم الأضاحي البشرية، وخاصة من الأطفال الصغار، وهي الممارسة التي لا تزال محل جدل بين من يقر بوجودها ومن ينفيها.

2- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 71.

3- PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, Librairie Plon, Paris, 1954, p. 80.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation, T. II*, p. 253 et 255.

5- PRITCHARD J.-B, Sarepta and phoenician culture in the west, dans *ACSFP*, I, vol. II, Roma, 1983, pp. 521-525, p. 524-525.

6- LANCEL S., *Carthage*, p. 210.

7- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 202.

8- Ibid, p. 201.

9- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 192.

(ق. 8 ق.م)[1]، وفي النصوص القديمة (نهاية ق.5 ق.م)[2].

من الناحية الكرونولوجية، يتضح مبدئيا من خلال ملاحظة التواريخ التي أعطيت للنقائش المذكورة أعلاه أن ظهور تانيت في الشرق الفينيقي أقدم[3] مقارنة مع قرطاج، وباقي مواقع غرب البحر المتوسط، انطلاقا من تأريخ عبادتها بقرطاج بالقرن 5 ق.م[4]. وفي هذا الإطار يرى لبينسكي أن آثار عبادة تانيت في غرب البحر المتوسط تنتمي إلى فترات متأخرة، قدرها بالقرنين 5 و4 ق.م[5] معتبرا أن ذلك يمثل أقوى دليل على صحة أطروحة الأصل الفينيقي لتانيت[6].

ارتكزت أطروحة الأصل الفينيقي أيضا على العثور على الرمز المنسوب لتانيت بالشرق الفينيقي[7]. فقد اكتشف ذلك الرمز على عدد محدود من اللقى الأثرية بمواقع بالسواحل اللبنانية والفلسطينية[8]. وُجدت أقدم تلك الآثار حسب لبينسكي على أنصاب مدينة صور المؤرخة ببداية الألف الأول ق.م[9]، بينما يرى صورن وباحثون آخرون أن نفس الرمز وجد في حاصور *(Hazor)* بشمال فلسطين في سياق أثري يعود إلى حوالي ألف سنة قبل تأسيس توفاة قرطاج[10].

يرى لبينسكي أن رمز تانيت لم يظهر بالمجال القرطاجي الإفريقي إلا في مرحلة متأخرة مقارنة بوثائق الشرق الفينيقي[11]، مما يعني أنه شرقي الأصل، وأن الفينيقيين هم الذين جلبوه إلى شمال إفريقيا[12] لأنه عُرف عند الكنعانيين والفينيقيين قرونا قبل ظهوره بالمجال الإفريقي[13].

1- BERGER Ph., *L'écriture dans l'antiquité*, p. 124.
2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIV, 21.
3- PRITCHARD J.-B, Sarepta and phoenician culture in the west, p. 525.
4- D'ANDREA B. et, GIARDIN S., Le tophet : où et pourquoi. L'identité phénicienne, le cercle de Carthage et la phase tardo punique, p.1520 .
5- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 203.
6- Ibid, p. 201.
7- رمز تانيت هو عبارة عن مثلث (أحياناً شبه منحرف) تعلوه دائرة، ويفصل بين هذين الشكلين الهندسيين خط أفقي. لقد أثبتت الحفريات وجود هذا الرمز على عدد من اللقى الأثرية مثل التمائم وبعض المعالم الجزئية، واللوحات الفسيفسائية.
8- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 209-214.
9- Ibid, p.211.
10- SOREIN D., et autres, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, p. 159.
11- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 209.
12- Ibidem et p. 206.
13- SOREN D., et autres, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, p. 159.

واعتبر فنطر، من جهته، أن الانتشار المجالي لتانيت بإفريقيا له دلالة فيما يتصل بمسألة الأصل، فآثار عبادة الربة اكتشفت بالأساس بالمجال الإفريقي الذي خضع لقرطاج وجزء من البلاد النوميدية التي تأثرت بالحضارة القرطاجية، بينما لا نجد ما يؤكد عبادتها في باقي المناطق الشمال إفريقية وبالصحراء[1].

كما فُسّر دخول اسم تانيت في تركيب بعض أسماء الأماكن الحالية في لبنان (عين تانيت وكفر تانيت وعقتانيت) كدليل يؤيد فرضية قدم عبادة تانيت بالمنطقة[2]. وعلاوة على ذلك، حاول لبينسكي البحث عن جذر سامي للفظ «تانيت»[3]، مستبعدا اشتقاقه من جذر في اللغة الأمازيغية الحديثة[4] بحجة أن ابتداء الاسم بحرف التاء-الدالة على التأنيث في اللغة الأمازيغية- لا يعني بالضرورة الحكم بأصله الأمازيغي ما دام أن التأنيث بالتاء معروف في لغات أخرى كالعبرية والعربية[5]. واستبعد لبينسكي أن يكون لفظ «تانيت» مركبا من السابقة الأمازيغية (التاء) مضاف إليها اسم ربة أخرى، ربما تكون «نيث»، أو «أنات»، معتبرا أن ذلك ليس مؤكدا[6].

لكن أطروحة الأصل الفينيقي لتانيت ما تزال تصطدم بعوائق كثيرة تنبني على معطيات موضوعية ليس من السهل تجاوزها. وتتمثل أبرز تلك المعطيات في كثرة آثار عبادتها بالمجال القرطاجي الإفريقي، خصوصا، وبباقي مواقع غرب البحر المتوسط عموما، والتي تعد بالآلاف إذا ما قورنت بالعدد المحدود من الوثائق المكتشفة بمواقع الشرق الفينيقي. حاول أنصار أطروحة الأصل الفينيقي تفسير ذلك التناقض بتشابه خصائص الربتين الفينيقيتين تانيت وعشتارت بإفريقيا، حيث عبدت الثانية حسب اعتقادهم بإفريقيا تحت اسم الأولى[7]. وقد أرجعوا ذلك لعدة أسباب.

1- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 261.

2- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 192 ; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 202.

3- Ibid, p. 199.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 253.

5- Ibidem.

6- LIPINSKI, E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique,* p. 201.

7- WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 186; DECRET F., *Carthage ou l'empire de la mer*, Éditions du Seuil, Paris, 1956, p. 135; BASSET H., Les influences puniques chez les Berbères, dans *Rev. Afr.*, 72è année, T. LXII, n° 366, 1er Trimestre 1921, pp. 340-373, p. 367.

اعتبر كسيل أن الكتاب القدامى، ربما، استعملوا نفس الأسماء (تانيت وعشتارت) للإشارة إلى الربتين[1]، بينما يرى لبييري وبليكران أن ندرة اسم تانيت في أسماء الأعلام، مقابل كثرة أسماء الأعلام المركبة من اسم عشتارت يعني أن الأمر يتعلق بربة واحدة[2]. ويرى البعض الآخر أن تشابه الربتين يبدو مقبولا لأنه لا توجد سوى عشتارت في الشرق تماثل أهمية تانيت في غرب البحر المتوسط[3]. كما اعتُبر الإهداء الموجه إلى ربة تحمل اسم «ت ن ت ع ش ت ر ت» بنقيشة صربتا بفينيقيا بمثابة دليل على تشابه الربتين.[4] وهناك من يرى أن تشابه الرموز المصاحبة للربتين سهّل تشابه عبادتهما.[5] كما فُسِّر انتشار عبادة تانيت بمناطق النفوذ القرطاجي باحتمال تشابه عبادتها مع ربات فينيقيات أخريات انطلاقا من تقارب الأسماء، مثل أنات *(Anat)*، أو وإيلات *(Elat)*[6].

وبالمقابل اقترحت قلة من الباحثين فرضية الأصل المحلي لتانيت بحكم الطابع الأمازيغي لاسم الربة[7]، بينما ربط البعض الآخر بينها وبين الربة المصرية نيث *(Neith)* من منطلق تقارب نطق اسميهما[8]. وتبعا لذلك، فإن انتشار عبادة تانيت بفينيقيا راجع للتأثيرات المصرية بالساحل الفينيقي[9]. غير أن الفرضية الأخيرة لا تدعمها معطيات كافية. لقد سمحت الأبحاث اللسانية التي اهتمت بدراسة أصل اسم تانيت في اللغة الأمازيغية الحديثة بإعادة طرح فرضية الأصل المحلي للربة. فقد بيّنت تلك الدراسات غنى الاشتقاقات الأمازيغية لجذر «ت ن ت»، وبالتالي احتمال وجود أصل محلي لاسم الربة كما يرى الباحث مصطفى أعشي[10].

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 264.

2- LAPEYRE G.-G, et PELLEGRIN A., *Carthage punique*, p. 126.

3- عصفور(محمد أبو المحاسن)، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص. 147.

4- GRAS M., ROUILLARD, P., et TEIXIDOR J., *L'Univers phénicien*, p. 53.

5- PICARD G.-Ch., *PICARD G.-Ch., Les religions de l'Afrique antique*, p. 65.

6- HOURS-MIEDAN H., *Carthage*, p. 49; HVIDBERG-HANSEN F.-O., *La déesse TNT. Une étude sur la religion cananéo-punique*, Copenhagen, 1979, Clf. LANCEL S., *Carthage*, p. 220.

7- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale, 1ère partie*, p. 618; MARCY G., Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, p. 23.

8- STIEGLITZ R., Neith, Athena and Tinnet : cultural diffusion and Maghrebin antiquity , dans *Cahiers de Byrsa*, T. XXIX, n° 117-118, 3è et 4è Trimestres 1981, pp. 465-475, p. 472.

9- Ibid, p. 473.

10- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ القديم، فاس، 1998-1999 (مرقونة)، ص.ص. 396-404.

يمكن اعتبار هذه المقاربة اللسانية منطلقا لتعميق البحث في هذا الموضوع الشائك من خلال القيام بدراسة نقدية للبراهين التي استُدل بها على الأصل الفينيقي لعبادة تانيت. وهذا يقتضي، بداية، إثارة بعض الأسئلة من قبيل: إذا كانت تانيت ربة فينيقية فما الذي يفسر كثرة آثار عبادتها بإفريقيا مقابل ندرتها بموطنها الأصلي؟ وكيف لربة لم تكن عبادتها منتشرة بفينيقيا أن تحوز تلك الشهرة الكبيرة بشمال إفريقيا؟ وهل يمكن الاطمئنان إلى الفرضية القائلة بتشابه تانيت مع ربات شرقيات؟ وهل يمكن الوثوق بدلالات الرمز المنسوب لها، والتواريخ المبكرة التي أعطيت له كأدلة كافية للحسم في الأصل الشرقي لتانيت؟

تتمثل أول ملاحظة يمكن إبداؤها بصدد مدى تماسك أطروحة الأصل الشرقي في غياب اسم الربة في أقدم الوثائق الفينيقية التي عرفتنا بالأرباب التي عبدها الفينيقيون بمهدهم، ويتعلق الأمر بالألواح الدينية لرأس شمراء، ورسائل تل العمارنة، والأساطير الفينيقية التي نقلها فيلو بيبليوس[1]. صحيح أن بعض الأرباب الفينيقية لم تُذكر في ألواح رأس شمراء مثل أشمون وملقرت، لكنها ذُكرت في وثائق فينيقية أخرى، ومن بينها مجمع الأرباب الذي قدمه فيلو بيبليوس منقولا عن المؤرخ الفينيقي سنخونياتن الذي عاش خلال القرن 11 ق.م، ومعاهدة أسرحدون العائدة إلى القرن 7 ق.م[2].

من ناحية أخرى، يلاحظ اضطراب في تأريخ أقدم آثار تانيت بالشرق، ونقصد بذلك نقيشة صربتا. فقد أرخها مكتشفها (بريتشارد) بالقرن 7 ق.م من خلال المعيار الباليوغرافي الذي يصعب الوثوق بنتائجه على مستوى التأريخ، وليس انطلاقا من سياق استراتغرافي واضح. بينما أرجعها لبينسكي إلى القرن 6 ق.م[3]. كما أن نقل نقيشة صربتا من إفريقيا عن طريق القرطاجيين يظل فرضية قائمة[4]. ولا يبدو أن انتماء النقيشة إلى القرن 7 ق.م يعتبر دليلا كافيا

1- نقل فيلو بيبليوس (البيبلوسي/الجبيلي)، الذي ألف باللغة الإغريقية، معلوماته حول مجمع الأرباب الفينيقي عن المؤرخ الفينيقي سنخونياتن الذي عاش خلال القرن 11 ق.م، وألف كتبا عن تاريخ الفينيقيين تحدث فيها عن الأساطير الفينيقية. ثم ضاعت مؤلفات فيلو بيبليوس، ولم يصل منها إلا شذرات وردت عند أوزيبيوس القيصري.

2- هي معاهدة أبرمها الملك الأشوري أسرحدون (680-669 ق.م) مع ملك مدينة صور الفينيقية أثناء حملته على مدينة صيدا الفينيقية التي ثارت ضد السيطرة الآشورية، وفيها وقع ذكر عدة أرباب فينيقية. للمزيد عن المعاهدة راجع:
- غرلي (عماد محمد)، الفنون الحربية في الشرق الأدنى القديم من الألف الثالث ق.م إلى الألف الأول ق.م، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 2018، ص. 229-230.

3- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 201

4- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 407.

لنفي نقل الوثيقة من إفريقيا حسب تصور بريتشارد مكتشف النقيشة[1] مادام أن تأريخ النقيشة غير مضبوط.

ولعل ما يطرح الشكوك بصدد قدم عبادة تانيت في الشرق الفينيقي هو غياب اسمها في نص المعاهدة الموقعة بين بعل ملك صور وأسرحدون ملك آشور خلال نفس الفترة، أي القرن 7 ق.م، والتي تضمنت الأرباب الرسمية لصور التي باركت للمعاهدة[2]. وبالمقابل، فإن انتشار اسم تانيت على نقائش القرن 5 ق.م بمجال النفوذ القرطاجي لا يعني أن الربة كانت مجهولة قبل ذلك التاريخ لأن صلتها بالتوفاة تجعلها ربة قديمة بالمنطقة. يضاف إلى ذلك أننا لم نعثر على معلومات وافية حول التوفاة الذي زعم لبينسكي اكتشافه في مدينة صور الفينيقية، فهناك باحثون ينفون بشكل قاطع وجود آثار التوفاة بالسواحل اللبنانية والسورية[3].

أما بالنسبة لقدم الرمز المنسوب للربة تانيت في الشرق، فلا يضيف شيئا لإشكالية الأصل، حيث أنه لم يثبت بعد، باعتراف أصحاب أطروحة الأصل الفينيقي أنفسهم[4]، وجود صلة وثيقة بين تانيت والرمز المنسوب إليها، حيث يظهر في أحيان كثيرة معزولا عنها. ولا يستبعد أن يكون مجرد تميمة تعلق بها القرطاجيون[5]. وفضلا عن ذلك، وإذا افترضنا قدم هذا الرمز بفينيقيا وصلته بالربة، فمن المنطقي أن ينتشر، ومنذ فترة مبكرة بالمناطق التي وصل إليها الفينيقيون بغرب البحر المتوسط، وهو ما لم يثبت بعد، حيث يوافق وجوده بتلك المواقع المرحلة القرطاجية[6].

ينضاف إلى ما سبق، احتمال وجود أشكال شبيهة بالرمز المنسوب لتانيت بمحض الصدفة في مناطق أخرى من العالم القديم بالنظر لبساطة الرمز في حد ذاته، واحتمال معرفته من طرف شعوب أخرى استعملته لأغراض مختلفة، ليست دينية بالضرورة. فقد عثر بالسنغال

1- PRITCHARD J.-B, Sarepta and phoenician culture in the west, p. 525.

2- الأرباب التي ذكرت في المعاهدة هي كالتالي: ملقرت، وعشتارت، وبيت-إيلي، وأنات، وبعل شمن، وبعل ملاغي، وبعل صفن، ثم إشمن. أنظر نص المعاهدة عند موسكاتي:

- MOSCATI S., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 64.

3- D'ANDREA B. et, GIARDIN S., Le tophet : où et pourquoi. L'identité phénicienne, le cercle de Carthage et la phase tardo punique, p. 1519.

4- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 206; FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 252.

5- Ibidem.

6- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 299.

-بعيدا عن التأثير الفينيقي- على شكل قريب جدا من رمز تانيت[1]. كما يمكن المقارنة بين نفس الرمز وبعض الأشكال التي نجدها على الرسوم الصخرية بطاسيلي ناجر بالجنوب الشرقي الجزائري[2].

كما أن البحث عن أصل لفظ «تانيت» في جذر في إحدى اللغات السامية لم يسفر عن نتيجة مقنعة يتفق حولها علماء اللغات الساميات أنفسهم. فلفظ «ت ن ت» يبقى مجهولا في هذه اللغات كما يرى بعض هؤلاء[3]. وهناك مشككين كثر في جدية الاشتقاقات التي أوجدها لبينسكي لاسم الربة في اللغات الشرقية القديمة[4]. ذلك أن علاقة اسم تانيت بأفعال وألفاظ هذه اللغات ليست مؤكدة لجهلنا بالمعاني الأصلية لتلك الكلمات في لغات تعتبر ميتة مقابل وجود أكثر من معنى لنفس الاسم في اللغة الأمازيغية[5]. وكذلك استعماله في تركيب اسم علم ليبي في أقدم الوثائق المصرية[6]. ينضاف إلى ذلك أن اسم «تانيت فن بعل» الذي اشتهرت به في النقائش البونية لم يثبت بعد تداوله في وثائق الشرق الفينيقي.

أما بالنسبة لتفسير انتشار عبادة تانيت بالمجال القرطاجي بتشابهها مع ربات شرقيات، ولا سيّما مع عشتارت، أي عبادة ربة شرقية تحت اسم تانيت، فلا يبدو موفقا-في نظرنا-لعدة اعتبارات. فقد بيّنا سابقا أن هذه الفرضية استندت بالأساس إلى صيغة «ت ن ت ع ش ت ر ت» الواردة في نقيشة صربتا الفينيقية. علما أن ذلك لا يعني بالضرورة عبادة عشتارت وتانيت تحت اسم واحد، أو اشتراكهما في عبادة واحدة، فمثلا لا يستبعد أن يكون لفظ «ت ن ت» في النقيشة مجرد صفة لعشتارت إذا ما صحت صلته بجذر سامي يفيد معنى «بكى» و»ناح»، فيكون للفظ «ت ن ت» في النقيشة معنى «باكية الشعائر»[7]. وتبعا لذلك يصبح لصيغة «ت

1- PALLARY P., Notes sur quelques coutumes carthaginoises et sur la survivance du symbole de Tanit, dans *Rev. Afr.*, 18è année, n° 86 bis, mars 1911, pp. 127-137, p. 137.

2- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 233.

3- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص. 75.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 253.

5- أعشي(مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 396.

6- COLIN F., Le vieux libyque dans les sources égyptiennes (de la nouvelle empire à l'époque romaine) et l'histoire des peuples libyco-phones dans le Nord de l'Afrique, p. 16.

7- LIPINSKI E., Les racines syro-phéniciennes de la religion carthaginoises, dans *CEDAC, Carthage*, Bulletin n° 8, 1987, pp. 28-44, p. 29-30.

ن ت ع ش ت ر ت» معنى مختلف هو «الباكية الشعائرية لعشتارت»[1].

فإذا كان الأمر يتعلق بربة واحدة كما يرى مؤيدو تشابه الربتين، فما الذي يفسر ظهورهما معا في نقيشة واحدة بقرطاج مهداة لعشتارت ولتانيت لبنان (لعشترت ولتنت لبنن)[2]؟ تبين النقيشة بوضوح أن الإهداء مقدم لربتين ذُكرتا بالاسم، وبالتالي لا داعي للاعتقاد بأن صاحب الإهداء يتقرب لربة تحمل اسمين[3]. ولذلك يمكن قراءة النقيشة على أساس أنها تعكس استقلالية ربتين كما توصل إلى ذلك سيرج لنسل[4]، وليس العكس. أما لفظ «لبنان» الوارد إلى جانب اسم تانيت، فقد يعني منطقة لبنان في فينيقيا، وقد يعني شيئا آخر مختلفا تماما كأن يشير إلى موقع بقرطاج يحمل نفس الاسم[5].

وزيادة على ما سبق، توجد في نقائش قرطاج وبعض مواقع غرب البحر الأبيض المتوسط أدلة لا يرقى إليها شك بشأن عبادة الربتين بشكل مستقل. فقد أشارت أقدم نقيشة بونية بقرطاج، أرخت بالقرن 7 ق.م (هناك من أرجعها إلى القرن 9 ق.م) إلى عبادة عشتارت بالمدينة[6]. وهناك نقائش أخرى تتضمن إشارات إلى وجود معابد خاصة بعشتارت[7]. ويستفاد من نقيشة بونية أن الربة الفينيقية قد ارتبطت بالرب أشمون بإفريقيا[8]، بينما اقترنت تانيت ببعل حمون في معظم الإهداءات الدينية. وعكس تانيت، فقد دخلت عشتارت في تركيب عدد كبير من أسماء الأعلام بقرطاج[9]. أما خارج قرطاج، فقد عثر بمالطا على نقائش مؤرخة بما بين القرنين 3 و1 ق.م تحمل إهداءات موجهة لتانيت، وأخرى لعشتارت، مع كثرة الإهداءات الموجهة لهذه الأخيرة[10]. وقد قدمت نقائش مالطا أدلة أخرى على قيام عبادة مستقلة للربتين[11].

1- LANCEL S., *Carthage*, p. 220.

2- CIS, I, 3914.

3- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 408.

4- LANCEL S., *Carthage*, p. 220.

5- GSELL S., *HAAN*, T. II, p. 82.

6- FERRON J., Le médaillon de Carthage, dans *CT*, T. VIII, 1958-1959, pp. 45-56 + 2 pls, p. 53.

7- CIS, I, 25; 255; 263; 2785; 3779; 6057.

8- CIS, I, 245.

9- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 66.

10- SZNYCER M., Les phéniciens à Malte d'après les témoignages épigraphiques, dans *Actes du congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Alger, 1973, pp. 147-151, p. 150.

11- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 262.

وبناء على ما سبق، يمكن الاستنتاج بأن عبادة الربتين بشكل مستقل لا يترك مجالا للقول بتشابههما، حيث يصعب تصور عبادة سكان المجال القرطاجي الإفريقي لربتين لهما نفس الخصائص[1]. ينضاف إلى ذلك أن تشابه خصائص ورموز الربتين لا يستند إلى أدلة مقنعة. فهناك شك في علاقة عشتارت في الشرق بالقمر[2] علما أنها ارتبطت بالأرض والخصوبة[3]، في حين كانت تانيت ربة سماوية مرتبطة بالقمر كما يُفهم من ارتباط الهلال والقرص بالإهداءات الموجهة إليها[4]. مع العلم أن الأمر يتعلق هنا بمجرد فرضية لأن هيرودوتوس تحدث عن وجود عبادة خاصة بالقمر عند الليبيين[5]. وهنا نتفق، انطلاقا مما عرضنا له من معطيات، مع فيرون لما استنتج بأن عشتارت تمثل ربة أخرى لا علاقة لها بتانيت الإفريقية[6].

نستنتج بناء على المعطيات والملاحظات التي سُقناها سابقا أن أطروحة الأصل الفينيقي للربة تانيت لا تحسم الجدل القائم بخصوص أصل عبادة هذه الربة بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا خلال الفترة القرطاجية، فلا زلنا نجهل، على وجه التحديد، الظروف التي أفضت إلى ظهور تانيت، وتطور عبادتها بالمنطقة. ولذلك، فنحن لسنا مستعجلين في الإتيان بالنقيض على ضوء تضارب المعطيات بين الشرق الفينيقي وقرطاج ومجالها الإفريقي، وحسبنا أن نقف عند حدود ما تسمح به حصيلة المعطيات المتوفرة بشأن عبادة الربة تانيت في المجالين معا.

ويستفاد من تلك الحصيلة أن كفة الأصل المحلي باتت راجحة من الناحيتين الكمية والمجالية بما يجعل تانيت ظاهرة دينية خاصة بالمجال القرطاجي الإفريقي[7]، ومرتبطة به أكثر مما هي مرتبطة بالعقائد الفينيقية بالشرق. ويظل الجانب الكرونولوجي نقطة الضعف الوحيدة في هذه الأطروحة نظرا لغياب أدلة صريحة على قدم عبادة تانيت بالمنطقة، سواء قبل اتصال الفينيقيين بالمنطقة، أو خلال الفترة المبكرة من تاريخ قرطاج، دون أن يكون ذلك

1- GHAZI-BEN MAISSA H., Image ou mirage, marge n° 366, p. 2247.

2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 264.

3- عصفور(محمد أبو المحاسن)، المدن الفينيقية، مرجع سابق، ص. 147.

4- نفسه، نفس الصفحة.

5- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 188.

6- FERRON J., Le médaillon de Carthage, p. 53.

7- هناك أمر يثير الانتباه بالنسبة لبقايا تانيت بالسواحل الليبية الحالية، حيث يلاحظ أن بقايا عبادة تانيت لم تكتشف بمراكز المدن الكبرى التي خضعت للقرطاجيين (أويا، لبدة، صبراتة)، وإنما بمواقع بعيدة نسبيا عن هذه المدن، وعن الساحل. ولا شك أن لهذا الانتشار المجالي دلالة، سيما إذا أخذنا في الحسبان ورود أسماء ليبية على لقى مرتبطة بالتوفاة، الأمر الذي يعني أن من مارس تلك الطقوس على شرف تانيت هم سكان ليبيون.

في صالح أطروحة الأصل الفينيقي بسبب ندرة وغموض أدلة قدم عبادة الربة في الشرق الفينيقي مقابل احتمال ارتباط عبادتها بقرطاج بالتوفاة منذ فترة مبكرة.

3-2 - بعل حمون:

يعد بعل حمون[1] الملقب ب«السيد» من أكبر الأرباب التي عُبدت بقرطاج، وبمجالها الإفريقي، وبمناطق نفوذها بغرب البحر الأبيض المتوسط إلى جانب تانيت طبعا. وتعد بقايا عبادته بالآلاف بموقع قرطاج لوحده. ويتضح، اعتمادا على نتائج الحفريات الأثرية، أن عبادته تعود إلى الفترة المبكرة من تاريخ قرطاج، حيث أن ارتباطه بالتوفاة يدفع إلى إرجاع عبادته بها إلى القرن 8 ق.م، أو نهايته[2]. كما أن ورود اسمه في أقدم النقائش يزكي هذا الأمر[3]. عثر على آثار عبادة بعل حمون، سواء من خلال الإهداءات، أو بقايا التوفاة المخصص لعبادته، في معظم مواقع المجال القرطاجي الإفريقي[4]، بما في ذلك مواقع بالطرابلسية[5]. كما عبده النوميديون المجاورون للمجال القرطاج[6]. واكتشفت آثار عبادته خارج شمال إفريقيا، في مالطا، وصقلية، وسردينيا[7].

يكاد يتفق معظم الباحثين في تاريخ الديانة القرطاجية على اعتبار بعل حمون ربا فينيقيا، وقدموا لإثبات ذلك عدة براهين أهمها ذكر اسم الرب في نقائش فينيقية بالشرق.

1- من المحتمل أن الكتاب الإغريق واللاتينيون قد شبهوا بعل حمون القرطاجي بالربين: كرونوس الإغريقي، وساتورن الروماني.

2- PICARD G.-Ch., Mythes et histoire aux débuts de Carthage, dans *ACISPP*, II, Roma, 1991, pp. 385-392, p. 387.

3- CIS, I, 5684 ; 5685.

4- من أهم هذه المواقع نذكر على سبيل المثال: قرطاج، وأدروميتوم (الكنيسية)، وثوگا، وتبرسق، ومكثر، ومدد، وبلاريجيا، وثيباريس، وألثيبوروس، وثينيسوت(بئر بورقبة). كما عثر على أنصاب في منطقة Ghézaïzya قرب جندوبة بالشمال الغربي لتونس تشير لعبادته، وبالتالي وجود معبد مخصص له هناك لم يتم العثور عليه بعد. هذا بالإضافة إلى مواقع أخرى تعود للفترة الرومانية ظهر فيها، سواء برموزه، أو تحت اسم ساتورن مثل موقع تيغيبا (Tiggiba) قرب ثيباريس، وأكار-ربما-قرب القيروان. لمزيد من المعلومات أنظر:

- FANTAR M.-H., Baal Hammon, dans *REPPAL*, T.V, 1990, pp. 67-105, p. 76-77; GHAKI M, Les stèles d'El-Ghzaïzya, dans *Reppal*, VII-VIII, 1992-1993, pp. 165-178 passim; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 259-260 ; BEN ABID L., Le paysage religieux de Maktar à l'époque préromaine: l'aire sacrée de Baal Hammon, pp. 683-701; FERJAOUI A., Nouveaux fragments stèles néopuniques de Mididi, op. cit, p. 68.

5- AMADASI-GUZZO M.-G, Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine: essai de mise au point, p. 196.

6- نجد آثار عبادته في مواقع: الحفرة (قسنطينة)، وأوجل (Oudjel)، غرب قسنطينة، وتيديس وقالمة. وكلها تقع بشرق الجزائر.

7- LANCEL S., *Carthage*, p. 215; FANTAR M.-H., Baal Hammon, p. 77-78.

فقد عثر في زنجرلي بجبال الأمانوس[1] مع بداية القرن 20 على نقيشة الملك كيلامو، وتضمنت اسم بعل حمون، وأرخت بحوالي 825 ق.م[2]. ثم تعززت معرفتنا بعبادة بعل حمون في الشرق بنقش اسم الرب على قنديل عثر عليه بمدينة صور بفينيقيا. وأُرِّخ، اعتمادا على المقياس الباليوغرافي، بالقرن 6 ق.م[3].

عمل مؤيدو أطروحة الأصل الشرقي لبعل حمون على إيجاد معنى لاسم الرب في لغات الشرق القديم، وبالتالي تجاوز الثغرة المتمثلة في ندرة آثاره بالشرق، والتي تعد على رؤوس الأصابع. وهكذا ربط الباحثون بين بعل حمون والرب الفينيقي بعل المعروف في الشرق القديم منذ الألف الثاني ق.م[4]، والمذكور في ملاحم رأس شمراء الدينية العائدة إلى القرن 14 ق.م، سواء باعتباره ربا[5]، أو كاسم علم يفيد معنى «السيد»[6]. كما تمت الإشارة إليه أيضا في رسائل تل العمارنة[7]، وفي التوراة[8]، وفي نصوص أخرى تعود إلى القرن 9 ق.م[9]. ويرى بعض الباحثين أن الرب الفينيقي «بعل» هو نفسه الذي عرف باسم أداد *(Hadad)* عند أهل الشام، وعند سكان بلاد الرافدين باسم أداد *(Adad)*[10]. ولذلك رجحوا أن الرب بعل كان معروفا بالساحل اللبناني السوري الفلسطيني منذ فترات سابقة على مجيء الفينيقيين إلى المنطقة[11].

ونظرا لانتشار عبادة بعل، فقد ارتبط بأسماء أمكنة فصار لكل مدينة أو منطقة بعلها، مثل بعل صافون، وبعل صيدا، وبعل كرمل، وبعل حاصور، وبعل لبنان، وبعل شميم.. إلخ[12].

1- تقع زنجرلي شرق خليج إسكندرون بجنوب تركيا الحالية في المنطقة الجبلية التي تدعى إقليم كليكيا (Clicia)، وقد كانت عاصمة لمملكة سموأل الآرامية التي ضمت المنخفضات الشرقية لجبال الأمانوس في عصر ملكها كيلامو.

2- HALÉVY J., Les inscriptions du roi Kalamu, dans *Revue Sémitique*, T. XX, 1912, pp. 19-30, p. 30.

3- BORDREUIL P., Attestations inédites de Melqart, Baal Hammon et Baal Saphon à Tyr, dans *SP*, T. IV, 1986, pp. 77-86, p. 83.

4- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 79.

5- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 61.

6- VIROLLEAUD Ch., *La légende phénicienne de Danel*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1936, p. 31.

7- DUSSAUD R., *Les religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens,* PUF, Paris, 1949, p. 362.

8- Bible: Reg I, 16, 30-32 ; Rois II, 17, 16-17 ; Juges VI, 25-30.

9- FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités judaïques*, VIII, XIII, 1, 317-318.

10- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص.117 و134.

11- نفسه، ص. 118.

12- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 65; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers*

وتبعا لذلك، فإن الاسم قد استعمل كصفة، ربما لاعتقاد شعوب الشرق القديم بأن تسمية الأرباب بأسمائها الحقيقية هي بمثابة استدعاء لها من طرف الإنسان. ولذلك أحجموا عن ذلك لما فيه من ضرر بالغ مكتفين بإدراج الاسم على شكل كلمة تفيد معنى «السيد»[1]. وتبعا لهذا التفسير، فإن الخيط الرابط بين بعل حمون وبعل الفينيقي تكمن في أن نقيشة زنجرلي وُجدت بشمال الأمانوس، وبالتالي يكون «بعل حمون» هو بعل جبال الأمانوس، أو «سيد الأمانوس». ويرى لبينسكي أن «سيد الأمانوس» قد يخفي عبادة رب آخر قديم بالمنطقة، هو داغون[2].

رغم اختلاف لفظة «أمانوس» عن لفظة «حمون» الواردة في النقائش البونية، فإن هناك من يرى أن صيغة «ب ع ل ح م ن» الواردة في نقيشة مدينة صور بفينيقيا تمثل مرحلة من التطور سمحت بالانتقال من اسم «بعل الأمانوس» إلى اسم «بعل حمون»[3] الأكثر انتشارا بإفريقيا. وينضاف إلى ذلك وجود مناطق تحمل اسماء قريبة من لفظ «حمون» بجنوب لبنان مثل منطقة «حمون» بصور، و«عين حامول» و«وادي حامول»[4]. ويرى لبينسكي أن الجبال التي صارت تحمل اسم «ح م ن» قد دخلت في تركيب أسماء أعلام (عبد حمن، وعبدي حمنو، وجر حمن) في الوثائق الفينيقية والأكادية القديمة العائدة إلى الألف الثاني ق.م[5]. مما يعني حسب نفس الباحث أن «حمنو» هو الاسم القديم لجبال الأمانوس[6]. واستنتج من ذلك بأن ورود اسم بعل حمون في بعض نقائش قرطاج والحفرة بصيغة «ح م ن» دون «بعل»[7] يعني أن بعل حمون ليس سوى جبل الأمانوس مؤله[8].

وبالمقابل، هناك من حاول إيجاد معنى للفظ «ح م ن» في اللغات الشرقية القديمة على ضوء الرموز المصاحبة لبعل حمون. وتبعا لذلك، اعتبر بعض الباحثين أن لفظة «ح م ن»

---

phénicien et punique, p. 82-83; LAPEYRE G.-G., et PELLEGRIN A., *Carthage punique*, p. 133; ROLLING W., Baal, dans *DCPP*, p. 55.

1- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 134.

2- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 173 et 251.

3- BORDREUIL P., Attestations inédites de Melqart, Baal Hammon et Baal Saphon à Tyr, p. 84.

4- FÉVRIER J.-G., Paralipomenta punica, I- A propos du serment d'Hannibal, dans *Cahiers de Byrsa*, T. VI, 1956, pp. 13-25, p. 19.

5- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 252.

6- Ibid, p. 253.

7- CIS, I, 404 ; 405 ; 3248; BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, n° 40, p. 39, n° 57, p. 52, n° 76, p. 68.

8- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 254.

تعني في تلك اللغات «المبخرة»، أو «مذبح البخور». وتبعا لذلك، فإن «بعل حمون» تعني «سيد المذابح»، أو «سيد المباخر»، خصوصا وأن المذابح والمباخر تظهر على الأنصاب المخلدة لعبادته[1]. كما رُبِط الاسم كذلك بفكرة «النار»، أو «الحرارة»، أو «الجمر»، أو «الشمس الحارقة» ليتم الاستنتاج بأن بعل حمون هو «سيد النار»، أو «السيد الحارق»[2]. بينما حاول باحثون آخرون إيجاد صلة بين اسم «بعل حمون» وكلمة «حمامين» التي تعني الأنصاب في اللغات السامية، وتبعا لذلك اعتبروا أن «بعل حمون» ربما تعني «سيد الأنصاب»[3].

حظيت أطروحة الأصل الشرقي لبعل حمون بقدر كبير من التداول في أوساط المهتمين بالتاريخ الفينيقي البوني، لكنها مع ذلك لم تلق تأييد الجميع نظرا لهشاشة وتناقض البراهين التي سيقت لإثباتها بين باحث وآخر، رغم اتفاق الجميع على ضرورة البحث عن أصل بعل حمون في الشرق، وليس في المناطق التي عثر بها على أكثر بقايا عبادته. ولهذه الأسباب ظلت الآراء الداعمة للأصل الشرقي هشة وافتراضية، خصوصا وأن جميع محاولات إيجاد معنى متفق بشأنه للفظة «ح م ن» في اللغات الشرقية القديمة، والتي حاول من خلالها بعض الباحثين سد الثغرات التي تعتري أطروحة الأصل الشرقي، لم تسفر عن نتائج حاسمة. ولهذا، فإن التناقض في البرهنة على الأصل الفينيقي لبعل حمون له دلالة فيما يخص مدى تماسك الآراء التي صيغت بهذا الخصوص.

ومن أمثلة ذلك التناقض نلاحظ مثلا أن فنطر وكسيلا يرفضان جميع الفرضيات التي أشرنا إليها سابقا، ويقترحان أدلة أخرى لإثبات الأصل الفينيقي. فقد اعتبر الأول أن»بعل حمون» اسم شرقي مكون من مقطعين: «ح م» أو «ح م ي»، وهي لفظة موجودة في اللغات السامية بمعنى «حمى». وبالتالي، فلفظة «حمون» مكونة من الفعل السامي «حمى» مضاف إليه حرف النون. وحيث أن بعل تعني «السيد»، فإن المعنى الكامل لاسم الرب هو «السيد حامينا»[4]. واستخلص فنطر بأن بعل حمون هو اسم رُكّب بإفريقيا لرب شرقي[5].

1- FÉVRIER J.-G., 1956, Paralipomenta punica, I- A propos du serment d'Hannibal, p. 20; PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, p. 59; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 191.
2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 280.
3- HOURS-MIÉDAN M., *Carthage*, p. 50.
4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, Alif, Tunis, 1993, p. 269.
5- Ibid, p. 272.

أما لبينسكي، فقد ظل يغير رأيه باستمرار في موضوع أصل عبادة بعل حمون بإفريقيا. فقد اقتنع الباحث الفرنسي بأن المعاني التي أعطيت لاسم الرب لا تبدو منسجمة، حيث لا يوجد ما يثبت في نظره صلة بعل حمون بالمباخر أو بالبخور ما دام أن لفظة «ح م ن» بنصوص رأس شمراء لا تفيد معنى «مبخرة»، أو طقس مرتبط بالبخور، وإنما تشير إلى مكان للعبادة[1]. أما كسيلا، فقد رفضت هي الأخرى الاشتقاقات اللغوية المشار إليها سابقا، واعتبرت أن لفظة «ح م ن» لها صلة في نصوص أوغاريت بالقبة، أو الحرم الذي كان يوضع فيه تمثال الرب الفينيقي «إيل». وعلى هذا الأساس، فإن تسمية بعل حمون بإفريقيا هي صفة للرب «إيل» تفيد معنى «رب المنزل»[2].

وهكذا، فإن كسيلا إنما حاولت البرهنة على فرضية كانت مطروحة في حقل الدراسات الفينيقية والبونية. فقد سبق أن فُسّرت ندرة آثار عبادة بعل حمون في الشرق الفينيقي بتشابه خصائصه مع الرب الفينيقي «إيل» الذي عُبد بإفريقيا تحت اسم بعل حمون[3]. وهناك من اعتبر أن حمل الرب الفينيقي لاسم جديد بإفريقيا يعني أنه امتزج مع رب ليبي كبير[4]. بينما يرى البعض الآخر أن بعل حمون ربما يعكس عبادة ملقرت الصوري[5]. وإذا كانت صلة بعل حمون بالرب الفينيقي «إيل» تبدو غامضة، فإن ربطه بملقرت أصبح متجاوزا بعدما اتضح بدلائل مادية عبادة ملقرت وبعل حمون بشكل مستقل بقرطاج، وبمجالها الإفريقي[6].

رغم غنى الاجتهادات التي جاء بها أنصار الأصل الفينيقي لبعل حمون، والثقل الذي شكلته في مضمار البحث عن أصل هذا الرب، فإن التمعن في البراهين التي قُدّمت تُبين إلى أي حد لازال أصل بعل حمون غامضا. فهم لم يأتوا ولو بدليل واحد صريح يبدد كل الشكوك حول

1- LIPINSKI E., Zeus Ammon et Baal Hammon, dans *SP*, T. IV, 1986, pp. 307-332, p. 329.

2- XELLA P., *Baal Hammon*, Consiglio Nazionale di Ricerche, Roma, 1991, p. 109-111 et 231 cité par PICARD G.- Ch., La transcendance de Baal Hammon et l'indépendance de Carthage , dans *Actes du III^e congrès des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 Novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 326-332, p. 326 et 328.

3- WARMINGTON B.- H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, p. 186; HOURS-MIÉDAN M., *Carthage*, p. 50.

4- DUSSAUD R., *Les religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens*, p. 361.

5- HARDEN D., *The Phoenicians*, p. 87.

6- FANTAR M.- H., Baal Hammon, p. 78; PICARD C., et PICARD G.- Ch., Hercule et Melqart, dans *Hommages à Bayet, J.*, *Latamus*, Revue des études latines, Bruxelles-Berchem, 1964, pp. 569-578, p. 570.

قدم عبادة بعل حمون بالشرق الفينيقي. وبذلك، فإن وضعية البحث في أصل بعل حمون تترك المجال مفتوحا أمام مقاربات متجددة للموضوع. فإذا استثنينا إفادة نقيشة زنجرلي التي تقع بمجال بعيد نسبيا عن فينيقيا، فإن المهتمين بأصل بعل حمون لا يكادون يتفقون على أدلة موحدة لتبرير الأصل الشرقي لبعل حمون. الأمر الذي دفع باحثين آخرين لطرح فرضية الأصل المحلي الإفريقي للرب بدليل كثرة آثار عبادته بشمال إفريقيا القديم مقارنة بفينيقيا[1].

بينما شبهه البعض الآخر بالرب الإفريقي أمون، من منطلق أن الفينيقيين تبنوا الرب الكبير للمناطق التي حلوا بها[2]. وقد استند هذا التشبيه على غياب آثار عبادة أمون الليبي بالمجال القرطاجي الإفريقي. وهو شيء مستغرب بالقياس لكونه كان ربا كبيرا عند سكان شمال إفريقيا والصحراء. مما يطرح السؤال بصدد سرّ تراجع عبادة رب أصيل بالمنطقة كانت له مكانة رفيعة عند الليبيين بشمال إفريقيا القديم، بل تعدت شهرته المجال الإفريقي لتصل إلى بلاد الإغريق. فهل يفتح احتمال تشابه آمون وبعل حمون الباب أمام طرحة فرضية الأصل الإفريقي لبعل حمون؟

يرى ستيفان كسيل أن بعل حمون ليس ربا إفريقيا خالصا، وأن الأمر يتعلق بامتزاج حدث بين ربّين، واحد فينيقي، وآخر إفريقي. ورجح أن الفينيقيين ماثلوا بين الرب المعروف عندهم باسم بعل حمون والرب المحلي أمون في محاولة منهم لاستمالة كبير أرباب البلاد الإفريقية التي نزلوا بها ليجدوا فيه خير حام للمناطق التي سيطروا عليها[3]. ويُجمع الباحثون على أن شهرة أمون، وسمو مكانته لدى السكان الليبيين قد سهّل عبادة الرب الفينيقي[4]، بالإضافة إلى عوامل أخرى نجملها كالآتي:

أولا: يبدو أن تشابه اسمي الربين آمون وبعل حمون- حسب بعض الباحثين- ليس صدفة، بل يمكن تفسيره بحدوث علاقة ما بينهما بإفريقيا[5]. وهناك من أرجع التشابه بين

1- VASSEL E., Moloch et le grand couple divin des carthaginois, dans *Rev. Tun.* , n° 155-156, Janvier- Avril 1923, pp. 88-90, p. 90.

2- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale, 1ère partie*, p. 617.

3- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 144; Id, Ibid, T. IV, p. 231.

4- LECLANT J., Carthage et l'Égypte, dans *Actes du III*[e] *congrès des études phéniciennes et puniques*, Tunis, 11-16 Novembre 1991, Vol. I, INP, Tunis, 1995, pp. 41-50, p. 48; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 282; BATES O., *The Eastern libyans*, p. 198-200.

5- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 191 ; VASSEL E., Moloch et le grand couple

الربين إلى تقارب في نطق اسميهما مما قاد إلى التحول من بعل أمون إلى بعل حمون، خصوصا وأن الصيغة الأولى قد وردت في نقائش بونية ولاتينية وإغريقية[1].

ثانيا: هناك من فسر تشابه الربين انطلاقا من تشابه خصائصهما[2]. وتبعا لذلك، فإن ظهور القرص الشمسي، وأحيانا صورة الشمس على بعض النذور المهداة لبعل حمون يعني أنه كان ربا شمسيا[3]، وأن الطابع الشمسي يعد من الخصوصيات التي اكتسبها بعل حمون من عبادته بإفريقيا. لا سيّما أن الليبيين قد عرفوا عبادة الشمس والقمر منذ فترات جد مبكرة[4]. وتبعا لهذه الفرضية، فإن هذه الخاصية هي التي جعلت بعل حمون ربا مشهورا عند الليبيين[5].

ثالثا: دُرست العلاقة بين الربين أيضا انطلاقا من احتمال تشابه تشخيصاتهما. فقد اعتبر الباحث لوكلي أن بعل حمون أصبح بسبب ذلك ربا بونيا-ليبيا، وأنه استعار من أمون قرون الكبش[6]. (انظر اللوحة رقم 1). وانطلاقا من هذا التصور فُسِّر ظهور صور الأكباش على أنصاب قرطاج بكونها تمثل إحدى رموز بعل حمون[7]. وبالمقابل، هناك من يرى أن قرون الكبش لم يستمدها بعل حمون من عبادته بإفريقيا، وإنما تمثل استمرارا لتشخيص عُرف به في الشرق. وذلك انطلاقا من مقارنة تشخيصات الشخص الأقرن بشمال إفريقيا (ولا سيّما على نقود القورينائية) بتشخيصات مشابهة عثر على إحداها بطرطوس شمال فينيقيا (الساحل الغربي لسوريا)، وبقبرص، وذلك على اعتبار أن الرب الأقرن بفينيقيا وقبرص (انظر اللوحة رقم 2) لن يكون سوى بعل حمون[8].

---

divin des carthaginois, dans *Rev. Tun.*, n° 155-156, Janvier- Avril 1923, pp. 88-90, p. 89; BASSET H., Quelques notes sur l'Ammon libyque, dans *Mélanges offerts à Basset, R.*, T. I, Éditions Ernest Leroux, Paris, 1923, pp. 1-30, p. 26 ; LANCEL, S., *Carthage*, p. 216.

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 283.
2- LANCEL S., *Carthage*, p. 216.
3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 285.
4- LEGLAY M., *Saturne africain*, op. cit,m p. 444.
5- BASSET H., Quelques notes sur l'Ammon libyque, p. 26.
6- LEGLAY M., *Saturne africain*, p. 443.
7- PICQRD G.- Ch., et PICQRD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal,* p. 94.
8- PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité (Phénicie, Chypre)*, T. III, Librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1885, p. 73 et 199.

وبمراجعة البراهين التي استندت إليها أطروحة الأصل الشرقي من منظور نقدي، يتضح أن فكرة تشابه بعل حمون وأمون، واحتمال استفادة الأول من شهرة الثاني بإفريقيا لا تبدو مقنعة في نظرنا، بحيث لا نرى في التماثل الصوتي لاسمي الربين دليلا كافيا لتبرير هذه الفرضية، لأن ذلك قد يرجع لتحولات صواتية محضة. وما يعزز ذلك ندرة اسم بعل أمون في نقائش قرطاج[1] مقارنة بالعدد الكبير من النقائش التي تحمل اسم بعل حمون، مما يرجح أن كتابة اسم الرب «بعل أمون» في بعض النقائش ناتج عن حذف حرف الحاء كصوتم حلقي، وهو تحول معروف في الصواتة البونية. أما الإشارة إلى اسم الرب بصيغة «بعل أمون» في نقائش إغريقية بسيرتا *(BAAAMOYN)*[2]، ونقائش لاتينية بتونس *(Balamoni)*[3]، فيمكن تفسيره بعدم رسم الإغريق واللاتينيين لصوتم العين ما داموا لا ينطقونه.

أما بخصوص تشابه التشخيصات، فإن قلتها وغموضها لا يقدم الكثير في موضوع العلاقة بين الربين. ذلك أن تشخيص بعل حمون يبقى غامضا، إذ لم تنسب إليه تشخيصات الشخص الأقرن فحسب، وإنما تشخيصات أخرى كما يتضح من نماذج أدروميتوم (انظر اللوحة رقم 3)، وثينيسوت (انظر اللوحة رقم 4). وينبغي الإقرار بأن التشخيصات المنسوبة لبعل حمون تبقى افتراضية، فليس لدينا ما يثبت نسبة بعض الصور والتماثيل لهذا الرب بسبب غياب صلة قوية بين تلك التشخيصات المتضاربة وخصائص بعل حمون. فضلا عن عدم العثور عليها في سياق أثري مضبوط يؤكد انتماءها لأماكن عبادته بما يسمح بالتأكد من تشخيصات بعل حمون.

فإذا قبلنا التشخيصات المنسوبة لبعل حمون، فسنجد من الصعب تبريرها بأدلة منطقية. وهكذا لا نتوفر لحد الآن على ما يثبت وجود علاقة أكيدة بين بعل حمون والشخص الأقرن. وهناك من يرى أن الشخص الأقرن يمثل أمون فقط[4]. وتُطرح نفس الملاحظة بالنسبة لمدلولات صور الأكباش على الأنصاب المهداة لبعل حمون، حيث أن ظهور حيوانات أخرى على

1- CIS, I, 1437 ; 1537 ; 2089 ; 2697 ; 3139 ; 3244 ; 3265 ; 3540.

2- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, n° 1, p. 167.

3- FERRON J., Dédicace latine à Baal Hammon, dans *Cahiers de Byrsa*, T. III, 1953, pp. 113-118, p. 115.

4- VANDENABECLE F., L'influence phénicienne sur la coroplasthie chypriote, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 203-211, p. 205; GERMAIN G., Le culte du bélier en Afrique du Nord , dans *Hespéris*, T. XXXV, 1er et 2è Trimestres 1948, pp. 93-124, p. 109.

الأنصاب المهداة له يجعل من الصعب اعتبار الكبش كرمز وحيد لبعل حمون[1]. ينضاف إلى ذلك غياب علامات المهابة والتقديس في تجسيد الأكباش المصورة على تلك الأنصاب بخلاف ما نراه بالنسبة لكبش أمون المتوج بهالة. أكثر من ذلك فقد كان الكبش من بين الحيوانات المضحى بها على شرف بعل حمون كما يتجلى من كلمة *(Molk Omor)* على الأنصاب المهداة للرب، والتي تعني «ذبيحة حمل» أو «ذبيحة كبش»[2]. بينما كان عُبَّاد أمون يمتنعون عن تقريب الأكباش[3].

ومن جهة أخرى، لا يوجد ما يدل على عبادة أمون بإفريقيا تحت اسم بعل حمون وذلك بسبب استمرار عبادة الربين بشكل مستقل بكل من فينيقيا وشمال إفريقيا القديم. لقد كان أمون من بين الأرباب المعروفة في الساحل الفينيقي، حيث ذُكر في ألواح رأس شمراء[4]، ورسائل تل العمارنة[5]. أما بشمال إفريقيا، فقد استمرت عبادة أمون خلال الفترة القرطاجية. فقد عبده النوميديون، وأشارت إليه المصادر باسم «جوبتر الأقرن»[6]. وأخبرنا لوكانوس *(Lucanus)* أن جوبتر هو أمون الأقرن عند الجرمنتيين[7]. كما عُبِد نفس الرب في القورينائية تحت اسم «زيوس أمون[8]، وشُخِّص على نقود قورينا على هيئة شخص مزين بقرون الكبش[9]. علما أن هيرودوتوس أشار إلى عبادته من طرف المصريين والأمونيين[10]، والليبيين باسم زيوس أمون[11].

أما بخصوص عبادة أمون بالمجال القرطاجي الإفريقي، فقد تحدث سكيلاكس المزعوم عن عبادته قرب مذابح فيلان[12]. بينما روى سرفيوس *(Servius)*[13] أسطورة ورد فيها حديث

1- Ibidem.
2- CIS I, 123 bis.
3- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 42.
4- VIROLLEAUD Ch., Les textes alphabétiques de Ras-Shamra (Ugarit) provenant de la XVIè campagne (1952), p. 209.
5- SWIGGERS P., Byblos dans les lettres d'El Amarna: Lumières sur des relations obscures, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 45-58, p. 51-52.
6- SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XVI, 259-265.
7- LUCAIN, *La guerre civile (La Pharsale)*, IX, 511-524.
8- PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 31.
9- LIPINSKI E., Zeus Ammon et Baal Hammon, p. 311.
10- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 42; Id, ibid, IV, 181.
11- Id, ibid, II, 55.
PSEUDO-SCYLAX, 92 F 109 M.-12
13- هو موروس سيرفيوس هونوراتوس (Maurus Servius Honoratus) عالم نحوي إيطالي عاش في نهاية القرن 4 م، وهو مؤلف كتاب التعليق على إنيادة فيرجيل.

عن لقاء الرعاة بالمناطق الواقعة بين قرطاج وقورينا بالرب أمون الذي ظهر لهم على هيئة طفل يحمل قرون كبش[1]. أما سيليوس إيطاليكوس، فذكر أن أمون هو حامي السفن الحربية القرطاجية[2]، حيث يسميه تارة ب»الليبي»[3]، وتارة أخرى ب«أمون الأقرن» *(Corniger Hammon)* وذلك خلال حديثه عن الدور الذي لعبه لنصرة القرطاجيين بمعركة «كاناي» بإيطاليا[4]، أو في معاركهم بصقلية خلال الحرب البونية الثانية[5]. وهناك إشارة تدل على الحظوة التي تمتع بها أمون عند قادة قرطاج، فقد أرسل حنبعل بعثة لاستشارة موحى الرب بخصوص معاركه القادمة[6].

من ناحية أخرى، لا يستبعد أن يكون أمون هو الرب الذي أشارت إليه المصادر خلال مرحلة تأسيس قرطاج باسم جوبتر[7]، وفي قسم حنبعل باسم زيوس أمون عند بوليبيوس[8]، وجوبتر عند كورنيليوس نيبوس[9] ما دام أن الإغريق والرومان عادة ما يشيرون إلى أمون باسمي زيوس وجوبتر. وهذا يعني أن عبادة الرب الليبي الكبير قد استمرت لدى القرطاجيين والأفارقة عموما خلال الفترة البونية جنبا إلى جنب مع عبادة بعل حمون.

وتدعم الوثائق الأثرية العائدة لمرحلة ما بعد سقوط قرطاج هذه الاتجاه من خلال توفر معلومات تفيد بأن الربين عُبدا بشكل مستقل. فقد عثر بقرطاج على نقيشة لاتينية تشير إلى الرب أمون باسم .*Iovi Hammoni Barbaro Silvano*[10] وهناك معطيات تؤكد استمرار عبادة بعل حمون أيضا، سواء من خلال النقائش التي تشير إلى ذلك في عدد من المواقع التونسية، أو من خلال البقايا الأثرية. فقد عثر بجبل بوقرنين قرب حمام الأنف بالشمال الشرقي التونسي على بقايا تؤرخ بالقرن 4م، ونقيشة تخلد عبادة بعل حمون تحت اسم *(Saturnus Balcarnensis)*[11].

1- SERVIUS, *Aen*., 196. cité par BASSET H., Quelques notes sur l'Ammon libyque, p. 4.
2- SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XIV, 436-442.
3- Id, ibid, XIII, 768-769.
4- Id, ibid, IX, 296-299.
5- SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XIV, 458-459.
6- Id, *Les puniques*, III, 6-13 ; PAUSANIAS, *Description de la Grèce*, VIII, 11.
7- JUSTIN, XVIII, 5 ; VIRGILE, *Éniéde*, IV, 194-202.
8- POLYBE, *Histoires*, III, 11,5.
9- CORNÉLIUS NÉPOS, *Hannibal*, XXIII, 2, 3.
10- LIPINSKI E., Zeus Ammon et Baal Hammon, p. 322.
11- LEGLAY M., *Saturne africain*, T. I, p. 34-73.

كما عثر في منطقة ذراع بن جودر بالفحص من ولاية زغوان بتونس على نقيشة لاتينية تشير إلى بعل حمون بصيغة بعل أمون *(Balamoni)*[1]. وهذا يعني بأن عبادة ساتورن-وريث بعل حمون كما يتضح من استعمالات الكتاب القدامى[2]-لم تؤد إلى التخلي عن عبادة أمون على الأقل في هذا الجزء من المجال القرطاجي الإفريقي، بينما يظهر أن عبادة أمون أثرت على انتشار عبادة بعل حمون/ساتورن في الطرابلسية نظرا لقلة آثار عبادة بعل حمون بالمنطقة[3] مقارنة بكثرة دلائل عبادة أمون[4]. وهناك من افترض بأن عبادة بعل حمون قد استمرت بالمناطق الساحلية للطرابلسية، في حين بقيت عبادة أمون أقوى باتجاه المناطق الداخلية[5]، بينما يرى آخرون أن عبادة بعل حمون كانت ضعيفة بالمناطق التي تسيّد بها أمون[6].

رغم عدم استبعادنا لحدوث علاقة معينة بين الربين، فإن ما بحوزتنا من معطيات لا يسمح بتفسير انتشار عبادة بعل حمون بإفريقيا بتشابه خصائصه وتشخيصاته مع أمون الليبي، أو أن انتشار عبادة هذا الأخير كان لها دور في اتساع عبادة «رب فينيقي» يحمل اسم بعل حمون لأن هذه الفكرة تعني حدوث اندماج، أو اتحاد بينهما، وهو ما لا تدعمه النصوص القديمة والمعطيات النقائشية. يتضح من المعلومات المتوفرة أن الخلط بين الربين لا يبدو ممكنا خلال الفترة القديمة لكونهما يرتبطان بطقوس وأماكن عبادة مختلفة. فقد ارتبطت عبادة بعل حمون بالتوفاة وبطقس تقديم الأضاحي الحيوانية وربما البشرية[7]، وكانت له شريكة في التوفاة المخصص لعبادته هي تانيت، بينما ارتبطت عبادة أمون بطقوس كانت تُجرى في موحاه بواحة سيوه التي كان مقصدا للمؤمنين به من كل الأرجاء لاستطلاع الغيب، وهي خاصية لا صلة لها بعبادة بعل حمون.

وإضافة لما سبق، يُلاحظ أن الربين عُبدا بشمال إفريقيا القديم بشكل مستقل خلال فترات زمنية متقاربة، وبنفس المجال الجغرافي تقريبا. ورغم ذلك التجاور المجالي، فإننا نلاحظ

1- FERRON J., Dédicace latine à Baal Hammon, p. 115.
2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.
3- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 142-143.
4- AMADAZI-GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine : essai de mise au point, p. 190.
5- Ibid, p. 196.
6- PICARD C., et PICARD G.- Ch., Hercule et Melqart, p. 571.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.

أن عبادة بعل حمون كانت أضيق، إذ اقتصرت على الجزء الشرقي لشمال إفريقيا، إذا ما قورنت بمجال انتشار عبادة أمون الليبي[1] التي امتدت من سيوه إلى السواحل الأطلسية غربا، ومن المناطق الساحلية شمالا إلى الصحراء جنوبا. كما أن التجاور الزماني يبقى نسبيا، حيث أن آثار عبادة أمون بشمال إفريقيا والصحراء تعد أقدم زمنيا[2] مقارنة بأقدم أدلة عبادة بعل حمون في المناطق الساحلية.

إن ما يمكن استنتاجه على ضوء ما سبق عرضه، هو أن الحسم في إشكالية أصل عبادة بعل حمون بإفريقيا يبقى بعيد المنال. فإذا كنا لا نستطيع البرهنة على أصله الفينيقي بأدلة دامغة، فإن المعطيات المتوفرة لا تسمح بإثبات العكس. فمن ناحية، وإذا صرفنا النظر عن مجمل البراهين التي سيقت للاستدلال على الأصل الفينيقي، فإن ارتباط عبادة بعل حمون بطقس تقديم الأضاحي البشرية، وورود اسمه في نقيشة زنجرلي يرجح للوهلة الأولى بأن عبادته قد انتشرت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا مع قدوم المهاجرين الفينيقيين إلى المنطقة.

لكننا لا نستطيع الحسم في هذه الفرضية بالنظر للثغرات والنواقص التي تعتري فرضية الأصل الشرقي، ولأهمية آثار عبادة بعل حمون بإفريقيا التي تجعل من الصعب تصور انتقال رب من مناطق بعيدة عن موطن الفينيقيين أنفسهم، أي من زنجرلي بشمال سوريا إلى إفريقيا فيتم تبنيه بها كرب كبير ذو مكانة رفيعة دون سائر الأرباب الفينيقية المعروفة، والتي تبقى آثار عبادتها ضعيفة، ليس فقط بشمال إفريقيا القديم، وإنما بقرطاج نفسها. كما أن بقايا عبادته بالمدن الفينيقية بالشرق تبقى نادرة، حيث لم يُذكر ضمن مجمع الأرباب الفينيقية التي تضمنتها أقدم الوثائق الفينيقية مثل ملاحم رأس شمراء الدينية، ورسائل تل العمارنة، والأساطير الفينيقية التي رواها فيلو بيبليوس، وفي المعاهدات التي وقعتها المدن الفينيقية، وفي التوراة، وكذلك في الإهداءات الملكية بفينيقيا.

أما الاستدلال بنقيشة صور التي تحمل اسم الرب، فلا يغير في شيء فكرة ضعف آثار عبادة بعل حمون كرب «فينيقي» في مجال فينيقي، وفي صور-الوطن الأم للمهاجرين

1- BASSET H., Quelques notes sur l'Ammon libyque, p. 1.

2- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 175-176، بودرقا (لحسن)، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب بالرباط، 2001-2002 ، ص. 285(مرقونة).

الأوائل نحو المجال الإفريقي. ذلك أن نقيشة صور (ق. 6 ق.م) تعد متأخرة زمنيا، حيث تزامن تقريبا تواريخ المواد الأثرية المخلدة لعبادته بالمجال القرطاجي الإفريقي، وبباقي مراكز النفوذ القرطاجي بغرب البحر الأبيض المتوسط، أي أنها ليست سابقة في كل الأحوال عن الفترة التي عُرف فيها بإفريقيا. لهذا لا نستبعد في ظل ندرة آثار بعل حمون في صور وباقي المدن الفينيقية أن تكون النقيشة لأشخاص قرطاجيين مقيمين في مدينة صور، أو أن النقيشة قد نُقلت من إفريقيا.

إذا كنا غير واثقين من كون بعل حمون يجسد امتزاجا بين ربين، واحد شرقي وآخر محلي كبير، فإننا لا نستبعد حدوث تطور ديني نجهل طبيعته نجم عن اتصال الفينيقيين بالليبيين قد يتمثل في تعاظم مكانة رب معروف في فينيقيا، أو ميلاد رب جديد نتيجة تفاعل ديني حدث بين رب فينيقي ورب ليبي نجهل هويته. إن تقديم أي فرضية من الفرضيات على ضوء الوثائق المتوفرة والدفاع عنها بانتقاء المعطيات المؤيدة لها، وتقديمها كما لو أنها تمثل حلا نهائيا لإشكالية أصل عبادة بعل حمون بإفريقيا يبقى متاحا بالنسبة لأي باحث، ولكنه توجه غير مجد.

واستنادا إلى الفكرة الأخيرة، فإن ما بحوزتنا من معطيات يدفع إلى التحفظ، وعدم الحسم في مسألة أصل بعل حمون. وعلى ضوء مقاربتنا النقدية لأطروحتي الأصل الفينيقي الشرقي والأصل الليبي الإفريقي، يمكننا الاستنتاج بأن نظرية الأصل الفينيقي لبعل حمون تفتقر إلى أدلة قاطعة، وبالمقابل فالأصل المحلي يبدو بدوره غامضا. فلكل معطى يدعم الأصل المحلي ما يناقضه لدى أصحاب أطروحة الأصل الشرقي، والعكس صحيح. إن الخلاصة التي يمكن الاطمئنان إليها انطلاقا من ملاحظة انتشار عبادته بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، أي بالمجال القرطاجي الإفريقي، وبالبلاد النوميدية المجاورة له، هي أن عبادة هذا الرب قد اقترنت بالأساس بعقائد سكان هذا المجال أكثر من أي مجال آخر بما في ذلك فينيقيا. وتقودنا هذه الفكرة إلى اعتبار بعل حمون بمثابة ظاهرة دينية تشكلت بالمجال الإفريقي، على ما يبدو، من التقاء معتقدات فينيقية وليبية لم نتوصل بعد إلى استكناه ملابساتها.

4 - أربـاب ذكرت في الوثائق الأدبية والنقائشية والأعلامية والإيقونية:

4-1 - أرباب وردت في المصادر الأدبية:

أ- ملقرت:

أشار الكتاب الإغريق والرومان إلى الرب الفينيقي ملقرت باسم هرقليس/هرقل. فقد ذكر أوزيبيوس القيصري عن فيلو بيبليوس، الذي لخص بدوره كتب المؤرخ الفينيقي سنخونياتن (ق11 ق.م)، بأن ملقرت[1] يسمى أيضا هرقليس[2]. ولقّبه أبيانوس ب«هرقليس الصوري»[3]. وذكر لوكيانوس أنه شاهد بنفسه معبد ملقرت بصور، وكتب: «إنه ليس هرقليس الإغريقي إنه هرقليس الصوري»[4]. وتدعم المعطيات النقائشية هذا الأمر. فقد عثر على نقيشة مزدوجة إغريقية-فينيقية تشير إلى هرقليس في النص الإغريقي، وملقرت في النص الفينيقي[5].

يعد ملقرت من أقدم الأرباب بصور، فقد روى كهنتها لهيرودوتوس بأن معبده بُني قبل حوالي 2300 سنة[6] من تاريخ زيارته للمدينة، أي حوالي 2700 ق.م. كما أشار إليه فيلو بيبليوس من ضمن الأرباب الواردة بالأساطير الفينيقية[7]. وذكر لوكيانوس أن هرقليس الصوري أقدم بكثير من هرقليس الإغريقي[8]. وتحدث فلافيوس جوزيف، نقلا عن ميناندر الأفسوسي، عن بناء معبد ملقرت بصور من طرف طرف الملك أحيرام[9]. وإذا أخذنا في الاعتبار أن أحيرام عاش ما بين 980 و936 ق.م، فإن تاريخ بناء المعبد يعود إلى بداية الألف الأول ق.م. وتشير النصوص القديمة إلى استمرار عبادته بمدينة صور إلى غاية فترة متأخرة[10].

1- يتركب اسم الرب في اللغة الفينيقية من لفظتين: «ملك»، التي تتضمن معنى «ملك»، و«قرت» ومعناها «المدينة»:
- René Dussaud, Melqart, dans *Syria*, T. 25, Fasc. 3/4 (1946 - 1948), pp. 205-230, p. 206.

2- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 27.

3- APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 2, 8 ; QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 51; DIODODE DE SICILE, *BH*, XVII, 40, 2.

4- LUCIEN DE SAMOSATE, *Sur la déesse syrienne*, LXXII, 3.

5- BORDREUIL P., Le dieu Echmoun dans la religion d'Amrit, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 221-230, p. 229.

6- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 44.

7- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 27.

8- LUCIEN DE SAMOSATE, *Sur la déesse syrienne*, LXXII,3 .

9- FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités Judaïques*, VIII, V, 4, 146.

10- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14; QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 51-52.

وتزكي المعطيات الأثرية ما ورد في النصوص القديمة[1]. فقد عثر بشمال سوريا على نصب يحمل اسمه أرخ بالقرن 8 ق.م[2]. كما ورد في نص المعاهدة التي وقعت حوالي 854 ق.م بين ملك مدينة أرواد الفينيقية وأشورنيراي الخامس ملك الآشوريين[3]. وذُكر كذلك من بين الأرباب الرسمية بصور التي باركت معاهدة أسرحدون الآشوري وبعل ملك صور خلال القرن 7 ق.م[4]. كما تمت الإشارة إلى عبادته بصور من خلال نقيشة مؤرخة بالقرن 6 ق.م[5].

انتقلت عبادة الرب ملقرت إلى مناطق غرب حوض البحر المتوسط بالموازاة مع حركة الانتشار الفينيقي بتلك المناطق، إذ غالبا ما قرن الكتاب القدامى حركة الفينيقيين بإنشاء معابد ملقرت[6]. ولعل عبادته بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا تندرج أيضا ضمن نفس السياق التاريخي. فقد ارتبط ظهور ملقرت بمرحلة تأسيس قرطاج، إذ أخبرنا جوستينوس أن زوج عليسا كان كاهنا لملقرت/هرقليس، وأن رفاق الأميرة الفينيقية أحضروا معهم اللوازم المرتبطة بعبادته، وأقاموا طقوسا على شرفه قبل انطلاق رحلتهم نحو إفريقيا[7].

وتشير النصوص إلى مواظبة القرطاجيين على إرسال قرابين إلى معبده بمدينة صور الفينيقية[8]، والمشاركة في الاحتفالات السنوية التي كانت تقام هناك على شرفه[9] في شهر بريتيوس *(Peritios)* حسب رواية فلافيوس جوزيف[10]. لقد ذُكر ملقرت تحت اسم هرقليس في قسم حنبعل[11]. وهناك نصوص تشير إلى زيارة حنبعل لمعبد ملقرت بقادس قصد التبرك به

1- لا نجد ذكرا لملقرت في ألواح رأس شمراء ورسائل تل العمارنة، علما أن هذه الوثائق تعد من أهم مصادرنا حول الدين الفينيقي، وحول مجمع الأرباب الفينيقي خلال الفترة الفينيقية المبكرة:

- DUSSAUD R., Melqart, d'après de récents travaux, dans *Revue de l'histoire des religions*, Année 1957, pp. 1-21, p. 3.

2- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 229.

3- Ibid, p. 230.

4- KATZENSTEIN H.-J., Some reflexions on the phoenician deities mentioned in the treaty between Esarhaddon king of Assyria and Baal king of Tyre, dans *ACISPP*, II, Vol. I, Roma, 1991, pp. 373-377, p. 376.

5- BORDREUIL P., Attestations inédites de Melqart, Baal Hammon et Baal Saphon à Tyr, p. 81.

6- STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 3 ; id, ibid., III, 5, 5 ; PLINE L'ANCIEN, *HN*, V, 3 ; APPIEN, *L'Ibérique*, VI, 2, 8.

7- JUSTIN, XVIII, 4.

8- Id, ibid., 7; DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.

9- QUINTE-CURCE, *Histoires*, IV, 52.

10- FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités judaïques*, VIII, V, 4, 146.

11- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 2.

قبل عبور جبال الألب في طريقه إلى إيطاليا[1].

أما بخصوص الدلائل المادية، فقد تبين من خلال النقائش وجود معابد خاصة بملقرت بقرطاج[2]، وسيرتا[3] عاصمة مملكة الماسيسول النوميدية. ويرى الباحث لنسل أن نفس الاحتفال السنوي الذي كان يُنظَّم على شرف ملقرت بمدينة صور بفينيقيا كان يقام أيضا في قرطاج[4]، وذلك من خلال قراءة بعض النقائش[5]. علما أن اسم ملقرت قد دخل في تركيب 25 اسما بنقائش بقرطاج، تكرر لما يربو عن 1500 مرة[6].

ويستفاد من المعطيات المتوفرة أن ملقرت لم يحظ بمكانة رفيعة في عقائد القرطاجيين والأفارقة الخاضعين لنفوذهم، إذ يخبرنا ديودوروس الصقلي، في خضم أحداث نهاية القرن 4 ق.م، عن إرسال القرطاجيين للقرابين إلى معبد ملقرت بصور بعدما كانوا قد أهملوا عبادته عكس ما كان يفعل آباؤهم من قبل[7]. وهذا يعني أن عبادة الرب قد تراجعت بقرطاج على الأقل قبل القرن 4 ق.م، وهو ما يتضح من النقائش أيضا، حيث نجد الأسبقية في الإهداءات لتانيت وبعل حمون[8].

طرح بعض الباحثين احتمال تشابه ملقرت مع رب محلي، وبالتالي احتمال أن تخفي عبادته ربا ليبيا[9]، وذلك انطلاقا من إشارة سالوستيوس حول تأسيس مدينة قفصة(الجنوب الغربي لتونس) من طرف هرقل الليبي[10]، وحديث سيليوس إيطاليكوس عن هرقل الليبي[11]، ونفس الشيء بالنسبة لبلوتارخوس[12] . هذا بالإضافة إلى ما ذكره سولينوس عن تأسيس

1- TITE-LIVE, *HR*, XXI, 21 ; SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 21.
2- CIS I, 264 ; 256 ; 4840 ; 4894 ; 5575.
3- BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, n°68, p. 64.
4- LANCEL S., *Carthage*, p. 225.
5- CIS I, 227, 260-262, 377.
6- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 66.
7- DIODORE DE SICILE, *BH*, XX, 14.
8- LANCEL S., *Carthage*, p. 50.
9- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 154; FANTAR M.-H., La religion phénicienne et punique de Lixus, témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, dans *Actes du colloque sur Lixus*, Larache 8-11 novembre 1989, Ecole française de Rome, Palais Farnès, Rome, 1992, pp. 115-121, 115.
10- SALLUSTE, *GJ*, LXXXIX, 4.
11- SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, XII, 359-360.
12- PLUTARQUE, *Sertorius*, XIII.

إيكوزيوم (الجزائر العاصمة) من طرف هرقل[1]، وأن جد الأفارقة هو هرقليس[2].

ويرى فنطر أن الرب الذي أشار إليه القدماء باسم هرقل يمثل، في الواقع، ربا ليبيا أقدم من ملقرت الفينيقي[3]. غير أن هذه الفرضية التي رفضها كسيل قبل ذلك[4] تصطدم بقلة الوثائق المادية مما لا يسمح بالحسم فيها. ومهما كان من أمر نتشار عبادة ملقرت من عدمه بقرطاج ومجالها الإفريقي، وما إذا كان يخفي ربا محليا ليبيا أم لا، فإن ما هو مؤكد، هو أن الأمر يتعلق برب فينيقي انتقلت عبادته إلى إفريقيا نتيجة تأسيس الفينيقيين للمراكز الدائمة، أو بارتباط مع حركة الانتشار التجاري الفينيقي.

ب- أثينا وبوزيدون وتريتونيس:

يأتي إدراج هذه الأرباب ضمن دراستنا للأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي من منطلق أن فهم الظاهرة الدينية خلال الفترة القرطاجية يقتضى الاهتمام بمعطيات مجمل المجال الإفريقي الذي توسعت به قرطاج، سواء قبل الفترة القرطاجية أو بعدها. فقد أشارت النصوص القديمة إلى أرباب ليبية كانت منتشرة بالمجال الإفريقي الذي صار تابعا لقرطاج. ومن ذلك ما ذكره هيرودوتوس-خلال القرن 5 ق.م-من أن الليبيين المجاورين لبحيرة تريتونيس كانوا يقدمون القرابين على شرف أثينا وتريتونيس وبوزيدون[5].

وأورد هيرودوتوس معلومات تثبت أصالة تلك الأرباب عند الليبيين، فأثينا-حسب أقوال الليبيين أنفسهم-هي ابنة بوزيدون وربة بحيرة تريتونيس. وأضاف المؤرخ الإغريقي أن الأمر يتعلق بالربة التي يسميها الإغريق «أثينا»[6]. وجاء في نص رحلة سكيلاكس المزعوم أنه كان للربة معبد ببحيرة تريتونيس[7]، وذكرت المصادر أن تريتونيس ولدت بالمنطقة، ولُقبت بتريتونيد *(Tritonide)* بسبب مولدها هناك[8]. وهذا يبين أنه كان للربة اسم محلي لم يذكره القدامى بسبب اكتفاء الكتاب الإغريق واللاتينيين بإسقاط أسماء أربابهم على أرباب البلاد الأخرى.

1- SOLIN, *Polyhistor*, 26.
2- Id, Ibid, 25.
3- Ibidem.
4- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 154.
5- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 188.
6- Id, ibid., IV, 180.
7- Périple du Pseudo-Scylax, 93F 110M.
8- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 69; POMPONIUS MÉLA, *Géographie*, I, 7.

أخبرنا هيرودوت بأن الإغريق تعرفوا على بوزيدون عن طريق الليبيين[1]. وجاء عند أفلاطون نقلا عن صولون *(Solon)*- الذي تلقى معلوماته من كهنة مصر- أن جزيرة الأطلنتيد كانت من نصيب الرب بوزيدون بعدما قُسَّمت الآلهة الأرض بالقرعة[2]، ووردت في الأسطورة إشارة إلى معبده[3]، وكونه زوج ليبيا[4]. كما أشار هوميروس إلى عبادة الإثيوبيين لرب محلي يدعى بوزيدون[5].

أما من بخصوص مجال عبادة هذه الأرباب الليبية، فتسمح النصوص المشار إليها أعلاه باعتبار منطقة السرت الصغرى بمثابة المجال الرئيس لعبادة أثينا وبوزيدون وتريتونيس على الأقل منذ القرن 5 ق.م[6]، وهو التاريخ الذي يتزامن مع امتداد السيطرة القرطاجية إلى منطقة السرت. منطقيا علينا أن نفترض استمرار تلك العبادات بعد التوسع القرطاجي بالمنطقة. لكن الأسماء الحقيقية لتلك الأرباب التي قدسها السكان الليبيون تبقى مجهولة بحكم اكتفاء الكتاب القدامى بذكر أسماء الأرباب الإغريقية التي لها خصائص مشابهة للأرباب المحلية[7].

كما تبقى مسالة انتشار عبادة تلك الأرباب الليبية من منطقة السرت الصغرى إلى المناطق القريبة من قرطاج، وبالتالي دخولها ضمن الأرباب المحلية التي عبدت بقرطاج أمرا مطروحا للنقاش، خصوصا وأنها ظهرت فيما بعد في قسم حنبعل مع نهاية القرن 3 ق.م[8]. فهل يتعلق الأمر بنفس الأرباب التي ذكرها هيرودوتوس منذ القرن 5 ق.م؟ وهل كانت هناك أربابا فينيقية أخرى تحمل نفس الأسماء؟ أم أن سكان البلاد التي خضعت لقرطاج قد استمروا في الإخلاص للأرباب التي عبدها أجدادهم منذ فترات قديمة؟

حاول بعض الباحثين إيجاد أصل لبوزيدون وتريتونيس في عقائد الفينيقيين بالشرق للاستنتاج بأن المعبودات التي ظهرت بقسم حنبعل ليست سوى استمرارا لعبادات فينيقية، وذلك من خلال الربط بين بعض التماثيل التي عثر عليها بفينيقيا وبالمجال القرطاجي الإفريقي،

1- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 50.
2- PLATON, *Critias*, 113b-113d.
3- Id, ibid., 114.
4- PAUSANIAS, *La description de la Grèce*, I, 2, 44.
5- HOMÈRE, *L'Odyssée*, I, 3.
6- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 160.
7- نفس المرجع، ص. 159.
8- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 2.

والتي نسبت لتريتونيس وبوزيدون[1]. غير أنه لا يوجد في الواقع ما يبرر صلة تلك التشخيصات بالأرباب التي تحدث عنها هيرودوتوس، واعتبرها أربابا محلية بالمنطقة. وفي هذا الإطار حاول بيكار-دون تقديم أدلة مقنعة- البحث عن أسماء فينيقية مفترضة لتلك الأرباب، فاعتبر أن تريتونيس تخفي الربة الفينيقية كوسور، وأن بوزيدون ليس سوى الرب الفينيقي يم *(Yem)* بعد انتقال عبادته إلى إفريقيا[2].

أما بالنسبة لبوزيدون، فإننا نتوفر على إشارات في المصادر تبين أهمية عبادته عند القرطاجيين، فخلال القرن 5 ق.م قدم قادة قرطاجيون بصقلية قرابين إلى الرب بوزيدون[3]، وهي إشارة تتزامن تقريبا مع نص هيرودوتوس حول أرباب بحيرة تريتونيس. وبعد نحو قرن من ذلك، أي خلال القرن 4 ق.م، أقام حانون مذبحا لبوزيدون برأس صولايس[4] بساحل المغرب القديم، وهو نفس المذبح الذي ذُكر في رحلة سكيلاكس المزعوم[5]. وحيث أنه لا توجد أدلة كافية لاعتبار أثينا وبوزيدون وتريتونيس بمثابة أرباب فينيقية كما يرى كسيل[6]، فالراجح أن عبادة تلك الأرباب الليبية قد استمرت خلال الفترة القرطاجية، رغم أن أسمائها الحقيقية تبقى مجهولة، حيث لا يعرف ما إذا كانت قد احتفظت بأسماء ليبية، أم اتخذت أسماء جديدة.

ج- ديمتر وكوري:

انفرد ديودوروس الصقلي بالحديث عن إدخال عبادة الربتين الإغريقيتين ديمتر *(Déméter)* وابنتها كوري *(Coré)* إلى قرطاج. فخلال حصار الجيش القرطاجي لمدينة سيركوزة بصقلية حوالي 396 ق.م، أمر القائد القرطاجي حيميلكون الجنود القرطاجيين بنهب معبد الربتين كوري وديمتر الذي يقع خارج أسوار سيركوزة. وأضاف ديودوروس أن الربتين انتقمتا من الجيش القرطاجي الذي لحقته مختلف أنواع الشرور. وفي محاولة للتكفير عن ذنبه، أمر حيميلكون بإدخال عبادة ديميتير وكوري إلى مدينة قرطاج. وفي ذلك كتب ديودوروس: «حتى تلك اللحظة لم يكن القرطاجيون يؤمنون بهاتين الربتين، إلا أنهم بعد الذي حدث، جعلوا من

1- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, p. 191.
2- PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, p. 158.
3- DIODORE DE SICILE, *BH*, XI, 21, 4 ; id, ibid., XIII, 86.
4- Périple d'Hannon, 4.
5- Périple du Pseudo-Scylax, 112.
6- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 336.

خيرة مواطنيهم كهنة للربتين، حيث رفعت لهما التماثيل حسب العادة الإغريقية، وتم اختيار خيرة الإغريق ممن كانوا مقيمين بقرطاج للإشراف على عبادتهما»[1].

حاول بعض الباحثين، دون امتلاك معطيات كافية، الذهاب بعيدا في تأويل نص ديودوروس الصقلي، فافترضوا أن عبادة الربتين عرفت انتشارا كبيرا في صفوف القرطاجيين[2]، واعتبروا دخولهما إلى قرطاج بمثابة «ثورة دينية» غيرت ملاحم الديانة القرطاجية، وأعطتها طابعا هلينيا إغريقيا[3] ما أخفى معالم الديانة الفينيقية العتيقة[4]. وبالمقابل، هناك من رفض المبالغة في تأويل ما جاء عند ديودوروس الصقلي[5]. شرع لبينسكي منذ أواسط التسعينات في البحث عن دلائل مادية لإثبات عبادة الربتين الإغريقيتين بقرطاج من خلال النقائش والتماثيل في سياق محاولة البرهنة على صحة نص ديودوروس الصقلي.

ومن ذلك نذكر نقيشة مؤرخة بالقرن 4 ق.م تضمنت الصيغة التالية: «ق ب ر-ح ن ب ع ل- هـ ك هـ ن ت- ش ك ر وأ» والتي قرأها الباحث كما يلي: «قبر حنبعل كاهن كوري»[6]، ونقيشة أخرى -يجهل مكان العثور عليها- تضمنت صيغة أخرى: «ل ر ب ت- ل أ م أ- ل ب ع ل ت - هـ ح د ر ت»[7]، وقرأها كما يلي: «إلى السيدة، إلى الأم، إلى السيدة، إلى سيدة الجحيم»[8] معتبرا أن لقب «أم» يعد من بين ألقاب ديمتر الإغريقية، وأن «سيدة الجحيم» هي الربة كوري[9]. وقد مهد هذا الرأي لنسب بعض التماثيل التي عثر عليها بموقعي قرطاج[10] وكركوان[11] للربتين الإغريقيتين.

لقد ركزت الأبحاث على محاولة تأكيد رواية ديودوروس الصقلي في إطار تعزيز فرضية طغيان التأثير الإغريقي بقرطاج (الهلينة أو التهلين) دون أن تحرز تقدما ملموسا يمكن أن

1- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIV, 77.
2- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 195; PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, p. 86-87.
3- Ibidem ; GAUCKLER P., *NP*, T. II, p. 521.
4- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *Vie et mort de Carthage*, p. 145.
5- GSELL S., *HAAN*, T. IV, n° 1, p. 350.
6- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 374.
7- CIS I, 177.
8- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 375.
9- Ibidem.
10- Ibid, p. 376.
11- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, p. 185.

يبرهن على تاريخية عبادة الربتين الإغريقيتين بقرطاج. ولهذا السبب بدأ يبرز ميل للتشكيك في رواية ديودوروس الصقلي من خلال التقليل من أهمية تأثير الأرباب الإغريقية بقرطاج بصفة عامة. ويعد موقف بيكار مثالا على ذلك، حيث اعتبر أن عبادة تلك الأرباب لم يكن له تأثير كبير على عبادات القرطاجيين بسبب كونها أجنبية عن معظم السكان، وتعكس فقط رغبة أفراد الأرستقراطية القرطاجية[1].

ويُلاحظ أن الدراسات التي أنجزها الباحث الفرجاوي على النقائش البونية بقرطاج، سواء من خلال الإهداءات، أو أسماء الأعلام، أوضحت بما يكفي غياب أي دليل جدي يمكن أن يبرهن على عبادة الأرباب الإغريقية التي تحدث عنها ديودوروس الصقلي[2]. وانطلاقا من خلاصة الفرجاوي يتضح أن المعطيات النقائشية لا تدعم ما جاء عند ديودوروس الصقلي، إذ تبقى روايته معزولة، وغير كافية-حتى إذا افترضنا صحتها-للاستنتاج بوجود تأثير ديني إغريقي كبير بقرطاج.

د- عبادة قوى الطبيعة: الشمس والقمر:

أشار هيرودوتوس في خضم حديثه عن عبادات السكان المجاورين لبحيرة تريتونيس بالسرت الصغرى، التي كانت جزءا من المجال الخاضع لقرطاج، إلى أن كل الليبيين يقدمون القرابين للشمس والقمر[3]. وتطرح هذه الإشارة مدى استمرار العبادات الطبيعية المحلية، وحقيقة تمسك السكان الليبيين بها خلال الفترة القرطاجية. وفي هذا الإطار نلاحظ ذكر القمر، والشمس، والأرض، والأنهار، والبحيرات من ضمن القوى الإلهية التي باركت معاهدة حنبعل مع فيليب المقدوني[4].

من ناحية أخرى، أشار بلوتارخوس إلى بعض الكتب البونية التي دُفنت سرا بقرطاج، وبالتالي نجت من التدمير الذي تعرضت له المدينة سنة 146 ق.م، وأضاف الفيلسوف الإغريقي أن تلك الكتب كانت تحث على عبادة الأرباب التي تلمع في السماء، وخصوصا القمر لأنه وحده، من بين المعبودات الأخرى، الذي ينظم حياة البشر[5]. ولذلك نرجح استمرار الطقوس

1- PICARD G.-Ch., et PICARD C., *Vie et mort de Carthage*, op. cit.,p. 145-146.

2- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 207.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 188.

4- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 2.

5- PLUTARQUE, *Le visage qui apparaît dans le disque de la Lune*, partie 2, 942b.

الليبية المرتبطة بعبادة قوى الطبيعة خلال الفترة القرطاجية بمعزل عن أي تأثير أجنبي، فلا محل للاعتقاد بأن السكان الليبيين قد انتظروا قدوم الفينيقيين لعبادة القوى الطبيعية التي عرفها الإنسان القديم في مختلف أنحاء العالم القديم.

4-2 - أرباب ذُكِرت في النقائش:

4-2-1 - أرباب وردت في النقائش البونية:

تعد النقائش البونية والنيوبونية والليبية واللاتينية، رغم إشكال عدم تزامنها، مصدرا مهما لدراسة الأرباب التي عُبدت بالمجال القرطاجي الإفريقي. وهكذا تتضمن النقائش البونية إشارات لعدد كبير من الأرباب سنتطرق لأصول بعضها.

- أشمون:

يعد أشمون من بين الأرباب المعروفة في فينيقيا خلال الألف الأول ق.م، وقبل ذلك كانت عبادته منتشرة بسوريا القديمة منذ الألف الثالث ق.م. لكن سماته المميزة لم تظهر إلا خلال الألف الأول ق.م[1]. كما أكدت الوثائق الآشورية العائدة للقرن 7 ق.م عبادته بفينيقيا[2]. وذُكر اسم أشمون في المعاهدة الموقعة بين أسرحدون وبعل ملك صور المؤرخة بالقرن 7 ق.م[3]. أما أثريا، فقد عثر على بقايا معبده بصيدا في مستوى أثري أرخ بالقرن 5 ق.م[4]، كما دخل في تركيب عدد من أسماء الأعلام بموقع عمريت[5] بشمال فينيقيا[6].

نقل الفينيقيون عبادة أشمون إلى شمال إفريقيا. يتضح ذلك من الإهداءات التي تضمنتها النقائش البونية، ووجود معبد له بقرطاج[7]، إضافة إلى دخول اسمه في تركيب حوالي

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 155.

2- Ibidem.

3- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 64.

4- DUNAND M., L'iconographie d'Echmoune dans son temple sidonien, dans *Atti dell I congresso internazionale di studi fenici e punici*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. II, Roma, 1983, pp 515-516, p. 516.

5- عمريت مدينة فينيقية تقع على مسافة 7 كيلومترات من جنوب مدينة طرطوس بالجزء الجنوبي من الساحل السوري، أطلق عليها الإغريق تسمية ماراثوس:

- هورست كلينكل، آثار سوريا القديمة، ترجمة قاسم طوير، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1985، ص. 53.

6- BORDREUIL P., Le dieu Echmoun dans la région d'Amrit, p. 229.

7- CIS I, 252 ; 245 ; 4834 ; 5594 ; 4837 ; 2362.

700 اسم علم بالمدينة[1]. وانطلاقا من وجود إشارات في المصادر الإغريقية واللاتينية حول عبادة أبلون وإسكولاب بقرطاج[2]، افترض الباحثون أن أشمون شُبه بهذين الربين، وتم تفسير هذا التشابه بخصائص أشمون كرب مداو[3]. وإذا صح هذا الأمر، فإن أشمون يعد ربا قديما بقرطاج، بحيث يمكن إرجاع عبادته بها إلى الفترة العتيقة من تاريخ المدينة. فقد ورد عند بلينيوس القديم نصا يفيد وجود معبد لأبلون بأوتيك منذ تأسيس المدينة[4].

- عشتارت:

تعد عشتارت ربة كبيرة في الشرق الأدنى القديم عموما، وفي الشرق الفينيقي خصوصا. فبالنسبة لفينيقيا[5]، نلاحظ ورود اسمها في أقدم الوثائق الفينيقية العائدة إلى منتصف الألف الثاني ق.م، ولا سيّما بألواح رأس شمراء[6]، ورسائل تل العمارنة[7]. كما نجدها من ضمن الأرباب الواردة في الأساطير الفينيقية التي نقلها فيلو بيبليوس[8]. ويتضح من النصوص التوراتية أن عبادة عشتارت عرفت انتشارا واسعا بمملكة إسرائيل منذ عصر الملك النبي سليمان (935-960 ق.م)[9]. وجاء عند فلافيوس جوزيف أن عشتارت كانت ربة كبيرة في مدينة صور الفينيقية، حيث بنى لها أحيرام- ملك المدينة-معبدا خلال الألف الأول ق.م[10]، وخلال القرن 7 ق.م ظهرت عشتارت من بين أرباب مدينة صور التي باركت المعاهدة الموقعة بين أسرحدون

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 66.

2- APPIAN, *PW*, VIII, 75; 127 ; 130; STRABON, *Géographie*, XVII, 3, 14; TITE-LIVE, *HR*, XLI, 22; id, ibid., XLII, 24.

3- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 162; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 314.

4- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XVI, 79, 3.

5- عُبدت هذه الربة في الشرق الأدنى تحت اسم عشتار، وكانت ترمز إلى الخصب، فهي إلهة الحب والجنس عند السومريين، وأضاف الآشوريون والبابليون إلى خصائصها صفة «إلهة المعارك»، واشتهرت أيضا ب«سيدة الحرب» و«سيدة المعركة». راجع بهذا الصدد:

- الخطيب (محمد)، الحضارة الفينيقية، دار علاء الدين ودار مؤسسة رسلان، دمشق، 2017، ص. 127.

6- VIROLLEAUD Ch., *La légende de Keret, roi des sidoniens*, publiée d'après une tablette de Ras-Shamra, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1936, p. 39 et 51.

7- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص 138.

8- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 22-32.

9- Rois II, 11, 5 et 23, 4.

10- FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités judaïques*, VIII, V, 4, 146.

الآشوري وبعل ملك صور[1]. وذكر لوكيانوس أنه كان لها معبد كبير في مدينة صيدا[2].

ارتبطت عبادة عشتارت في الشرق القديم بالتقاليد الملكية، حيث كان كهنتها من الملوك كما يتضح من نقائش أشمون عزر وبودعشترت وتابنيت بصيدا[3]. لقد انتشرت عبادتها بمصر أيضا كما تدل على ذلك الوثائق الأدبية[4] والأثرية[5]. كما رافقت حركة الانتشار الفينيقي بحوض غرب المتوسط، حيث وجدت دلائل عبادتها في سردينيا، وصقلية، وجنوب إيبيريا، ومالطا[6]. وفي إطار نفس السياق التاريخي، انتقلت عبادة عشتارت إلى قرطاج بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم.

ترجع أقدم آثار عبادة عشتارت بقرطاج إلى القرن 7 ق.م[7]، وربما أقدم من ذلك إذا صح أن جنون وفينوس اللتان أشارت إليهما النصوص التاريخية خلال فترة تأسيس المدينة[8] تخفيان الربة الفينيقية عشتارت كما يرى عدد من الباحثين[9]. وهو أمر جد محتمل إذا اعتبرنا أن أوائل الفينيقيين الذين انتقلوا للاستقرار بقرطاج قد نقلوا معهم الأرباب الكبيرة بمدنهم، ولا سيّما بصور. لكن يلاحظ أن أدلة عبادة عشتارت في النقائش البونية بقرطاج تبقى محدودة إذا ما قورنت بأرباب أخرى[10]. كما نُسبت لها بعض التماثيل التي عثر عليها بقرطاج[11] (انظر اللوحة

1- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 63.
2- LUCIEN DE SAMOSATE, *Sur la déesse syrienne*, LXXII, 3.
3- Ibidem ; RÖLLING W., Astarté, dans *DCPP*, p. 47.
4- HÉRODOTE, *Histoires*, II, 112.
5- GRENIER J.-C., Une scène d'offrande à Astarté, dans *Mélanges offerts à Vercoutter, J.*, Édition Recherche sur les civilisations, Paris, 1985, pp 107-110, p. 110.
6- FANTAR M.-H., À propos d'Ashtart en Méditerranée occidentale, dans *Actes du Ier congrès d'étude des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Société nationale d'édition et de la diffusion, Alger, 1973, pp. 509-518, p. 509; MARIN CEBALLOS M.-C., Documents pour l'étude de la religion phénico-punique dans la Péninsule ibérique : Astarté, dans *Actes du IIè congrès international d'étude des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 21-32, p. 29.
7- FERRON J., Le médaillon de Carthage, p. 53.
8- VIRGILE, *Enéide*, I, 445-449 ; JUSTIN, XVIII, 5.
9- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 147 ; FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 245.
10- CIS I, 250 ; 255 ; 263 ; 2785 ; 3914 ; 3779 ; 6057.
11- FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique, Collection Notes et documents, INAA, centre de la recherche archéologique et historique, Tunis, 1970*, pl. XII et XIII.

رقم 5). وعلى العكس من ذلك أحصى الباحثون عددا كبيرا من الأعلام التي دخل في تركيبها اسم عشتارت (حوالي 1000 اسم)[1].

يبدو أن عبادة الربة الفينيقية عشتارت كانت منتشرة بقرطاج، غير أنها لم تلعب سوى دورا ثانويا في عقائد القرطاجيين كما يستشف من قلة آثار عبادتها[2]. علما أن دخول الاسم بكثرة في تركيب أسماء الأعلام لا يعني بالضرورة انتشار عبادتها خلال الفترات التي تؤرخ بها النقائش الحاملة لتلك لأسماء بقدر ما يكشف-ربما-عن التمسك بالروابط الثقافية والاجتماعية مع الوطن الأم من خلال اتخاذ أسماء فينيقية[3]. ولعل ما يُبيّن وجاهة هذه الفكرة أن بقايا عبادة عشتارت خارج قرطاج تبقى منعدمة في حدود المعطيات الحالية إلا إذا اعتبرنا أنها عبدت تحت اسم آخر قد يكون هو «ميلك عشترت» الذي نجده في نقيشة بالطرابلسية[4].

لكن هذه الفكرة لا تبدو مؤكدة، فمن المحتمل أن يكون ميلك عشترت ربا مستقلا[5]، ولا صلة له بعشتارت التي عُبدت بقرطاج ما دمنا نجده بنفس الاسم في إحدى نقائش المدينة[6]، وفي نقيشة بأم العواميد بالقرب من صور بفينيقيا[7]. وبناء على ما سبق يرجح أن الربة الفينيقية، التي أدخل الفينيقيون عبادتها إلى قرطاج، لم تحظ بمكانة دينية رفيعة، سواء بقرطاج، أو بالمجال الإفريقي الذي كان تابعا لها.

يطرح البحث في عبادة عشتارت بقرطاج مسألة أصل طقس البغاء المقدس الذي عرفته بعض المعابد البونية، رغم قلة المعطيات بهذا الصدد. لقد أوّل لبينسكي عبارتا «ما يحبه بعل» و«عروسة بعل» الواردتان في نقائش قرطاج في سياق ممارسة البغاء المقدس[8]. وفي أسطورة تأسيس قرطاج، نجد إشارة إلى الفتيات القبرصيات اللائي رافقن عليسا، وكن ممن

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 66.

2- FERRON J., Le médaillon de Carthage, p. 53 ; FÉVRIER J.-G., 1956, Paralipomena punica, p. 17; SOREIN D., BEN ABD KHADER A., et SLIM H., *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, p. 28.

3- FERRON J., Le médaillon de Carthage, p. 53.

4- Ibidem.

5- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 272.

6- CIS I, 250; 950; 2785; 4839; 4850; 5657; 6011 bis.

7- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 182.

8- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 488

يضحين بعذريتهن على شرف الربة فينوس[1]. ويرجح أن الأمر يتعلق بالربة الفينيقية عشتارت التي كانت تُعبد في قبرص[2]. أما خارج قرطاج، فقد أشار فاليريوس مكسيموس *(Valerius Maximus)* إلى ممارسة البغاء المقدس بسيكا (الكاف حاليا بتونس) على شرف الربة فينوس من طرف نساء بونيات *(Punicae feminae)*[3]. وقد كشفت النقائش عن وجود نفس الممارسة بمعبد الربة بمرتفع إيريكس *(Éryx)* بصقلية[4].

أما في الشرق الفينيقي، فقد ارتبطت ممارسة البغاء المقدس بعبادة الربة عشتارت كما يستشف من النقائش الفينيقية[5]، ومن النصوص القديمة. لقد وردت في العهد القديم إشارات إلى أماكن البغاء المقدس المرتبط بالعبادات الكنعانية التي أُدخلت إلى مملكة إسرائيل[6]، ومن أهمها عبادة عشتارت كما بيّنا سابقا. كما أشار هيرودوتوس إلى النساء الباغيات بمعبد مليتا *(Mylitta)* ببابل، وببعض المعابد بقبرص[7]، حيث انتشرت عبادة عشتارت. وأشار لوكيانوس *(Λουκιανὸς)* كذلك إلى ممارسة البغاء المقدس بمعبد الربة فينوس بمدينة بيبلوس (جبيل) الفينيقية[8]. بينما تعود إشارة أوزيبيوس حول ممارسة البغاء بمعبد فينوس بفينيقيا إلى القرن 4 م[9].

إن غياب ما يثبت ممارسة الليبيين بشمال إفريقيا القديم للبغاء المقدس، أو كونه جزءًا من عقائدهم خلال الفترة السابقة على مجيء الفينيقيين إلى المنطقة[10]، أو بعدها، مقابل إشارة الكتاب القدامى إلى ممارسة ذلك الطقس في فينيقيا، وارتباطه بعبادة الربة عشتارت،

1- JUSTIN, XVIII, 5.

2- NÉE ZEGHAL Y.-S., *La femme à Carthage de 814 à 146 av. j. - c*, Certificat d'aptitude à la recherche en histoire, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 1978-1979, p. 157.

3- VALERE-MAXIME, II, 6, 15.

4- CIS I, 135 ; 140 ; 3776, 4.

5- CIS I, 86 ; 2632, 3-4 ; 3776, 4.

6- Rois II, 23, 7.

7- HÉRODOTE, *Histoires*, I, 199.

8- LUCIEN DE SAMOSATE, *Sur la déesse syrienne*, LXXII, 6.

9- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Histoire de la vie de l'empereur Constantin*, III, Chap. 6.

10- اعتبر برطلون وشانطر أن البغاء المقدس يعد ظاهرة جد قديمة عند سكان شمال إفريقيا القديم، وأنها كانت تتم على شرف أمون. لكن الباحثان لم يقدما معطيات تبرر الفكرة، خصوصا وأنه لم تثبت بعد صلة أمون بتلك الممارسة من خلال النصوص التاريخية التي تحدثت عنه. انظر ما ورد عند الباحثين:

- BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale, 1ère partie,* p. 631.

يجعلنا نرجح أن البغاء المقدس، إن كان قد مورس بالفعل بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم، قد أُدخل إليها بتأثير فينيقي مرتبط بعبادة عشتارت.

- الرب يرت:

افترض لبينسكي أن المجال القرطاجي الإفريقي عرف عبادة رب ليبي يحمل اسم «يرت»[1]، انطلاقا من اسم علم(ع ب د أ ر ت) الوارد في النقائش البونية[2]. ويبدو أن اسم العلم يضم كلمة ليبية وردت أيضا في أعلام ليبية أخرى (ي ر ت ن)[3]، وكذلك في أسماء الأعلام بالنقائش النيوبونية (ي ع ر ت ن)، والإغريقية (ي ر ت ن/ ي ر ت ا)، واللاتينية (ي ر ت/ ي ر ت ي/ وي ع ر ت ع ن/ ي ر ت ي س)[4].

- شدرافه:

عثر بقرطاج على نقيشة تشير إلى عبادة رب باسم شدرافه تؤرخ بالقرن 3 ق.م[5]. ويرجح أنه كانت تخصص له العبادة أيضا بلبدة كما يُفهم من نقيشة بونية تعود إلى القرن 2 ق.م[6]، ونقيشة مزدوجة نيوبونية-لاتينية[7]. ويلاحظ أن اسم شدرافه لم يدخل إلا نادرا في تركيب أسماء الأعلام بقرطاج[8]. ويعد شدرافه ربا فينيقيا تعود آثار عبادته بالشرق الفينيقي إلى فترات أقدم (القرنين 8 و7 ق.م) كما يتضح من نقائش عمريت وصربتا[9]. وبناء على ما توفر من معطيات، لا يبدو أن عبادة هذا الرب قد عرفت انتشارا واسعا بقرطاج، أو بمجالها الإفريقي. ولذلك يمكن تفسير عبادة شدرافه بقرطاج، على الأرجح، بمحافظة بعض المهاجرين الفينيقيين على بعض العبادات المعروفة بالوطن الأم.

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 371.
2- CIS I, 3205, 2; 713, 2; 2222, 2; 4648.
3- RIL, 48 ; 114 ; 179 ; 376 ; 657 ; 923 ; 927 ; 928.
4- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 371.
5- CIS I, 3921.
6- AMADASI GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine : essai de mise au point, p. 190.
7- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 69.
8- Ibid, p. 70.
9- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 195.

- بعل صافون:

دخل بعل صافون في تركيب عدد محدود من أسماء الأعلام بالنقائش البونية[1]. لكن آثار عبادته بقرطاج تبقى لحد الآن نادرة[2]. ومعلوم أن بعل صافون يعد من أقدم الأرباب الفينيقية، حيث ذكر في ألواح رأس شمراء (ق. 14 ق.م)[3]، وفي معاهدة أسرحدون الآشوري وبعل الصوري خلال القرن 7 ق.م[4]، ونُقش اسمه على تميمة عثر عيها بصور، وأرخت بالقرن 6 ق.م[5].

- بعل شميم:

ثمة أدلة قليلة بموقع قرطاج تدل على عبادة بعل شميم[6]، وبالتالي لا يوجد ما يدعو لاعتباره ربا كبيرا بقرطاج، أو الاستنتاج بأن عبادته قد عرفت انتشارا مهما بالمجال الإفريقي. وبالمقابل، يعتبر بعل شميم ربا كبيرا في الشرق الفينيقي، فقد ذُكر ضمن مجمع الأرباب الفينيقية الذي نقله فيلو بيبليوس عن الأساطير الفينيقية القديمة[7]. كما كان من بين أرباب صور التي ذُكرت في معاهدة أسرحدون خلال القرن 7 ق.م[8]. أما أثريا، فقد أثبتت البقايا المادية أهمية عبادته في بيبلوس(جبيل) منذ القرن 10 ق.م[9].

- بجماليون:

ورد في نقيشة النوط الذهبي المكتشفة بقرطاج والمؤرخة بالقرن 7 ق.م ما يلي: «لعشترت، لبجماليون، يدملك بن فدي من يحميه بجماليون فهو آمن»[10]. اعتبر بعض الباحثين أن بجماليون المذكور في النقيشة هو رب قبرصي أُدخلت عبادته إلى قرطاج[11]. بيد

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 70.
2- CIS I, 165.
3- Ibid, p. 247.
4- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 64.
5- BORDREUIL P., Attestations inédites de Melqart, Baal Hammon et Baal Saphon à Tyr, p. 82.
6- CIS I, 464; 379; 3785; 4874; 5955.
7- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 10, 7.
8- KATZENSTEIN H.-J., Some reflexions on the phoenician deities mentioned in the treaty between Esarhaddon king of Assyria and Baal king of Tyre, p. 373.
9- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 59; BONNET C., Baal Shamêm, dans *DCPP*, p. 61.
10- HARDEN D., *The Phoenicians*, p. 109.
11- Ibidem ; GRAS M., et autres, *L'univers phénicien*, p. 209-210.

أن قلة الوثائق الأثرية لا تسمح بالتحقق من صحة هذا الرأي ما دمنا لا نعرف هوية بجماليون وأصله. فهناك من أنكر وجود رب بهذا الاسم بقرطاج لأن النقيشة لا تحتمل التأويل الذي تبناه بعض الباحثين من منطلق أن بجماليون ورد فيها كاسم علم. يضاف إلى ذلك أن بجماليون لم يقترن في المصادر الأدبية باسم رب، وإنما بشخصية فينيقية (أخ عليسا)، خصوصا وأن لام النسبة المرتبطة باسم بجماليون في نقيشة النوط الذهبي تشير على الأرجح إلى الشخص الحامل للتميمة إذا صح أن لفظ «يدملك» ليس اسم علم، وإنما لقب يعني وظيفة معينة[1].

- شمس:

عثر بإحدى نقائش قرطاج على اسم علم (ع ب د ب ن ش م س)[2]، وقد تمت قراءته كما يلي: «خادم معبد شمس». الأمر الذي يوحي-ربما-بوجود عبادة لرب يدعى شمس، اعتبره البعض فينيقيا[3] من منطلق قدم آثار عبادته بالشرق الفينيقي، حيث تعود إلى نهاية القرن 8 ق.م وبداية القرن 7 ق.م[4]. بينما لا يستبعد أن لعبادة الرب شمس علاقة بعبادة الشمس التي كانت سائدة عند الليبيين.

- رشف:

تعد عبادة رشف بقرطاج قليلة للغاية، إذا استثنينا اسم علم «ع ب د ر ش ف»[5]، أي «خادم رشف»[6]. بالإضافة إلى لفظ «بعل رشف» الذي وجد على إحدى النصب بأدروميتوم (سوسة بتونس) دون أن يتسن ربط ذلك اللفظ بوجود عبادة حقيقية لرشف بالمنطقة[7]. ولذلك يبقى هناك غموض كبير يحف مسألة تاريخية إدخال ذلك الرب الفينيقي إلى قرطاج ومجالها الإفريقي. وعلى كل، يعد رشف من بين أقدم الأرباب بالساحل السوري الفلسطيني، حيث ترجع دلائل عبادته بإبلا *(Ebla)* إلى الألف الثالث ق.م[8].

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 303.
2- CIS I, 5780.
3- FÉVRIER J.-G., 1956, Paralipomena punica, p. 18.
4- الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 184.
5- CIS I, 251.
6- FÉVRIER J.-G., 1956, Paralipomena punica, p. 18.
7- FANTAR M.-H., Stèles épigraphiques du Tophet de Sousse, p. 35 et 43.
8- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 179.

4-2-2 - أرباب وردت في النقائش والنصب الليبية واللاتينية:

تبقى إفادات النقائش الليبية ضئيلة فيما يخص الجانب الديني نظرا لعدة أسباب منها قلتها، وعدم معاصرة معظمها للفترة القرطاجية. في حين أمدتنا النقائش اللاتينية ببعض أسماء الأرباب التي عبدها الليبيون خلال فترة الاحتلال الروماني. كما سنبحث في الأرباب الليبية التي ذكرت بالنقائش اللاتينية في المجال الجغرافي الذي يوافق المجال القرطاجي الإفريقي كما حددناه سالفا.

لقد عثر على معظم النقائش والنصب والنقوش الجدارية الليبية التي تضمنت أسماء بعض الأرباب المحلية في البلاد النوميدية التي كانت خاضعة بكل مباشر لقرطاج، ونذكر من أهمها: نقيشة ونصب باجة[1] بتونس الذي نُقشت عليه سبعة أرباب ليبية[2]، ثم النقش الجداري بشمتو (شمال غرب تونس)[3] الذي يصور ثمانية أرباب ليبية، يعتقد أن لها علاقة بأرباب باجة. وكذلك رسم جداري آخر بولاد عبيد/هنشير المطلق (معتمدية الرقاب جنوب شرقي ولاية سيدي بوزيد/تونس) ظهرت عليه ثمانية أرباب، ثم نقش جداري آخر عثر عليه غرب برج هلال قرب شمتو بولاية جندوبة بأقصى الشمال الغربي التونسي، ويُصوّر كذلك مجمع أرباب يتألف من ثمانية أرباب[4]، اعتُبرت ليبية[5]. وهناك من ربط بين المعبد المكتشف في الكاف (سيكا) والربة الوحيدة من بين أرباب مجمع برج هلال[6]. هذا فضلا عن عدة أرباب ليبية كشفت عنها النقائش اللاتينية بالسواحل الليبية الحالية (نقائش بونجم)[7].

---

1 - يتعلق الأمر بسبعة أرباب ليبية هي: بونشور، إيونام، ماكورغوم، ماكورطام، ماتيلام، فارسيسيما، فيهينام. انظر ما كتبه كامبس بهذا الخصوص:

- CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, dans *Ant. Afr.*, T. 26, 1990, pp. 131-153, p. 141-145.

2- MERLIN, A., Divinités indigènes sur un bas-relief romain de la Tunisie, dans *CRAI*, Année 1947, 91-2, pp. 355-371, p. 360.

3- DELATTRE A. L., Inscriptions de Chemtou(Simittu), Tunisie (suite), dans *Revue Archéologique*, Nouvelle Série, Vol. 42 (Juillet à Décembre 1881), pp. 19-35, passim.

4- CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, p. 135.

5- GEUS K. et ZIMMERMANN K., Punica, Libyca, Ptolemaica: Festschrift für Werner hub, Uitgeverij Peeters en Département Oosterse Studies, Leuven-Parid-Sterling, Virginia, 2001, p. 223.

6- Ibid, p. 232.

7- CAMPS G., Qui sont les Dii Maur, p. 134 ; 142 ; 144.

وبالمجال النوميدي المشار إليه سابقا، تم العثور على تشخيصات ونقائش تحمل أسماء أرباب ليبية، في كل من هنشير رمضان قرب باجة[1]، ودقة[2]، وطبرقة[3]، ومجيفا بمنطقة قصر البوم قرب تبسة على الحدود التونسية الجزائرية[4]. ورغم انتماء النقائش التي دوّنت عليها أسماء الأرباب الليبية المذكورة إلى فترات زمنية لاحقة كرونولوجيا لتاريخ سقوط قرطاج، فمن المستبعد أن تكون تلك الأرباب قد ظهرت فقط خلال الفترة الرومانية، فالظاهر أن لعبادتها جذورا ترجع إلى الفترة القرطاجية[5]، وربما أقدم من ذلك. ورغم وجاهة هذه الفكرة، فإن عدة صعوبات لا تزال تعترض مثل هذه المحاولة بسبب غياب تلك الأرباب في النقائش الليبية والبونية، وعدم الإشارة إليها في المصادر التاريخية.

4-3 - أرباب صغيرة من خلال أسماء الأعلام البونية والليبية:

أ- من خلال أسماء الأعلام البونية:

تمثل دراسة أسماء الأعلام الواردة في النقائش البونية إحدى مصادر البحث في موضوع الأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي، ويمكن اعتبارها معطيات غير مباشرة تطرح احتمال وجود عبادة فعلية للأرباب التي تَسَمَّى الأشخاص بأسمائها. لقد أظهرت الدراسات الأعلامية أن النقائش البونية تكتنز معلومات مهمة حول عدد من الأرباب التي لم تشر إليها النصوص الأدبية، ولا نجد في النقائش صيغا إهدائية مقدمة على شرفها.

مبدئيا، تكشف أسماء الأعلام بالنقائش البونية عن «الارتباط» و«الأبوة» التي تجمع بين صاحب الاسم والرب الذي تسمى به من خلال مشاعر التبجيل والإجلال والتواصل المستمر بين الأشخاص والأرباب التي تدخل في تركيب أسمائهم. وإذا اقتنعنا بأهمية هذا

1- مجمع أرباب باجة يتألف من ثلاثة أرباب هي: فودينا، فاكورطوم، فارسيس:
- CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, p.1385 (Voir CIL, I, 14444).

2- يتعلق الأمر بالرب مسكاف(Masgav):
- CIL, I, 27431 Clf. CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, p. 142.

3- CIL, I, 17330(Le dieu Pluton Variccala). Clf. CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, p. 142.

4- يضم مجمع أرباب مجيفا خمسة أرباب هي: ماسيدن-تيليلوا-سوكان-ليسدان-ماسيديكا: انظر بهذا الخصوص:
- CAMPS G., Qui sont les Dii Mauri?, p. 140-142.

5- KHANOUSSI M., et GHARBI M., Un nouvelle représentation de divinités numides sur un bas-relief de Borj Hellal(Thunussida), dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 171-175, p. 172.

التفسير كمعطى تمهيدي للبحث عن الأرباب من خلال أسماء الأعلام، فيمكن أن نحصي عددا كبيرا من الأرباب الصغيرة، وربما الخاصة التي عُبدت في قرطاج لوحدها، ودخلت في تركيب أسماء الأعلام (انظر الجدول رقم 8).

تبنى الباحث هالف التفسير المشار إليه أعلاه لكنه قدّم مبررات أخرى للعلاقة المفترضة بين حمل أسماء الأرباب وبين عبادتها، ومن بينها أن الميولات الروحية لأولئك الذين يختارون الأسماء تتجسد من خلال إعطاء التسمية للطفل لأن ربط الأرباب بأسماء الأبناء يكون الهدف منه ضمان الرعاية والحماية الإلهية لهم[1]. ويمكن اعتبار تلك الفكرة مقبولة إلى حد ما، وهو ما نتقاسمه مع باحثين آخرين[2]، فإعطاء أسماء الأرباب للأبناء معناه أن الآباء كانوا، على الأقل، يعتقدون بتلك الأرباب. لذلك يحتمل أن عددا مهما من تلك الأرباب قد عبدت بالفعل بقرطاج، ربما، في إطار عبادات خاصة بالأفراد لم تكن تتقاطع بالضرورة مع العبادات العامة[3].

ورغم ذلك، فإن قراءة مدلولات أسماء الأعلام لم تحظ باتفاق الباحثين. فإذا كان هالف، كما بيّنا، سابقا يعتقد أن كل الأسماء التي دخلت في تركيب أسماء الأعلام تمثل أربابا حقيقية وجدت بقرطاج، فإن سيرج لنسل يرفض ذلك معتبرا أن بعض الأرباب فقط هي التي أقيمت لها عبادة فعلية بقرطاج[4]. بينما يرى كسيل أن صعوبة فهم مدلولات أسماء الأعلام في النقائش، وصعوبة الحسم في علاقة اتخاذ أسماء الأرباب بحقيقة الاعتقاد بها تفرض التريث قبل إصدار أحكام عامة[5].

لقد بدأ يتبلور في الدراسات التاريخية اتجاه يرفض التسليم بالمدلول الديني للتسمي بأسماء الأرباب. وذلك بسبب صعوبة الاطمئنان لنتائج الدراسات الأعلامية لوحدها، بالنظر لجهلنا بالدوافع الحقيقية التي جعلت الأفراد يُقبلون على اتخاذ أسماء الأرباب كأسماء لأبنائهم. وهناك من افترض أن الأمر يتعلق فقط بالرغبة في اتباع التقاليد الاجتماعية المتمثلة في المحافظة على أسماء الأجداد، وبالتالي، فإن اتخاذ اسم هذا الرب أو ذاك قد يكون مجرد

1- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 75.
2- GRAS M., et autres, *L'univers phénicien*, p. 37.
3- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 73.
4- LANCEL S., *Carthage*, p. 47.
5- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 335.

صدفة، وقد لا تكون لذلك بالضرورة صلة بالشعور الديني الحقيقي للأشخاص الذين اطلقوا الأسماء، أو الذين تسمّوا بها[1].

تبدو فكرة الربط بين اتخاذ أسماء الأرباب والشعور الديني مغرية للبعض، لكن ذلك لا يمنع من إبداء التحفظ بشأنها لأن ذلك الربط لا يحسم الإشكال المتعلق بجدوى أسماء الأعلام كمصدر لدراسة الأرباب. ولكن العكس لا يبدو صحيحا تماما لأن عددا من الأرباب التي تحدثت عنها النصوص القديمة قد دخلت بالفعل في تركيب أسماء الأعلام بنقائش قرطاج، فهذا دليل على أن بعض الأرباب التي تعرفنا عليها من خلال أسماء الأعلام كانت تخصص لها عبادات فعلية بقرطاج.

من ناحية أخرى، لا يستبعد أن يعكس اتخاذ أسماء بعض الأرباب نوعا من التقاليد الاجتماعية التي لم تكن مرتبطة بالمشاعر الدينية، وإنما تعكس جانبا من التمسك بالإرث الثقافي والاجتماعي الشرقي، بحيث تكون أسماء الأعلام موروثة، ولا صلة لها باعتقادات الشخص الذي يَمنح الاسم، أو الذي يتسمى به. ولعل ما يدعم هذه الفرضية هو أن الوثائق البونية لا توضح الصلة الوثيقة بين اتساع عبادة الأرباب وكثرة الإقبال على اتخاذها كأسماء للأفراد. ذلك أن الربين الكبيرين في المجال القرطاجي الإفريقي، وهما بعل حمون وتانيت، لم يدخلا إلا نادرا في تركيب أسماء الأعلام التي تعد بالآلاف في النقائش البونية بقرطاج.

أما إذا اقتصرنا على المقاربة اللغوية البحتة لفهم معاني أسماء الأعلام، فإن الصفات التي تسبق الأسماء التي يفترض أنها لأرباب مثل عبد أو أم.. الخ ربما لا تحمل في الواقع معاني التبجيل ومحاولة التقرب من أرباب مجهولة ولا نعرفها إلا من خلال أسماء الأعلام بقدر ما قد تكون مجرد نعوت وصفات للأرباب المعروفة في قرطاج رغم حتمية الإقرار بجهلنا بألقاب تلك الأرباب. ومن أمثلة ذلك نذكر العبارة التالية: «قبر جرات ملقرت كاهنة ربتنا»[2]. فإذا انطلقنا فقط من تركيب الاسم لافترضنا بأن «جرات» ترتبط بالرب ملقرت، والحال أنها كاهنة للربة تانيت التي أشير إليها في النص بصفتها التي تعني «السيدة». وفي نقائش الحفرة نجد أن أرشت *(Arishat)* التي يفترض ارتباطها بالرب أريش *(Aris)* تقدم في النقيشة نذرا لتانيت

1- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 82.

2- CIS I, 5942.

وبعل حمون[1]. أما في قرطاج، فنجد أن «أ م ع ش ت ر ت» تقدم إهداء لبعل حمون وتانيت، رغم أن اسمها في النقيشة يوحي بانتمائها لمجمع كهنة الربة عشتارت[2].

نستخلص مما سبق أن الأرباب المرتبطة بأسماء الأعلام بالنقائش البونية لا تمثل كلها أربابا حقيقية كان يخصها القرطاجيون بعبادات فعلية، سواء خاصة أو عامة، دون أن يعني ذلك وجود استثناءات كما يتبين من خلال اتخاذ أسماء أرباب تأكدت عبادتها بقرطاج من خلال صيغ إهدائية ونذرية واضحة، وألفاظ تشير إلى وجود كهنة ومعابد خاصة بها. ومن أمثلة ذلك نذكر الرب ميسكر *(Misker)* الذي دخل في تركيب الأسماء، بحيث نجد بإحدى النقائش عبارة تشير إلى وجود معبد خاص به(ع ب د/ ب ت/ ح ت ر/ م س ك ر)[3]. كما نجد إشارة لعبادته في مكثر[4]. ويري لبينسكي أن الاسم الليبي «ي ل ب ل» الوارد في النقائش البونية في ألثيبيروس وكوزو بمالطا، يشير إلى رب ليبي يدعى إيول (Iol)[5]. وفي مكثر نجد اسم علم «ي ل» على نقيشة بونية، ولا تستبعد صلة الاسم بالرب الليبي إيول[6].

وينطبق نفس الشيء على الرب «بعل مجنم»[7]. أما بالنسبة للرب «سيد» *(Sid)*، فلدينا نقائش تشير إلى عبادته مع تانيت[8]، وكذلك مع ملقرت[9]. كما نجد في إحدى نقائش قرطاج ما يدل على وجود معبد خاص بالرب «سكون»[10] الذي نعرفه فقط من خلال أسماء الأعلام. أما بالنسبة للربة المصرية «إيزيس» التي دخلت في تركيب عدد مهم من الأسماء، فنجد كذلك نقيشة تؤكد وجود معبدها في قرطاج[11].

ورغم قلة آثار عبادة إيزيس بقرطاج، وبمجالها الإفريقي، فلا يوجد ما يدعو للاستغراب من عبادة الربة المصرية بالمدينة، أو بباقي أنحاء شمال إفريقيا نظرا لكونها ربة كبيرة بالمنطقة

1- NÉE ZEGHAL Y.-S., *La femme à Carthage de 814 à 146 av. j. - c*, p. 138.
2- Ibid, p. 141.
3- CIS I, 253; 254; 4838.
4- FÉVRIER J.-G., La grande inscription dédicatoire de Mactar, dans *Semitica*, T. VI, 1956, pp. 15-31, passim.
5- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 370.
6- Ibidem.
7- CIS I, 3778.
8- CIS I, 247-249.
9- CIS I, 356.
10- CIS I, 4841.
11- CIS I, 6000.

كما أثبتت ذلك النصوص التاريخية. فقد أخبرنا هيرودوتوس أن الليبيين القاطنين بالمناطق التي تمتد بين مصر وبحيرة تريتونيس بالسرت الصغرى كانوا يقدسون «إيزيس»[1]، الأمر الذي يقلل من أهمية الفرضية التي تنسب للفينيقيين فضلا في إدخال عبادة تلك الربة إلى قرطاج ومجالها الإفريقي[2].

إذا قارنا عدد الأرباب التي تأكدت عبادتها بقرطاج مثل سكون، وسيد، وميسكر، وبعل مجنم، وإيزيس بالعدد الكبير من الأرباب المفترضة التي دخلت في تركيب أسماء الأعلام لوجدنا أن معظم تلك الأرباب لم تكن معروفة في الشرق الفينيقي، أو بالأحرى لم تكتشف لحد الآن دلائل عبادتها هناك. ولذلك يمكن الاستنتاج بأن بعض العبادات الخاصة، ربما، هي التي تفسر عبادة الأرباب الصغيرة التي ثبت وجودها من خلال وثائق أخرى، بينما يبقى من الصعب الحسم في شأن تلك التي نعرفها فقط من خلال أسماء الأعلام[3].

ب- من خلال أسماء الأعلام الليبية:

تبقى مساهمة أسماء الأعلام بالنقائش الليبية في التعريف بالأرباب ضعيفة للغاية. وقد يفسر ذلك بكون الليبيين لم يربطوا أسمائهم بالأرباب التي كانوا يعبدونها[4]. إلا أن هذه الملاحظة العامة لا تعني خلو تلك النقائش من أسماء أعلام يمكن تأويلها في هذا الاتجاه، إذ يلاحظ مثلا تكرار لفظ «إيول»، أو «يول» في تركيب أسماء أعلام في نقائش ليبية، وبونية، ولاتينية[5]. ويرى لبينسكي أن أسماء «ي ل ج م» و«ي ع ل ج م» تتضمن اسم الرب «يول» أو«يعل» لأن لفظ «ج م» هو مجرد لاحقة[6]. ولذلك ربط الباحث بينه وبين الرب «إيولاس» الذي رافق، حسب الميثولوجيا الإغريقية، الرب هرقليس إلى قارة ليبيا[7]، والرب المذكور في قسم حنبعل بنفس الاسم[8]. ولم يستبعد لبينسكي بأن يكون «إيول» هو «إيولاس» وأنه يخفي ربا

1- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 186.

2- HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, p. 74.

3- الفرجاوي(أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، مرجع سابق، ص. 202.

4- JUDAS A., Sur vingt-sept inscriptions libyques récemment trouvées aux environs de Bône en Algérie, dans *Rev. Afr.*, 11è année, n° 70, juillet 1868, pp. 257-276, p. 275.

5- CIS I, 863, 5.

6- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 369.

7- EUDOXE DE CNIDE apud ATHÉNÉE, *Les Deipnosophistes*, IX, 392d.

8- POLYBE, *Histoires*, VII, 9, 2.

ليبيا قديما استمرت عبادته بقرطاج[1]. ورغم ذلك يبقى الحديث عن هذا الرب الليبي مجرد فرضية تحتاج إلى ما يكفي من الأدلة.

4-4 - أرباب من خلال الرموز والتشخيصات والعناصر الأيقونية:

تمثل الرموز المنقوشة على الأنصاب، والتماثيل التي اكتشفت بالمواقع القرطاجي الإفريقية مصدرا مهما للتعرف على المعبودات التي انتشرت خلال الفترة القرطاجية. واعتمادا على هذا المصدر رجح بعض الباحثين احتمال تبني سكان المجال القرطاجي الإفريقي لمعبودات أجنبية، لا سيّما الإغريقية والمصرية. لقد فسر لبينسكي الصور المنقوشة على الباطيات[2]، وعناقيد العنب، وأوراق العشقة، والإناء المسمى «بانتير» بوجود عبادة لديونيزوس إله الخمر عند الإغريق خلال القرن 4 ق.م بحجة أن تلك الرموز تصاحبه في الفن الإغريقي، وبسبب قرابته للربتين ديمتر وكوري اللتان عُبدتا في قرطاج[3].

يرى بيكار أن الأمر يتعلق برب فينيقي شبيه بالرب الإغريقي[4] لأن صور الصولجان على الأنصاب تمثل دليلا على عبادة الربة الإغريقية «هيرمس» باعتبار الصولجان من بين رموز هذه الأخيرة[5]. بينما نسب فنطر تمثالا عثر عليه بكركوان للربة الإغريقية «أرتميس»[6]. في حين اعتبر فيركوتر أن إحدى المشاهد على الشفرات البونية لها صلة بعبادة ميركير وهرقليس[7].

لكن رغم أهمية ما بحوزتنا من رموز وتشخيصات منسوبة لأرباب إغريقية، فإن عبادتها بقرطاج تبقى غير مؤكدة، وبالتالي يمكن اعتبار كل ربط بين تلك التشخيصات وعبادة أرباب إغريقية مسألة افتراضية في غياب نصوص تاريخية صريحة تدل على تخصيص عبادة فعلية لتلك الأرباب بقرطاج. ذلك أننا لا زلنا نجهل لحد الآن مضمون التشخيصات الدينية البونية بشكل عام نتيجة عدم توصل الأبحاث إلى ربط التماثيل التي عثر عليها بالأرباب المعروفة من خلال النصوص القديمة أو النقائش. وتبعا لذلك يبدو من المبكر تأويل التشخيصات ومجموع

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 370.

2- هو إناء ذو قاعدة وعروتين استعمله الإغريق لمزج الخمر بالمياه.

3- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 384.

4- PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, p. 93.

5- Ibid, p. 98.

6- FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, p. 185.

7- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 306.

العناصر الأيقونية وفهم طبيعة التعبيرات الدينية التي ترمز إليها في غياب مستندات كافية.

ولعله من المستغرب، ربطا بما سبق، تفسير الصور والرموز التي تظهر على أنصاب قرطاج، والمهداة أصلا لتانيت وبعل حمون[1]، بتبني القرطاجيين لمعبودات أجنبية. ولا يستبعد أن يكون لتلك الصور مغزى ديني آخر نجهله، أو أن تكون مجرد زخارف تستجيب للذوق الفني للأشخاص الذين قدموا الأنصاب، أو أن تكون لها صلة بالطقوس المرتبطة بعبادة بعل حمون وتانيت[2]. فإذا صح عجز القرطاجيين عن رسم ونقش رموز بسيطة، وهو أمر غير منطقي، وأنهم اقتبسوها من غيرهم، فمن المرجح أنهم اكتفوا باستلهام الشكل الفني، وليس المحتوى الديني للعناصر الأيقونية المعروفة عند الإغريق[3].

تمثل كثرة صور ورموز الأرباب المصرية على المواد الجنائزية والنذرية البونية(انظر اللوحة رقم 6) إحدى الظواهر المغرية بالبحث والتحري في سياق دراسة التأثيرات الأجنبية على معتقدات سكان المجال القرطاجي الإفريقي. فأي تفسير يمكن إعطاؤه لطغيان العناصر الأيقونية المصرية ذات المدلولات الدينية؟ هل كانت لها نفس المعاني الدينية كما في مصر؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل تأثر سكان المجال القرطاجي بالديانة المصرية إلى تلك الدرجة التي توحي بها كثرة العناصر الأيقونية المصرية؟ أم أن تلك التمائم والتعاويذ المصرية تحمل معاني أخرى غير دينية؟

يجب الإقرار في البداية بأن حضور رموز الربة المصرية «إيزيس» يبدو منطقيا بالنظر لوجود أدلة عبادتها بقرطاج وبمجالها الإفريقي، سواء من خلال النقائش أو النصوص القديمة. أما بالنسبة للأرباب المصرية الأخرى الحاضرة فقط من خلال رموزها، فليس بحوزتنا معطيات كافية، سواء في المصادر القديمة، أو في الصيغ الإهدائية بالنقائش. ويتطلب فهم دلالات حضور الرموز المصرية على المواد البونية، ولا سيّما على الجُعلان (انظر الجدول رقم 9)[4] تتبع وظائف

1- FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique*, Collection Notes et documents, INAA, centre de la recherche archéologique et historique, Tunis, 1970, p. 13.

2- Ibid., p. 14.

3- Ibid, p. 13.

4- الجُعلان أو الجعارين هي تمائم مقدسة على شكل خنفساء الروث (اسمها العلمي Scarabaeus sacer) عليها رموز ونقوش كان قدماء المصريين يصنعونها من مواد متنوعة لأغراض مختلفة، سحرية (تمائم وتعويذات للحماية وجلب الحظ)، ونفعية (أختام وحلي ومجوهرات)، وجنائزية (توضع ضمن الأثاث الجنائزي)، وأحيانا دينية من خلال ارتباطها ببعض الأرباب (إله الشمس رع).

تلك الرموز بالوثائق المصرية المنتمية لنفس الفترة التي ظهرت فيها بقرطاج، أي منذ القرن 7 ق.م تقريبا، وهي الفترة التي توافق العصر المصري الأسفل (الأسرة 26).

ينحصر مضمون النقائش التي تظهر على الجُعلان بمصر في طلب حماية الأرباب مثل تمني سنة سعيدة، أو طلب تدخل الأرباب، لكن نادرا ما تكون الرموز والنقوش مرتبطة بعبادة طقسية للأرباب، ودليل ذلك أن «أزوريس» الذي يعد كبير الأرباب المصرية لم يُشَخَّص، أو يُنْقَش اسمه إلا نادرا على الجعلان المصرية[1]. لقد كان الجُعل عند المصريين، من خلال الرموز المنقوشة عليه، يتضمن فكرة الحياة والمستقبل، وكان لحضور رموز وأسماء الأرباب قوة سحرية بالأساس[2]. والملاحظ أن الجعلان التي عثر عليها بقبور قرطاج تحمل تقريبا نفس الهواجس الحمائية[3]. ويرى فيركوتر أن القرطاجيين، باستيرادهم لتلك المواد المصرية أو تقليدها، قد تأثروا بدورهم بنفس الأفكار التي ترمز إليها عند المصريين[4].

ولذلك، يرجح أن دور الجعلان المصرية بقرطاج كان سحريا وحمائيا بالدرجة الأولى، سواء من خلال شكلها، أو من خلال الرموز المنقوشة عليها، فأسماء الأرباب تمثل، وفق هذا التفسير، ضمانة لاستمرار الحياة ورمزا للقوة السحرية[5]. الأمر الذي يجعلها بمثابة طلاسم، أو رقي حمائية، وليست مواد مرتبطة بالعبادة[6]. نحن متفقون، إذن، على ما أجمعت عليه الدراسات التي تناولت بالبحث مدلولات حضور رموز الأرباب المصرية على المواد القرطاجية لجهة تفسير ذلك الحضور بتأثير السحر المصري في معتقدات القرطاجيين أكثر من أي شيء آخر[7]. وفي نفس الوقت لا نستبعد، مثلما ذهب إلى ذلك كسيل، أن الأمر يتعلق بالأساس

1- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 47.

2- Ibid., p. 48.

3- تتضمن الجعلان العبارات التالية: «يحميني الرب...»، «حماية الرب»، الرب ...يهب الحياة»، «حماية سخميت لسيده»، «المحبوب من أمون»...إلخ.

4- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 49.

5- Ibidem.

6- DECRET F., *Carthage ou l'empire de la mer*, p. 132; QUILLARD B., *Bijoux carthaginois*, T. I, les colliers, Louvain-La-Neuve, Paris, 1979, p. 124.

7- LANCEL S., *Carthage*, p. 83; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 227; VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 93; FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 327.

باقتباس القرطاجيين للشكل الزخرفي البحت، خصوصا بالنسبة للمواد التي صُنعت محليا[1].

يعد هذا التفسير منطقيا إذا نحن أخذنا في الاعتبار أن بلاد فينيقيا نفسها، والتي امتد إليها النفوذ المصري المباشر، لم تشهد مثيلا لذلك لانتشار الكبير الذي عرفته المواد السحرية المصرية بقرطاج، رغم أهمية وقدم الصلات التي جمعتها بمصر[2]. ولهذا لا نستبعد أن يكون للسكان الليبيين الخاضعين لقرطاج دور ما في تشبع القرطاجيين بالسحر المصري، فالراجح أنهم شكلوا نقطة التقاء بين الموروث المصري والفينيقي بأرض شمال إفريقيا بحكم الصلات الحضارية والدينية التي جمعتهم بمصر منذ فترات جد قديمة[3].

غير أن فكرة تأثير السحر المصري والاعتقادات المرتبطة به لا تعني أن الأفكار السحرية بالمجال الإفريقي كانت مرتبطة بالضرورة بتأثيرات خارجية. ذلك أن الانشغالات السحرية لازمت الإنسان عموما، والإنسان الشمال إفريقي خصوصا منذ أقدم العصور، حيث يعود استعمال التمائم من طرف سكان شمال إفريقيا القديم إلى حقبة ما قبل التاريخ[4]. ولا شك أن نفس الانشغالات قد استمرت خلال الفترة القرطاجية، وليس صدفة أن يتم العثور في القبور البونية بقرطاج على ركام من الحصى المستدير المرتبط بتلك الاعتقادات الليبية القديمة[5].

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 342.

2- VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, p. 362.

3- Ibid., p. 361-362.

4- CAMPS-FABRER H., et MORIN-BARDE M., Amulette, dans *Ency. Berb.*, T. IV, Aix-en-Provence, France, 1987, pp. 613-622, p. 613.

5- Ibid., p. 614.

الفصل الثاني:
المعابد والأضرحة بالمجال القرطاجي الإفريقي

1 - المعابد:

تصطدم محاولة البحث في موضوع المحلي والوافد في المعابد والأضرحة بالمجال القرطاجي الإفريقي بقلة المعطيات في المصدرين الأدبي والأثري، سواء في فينيقيا، أو في المجال القرطاجي الإفريقي. لذلك نجد إشارات مقتضبة في بعض المصادر حول وجود معابد بقرطاج (مثلا معبد إسكولاب، أي أشمون)[1]، وأوتيك (معبد أبلون)[2]. أما أثريا، فإذا استثنينا ما ورد في النقائش من إشارات لوجود معابد، فإن حظنا من المعالم المكتملة لا يزال ضعيف للغاية.

لقد عثر الأثريون على بقايا معبد مكون من ساحة ومصلى بمنطقة رأس الدرك قرب موقع كركوان (معتمدية حمام الأغزاز/شرق تونس)، بالإضافة إلى بقايا معبد كركوان المؤرخ بالقرن 3 ق.م، والمكون من عمودين ورواق مربع الشكل يقود إلى ساحة كبيرة بها مذبح ودكة المصلى[3]. أما بقرطاج، فإن تدمير المدينة يمثل ربما السبب الأساسي وراء عدم العثور على بقايا ذات أهمية، فإذا استثنينا بقايا التوفاة المخصص لعبادة تانيت وبعل حمون، فما تبقى لا يتجاوز بعض اللقى التي تم تأويلها على أساس أنها تمثل بقايا معابد[4].

أما بالشرق الفينيقي، فقد شكلت المعابد إحدى أهم المباني التي وجدت بكل مدينة فينيقية، إلا أن ما عُثر عليه من البقايا لا يعكس، للأسف، تلك الأهمية مما يحول دون التوفر على معطيات متكاملة حول الخصائص المعمارية لتلك المعابد. فقد عُثر على آثار معابد فينيقية بمواقعي عمريت قرب طرطوس بالساحل الغربي لسوريا، وصيدا بجنوب لبنان، أرخت

1- APPIAN, *PW*, VIII, 130.
2- PLINE L'ANCIEN, *HN*, XVI, 79, 3.
3- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 298.
4- CARTON L., *Sanctuaire punique découvert à Carthage*, passim; FERCHIOU N., Le sanctuaire de Carthage dit chapelle Carton, dans *CEDAC*, Carthage, Bull. n° 8, 1987, pp. 13-17.

بالقرن 5 ق.م[1]. بالإضافة إلى معبد آخر، أقدم زمنيا، عثر عليه في كامد اللوز بجنوب شرقي سهل البقاع (شرق لبنان)، وينتمي إلى عصر البرونز المتأخر بفينيقيا[2].

كما عثر على بقايا معبد بمنطقة عين الحياة بمحافظة البقاع بلبنان، لكن لم يتسن تأريخه بشكل مضبوط[3]. في حين لم تكتشف إلا بعض الأجزاء من معبد أشمون بصيدا. وفي سنة 2013 أمكن اكتشاف معبد فينيقي بمدينة صور، أرخ بما بين القرنين 6 و5 ق.م، ويمكن اعتباره المعبد الفينيقي الوحيد الذي بقي بحالة احتفاظ جيدة تكفي للكشف عن كامل شكله الهندسي[4]. لقد كرس المعبد المكتشف الفكرة السائدة عن المعابد الفينيقية، إذ يشبه بالخصوص معبدي عمريت وصيدا. غير أنه ينفرد عن غيره بميزة أساسية تتمثل في احتوائه على موقد بجانب المذبح[5]. إذا اعتبرنا البقايا المكتشفة لحد الآن بمثابة نماذج للمعابد الفينيقية، فإن الفكرة العامة عنها تتلخص في وجود ساحة مقدسة تقع في الوسط بها مصلى ومذبح، ويحيط بالمعبد سور ذو أروقة[6]، إضافة إلى الموقد.

وبسبب ضعف معطياتنا عن معابد قرطاج ومجالها الإفريقي، اقترح لبينسكي الاستعانة ببقايا المعابد التي عثر عليها بمراكز النفوذ القرطاجي بغرب حوض البحر المتوسط، ولا سيّما بسردينيا ومالطا[7]، وبالتالي تعويض نقص الوثائق في المجال القرطاجي الإفريقي. لكن هذه المحاولة تعترضها عدة معيقات أبرزها بُعْد تلك المعالم عن قرطاج مع ما قد يميزها من

1- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 295-296; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 78-79.

كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 213-209.

2- CHÉHAB M., Découvertes phéniciennes au Liban, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 165-183, p. 168.

3- MOSCATI, S., *L'épopée des phéniciens*, p. 79.

4- تبلغ مساحة المعبد المكتشف 20 × 6.5 أمتار، وبلغ علو منصته متران، يعلوها مذبح لتقديم الأضحية، وبقربه أتون حُفظت فيه عظام الحيوانات المذبوحة. وأكثر ما يلفت النظر في المعبد هو الحائط الغربي، إذ يبلغ طوله 22 مترا، وقد زُيِّن بإفريز من الخوانق المصرية.

5- أندرو بوسون، معبد فينيقيّ مدفون في المحفوظات، تقرير نشر بتاريخ 20 أكتوبر 2013 ب»نيتشر ميدل إيست»، وهي الطبعة العربية لمجلة Nature:

- (https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/article/10.1038/nmiddleeast.2013.184).

6- MOSCATI, S., L'épopée des phéniciens, p. 80; FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 295; LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 427.

كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 153

7- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 427.

خصوصيات محلية قد لا تعكس بالضرورة مميزات معابد قرطاج ومجالها الإفريقي. والحالة هاته، يبقى توظيفنا لمعطيات معابد المجال القرطاجي المتوسطي للاستئناس فقط. وبالجملة، فنحن لا نعرف تفاصيل الشكل الأصلي الذي كانت عليه المعابد البونية.

يرى فنطر أن المعبد الذي اكتشف بقبرص، والمنسوب للفينيقيين (ق. 8 ق.م)، يمكّن من تعويض نقص معلوماتنا حول المعابد بقرطاج ومجالها الإفريقي، وهو عبارة عن بناء مستطيل مقسم إلى جزأين بواسطة سور، وله بابان[1]. أما بباقي مناطق شمال إفريقيا، فرغم وجود نصوص تاريخية تتحدث عن معابد وأضرحة هناك[2]، فإن الحفريات الأثرية لم تُمَكِّن، لحد الآن، من تعزيز معطياتنا حول شكل المعابد عند الليبيين، سواء خلال الفترة القرطاجية، أو خلال المراحل السابقة عليها.

اقتنع معظم الباحثين الذين اهتموا بموضوع المعابد بإمكانية تجاوز فقر معلوماتنا حول المعابد القرطاجية بإفريقيا بالاعتماد على المعبد الفينيقي في الشرق من منطلق أن معابد المجال القرطاجي بإفريقيا بنيت، بالضرورة، على الطراز الفينيقي، وأن القرطاجيين شيدوا معابد شبيهة بالمعابد الفينيقية بعد أن نقلوا معارفهم حول تلك المعابد من خلال نماذج مالطا وسردينيا[3]. وذهب لبينسكي إلى حد اعتبار أن المعابد التي أقيمت في المناطق الطبيعية خلال الفترة القرطاجية قد أُنشأت بدورها عن طريق محاكاة المعابد الفينيقية[4] على اعتبار أن الفينيقيين كانوا يقيمون معابد في الأماكن المرتفعة كقمم الجبال والتلال والأودية...إلخ[5].

لكن إذا كان التأثر بالطراز الفينيقي للمعابد المبنية مطروحا للنقاش، فلا نرى موجبا للاعتقاد بأن المعابد التي أنشأها السكان الليبيون في الأماكن الطبيعية قد تمت هي ايضا بتأثير فينيقي بحكم أن اتخاذ هذا النوع من المعابد يعد توجها أصيلا بالنسبة لمعظم شعوب العالم القديم، خصوصا وأن عبادة قوى الطبيعة من جبال، وعيون، وينابيع، وكهوف تعد ممارسة جد قديمة عند الليبيين[6].

1- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 296.

2- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 179 ; PSEUDO-SCYLAX, 112.

3- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 429; HOURS-MIÉDAN, M., *Carthage*, p. 52; PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité*, T. III, p. 310-311.

4- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 421.

5- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 152.

6- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 94 و102.

غير أن قلة المعطيات بالمواقع الفينيقية، وبقرطاج، وبمجالها الإفريقي، سواء خلال الفترة القرطاجية، أو خلال الحقب السابقة على وصول الفينيقيين إلى المنطقة لا يعطي سبقا للآراء التي تنسب للفينيقيين فضلا كبيرا في إنشاء المعابد المبنية بالمنطقة بعلة تعذر القيام بمقارنة تفصيلية للشكل الهندسي للمعابد الفينيقية والقرطاجية. ولكن ذلك لا يعني إنكار التأثير الفينيقي كفرضية تدعمها قرينة استقرار الفينيقيين بالمنطقة، وإدخال عدد من معبوداتهم إليها دون أن يتسن تقييم ذلك التأثير لحد الآن. وينضاف إلى التأثير الفينيقي في عمارة المعابد، احتمال وجود تقاليد محلية ليبية في هذا المجال موروثة عن الحقب السابقة، دون إغفال التطورات المحلية التي حصلت في بناء المعابد بقرطاج وبمجالها الإفريقي طيلة الفترة القرطاجية.

2 - الأضرحة:

اعتبر كسيل أن الأضرحة لم تكن معروفة عند القرطاجيين بدليل عدم العثور على معالم كافية بأهم المواقع البونية، وخصوصا بموقع قرطاج. وعلى خلاف ذلك، لاحظ كسيل تركزها بمجال استقرار السكان المحليين[1]. لكن فكرة كسيل تنبني على تصوره الخاص للمجال الإفريقي الذي توسعت به المدينة، والذي لا يتعدى الزاوية الشمالية الشرقية للبلاد التونسية، بينما تسمح المعطيات التي سقناها سابقا بالحديث عن مجال أوسع بكثير. وإذا أردنا البحث عن آثار الأضرحة بالمجال القرطاجي الإفريقي لوجدنا أن تلك المعالم كانت منتشرة بذاك المجال بنفس المواصفات التي تميزت بها الأضرحة في باقي أنحاء شمال إفريقيا القديم.

إذا انطلقنا من الشرق سنجد عدة نماذج مثل ضريح صبراتة على الساحل الليبي الحالي[2] (اللوحة رقم 7، الصورة رقم 2)، وضريح هنشير بورقو (اللوحة رقم 7، الصورة رقم 3) بجزيرة جربة بالساحل الشرقي التونسي[3]، وهي معالم تعود إلى القرنين 4 و3 ق.م[4]، ثم

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 252.

2 - اعتُبر الضريح عند اكتشافه نموذجا للعمارة الدينية البونية المتأثرة بعناصر معمارية أجنبية، ومن أهمها تأثير مدينة الإسكندرية بمصر:

- DI VITA A., Influences grecques et tradition orientale dans l'art punique de Tripolitaine, p. 10-11.

3- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 315; WERIEMMI-AKKARI J., Un témoignage spectaculaire de la présence libyco-punique dans l'île de Jerba: le mausolée de Henchir Bourgou, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 189-195, p. 194-195.

4- Ibid., p. 194.

ضريح دقة (اللوحة رقم 7، الصورة رقم 1) الذي يشبه ضريح صبراتة، والعائد إلى القرن 2 ق.م. كما نجد الأضرحة، على شكل برج ينتهي بشكل هرمي، مرسومة على عدد من المعالم بمواقع المجال القرطاجي الإفريقي. لقد عثر على رسومات الأضرحة بجدران القبور والأقبية والحوانيت بعدة مواقع بالوطن القبلي (شرقي تونس) مثل جبل ملزة[1]، والهوارية، وأسبيس (قليبية الحالية)[2]، ومنزل تميم، ومقابر المنصورة[3] (انظر اللوحة رقم 8)، وسيدي علي الجبالي، وسيدي سالم[4]، وسيدي محمد الأطرش[5] (انظر اللوحة رقم 9). كما رُسمت الأضرحة أيضا على جدران الحوانيت بعدة مواقع بمقعد وخمير[6] شمال غرب تونس[7]. ونجدها مصوّرة أيضا على الأنصاب بقرطاج بتونس، وبتوفاة صبراتة بالساحل الليبي[8].

لقد عُثر بنفس المجال الذي اكتشفت فيه الأضرحة المرسومة على بقايا أضرحة مبنية مثل تلك التي لا تزال بعض معالمها بارزة غير بعيد عن منطقة مقعد، أي بالقرب من مجال الحوانيت التي رُسمت على جدرانها نفس المعالم. يتعلق الأمر بضريح مديدي[9] جنوب غرب مكثر، وضريح هنشير الجوف قرب زغوان، وآخر بمنطقة الهوام قرب هنشير بوعرادة (شمال شرق سليانة)، وضريح هنشير الجالّ بالأنصارين من معتمدية طبرية (ولاية منوبة بشمال تونس). كما وجدت تلك المعالم بمنطقة مقعد (الشمال الغربي لتونس) بمواقع قصر رواحة

1- CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, dans *Rev. Tun.*, 2è, 3è et 4è Trimestres, n.s, n°38-39-40,1939 , pp. 135-198, p. 192.

2- FANTAR M.-H., Présence punique et libyque dans les environs d'Aspis au cap Bon, p. 508.

3- LONGERSTAY M.-S., 1995, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du Nord-Ouest de la Tunisie, dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 210-219, p. 211.

4- Id, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du N-O de la Tunisie, dans *Ant. Afr.*, Année 1993, 29, pp. 17-51, 26-27, et 30.

5- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, op.cit., pp. 65 ; 73 et 121.

6- LONGERSTAY M.-S., 1995, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du Nord-Ouest de la Tunisie, p. 211.

7- من بين الحوانيت التي رُسمت على جدرانها أضرحة بمنطقة مقعد نذكر: حوانيت El Guetma، وحوانيت جبل الزبوج، وحوانيت Ben Yasla: انظر بهذا الخصوص ما ورد عند لونغرستاي:

- LONGERSTAY M.-S., 1993, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du N-O de la Tunisie, p. 20, 22-24, et 25.

8- Ibidem.

9- FERCHIOU N., Un petit monument de Mididi : temple ou mausolée, dans *Ant. Afr.* Année 1985, 21, pp. 159-172, p. 172.

(Ksar Rouaha)، وقصر شنان *(Ksar Chenane)*. بالإضافة إلى أضرحة أخرى تعرضت للتخريب[1].

ويتضح من المعطيات أعلاه، أن هناك توازيا على المستوى المجالي بين الأضرحة المرسومة والمبنية، فضلا عن التشابه المورفلوجي، مما يعني أن الفنانين رسموا في الواقع معالم وجدت بالفعل بمناطقهم. لكن تأريخ بقايا الأضرحة التي عثر عليها بشمال تونس على ضوء معطيات الأضرحة المرسومة على جدران الأقبية والحوانيت يطرح عدة صعوبات. إلا أنه يمكن إرجاعها عموما إلى فترة تقع بين القرنين 3 و2 ق.م[2]، أي إلى نفس الفترة تقريبا التي ينتمي إليها ضريح بورقو بجربة. علما أن أهم أضرحة المجال القرطاجي التي تتميز بحالة احتفاظ جيدة نسبيا، وهي ضريح ثوگا[3]، تنتمي-في الواقع-لفترة لاحقة لسقوط قرطاج، أي إلى عصر حكم خلفاء مسنيسا.

تنتمي أضرحة المجال القرطاجي المبنية والمرسومة، إذا استثنينا بعض التفاصيل المعمارية الدقيقة، لنفس الطراز المعماري الذي يميز الأضرحة الليبية التي تنتشر خارج مجال التأثير القرطاجي، ولا سيّما بالمجال النوميدي مثل الضريح الدائري (كراكر العريس) ببني رنان قرب موقع سيقا *(Siga)* بالساحل الوهراني الغربي، العائد إلى القرن 2 ق.م[4] وضريح الخروب (صَمْعة الخروب) قرب سيرتا *(Cirta)* بضواحي قسنطينة بالجزائر[5] (انظر الخريطة رقم 5).

1- LONGERSTAY M.-S., 1995, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du Nord-Ouest de la Tunisie, p. 212.

2- Ibidem.

3- ضريح أتبان، أو ما يسمى بالضريح الليبي-البوني المائل إلى اليوم بمدينة دقة بالشمال الغربي لتونس، سبق وأن خضع للترميم. ويذكر أن المعلم كان قد عثر عليه في حالة احتفاظ جيدة، وأن طوماس ريد(Thomas Reade)، القنصل البريطاني في تونس، هو من قام سنة 1842 بهدم جزء من الضريح بغية الاستيلاء على النقيشة الليبية-البونية المثبتة على إحدى واجهات الضريح من أجل إغناء مجموعته الخاصة من التحف واللقى القديمة، وبعد وفاته سُلّمت النقيشة إلى المتحف البريطاني بلندن، حيث توجد إلى اليوم: انظر بهذا الخصوص:

- POINSSOT C. et SALOMONSON, J.-W., Le mausolée libyco-punique de Dougga et les papiers du comte Borgia, dans *CRAI*, Année 1959, 103-2, pp. 141-149, p. 148.

4- VUILLEMOT G., Fouilles du mausolée de Beni Rhenane en Oranie, dans *CRAI*, Année 1964 108-1 pp. 71-95, p. 91.

5- Ibidem ; GHAZI-BEN MAISSA H., Le culte royal en Afrique mineure antique, dans *Hespèris Tamuda*, Vol. XXXII, fasc.2, 1997, pp. 7-42, p. 41; WERIEMMI-AKKARI J., Un témoignage spectaculaire de la présence libyco-punique dans l'île de Jerba: le mausolée de Henchir Bourgou, p. 194.

ويُجمع الباحثون، بالرغم من إقرارهم بالقواسم المشتركة بين الأضرحة ذات الشكل البرجي بالمجال القرطاجي وخارجه، على التمسك بفكرة مفادها أن تلك المعالم الدينية الإفريقية قد تشبعت بتأثيرات معمارية أجنبية، مصرية من خلال العنق والأرصفة، وإغريقية من خلال تيجان الأعمدة الدورية والأيونية[1]. وهناك من أضاف كذلك تأثيرات شرقية[2]، أو قرطاجية[3].

لكن، إذا كان إثبات التأثيرات الأجنبية، أو إنكارها يحتاج إلى دراسات معمقة في الهندسة المعمارية للأضرحة بمجموع شمال إفريقيا، فإنه إذا سلمنا جدلا بحدوث تأثير أجنبي، فالأسئلة المطروحة بصدده هي كالآتي: كيف تم ذلك التأثير؟ وكيف انتشر ليشمل مجموع مناطق شمال إفريقيا؟ وكيف يمكن فهم التأثير الإغريقي على سبيل المثال بمجموع المجال الشمال إفريقي على شساعته، وذلك بمعزل عن أطروحة الهلْيَنة التي تحاول إلغاء كل الحواجز، وتوسيع مجال تأثير الحضارة الإغريقية؟ وهل يكفي التشابه الشكلي ليكون دليلا قاطعا للحسم في وجود تأثير أجنبي وحجة مقنعة للتسليم بأن السكان الليبيين لم يكن لهم نصيب من الخلق والإبداع في ميدان العمارة الدينية بما يستجيب لحاجياتهم واعتقاداتهم الخاصة؟

للأسف، تعتبر معلوماتنا بهذا الخصوص شحيحة للغاية، ولا تسمح بالقيام بدراسة موضوعية لإشكالية أصول هذا النوع من العمارة الدينية بشمال إفريقيا القديم. ولكن نرى أن هنالك حاجة لدراسة النمط المعماري لهذه الأبنية انطلاقا من وظيفتها بالنسبة لبناتها حتى لا يتم اختزال المسألة في بعض العناصر الزخرفية المعمارية التي وُجد لها مثيل في العمارة الإغريقية أو المصرية ...إلخ. ولعل وظيفة الأضرحة، بالمجال القرطاجي خصوصا وبشمال إفريقيا عموما، ترتبط بحاجات خاصة بسكان ذلك المجال مما يعني أن بناة الأضرحة بشمال إفريقيا القديم هم من سكان المنطقة، وأن تلك المعالم قد ارتبطت باعتقادات هؤلاء السكان.

1- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 315; WERIEMMI-AKKARI J., Un témoignage spectaculaire de la présence libyco-punique dans l'île de Jerba: le mausolée de Henchir Bourgou, p. 195.

2- Ibidem.

3- RAKOB F., Architecture royale numide, dans *Architecture et société de l'archaïsme grec à la fin de la république romaine*, Actes du colloque international organisé par CNRS et l'École française de Rome, 2-4 décembre 1980, Publications de l'École Française de Rome, Année 1983, 66, Paris-Rome , pp. 325-348, p. 332-333.

فمن ناحية، لا يوجد لحد الآن ما يثبت أن بناء أضرحة فوق القبور كان يشكل ممارسة مألوفة عند الفينيقيين إلا إذا استثنينا نوعا من الأضرحة تسمى «المغازل»[1]، عُثر عليها في موقع عمريت قرب طرطوس بالساحل الغربي لسوريا، وأرخت بما بين القرنين 7 و5 ق.م[2]. ويسميها الأثريون بالأضرحة أو القبور الملكية[3]، في إشارة إلى ملوك مدينتي عمريت وأرواد الفينيقيتان. علما أنه لا يوجد لحد الآن أي دليل على نسبة تلك الأضرحة، التي تميز عمريت (شمال فينيقيا) أكثر من باقي المواقع الفينيقية الأخرى، إلى ملوك أو أشخاص محددين.

ومن ناحية أخرى، يمكن ملاحظة بعض عناصر العمارة المحلية في بناء الأضرحة الليبية-النوميدية[4]. ولهذا السبب، أجمع الباحثون على أن تلك الأضرحة تمثل منشآت محلية إفريقية استلهمت بعض التأثيرات الأجنبية[5] على مستوى الشكل الخارجي لا على مستوى وظيفتها. وهي خلاصة منطقية تتماشى مع التوزيع الجغرافي للأضرحة. فإذا نظرنا إلى مناطق شمال إفريقيا ككل، لوجدنا أن توزيعها يوافق مجال استقرار السكان المحليين (انظر الخريطة رقم5)، وبمناطق بعيدة عن التأثيرات الأجنبية كما هو الحال مثلا بالنسبة لضريح قصر وطوط[6] بجرما بمجال الجرمنتيين بجنوب ليبيا[7]، أو بمجال الماسول، حيث توجد أضرحة ذات عمارة متميزة

1- المغازل هي تسمية حديثة أطلقها سكان المنطقة على تلك الأضرحة بسبب شكلها الخارجي. وتميز فيها بين نوعين: مغازل هرمية، عبارة عن برج أسطواني يرتفع فوق قاعدة ذات شكل تكعيبي، بينما يكون المظهر العلوي للبناء على شكل هرمي، أما القبو في أسفل الأرض فيتكون من حجرتين. ثم مغازل مقببة زينت أطرافها بمنحوتات تمثل أسودا جانبية، لها درج وفسحة صغيرة داخلها ردهات صغيرة(انظر اللوحة رقم 19).

2- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 233-232.

3- AL-MAQDISSI M., Amrith dans la Pérée d'Arados. Nouvelles recherches sur la période phénicienne tardive, dans *CRAI*, Année 2014, 158-1, pp. 457-484, p. 466.

4- WERIEMMI-AKKARI J., Un témoignage spectaculaire de la présence libyco-punique dans l'île de Jerba: le mausolée de Henchir Bourgou, p. 195.

5- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 315; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 262.

6- يتميز ضريح قصر وطوط بموقع جرمة الواقعة بالصحراء حيث كان التـأثير الأجنبي ضعيفا للغاية، عن أضرحة صبراتة ودقة وباقي أضرحة المناطق الشمالية بكونه لا يتوفر على غرفة دفن. انظر بهذا الشأن:

- دانيلز(تشارلز)، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ترجمة أحمد اليازوري، الطبعة الثانية، دار الفرجاني، طرابلس، 1991، ص. 58، الصورة رقم 7.

7- EL-RASHDY F., les pratiques funéraires des Garamantes et leurs relations avec celles d'autres peuples d'Afrique du Nord, dans *LA* (Documents de travail et compte rendu des débats du colloque organisé par l'UNESCO, Paris 16-18 Janvier 1984), UNESCO, Paris, 1986, pp. 85-113, p. 96.

مثل ضريح «المدراسن» و«قبر الرومانية»[1]. أما بالمجال الذي كان خاضعا لقرطاج، فيلاحظ أنها وُجدت بمجال تميز بخصوصيات حضارية ليبية نوميدية أقل تأثرا بمظاهر الحضارة السائدة في قرطاج، سواء بالساحل الشرقي التونسي، حيث مجال المدافن الليبية، أو بالشمال الغربي لتونس حيث مجال الحوانيت[2].

تمثل دراسة الوظائف الدينية والجنائزية للأضرحة مدخلا من مداخل دراسة أصول هذه الأضرحة، ومعرفة مدى قدمها وأصالتها بالمناطق التي وجدت بها. افترض كسيل أن وظيفة الأضرحة بشمال إفريقيا القديم كانت جنائزية بالدرجة الأولى، أي أنها استعملت كمدافن دون أن يستبعد احتمال احتضانها لبعض الطقوس الدينية[3]، أو اضطلاعها بدور «سياسي» من خلال إظهار مآثر وعظمة الملوك[4]، والزعماء المحليين. لقد توفرت معطيات أثرية مهمة سمحت بالتأكيد على أن الأضرحة كانت في الأصل عبارة عن مدافن لشخصيات كبيرة، إذ يقع ضريح جرما، على سبيل المثال، وسط مقبرة مكونة من قبور على شكل تملوس، في حين عُثر تحت ضريح البطالمة بمقابر الشاطبي بالإسكندرية بمصر على أرنات تحتوي على عظام مرمدة[5].

إلا أن الوظيفة الجنائزية كوظيفة أساسية، ربما، تحولت بمرور الوقت إلى وظيفة دينية، فلا شيء يمنع من افتراض احتضان تلك الأضرحة لطقوس دينية مرتبطة بتقديس الملوك كما بيّنت ذلك الباحثة حليمة غازي من خلال معطيات أدبية وأثرية ونقائشية[6]. ذلك أن الطراز المعماري لبعض الأضرحة يذكرنا بالقبر على شكل تملوس، بينما تسمح قراءة النقائش المهداة للملوك بوجود قدر كبير من الإجلال لهم[7]. وهو الأمر الذي عززته النصوص التاريخية من خلال إشارتها إلى تأليه وعبادة الملوك كما هو الشأن بالنسبة لملوك موريطانيا خلال فترة

1- GHAZI-BEN MAISSA H., Le culte royal en Afrique mineure antique, p. 32.
2- LONGERSTAY M.-S., 1995, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du Nord-Ouest de la Tunisie, p. 211.
3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 263.
4- LONGERSTAY M.-S., 1995, Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du Nord-Ouest de la Tunisie, p. 213.
5- EL-RASHDY F., les pratiques funéraires des Garamantes et leurs relations avec celles d'autres peuples d'Afrique du Nord, p. 96.
6- GHAZI-BEN MAISSA H., Le culte royal en Afrique mineure antique, p. 25.
7- Ibid., p. 25-26.

الاحتلال الروماني[1]، أو ربما منذ فترات أقدم إذا أخذنا في الحسبان المكانة الرفيعة التي حظي بها الملوك عند الليبيين لدرجة استمرار ذكرهم في الأساطير المحلية كما يتضح من الأساطير التي نسجوها حول أنطي[2].

وحيث أن الأضرحة بباقي أنحاء شمال إفريقيا القديم، ربما، استعملت كأماكن لعبادات خاصة بالملوك، فإننا لا نستبعد أن تكون للأضرحة التي وجدت بالمجال القرطاجي الإفريقي نفس الوظيفة، وإن كنا لا نعلم شيئا عن الشخصيات التي دفنت بتلك المعالم، أو بنيت على شرفها الأضرحة، هل هي لزعماء محليين أم كانت لها صلة بتقديس الملوك النوميديين المجاورين بعدما امتدت تلك الممارسات إلى مناطق تقع بداخل المجال القرطاجي. وفي هذا الإطار لا بد من استحضار علاقة تلك المعالم باعتقادات سكان تلك المناطق والمرتبطة بعبادة الأرواح والموتى كما يستشف من النصوص التاريخية.

فقد أشار هيرودوتوس إلى تقديم القرطاجيين لقرابين بعد مقتل أملقار بصقلية، حيث رفعوا المعالم في كل المدن الخاضعة لهم بما في ذلك قرطاج[3]. لكننا لسنا متأكدين من أن تقديم القرابين، وتشييد المعالم قد تم على شرف رب قرطاجي معروف أم لشخص القائد القرطاجي أملقار المؤله. كما أخبرنا ديودوروس الصقلي بأن القرطاجيين قاموا بتعذيب الأسرى وقدموهم كقرابين بمدينة جيلون بصقلية انتقاما لمقتل أملقار[4]. لكن النص لا يسمح بمعرفة ما إذا كانت تلك الممارسة تدخل في إطار عمل انتقامي أم أن الأمر يتعلق بطقس ديني أقيم على شرف أملقار.

كما قدم أبيانوس رواية تبدو أكثر وضوحا عن اعتقاد القرطاجيين بأرواح الموتى، فقد ذكر في سياق عرضه لخطابات الجناحين المتصارعين إبان الحروب البونية الرومانية أن الجناح المؤيد للقضية القرطاجية ألحّ على عدم حرمان الموتى في قرطاج من الطقوس التي تقام على شرفهم، بينما وعد أنصار روما بالسماح بإقامة تقديمات قرب قبور الموتى[5]. وأشار الروماني

1- أنظر أهم النصوص القديمة التي تحدثت عن عبادة الملوك في مقال الباحثة حليمة غازي:
- GHAZI-BEN MAISS H., Le culte royal en Afrique mineure antique, p. 27.

2- من بين النصوص نذكر ما يلي:
- LUCAIN, La *guerre civile, (La Pharsale)*, IV, 586-610 ; POMPONIUS MÉLA, *Géographie*, I, 5; PLUTARQUE, Sertorius, 13; PROCOPE DE CÉSARÉE, *La guerre contre les vandales*, II, 10, 23-24; SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, III, 262-264.

3- HÉRODOTE, *Histoires*, VII, 169.

4- DIODORE DE SICILE, *BH*, XIII, 62.

5- APPIAN, *PW*, VIII, 89.

كيكرو *(Cicero)*، خلال القرن 1 ق.م، إلى وجود طقوس تقام على شرف الموتى بمدينة نورا[1] بسردينيا، حيث تركز النفوذ القرطاجي.

ذهب لبينسكي إلى حد إرجاع عادة عبادة الموتى عند القرطاجيين إلى ما ورد في أحداث القصة الأسطورية لتأسيس قرطاج حول تأليه الأميرة الفينيقية عليسا[2]. ومعلوم أن جوستينوس تحدث عن تأليه عليسا بعد موتها[3]، بينما أشار سيليوس إيطاليكوس في أشعاره إلى إقامة معبد لعليسا بوسط قرطاج[4]. إلا أن تصديق هذه الروايات الأسطورية يحتاج إلى معطيات أثرية تثبت قدم عبادة الموتى بقرطاج.

إذا استثنينا المدافن الليبية وأضرحة صبراتة وبورقو، فإنه لم يعثر على معالم أو بقايا معالم بارزة فوق القبور المسماة بونية يمكن أن تدل على أن تلك القبور كانت تحتضن طقوسا تقام على شرف الموتى. إلا أن غياب أبنية بارزة يمكن أن يرجع لاندثار تلك المعالم بفعل عوامل مختلفة. ولذلك لجأ الباحثون إلى تأويل المشاهد التي صُوّرت على المواد البونية مثل مشاهد الإهراق على الشفرات البرونزية والصفائح العاجية، فاعتبروها بمثابة دليل على إقامة طقوس على شرف الموتى[5]. وكيفما كان الأمر، فإن التأويل الممكن لما بحوزتنا من معطيات يسمح بالحديث عن وجود طقوس مرتبطة بمكانة الأموات عند الأحياء ببعض أنحاء المجال القرطاجي بصرف النظر عن أصل المجموعات البشرية التي كانت تعتقد بذلك.

افترضت الباحثة هيلين بنيشو أن عبادة الموتى بالمجال القرطاجي الإفريقي تمثل استمرارا لممارسة دينية كانت معروفة بأرض كنعان وفينيقيا منذ فترات جد قديمة[6] كما قد يفهم من تمجيد الأبطال عند الفينيقيين، سواء في أساطيرهم، أو في الأشعار الدينية برأس شمراء[7]. وعلى خلاف ذلك، استبعد لبينسكي أي دور للفينيقيين في وجود تلك الممارسة بالمجال

1- CICÉRON, *Plaidoyer pour E. Scaurus*, 6.
2- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 407 ; LANCEL S., *Carthage*, p. 260.
3- JUSTIN, XVIII, 6.
4- SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, I, 81-92 ; id, ibid., I, 97-98.
5- LANCEL S., *Carthage*, p. 260 ; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 285 ; FANTAR, M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 325.
6- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 286; XELLA P., Le polythéisme phénicien, dans *SP*, T. IV, 1986, pp. 29-39, p. 38.
7- EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, I, 9, 29.

الذي خضع لسلطة قرطاج معتبرا أن الفينيقيين، في الواقع، لم يعرفوا عبادة الموتى بدليل أن القرائن التي انبنت عليها الفرضيات التي تدعي العكس قد استندت بالأساس على محاولة تأويل بعض النصوص، وليس إلى إشارات تاريخية صريحة[1].

وكيفما كان الأمر، فإن استحضار المعطيات التي أبرزناها سابقا يدفعنا إلى قبول الرأي الذي ذهب إليه الباحث بن يونس لما اعتبر أن الاعتقادات المرتبطة بالموت تمثل سلوكا دينيا مشتركا بين سائر شعوب العالم القديم، ولا حاجة بالتالي للبحث عن أصل أجنبي بالنسبة للمشاعر المترتبة عن الهواجس والانفعالات التلقائية ذات الصلة بموضوع الموت، والتي قد لا تختلف في كل مكان وزمان[2].

وبناء على ذلك، فإن الرأي الذي ينسب للفينيقيين فضلا في إدخال الاعتقادات المرتبطة بالموت أصبح متجاوزا[3]. وتدعم هذه الفكرة معطيات أدبية وأثرية أخرى. فقد أشار هيرودوتوس، في سياق حديثه عن عادات السكان الليبيين القاطنين بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، إلى أن هؤلاء كانوا يحلفون بموتاهم[4]، وأنهم كانوا يستطلعون الغيب بقبور الموتى[5]. وهو الأمر الذي يستشف أيضا من خلال الخصائص المعمارية للمدافن الليبية المنتشرة بالمجال القرطاجي، ولا سيّما بالدوملن، حيث اتضح وجود أماكن مخصصة لعبادات جنائزية تقام بداخل القبور المبنية[6].

ويستفاد من خلال المعطيات المذكورة آنفا أن فكرة تقديس وتبجيل الموتى، وربما تخصيص طقوس دينية على شرفهم، قد تجسدت من طرف سكان المجال القرطاجي الإفريقي. إلا أن معطياتنا لا تسمح بمعرفة ما إذا كان الشعور الديني إزاء الموتى قد قاد في مجموع أنحاء ذلك المجال إلى نفس الطقوس والممارسات الدينية، وما إذا كان الموتى قد تبوؤوا مكانة الأرباب، وخصصت لهم عبادات معينة.

1- LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, p. 411.

2- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, Diplôme de recherches approfondies, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, Mai 1981, p. 26.

3- Ibidem.

4- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 172.

5- Ibidem.

6- CAMPS G., Protohistoire de l'Afrique du Nord : questions de terminologie et de chronologie, p. 57 ; PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, op. cit, p. 19.

الفصل الثالث:

العمارة الدينية والطقوس الجنائزية بالمجال القرطاجي الإفريقي

1 - العمارة الدينية:

1-1 - القبور:

عرفت العمارة الجنائزية خلال الفترة القرطاجية تنوعا في الأنماط المعمارية لقبور الدفن، حيث نجد من الصعب ربط نمط معين من تلك القبور بمجموع الساكنة التي استوطنت ذلك المجال الشاسع. ويتبين من خلال ملاحظة توزيع القبور بالمجال القرطاجي الإفريقي أن كل منطقة كانت تختار طريقة معينة، وأحيانا عدة طرق لإقبار الموتى. ويطرح هذا التنوع صعوبات على مستوى تصنيف القبور المكتشفة بالمجال القرطاجي الإفريقي[1].

1-1-1 - القبور ذات الجب:

انتشر القبر ذو الجب[2] بالأساس بموقع قرطاج، وأوتيك، وأدروميتوم[3]. لكن التحريات الأثرية أثبتت استعماله أيضا بالساحل الشرقي التونسي في عدة مواقع نذكر من بينها ثابسوس (رأس ديماس)[4]،

1- لا يوجد تصنيف موحد يميز بين أنواع القبور بالمجال القرطاجي الإفريقي بناء على معايير مضبوطة وموحدة. ولهذا نصادف أحيانا صعوبة في تمييز أنواع القبور من خلال الأسماء التي أعطيت لها. وتندرج في هذا الإطار صعوبة التمييز بين القبر ذو الجب (Tombe à puit) والقبو (Caveau) من ناحية، والقبر على شكل حفرة (Tombe à fosse) من ناحية أخرى نظرا لوجود قواسم مشتركة بينها كونها قبورا تحت أرضية، إضافة إلى مبدأ وجود الجب.

2- هو قبر منقور في الصخر ومزود بجب عميق مستطيل أو مربع الشكل يؤدي إلى مدخل الغرفة الجنائزية، وتوجد أحيانا بجوانب البئر نتوءات أو كوّات صغيرة تساعد على النزول إلى قاع أو أرضية البئر. يتوفر هذا النوع من القبور عادة على غرفة جنائزية واحدة، وقد يكون العدد أكبر من ذلك، حيث تتخذ الغرف وضعا متقابلا أو متراكبا. وتُحفر على إحدى جوانب البئر مشكاة (Niche) وطاقات (Banquettes) يوضع بها الأثاث الجنائزي. وتنقر أحيانا بأرضية البئر أحواض لدفن الموتى. لمزيد من التفاصيل راجع ما يلي:

- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 429 ; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 106 et 124.

3- FANTAR M.-H., Nécropoles puniques de Tunisie, dans *Actes du VIé colloque international sur l'Afrique du nord antique et médiévale* (Pau, octobre 1993-118é congrès), Edition du CTHS, Paris, 1995, pp.55-72, p. 58.

4- BEN YOUNES H., El Gaala, site périphérique de la ville de Thapsus (Ras Dimas) à l'époque préromaine. Note préliminaire, dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 9-12, p. 11.

والحكايمة[1]، ورأس بون[2]، وباجة بشمال غرب تونس، وبتبرسق بوسط البلاد[3]. أرخت أقدم القبور ذات الجب بقرطاج بالقرن 7 ق.م[4]. وهناك من أرجعها إلى القرن 8 ق.م بحكم قدم استقرار الفينيقيين[5]، أو انطلاقا من تأريخ الخزف المكتشف بتلك القبور[6]. وقد أصبح استعمال تلك القبور شائعا بقرطاج منذ القرن 5 ق.م[7].

يدفع تركز القبر ذو الجب بقرطاج، وبالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، مقابل غيابه في باقي أنحاء شمال إفريقيا القديم خلال ما قبل وما قبيل التاريخ إلى البحث عن جذوره في الشرق الفينيقي. لقد تم العثور بالمواقع الفينيقية على بقايا القبر ذو الجب بنفس الخصائص المعمارية المميزة لنماذج قرطاج. تميزت قبور الشرق الفينيقي بوجود بئر عميق عمودي الاتجاه ومستطيل الشكل يقود إلى غرفة أو عدة غرف جنائزية، ومزود بنتوءات أو فجوات تساعد على النزول إلى القاع، ويغلق البئر على مستوى سطح الأرض بكتل حجرية كبيرة. وتتميز الغرف الجنائزية بشكلها المستطيل وتغلق بواسطة كتل حجرية. وهذه كلها عناصر مشتركة بين القبور القرطاجية وقبور الساحل اللبناني[8] (انظر اللوحة رقم 10).

أثبتت الحفريات الأثرية انتشار القبر ذو الجب في عدة مواقع بالشرق القديم عموما. فقد وجدت آثاره في الساحل السوري اللبناني الحالي بمواقع: صيدا، وبيبلوس[9]، وعمريت[10]، وتل الرشيدية قرب صور[11]. وبسواحل فلسطين بموقعي أتليل، والزّيب[12]. كما وجدت نفس

1- Id, 1986, La nécropole punique d'El-Hkayma, p. 33.
2- FANTAR M., Résumé : recherche sur l'architecture funéraire punique au Cap Bon, dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 39-45, p. 44.
3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 429.
4- GAUCKLER P., *NP*, 1er partie, p. 21 ; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 352.
5- FANTAR M.-H., Nécropoles puniques de Tunisie, p. 57.
6- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 254.
7- BÉNICHOU-SAFAR H., Les enseignements tirés des fouilles de la nécropole punique voisine de Sainte-Monique à Carthage, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 717-723, p. 717.
8- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, pp. 82 ; 92-93 ; 115 et 117.
9- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 296.
10- PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité*, T. III, p. 147
11- CHÉHAB M., Découvertes phéniciennes au Liban, p. 170.
12- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 81; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 354.

القبور بالمراكز الفينيقية بسواحل حوض البحر الأبيض المتوسط، في مالطا وصقلية، وسردينيا، وبجنوب إيبيريا[1].

يتضح، إذن، أن القبر ذو الجب يمثل الطراز المعماري المميز للعمارة الجنائزية في الشرق الفينيقي. ولذلك، فإن استعماله بقرطاج، وببعض مناطق مجالها الإفريقي يمثل، على الأرجح، جانبا من تأثير العمارة الجنائزية الفينيقية مثلما توصل إلى ذلك باحثون آخرون[2]. إلا أنه لا بد من التذكير أيضا باحتمال وجود مصدر آخر للتأثير هو مصر التي كانت موطن هذا النوع من القبور، حيث وجدت أقدم آثارها هناك[3]. ولهذا، فإننا لا نستبعد كما افترضت ذلك هيلين بنيشو أن يكون ذلك القبر بمثابة إرث مصري قديم انتقل إلى قرطاج عبر فينيقيا بحكم قوة التأثير المصري بالساحل الفينيقي[4]، وربما أيضا من مصر إلى شمال إفريقيا منذ فترة نجهلها بالضبط.

ذلك أن التأثير المصري على المنطقة لا يمكن أن يمر بالضرورة عبر الفينيقيين. كما أن فرضية التأثير الفينيقي لا تلغي التطورات المحتمل حدوثها بإفريقيا على التفاصيل المعمارية للقبر ذو الجب. فقد اتضح أن هذا النوع من القبور عرف بفينيقيا تطورات مغايرة لتلك التي حصلت بإفريقيا، إذ تطور في فينيقيا ليتحول إلى قبو ذو درج وسرداب، بحيث تم التخلي تدريجيا عن الجب العميق[5]. بينما لم تعرف قبور قرطاج تلك التحولات الأساسية[6]، حيث حافظت على الطراز المعماري المعروف في أقدم القبور الفينيقية. بينما سجلت بعض التغيرات الثانوية مثل نقر أحواض بأرضيات الغرف الجنائزية لوضع الجثث، وهو التعديل ينبغي النظر إليها كإضافة إفريقية[7].

1- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 316; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, pp. 260-261 et 274.

2- انظر على سبيل المثال الأبحاث التالية:

- BEN YOUNES H., *La présence punique*, p. 484; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 209.

3- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 428; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 354.

4- Ibid., p. 375.

5- PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité*, T. III, p. 147.

6- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 354.

7- Ibidem.

1-1-2 - الأقبية:

تعد الأقبية[1] من أهم مميزات العمارة الجنائزية خارج موقع قرطاج، حيث تتركز بالخصوص بالمجال الإفريقي الذي كان تابعا للعاصمة الإفريقية. (انظر اللوحة رقم 11). انتشر هذا النوع من القبور بشكل خاص في الساحل الشرقي التونسي (ثابسوس، المهدية، لمطة، قصور الساف، هنشير الحجر، جبل ملزة..إلخ)[2]، وبمواقع منطقة رأس بون (كركوان، أسبيس)[3]. كما وجد في أوتيك[4]، وبسواحل الطرابلسية[5].

ويلاحظ من خلال مقارنة الطراز المعماري للأقبية بالمجال الإفريقي بالأقبية الفينيقية أن هذا النوع من القبور التحت أرضية يرجع استعماله بفينيقيا إلى فترات جد قديمة(القرن 18 ق.م)[6]. وتمثل قبور أوغاريت التي أرخت بما بين القرنين 16 و15 ق.م[7]، وقبور صور العائدة إلى الألف الأول ق.م[8]، وعمريت[9] (انظر اللوحة رقم 12) من أهم النماذج التي يمكن مقارنتها بأقبية المجال الإفريقي.

وتشترك الأقبية في المجالين معا في عدد من الخصائص المعمارية العامة مثل وجود درج، ورواق، أو دهليز، وطاقات ومشكاة، وأحواض منقورة بحيطان الغرف، أو بأرضيتها، وفناء صغير تنفتح عليه الغرف المتقابلة. ومن هنا يتضح وجود أهم العناصر المميزة للأقبية البونية في النماذج الفينيقية[10].

1- هو قبر تحت أرضي مزود ببئر للنزول يتميز مقارنة مع القبر ذو الجب بوجود درج (Escalier) منقور في الصخر ودهليز أو سرداب (Dromos)، ورواق (Couloir) يقود إلى مدخل الغرفة الجنائزية.

2- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 317 ; GAUCKLER P., *NP*, 1er partie, p. 355 ; BEN YOUNES H., et GHAKI M., Sahel, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 261-268, p. 261.

3- FANTAR M.-H., Présence punique et libyque dans les environs d'Apsis au cap Bon, p. 506.

4- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 436.

5- BEN YOUNES H., *La présence punique*, p. 475-477.

6- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 283.

7- نفس المرجع، ص. 293.

8- CONTENAU G., MAO, T. III, Éditions Auguste Picard, Paris, 1931, p. 1465.

9- PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité*, T. III, p. 148.

10- انظر على سبيل المثال ما ورد في المراجع التالية:

- حيدر (حسن جمال)، أوغاريت.التاريخ والآثار، ط. 1، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، 2003، ص. 19، كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 283 و293.

- PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité*, T. III, p. 147 et 218.

ويبدو أن التطور الكرونولوجي للأقبية في كل مجال على حدة يزكى إلى حد ما القواسم المشتركة على مستوى عدد من العناصر المعمارية بين القبور الفينيقية والبونية، إذ يلاحظ تراجع القبر ذو الجب في الشرق الفينيقي ليعوض بالأقبية في المراحل المتأخرة من التاريخ الفينيقي، ما يتماشى مع التواريخ التي أعطيت للأقبية بالمجال القرطاجي الإفريقي-على الأقل في حدود المعطيات الحالية- والذي لا يتعدى القرن 4 أو 3 ق.م[1].

لكن إذا كان الإقبال على استعمال الأقبية يمثل قاسما مشتركا عاما بين فينيقيا والمجال القرطاجي بإفريقيا، وخصوصا بمواقع الساحل الشرقي التونسي، فإنه لا يخفي بعض التفاوتات المجالية والكرونولوجية. ففي قرطاج لا نلاحظ التطور الذي أشرنا إليه سابقا، حيث استمر القرطاجيون في استعمال القبر ذو الجب بنفس خصائصه المعمارية المعروفة في أقدم النماذج الفينيقية، في حين ظل استعمال الأقبية ذات الدرج والسرداب سائدا بمناطق أخرى من المجال القرطاجي الإفريقي، مع قلة استعمال القبر ذو الجب المعروف في قرطاج[2].

ويبقى تفسير تطور استعمال القبور ذات الجب والأقبية في المجالين القرطاجي الإفريقي والفينيقي أمر معقدا. فمن ناحية، لا يمكننا إغفال تشابه الأقبية البونية مع النماذج الفينيقية التي تعد أقدم زمنيا، ويصعب إلغاء ذلك من مقاربتنا لإشكالية الأصل. لكن تطور العمارة الجنائزية بقرطاج يبدو مخالفا لباقي أنحاء مجالها الإفريقي كما بينا ذلك سابقا مما لا يسمح بالربط التلقائي بين النماذج الفينيقية والبونية الإفريقية. فهل يمكن إرجاع الاختلافات بين أقبية قرطاج ومجالها الإفريقي إلى اختلاف المدن التي ينتمي إليها المهاجرون الفينيقيون الذي اتصلوا بالساكنة الإفريقية بالساحل الشرقي التونسي، خصوصا وأن بعض المدن الساحلية قد تبنت نفس القبور السائدة بقرطاج مثل أدروميتوم وأوتيك؟

تلك فرضية تبقى قائمة لكن يصعب البرهنة عليها بقرائن كافية بالنظر لتنوع أشكال العمارة الجنائزية في كل مجال على حدة. فهل معنى ذلك أن الأقبية تمثل تطور محليا بالمجال القرطاجي الإفريقي؟ ذلك ما سنحاول توفير بعض عناصر الإجابة عنه من خلال المقارنة بين الأقبية والقبور ذات الجب من ناحية، وبينها وبين القبور الليبية من ناحية أخرى.

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 436.

2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 436 ; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 434.

أ- مقارنة بين الأقبية والقبور ذات الجب:

تشترك الأقبية بالساحل الشرقي التونسي مع القبر ذو الجب بقرطاج وأدروميتوم وأوتيك في عنصر عام يتمثل في كونها قبورا تحت أرضية[1]. ويعد الشكل المربع للغرف الجنائزية من بين القواسم المشتركة[2]. كما تشترك أحيانا في استعمال الجب كوسيلة للنزول إلى الغرف الجنائزية من خلال نتوءات، أو حفر بجوانب الجب[3]. لكن ينبغي الانتباه إلى محدودية هذا العنصر المشترك بين القبو والقبر ذو الجب بالنظر للخصوصيات التي تميز الأقبية بالساحل الشرقي التونسي، حيث أن استعمال الجب يعد نادرا في تلك القبور، بحيث يأتي أحيانا ليعوض الدرج كوسيلة أساسية للنزول إلى الأسفل[4]. (انظر اللوحة رقم 13).

كما أن الجب في الأقبية يتميز بكونه أقل عمقا، وتنشأ بجوانبه عدة عناصر معمارية أخرى، مثل المشكاة، والطاقات، والأحواض، وهذه تفاصيل خصائص غير موجودة دائما في آبار القبور بقرطاج[5]. كما تتميز الأقبية، علاوة على ما سبق، بخصائص معمارية أخرى تميزها عن القبر ذو الجب بقرطاج مثل وجود درج منقور على إحدى جنبات البئر، بالإضافة أحيانا إلى دهليز، أو رواق يؤدي إلى الغرفة الجنائزية. ويعد الدرج عنصرا معماريا أساسيا في الأقبية، بينما يغيب في القبر ذو الجب بقرطاج[6]. كما يمثل انتظام الغرف الجنائزية كذلك جانبا من جوانب الاختلاف بينهما، ففي القبر ذو الجب بقرطاج تنتظم الغرف بشكل أفقي، وتكون متراكبة، أو متقابلة[7]، بينما تتخذ الغرف في الأقبية وضعا أفقيا، وتنتظم حول فناء، أو صحن صغير[8].

يضاف إلى ما سبق أن الغرف الجنائزية قد تُحفر على عمق متوسط من الجب بقبور قرطاج، أو يكون قاع الجب نفسه بمثابة مدفن، وهي أمور نادرة بالأقبية[9]. كما يُملأ الجب

1-Ibid., p. 456.
2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 438.
3- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 432.
4- Ibid., p. 434 et 459.
5- BEN YOUNES H., 1986, La nécropole punique d'El-Hkayma, p. 42.
6- Ibid., p. 436; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 89.
7- Ibid, p. 106.
8- FANTAR M.-H., Nécropoles puniques de Tunisie, p. 59.
9- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 457 et 460.

بقرطاج عادة بالرمال ويُغطى بكتل حجرية، وهو شيء لا نلحظه في الأقبية[1]. أما بالنسبة لشكل الغرف، فقد سبق أن أشرنا إلى التشابه العام بين غرف الأقبية بالساحل الشرقي التونسي والقبر ذو الجب بقرطاج من حيث شكلها المربع. ورغم ذلك، فإن غرف الأقبية تتميز بتنوع أشكالها، ولاسيّما من خلال الغرف التي تتخذ شكل قبة نصفية، والتي لم توجد قط بقرطاج[2]. أما بالنسبة لتوابع الغرف، فيلاحظ غياب الأحواض على شكل توابيت بقبور قرطاج[3]. كما تتميز بعض الأقبية بوجود رسومات زيتية، وهو شيء غير معروف في قبور قرطاج[4].

نستخلص من خلال ما سبق بأن الأقبية تُقدّم، في الواقع، طرازا مختلفا من العمارة الجنائزية بالرغم من أوجه الشبه العامة بينها وبين الأقبية بفينيقيا والقبر ذو الجب بقرطاج. فالملاحظ أن الأقبية بالمجال الإفريقي تتميز بغنى وتنوع عناصرها المعمارية حسب المناطق، فكل موقع يقدم إضافات جديدة تختلف عن المناطق الأخرى. وعلى ضوء ذلك يمكن الاستنتاج بأن العوامل المفسرة لانفراد الأقبية بخصائص مميزة تتمثل في التطورات المحلية التي عرفها هذا النوع من القبور بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا.

ذلك أن التباينات المجالية تعكس بلا شك تدخل الإنسان لتشكيل الفضاء الجنائزي حسب رغبته، وبالتالي فإن تطور عمارة الأقبية قد خضع لحاجيات السكان، وإمكانياتهم المادية، وعاداتهم، وطقوسهم الجنائزية، خصوصا أن مجال الأقبية يوافق من حيث المعطيات البشرية استقرار السكان الليبيين الذين حافظوا على حضارتهم القديمة، رغم تأثير قرطاج، وذلك أمر واضح من خلال العادات الجنائزية على مستوى طرق الدفن، واستعمال الصباغة الجنائزية.

وإذا كان الحسم فيما إذا كانت الأقبية قد تطورت عن القبر الفينيقي ذو الجب الذي ظل مستعملا في قرطاج يعد أمرا صعبا، خصوصا وأن تاريخ الأقبية لا يتعدى القرن 4 ق.م، فإن تطور ذلك القبر في قرطاج لا يقدم معطيات تساعد على تبني هذه الفرضية لأنه حافظ على شكله العتيق، ولم يعرف-كما رأينا سابقا-استعمال الدرج والدهليز، وباقي العناصر المعمارية الأخرى التي تتميز بها الأقبية.

1- Ibidem.

2- Ibid., p. 461.

3- Ibidem ; CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, p. 161.

4- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 470.

ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن الأقبية الفينيقية لم تكن بالضرورة النموذج الوحيد للتأثير في العمارة الجنائزية التي اتبعها سكان المجال الإفريقي الإفريقي الأمر الذي يستدعي البحث في العلاقات الممكنة بين الأقبية والقبور التي حُسم في شأن أصلها الليبي، أي تلك التي استعملها الليبيون منذ ما قبل، وما قبيل التاريخ.

ب- مقارنة بين الأقبية والمدافن الليبية:

يتجلى عنصر الاختلاف الأساسي بين الأقبية والقبور الليبية (الدولمن والتملوس والحوانيت) في أن الأولى محفورة تحت الأرض، بينما الثانية بارزة على السطح[1]. وإذا كانت بعض الحوانيت[2]قد نقرت تحت الصخور (مثل حوانيت الحروري قرب قليبية بالوطن القبلي)، فإن الشكل السائد في الحوانيت هو كونها معالم سطحية تقع بمنحدرات الكتل الصخرية[3]، ويتم الولوج إليها عبر فتحة أفقية، بينما يتم الولوج إلى الأقبية بواسطة جب عمودي مزود بدرج[4]. ينضاف إلى ذلك أن القبور الليبية بنيت-باستثناء الحوانيت- بالحجارة غير المشذبة، بينما لم تكن الأقبية مبنية[5].

غير أن هنالك بعض جوانب التشابه العامة بين الأقبية والقبور الليبية، خصوصا إذا ما ركزنا المقارنة على الحوانيت. فإذا كان بيار سنتاس قد رفض وجود علاقة بين الأقبية والحوانيت معتبرا أن التشابه بينهما ليس سوى صدفة[6]، اعتبر باحثون أخرون أن الأقبية تعكس تفاعلا حدث بين العمارة الجنائزية الليبية والفينيقية[7] مادام أنها حافظت على مبدأ

1- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 245; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 465.

2- اطلقت على هذه القبور عدة تسميات مثل «غرفة» أو «خلوة» أو «حانوت». وقد اخترنا استعمال التسمية الأخيرة لكونها الأكثر تداولا في الدراسات الأثرية والتاريخية. و«الحانوت» لفظ عربي فصيح يعني «دكان»، أو «متجر». وقد أطلقت تسمية «حانوت» على تلك القبور الصخرية بسبب التشابه المورفلوجي بينها وبين الدكاكين الريفية العتيقة في معظم أنحاء شمال إفريقيا. لمزيد من المعلومات انظر المقال التالي:

- LONGERSTAY M.-S., Haouanet : quelle définition?, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 157-167, p. 162.

3- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 465.

4- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 173.

5- Ibid., p. 245.

6- CINTAS P., *Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie*, p. 39.

7- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 484 ; FANATAR M., Résumé: recherche sur l'architecture funéraire punique au Cap Bon, p. 40.

حفر القبر تحت الأرض كممارسة فينيقية[1]. كما برروا هذه الفرضية بكون العناصر المعمارية، ولاسيّما توابع الغرف مثل المشكاة، والطاقات، والأحواض، لم تكن أصيلة في القبور الليبية، وإنما استعملت بتأثير فينيقي[2].

وهناك من يرى أن تبني عادة الدفن بوضعية تمديد الجثة على الأرض، وهي السائدة عند الفينيقيين، قد ساهمت في اتساع حجم الغرف الجنائزية بالأقبية البونية[3]. إلا أن مقاربة هذه الإشكالية تشترط تقييم جميع عناصر التشابه العديدة بين الأقبية والحوانيت وباقي أنواع القبور الليبية بالتركيز على مبدأ عام هو حفر القبور تحت الأرض. كما تستلزم مراعاة التطورات الخاصة بالمجال القرطاجي الإفريقي كما يتضح من خلال تنوع أشكال العمارة الجنائزية بذلك المجال.

كما تشترك الأقبية مع الحوانيت في انتمائهما إلى نمط العمارة الجنائزية الصخرية، وفي وجود رواق، أو دهليز يقود إلى الغرف الجنائزية. لقد وُجدت هذه العناصر المعمارية المميزة للأقبية في عدد من الحوانيت التي تقع بالمجال القرطاجي الإفريقي، وخصوصا بحوانيت سيدي محمد الأطرش[4]، والحروري[5] بالوطن القبلي. كما تتوفر بعض الحوانيت (مثلا بسيدي محمد الأطرش والمنستير وسيدي فضلين والحروري) على درج يقود إلى الغرفة الجنائزية[6].

ورغم ذلك، فإن الدرج لا يمثل عنصرا معماريا أساسيا في الحوانيت على خلاف ما هو سائد في الأقبية. ويتجسد التشابه أيضا على مستوى شكل وعدد الغرف الجنائزية، فعلى مستوى العدد تتميز الحوانيت عادة بوجود غرفة واحدة، غير أن بعضها، خصوصا بالحروري، تتوفر على أكثر من غرفة واحدة، وأحيانا تكون الغرف متوالية مما يجعلها تشبه وضعية

1- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 581; BEN YOUNES H., et KRANDEL A., Typologie des tombeaux puniques en pays numide, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 1-37, p. 22.

2- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 175.

3- Ibidem.

4- KRANDEL-BEN YOUNES A., Note à propos d'un type de caveau bâti rencontré aux Andalouses (Algérie), dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 1-12, p. 8; GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 135.

5- Id, Les haouanet d'Elharouri, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 229-251, p. 233.

6- Ibid., p. 234 ; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, Mémoire de DEA, en archéologie, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 2000(dactylographiée), p. 196.

الغرف في بعض الأقبية مثل أقبية المهدية ولمطة[1] (انظر اللوحة رقم 14).

لقد توفرت بعض الأقبية (المهدية مثلا) على مدخل *(Antichambre)* هو عبارة عن فناء، أو غرفة صغيرة توجد أمام الغرفة الجنائزية، وهو ما يلاحظ أيضا في بعض الحوانيت (حوانيت المنستير مثلا)[2]. (انظر اللوحة رقم 14). كما نجد ببعض الأقبية (لمطة الصغرى مثلا) والحوانيت (المنستير) على حد سواء صحنا صغيرا *(Patio)* تنتظم حوله الغرف الجنائزية[3].

يمكن رصد عناصر التشابه أيضا على مستوى شكل الغرف الجنائزية، فقد وجدت الغرف ذات الشكل المربع وذات القبة النصفية في الحوانيت والأقبية[4]، مع توفر تلك الغرف على فتحات صغيرة نُقرت بحواشيها حزوز لتثبيت الكتلة الحجرية المخصصة لإغلاق الفتحات التي تكون في النوعين المذكورين سابقا من الغرف في زاوية الغرفة. وتشترك الغرف ذات الشكل المربع والقبة النصفية في الحوانيت والأقبية كذلك في كون قعر الغرف منخفض مقارنة مع عتبة الفتحة[5]. كما يلاحظ أحيانا تشابه في تقنيات تسقيف الغرف[6]. وتعد توابع الغرف من العناصر المعمارية المشتركة بين الأقبية والحوانيت، حيث يتوفر كلاهما على المشكاة والطاقات والأحواض[7].

يلاحظ كذلك أن الرسوم والزخارف تنعدم بقبور قرطاج، بينما تعد من القواسم المشتركة بين الحوانيت والأقبية، بل يلاحظ في بعض الأحيان تشابه في الرسوم وفي موضوعاتها[8].

1- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 465-467; FANTAR M.-H., Présence punique et libyque dans les environs d'Apsis au cap Bon, p. 511; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 197 et 204.

2- Ibid., p. 196-197.

3- Ibid., p. 204 ; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 467.

4- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 197-199.

5- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 467.

6- Ibid., p. 468.

7- Ibid., p. 468-469; CAMPS G., Protohistoire de l'Afrique du Nord: questions de terminologie et de chronologie, p. 52-53; GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 161; FERCHIOU N., L'architecture préromaine d'Uzila Sar (Henchir Djal), Tunisie, observations préliminaires, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 247-252 passim.

8- CAMPS G., Protohistoire de l'Afrique du Nord: questions de terminologie et de chronologie, p. 52; GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 142.

مما يعني أن الساكنة التي نقرت الحوانيت في الصخور هي نفسها التي حفرت الأقبية التحت أرضية[1]. ولا يبدو أن استعمال تلك الرسوم والزخارف يُعبّر بالضرورة عن تأثير فينيقي لأن الرسوم الزيتية لم تستعمل في قبور فينيقيا إلا في مرحلة متأخرة من التاريخ الفينيقي، والتي توافق المرحلتين الهلينية والرومانية[2]. هذا فضلا عن اختلاف تلك الرسوم عن رسومات الأقبية البونية[3].

يستلزم اشتراك الأقبية والحوانيت في الانتماء إلى نمط العمارة الصخرية البحث عن علاقتهما بالعمارة المنزلية الإفريقية المرتبطة بالصخور، وبالتالي احتمال أن يكون لكليهما أصل مشترك في المساكن التي نقرها الليبيون في الصخور، أو التي بنوها بالحجارة فيما بعد. وفي هذا المضمار، لاحظ الباحث فنطر أن الأقبية البونية تختلف من حيث نمط عمارتها عن قبور قرطاج، واعتبر أنها تجسد نموذج سكن الكهوف المعروف عند الليبيين منذ أقدم العصور[4].

كما لاحظ فنطر أيضا أن العناصر المعمارية المميزة للأقبية لا تزال إلى الوقت الراهن ماثلة في المنازل على شكل كهوف التي نجدها حاليا بالجنوب التونسي في عدة مناطق، من بينها مثلا مطماطة وتطاوين والدويرات..إلخ[5]. أما الحبيب بن يونس، فاعتبر أن القواسم المشتركة بين الأقبية والحوانيت من جهة، والمنازل على شكل كهوف من جهة ثانية، تكمن في الفناء، أو الساحة التي تحيط بها عدة غرف متوالية، وهي خصائص معمارية معروفة أيضا في القبور الليبية[6].

وبناء على عناصر التشابه تلك، يمكن الحديث عن استمرار أسس محلية ليبية في الطراز المعماري للأقبية مما يعني أن وجود الأقبية في الشرق الفينيقي منذ فترات قديمة لا يمنع من افتراض قدم تلك القبور عند سكان شمال إفريقيا القديم أيضا[7]، أو تطورها بشكل مستقل عن القبور المحلية العتيقة. فالتشابه يحتمل عدة فرضيات، تعد فرضية الأصل الفينيقي واحدة

1- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 168.
2- CONTENAU G., *MAO*, T. III, p. 1465.
3- CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, p. 197.
4- FANTAR M.-H., Les études puniques en Tunisie, p. 184.
5- Ibidem.
6- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 481.
7- FANTAR M.-H., *Carthage, approche d'une civilisation*, T. II, p. 317.

منها. ورغم أن قلة آثار المنازل بالمجال القرطاجي تطرح صعوبات أمام البحث في علاقة الأقبية والحوانيت بمنازل السكن[1]، فإن توسيع مجال البحث ليشمل مناطق أخرى من شمال إفريقيا قد يسعفنا في توفير معطيات تدعم العلاقة المحتملة بين العمارة المنزلية الصخرية لدى سكان شمال إفريقيا القديم، والعمارة الجنائزية الصخرية خلال الفترة القرطاجية.

وفي هذا الإطار، يلاحظ أن وجود الغرف المتوالية في الأقبية يمثل استمرارا لنفس الظاهرة التي نجدها في الحوانيت، وفي منازل موقع كركوان[2]. كما أن الغرف الجنائزية على شكل قبة نصفية التي تُميّز الأقبية توجد أيضا في المساكن العتيقة بناحية وجدة بالمغرب[3]. ويرى الحبيب بنيونس أن لذلك الشكل من الغرف علاقة بالمساكن المستديرة المسماة مباليا *(Mapalia)*، وبمساكن مرسى مداح، وجزيرة رشقون بغرب عين تموشنت بالجزائر، وهو ما يتطابق مع الطاقات الموجودة في الأقبية بالساحل الشرقي التونسي[4]. لهذا، فإن عناصر التشابه تلك تؤكد وجود علاقات بين العمارة الجنائزية والعمارة المنزلية، وتطرح احتمال تأثير الثانية على الأولى[5].

يتضح، إذن، أن الأقبية تختلف، من ناحية، عن نمط العمارة الجنائزية بقرطاج، وتشترك، من ناحية أخرى، في عدد من العناصر المعمارية مع الحوانيت الليبية المنتشرة بمجال السيطرة القرطاجية مما يجعل التشابه بينهما يتعدى الجانب الشكلي ليطرح مسألة أصل الأقبية، وعلاقتها بالحوانيت، وبالمنازل الليبية القديمة. وهو أمر يبدو هاما إذا أخذنا في الحسبان أن نقر الحوانيت تم في شمال إفريقيا منذ فترات سابقة على الانتشار الفينيقي بالمنطقة. إلا أن الحسم في هذه العلاقات يعترضه العائق الكرونولوجي المتمثل في صعوبة تأريخ الحوانيت بدقة، والتأكد من قدمها، واستعمالها بالمنطقة قبل حفر الأقبية[6].

إذا ربطنا الأصل المحلي للأقبية بالحوانيت، فإنه يصعب الخروج بنتيجة واضحة من الأبحاث التي تناولت إشكالية أصل الحوانيت بشمال إفريقيا القديم، والتي انشغلت بالأساس

1- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 479.
2- Ibidem.
3- Ibid., p. 480.
4- Ibidem
5- Ibid, p. 481.
6- Ibid., p. 472.

بالبحث عن أصول أجنبية مفترضة لتلك القبور الصخرية[1]. لقد استندت تلك المقاربات على تصور خاص يفترض بالضرورة قدوم مهاجرين شرقيين يحملون مظاهر الحضارة نحو المنطقة الإفريقية[2]، وعلى التفسير التلقائي لتشابه عناصر الحضارة بين الضفتين الشمالية والجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط بحتمية وأسبقية تأثير الضفة الشمالية على الجنوبية[3].

ومن هنا، يتوجب التزام الحذر، وعدم الانسياق وراء فرضيات تختزل مواقف خاصة عن تاريخ المنطقة، خصوصا وأن التشابه بين حوانيت ضفتي البحر المتوسط لا يبدو دقيقا بالنظر للاختلافات الكثيرة الموجودة بينهما[4]، وبالتالي لا يمكن اعتبار التشابه حجة حاسمة لصالح نظرية الأصل الأوروبي للحوانيت[5]. غير أن ذلك لا يمنع من افتراض العكس، أي قدم استعمال الحوانيت عند الليبيين في إطار تطور محلي للعمارة الجنائزية بشمال إفريقيا القديم[6].

ولذلك، فإن البحث في مسألة قدم الحوانيت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا ينبغي أن يركز على التحقق من مصداقية التأثير الفينيقي بالمنطقة. فرغم صعوبة تأريخ الحوانيت بسبب انعدام البقايا الأثرية بها، وضعف إفادات الرسوم والنقوش التي نجدها على جدرانها، فإن الباحثين يجمعون على كونها سابقة زمنيا على قدوم الفينيقيين إلى المنطقة، وإن اختلفوا حول أصلها البعيد[7]. وهذا ما أبرزته الشواهد الأثرية التي عثر عليها بحوانيت المنستير(القريبة من مجال الأقبية)، ويتعلق الأمر بأدوات منحوتة من الصوان تُبين أن تلك الحوانيت تعود إلى ما قبل التاريخ[8].

1- أعطيت للحوانيت أصول مختلفة مثل الأصل المصري، والصقلي، والإيجي. للتوسع أكثر انظر الأبحاث التالية:
- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 110; SOLIGNAC M., *Les pierres écrites de la Berbérie orientale*, p. 135; BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, p. 403-405.

2- Ibidem.

3- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 345.

4- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 142.

5- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 174.

6- Ibidem.

7- CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 142; SOLIGNAC M., *Les pierres écrites de la Berbérie orientale*, p. 138; GHAKI M, *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 142; CINTAS P., *Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie*, p. 37-40.

8- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p.86 .

وإضافة لما سبق، فإن قدم الحوانيت، كجزء من العمارة الجنائزية المحلية بشمال إفريقيا القديم، لا يبدو مستغربا إذا أخذنا في الحسبان أن السكان الليبيين بالمنطقة قد استعملوا الكهوف والمغارات للسكن وللدفن منذ ما قبل التاريخ[1]. ولا يستبعد تبعا لذلك أن تكون الحوانيت قد عوضت الدفن بالمغارات والكهوف دون أن تشكل طرازا معماريا خاصا بشمال إفريقيا لوحدها[2]، خصوصا وأن للمعطى الطبيعي المتمثل في انتشار الصخور بالسواحل دور في الإقبال على العمارة الجنائزية الصخرية بتلك المناطق كما يتضح من خلال التوزيع المجالي للأقبية بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا.

يبدو أن للتوزيع المجالي لانتشار الحوانيت دلالة فيما يتعلق بقدمها وأصالتها بالمنطقة، إذ نلاحظ غياب الحوانيت بالمناطق التي أشارت المصادر الأدبية إلى قدوم الفينيقيين إليها مثل قرطاج وأوتيك وأدروميتوم[3]. وإذا كانت الحوانيت قد تجاورت مجاليا مع الأقبية كما هو الشأن في رأس بون بالوطن القبلي، وفي الساحل الشرقي التونسي، فإن انتشارها تركز أساسا بمناطق تقع بداخل البلاد بعيدا عن متناول الفينيقيين، ولا سيّما بوسط وشمال غرب تونس[4]، وبشرق الجزائر وبالمغرب[5]. لقد تركزت بالخصوص بجوار المدن الليبية القديمة، وتجاورت مع مدافن ليبية أخرى مثل الدولمن، فهناك حوانيت لا يستبعد أنها شكلت مرحلة انتقالية بين الدولمن المبني والحانوت المنقور في الصخر[6].

وهذا يعني أنها استعملت من طرف سكان المنطقة قبل اتصالهم بالفينيقيين. وعلى خلاف ذلك، نادرا ما يحدث تجاور مجالي بين الحوانيت والقبر ذو الجب، إذ استُعملت الحوانيت برأس بون غير بعيد عن قرطاج، ومع ذلك لا نلاحظ ما يوحي بوجود صلة بينهما، أو تأثير العمارة الجنائزية بقرطاج على حوانيت رأس بون القريبة[7]. وبناء عليه، لا يظهر أن

1- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 63-64.
2- DECRET F., et FANTAR M.-H., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, p. 41-42.
3- LIPINSKI E., Les houanet, dans *DCPP*, p. 211.
4- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 138.
5- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 94.
6- CAMPS G., 1987, Protohistoire de l'Afrique du Nord : questions de terminologie et de chronologie, p. 51.
7- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 472.

نقر الحوانيت قد تم بتأثير فينيقي، خصوصا وأن هذا النمط من العمارة الجنائزية لم يوجد بفينيقيا بنفس التفاصيل المعمارية التي تتميز بها حوانيت شمال إفريقيا[1].

إذا أردنا مقاربة مسألة أصل الأقبية على ضوء العلاقة بينها وبين الحوانيت، وذلك في إطار البحث في التأثير الفينيقي المفترض في العمارة الجنائزية بالمجال القرطاجي الإفريقي، سنجد أن هناك من فسّر تشابه بعض العناصر المعمارية بين الأقبية والحوانيت إلى انتمائهما لأصل واحد بعيد[2]، رغم تحفظنا فيما يخص الأصل المتوسطي المفترض. ذلك أن مجموع المعطيات تصب في اتجاه تأكيد قدم الحوانيت، وكونها تمثل طرازا معماريا أصيلا بشمال إفريقيا القديم، وبالتالي لا يمكن الادعاء بأنها قد استُعملت بالمنطقة كنتيجة للتأثير الفينيقي.

ويرى الحبيب بنيونس أن هذين القبرين يعكسان وحدة معمارية اتبعتها نفس الساكنة التي نقرت الحوانيت وحفرت الأقبية[3]، الشيء الذي يكشف-حسب نفس الباحث- وحدة العنصر البشري الذي استعمل تلك القبور[4]. ويتضح ذلك من خلال ممارسة نفس الطقوس الجنائزية بالأقبية والحوانيت على السواء من خلال الدفن بطريقة الثني، واستعمال الصباغة الجنائزية الحمراء[5]. واستخلص بن يونس من دراسته أن الذين حفروا الأقبية هم السكان الليبيون[6].

إذن، من المرجح أن الأقبية تجد جذورها الأولى في الحوانيت باعتبار الأخيرة نوعا من العمارة الجنائزية المحلية القديمة بالمنطقة، والتي اعتمدت على نقر الصخور واستعمالها كمدافن. فعناصر التشابه الملحوظة تعني أن الأقبية قد أنجزت على نمط الحوانيت، ولذلك حافظت على معظم العناصر المعمارية المميزة لها. وهذه الفكرة تلتقي مع التفسير الذي قدمه بعض الباحثين لتراجع استعمال الحوانيت بالساحل الشرقي التونسي، والمتمثل في كونها عُوّضت بالأقبية[7].

1- SOLIGNAC M., *Les pierres écrites de la Berbérie orientale*, p. 138.

2- CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, p. 197.

3- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 472.

4- Ibid., p. 473.

5- GSELL S., *HAAN*, T. IV, op cit., p. 452-453.

6- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 486.

7- BEN YOUNES H., et KRANDEL A., Typologie des tombeaux puniques en pays numide, p. 22.

ولعل ما يدعم فكرة تأثير العمارة المحلية القديمة في الأقبية هو أن هذه الأخيرة تضمنت أيضا عناصر معمارية تعد من المميزات الأصيلة للقبور ذات الأصول الليبية، حيث يمكن أن نعتبر الدولمن بمثابة العنصر الثاني في المقارنة بعد الحوانيت، على الرغم من كونها قبورا مبنية، وليست محفورة في الأرض على غرار الأقبية. ورغم ذلك، فقد وُجدت في بعض أنواع الدولمن نفس العناصر المعمارية للأقبية من حيث كونها قبورا تحت أرضية، إذ تتكون إحداها من قبر مبني تحت الأرض شبيه بالقبو لكونه محفورا تحت الأرض، ويتوفر على درج للنزول.

ونجد هذا الدولمن بالخصوص في عدة مواقع بالساحل الشرقي التونسي، ومن بينها: المهدية[1]، وسيدي الهاني قرب سوسة، وموقع سلقطة بهنشير العالية بقصور الساف[2].(انظر اللوحة رقم 15). ونجد أحيانا دولمن مكون من جزء محفور في الصخر، وجزء مبني ومغطى في الأعلى بتملوس مكون من أتربة وحجارة صغيرة، ويتم الولوج إليه عبر جب[3]. وهناك نوع آخر من الدولمن غير مغطى، ويتوفر على أروقة وغرف جنائزية محفورة في الصخر[4].

وإذا تجاوزنا عنصر التشابه العام بين الأقبية وبعض أنواع الدولمن، والمتمثل في وجود القبر تحت الأرض، فإن هنالك قواسم مشتركة أخرى على مستوى العناصر المعمارية الأساسية مثل توفر بعض الدولمن على جب ودرج[5]، وأحيانا رواق[6]. كما تتميز الدولمن كذلك - على غرار الأقبية- بتعدد الغرف الجنائزية التي قد تصل إلى سبعة، كما هو الشأن مثلا في دولمن اللّاس بوسط تونس[7]، ودولمن ستة بهنشير الحجر بالساحل الشرقي التونسي[8].

1- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 185.
2- Ibid., p. 54.
3- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 339.
4- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 44.
5- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 471.
6- KRANDEL-BEN YOUNES A., Note à propos d'un type de caveau bâti rencontré aux Andalouses (Algérie), p. 8; CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 189.
7- CAMPS, G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 190.
8- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 187.

يستفاد من هذا التشابه أن تعدد الغرف بالأقبية لا يمكن أن يُفَسّر دائما بوجود تأثير أجنبي. فقد عثر مثلا بسيدي الهاني بالساحل الشرقي التونسي على دولمن مبني ومغطى بتملوس، وله درج يقود إلى ثلاثة غرف جنائزية[1]. وهو بذلك يشبه القبو، لكنه يختلف عنه في وجود جزء مبني باستعمال الحجارة، وكذلك في طريقة تسقيف الغرف[2]. ورغم ذلك، فإن المقارنة تسمح بملاحظة أن عددا من العناصر المعمارية للأقبية، ربما، وُجدت في المدافن المحلية العتيقة بشمال إفريقيا القديم.

كما أن تداخل وتجاور استعمال الأقبية مع باقي أنواع المقابر المحلية خلال الفترة القرطاجية يبدو واضحا كذلك من خلال الشكل الذي أصبحت تتخذه الأقبية والذي يشبه التملوس. فقد أصبحت الأقبية تُغطى بربوة على شكل تملوس كما يتضح من نماذج قبور الساف، وسيدي الهاني بالساحل الشرقي التونسي، أو تُحاط -كما في نموذج العالية بنفس المجال الساحلي- بدائرة مشكلة من الحصى كما لو أنها تحدد فضاء مقدسا بجوار القبر[3] قد يكون مرتبطا بطقوس سحرية[4]. وهذا عنصر معماري يرتبط عادة بالتملوس، وما يتصل به من طقوس[5]، أو ربما له أصل في البازينا[6]. كما أن انتظام الغرف بشكل متوال - كما لاحظنا في الأقبية، وفي بعض الحوانيت- كان معروفا أيضا في التملوس، وفي مناطق أبعد عن التأثير الفينيقي المباشر كما يتجلى ذلك في تملوس سيدي سليمان بالمغرب[7].

يتضح من خلال مقارنة الأقبية بمختلف المقابر الليبية وجود صلة وثيقة بينها وبين هذه القبور الليبية، الأمر الذي يرجح استمرار عناصر العمارة الجنائزية الليبية في أقبية المجال القرطاجي الإفريقي. كما يبدو أن أصل الأقبية، وتطور عمارتها له علاقة أيضا بالعمارة المنزلية

1- Ibid., p. 21.
2- Ibid., p. 22.
3- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 151.
4- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 515.
5- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 439.
6- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 315.
7- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 197.

الإفريقية في إطار تطور خاص حصل بإفريقيا، دون أن يكون مرتبطا بالضرورة بتأثير أجنبي، سواء فينيقي، أو غيره. علما أننا نُقدّم فرضية مدعومة بمجموعة من الأدلة، ولكننا مع ذلك، لا نزعم الحسم في الإشكالية مثلما لا نستطيع إلغاء التفاعلات التي، ربما، حصلت بين العمارة الجنائزية الليبية والفينيقية كما يتضح من عناصر التشابه التي أشرنا إليها سابقا.

3-1-1 - القبر على شكل حفرة:

يؤرخ القبر على شكل حفرة[1] بموقع قرطاج بالقرن 7 ق.م[2]. بيّنت التحريات الأثرية أن هذا النوع من القبور قد انتشر في معظم المواقع الإفريقية[3]. كما استُعمل القبر على شكل حفرة بسيطة في فينيقيا[4]. لكنه لا يعد خاصية فينيقية، إذ شاع استعماله تقريبا عند معظم شعوب العالم القديم. فقد انتشر -على سبيل المثال- بمصر القديمة[5]، وبشمال إفريقيا منذ ما قبل التاريخ. ومن هذا المنطلق، لا نرى داعيا لربط هذا القبر العتيق بتأثير الفينيقيين، خصوصا وأن أقدم تلك القبور بقرطاج تحمل بصمات السكان الليبيين من حيث استعمال المغر، ووجود الخرف اليدوي المحلي[6].

1- القبر على شكل حفرة هو عبارة عن حفرة تقع على أعماق متفاوتة من سطح الأرض، وتكون مغطاة أحيانا بكتل حجرية مستوية. وينبغي التمييز في القبر على شكل حفرة بين الحفرة البسيطة غير العميقة، وبين الحفرة الموجودة في عمق البئر. ذلك أن بعض القبور تتوفر على حفرة جد عميقة قد يصل عمقها ما بين ستة وعشرة أمتار، وهي بذلك أقرب إلى القبر ذو الجب منها إلى القبر على شكل حفرة بسيطة. يتكون هذا القبر من حفرة بسيطة غير عميقة ومتوازية السطوح، بحيث تكفي لوضع جثة الميت، وتُغطى أحيانا بكتل حجرية، ونادرا ما تُستعمل بها التوابيت. لكنها عرفت، ربما، استعمال النعوش الخشبية، أو الألواح الخشبية كما يتضح من اكتشاف بقايا الخشب بها. انظر المراجع التالية:

- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 64 ; 96 et 100; GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 18 et 167; LANCEL S., *Byrsa II, mission archéologique française à Carthage. Rapports préliminaires des fouilles 1977-1978 (Niveaux et vestiges)*, Collection de l'École Française de Rome, 1982, p. 263 et suivant.

2- GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 17.

3- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 316; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 544.

4- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 82.

5- JÉQUIER G., *Histoire de la civilisation égyptienne*, Éditions du Rocher, Paris, 1993, p. 66.

6- GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 17; CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 268.

1-1-4 - الأحواض المنقورة على سطح الصخور:

عُثر على آثار الأحواض المنقورة على سطح الصخور[1]، بالإضافة إلى موقع قرطاج[2]، في عدة مواقع بالمجال القرطاجي الإفريقي بما في ذلك سواحل الطرابلسية (أويا)[3]، والساحل الشرقي التونسي، ورأس بون، وبداخل تونس[4]. كما وُجدت أيضا بمناطق أخرى بشمال إفريقيا، وخصوصا بالجزائر[5]، والمغرب[6].

افترض كسيل أن الأحواض تمثل تأثير فينيقيا كما يتضح من انتشارها الساحلي[7]. إلا أن التوزيع المجالي لهذا النوع من القبور ليس كافيا لترجيح فرضية التأثير الفينيقي لأنها انتشرت بمجال واسع من شمال إفريقيا، بحيث يُستبعد أن يشمل الانتشار الفينيقي كل تلك المناطق. كما أنها لم تقتصر على الساحل فحسب، بل امتدت أيضا إلى مناطق تقع بداخل البلاد، أي بمجال انتشار المدافن والكتابة الليبيتان مثل تبرسق، وثوگا، وهنشير بن ركية، وغرديما، وتبسة، وقسنطينة، وسطيف[8]. ويلاحظ أن هذا النوع من القبور يشبه من حيث شكله العام القبور الليبية[9]، ومن المحتمل أن لتلك القبور جذورا في تقاليد محلية جد قديمة[10]، خصوصا وأن الأمر يتعلق بقبور جد بسيطة.

1- يتعلق الأمر بقبور على شكل أحواض منقورة على سطح الصخور بحيث تكفي لوضع جثة الميت، وأحيانا يكون حجمها أصغر، بحيث لا تكفي لدفن الجثة ممددة:

- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 432.

2- Ibid., p. 456.

3- MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 171.

4- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 465.

5- BEN YOUNES H., et KRANDEL A., Typologie des tombeaux puniques en pays numide, p. 17.

6- LUQUET A., Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc: le Maroc punique, dans *BAM*, T. IX, 1973-1975, pp. 237-293, p. 275; TISSOT Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, T. I, p. 511.

7- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 246.

8- BEN YOUNES H., et KRANDEL A., Typologie des tombeaux puniques en pays numide, p. 17.

9- Ibidem.

10- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 484.

1-1-5 - القبور المبنية:

تعود القبور المبنية[1] بموقع قرطاج إلى فترة تقع بين نهاية القرن 8 وبداية القرن 7 ق.م[2]. لكن ليس لدينا ما يثبت استعمالها بعد القرن 5 ق.م[3]. وفضلا عن موقع قرطاج، فقد عثر على نماذج من القبور المبنية في موقع أوتيك[4]، بينما تقل آثارها بالساحل الشرقي التونسي، بحيث لا يتعدى عدد القبور التي صنفت ضمن القبر المبني سبعة عُثر عليها بمواقع لمطة بولاية المنستير، والشابة، وقصور الساف بولاية المهدية. وتؤرخ تلك البقايا بما بين القرنين 4 و1 ق.م[5]. لقد انطلق الباحثون من قلة القبور المبنية بقرطاج، وبمجالها الإفريقي، ليستنتجوا بأن تلك القبور كانت مخصصة حصرا للفئات الغنية، لأن قلتها تفسَّر بارتفاع تكاليف جلب الأحجار والبناء[6].

استعملت القبور المبنية في الشرق الفينيقي في موقع رأس شمراء (بين القرنين 15 و13 ق.م)[7]، وبمواقع أخرى تنتمي للفترة المتأخرة من التاريخ الفينيقي، وذلك في صيدا، وصور، وبيبلوس[8]. كما وُجدت بقاياها بقبرص[9]، وبمصر، حيث تُصنّف قبور فراعنة الأسرة 12 (بداية الألف الثاني ق.م) ضمن القبور المبنية[10] (انظر اللوحة رقم 16). ومن هذا المنطلق، افترضت الباحثة هيلين بنيشو، بناء على استمرار استعمال القبور المبنية في الشرق منذ فترات جد

1- هو قبر تحت أرضي أيضا، لكنه يتميز عن الأنواع الأخرى بكونه مبني بالحجارة، وليس منقورا في الصخر، أو محفورا في التراب بالكامل، بل يكون جزء منه فقط محفورا في الأرض. وتكون القبور المبنية، إما مطمورة بالكامل تحت الأرض، أو بارزة على السطح. ويمكن التمييز فيها بين ثلاثة أنواع: فهناك القبر المبني على شكل صندوق مكون من كتل حجرية كبيرة الحجم، ويختلف عن الأحواض المنقورة في الصخر، التي تحدثنا عنها سابقا، بارتفاعه عن سطح الأرض، وتسقيفه بكتل حجرية، وتوفره على مدخل جانبي له باب عمودي. أما النوع الثاني، فيتمثل في القبر المبني على شكل غرفة غير مغطاة. بينما يتخذ النوع الثالث شكل غرفة مجزأة ومغطاة. انظر الأبحاث التالية:

- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 138-144 ; GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 19 et 159-160.

2- GAUCKLER P., *NP*, T. I, op. cit. p. 20; GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 430.

3- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 355.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 318.

5- BEN YOUNES, H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 448.

6- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 137; GRAS M., et autres, *L'univers phénicien*, p. 215; LANCEL S., *Carthage*, p. 63.

7- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 364.

8- Ibid., p. 368 ; MOSCATI S., *L'épopée des phéniciens*, p. 209.

9- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 363.

10- Ibid., p. 364.

قديمة، أن هذا النوع من القبور قد انتقل إلى قرطاج، ومجالها الإفريقي، من فينيقيا، دون أن تستبعد مرور ذلك التأثير عبر قبرص[1].

ورغم وجاهة هذه الفكرة، لجهة قدم استعمال تلك القبور في فينيقيا، فإن المقارنة بين النماذج الفينيقية والقرطاجية لا تساير تلك الفرضية ما دام لم يوجد، باعتراف الباحثة نفسها، في فينيقيا قبر واحد يمكن أن يصلح ليكون نموذجا أصليا للقبر المبني بقرطاج[2] مما جعلها تطرح احتمال تطور القبر المبني عن القبر ذو الجب بقرطاج[3]. وانطلاقا من ذلك، وجب الإقرار بأن الأصل الفينيقي لهذا النوع من القبور لا يبدو محسوما فقط لمجرد قدم استعمالها في فينيقيا. فقد اعتبر الباحث كرا وآخرون أن القبور المبنية بقرطاج تعكس تلاقي تأثيرات مختلفة، وأن مصدر التأثير فيها ليس فينيقيا بالضرورة[4].

تدفعنا الخلاصة المشار إليها أعلاه إلى توجيه البحث صوب العلاقة الممكنة بين القبر المبني بقرطاج، والقبور الليبية العتيقة[5]، ولا سيّما الدولمن المبني بموقع اللاس بوسط تونس[6]. بينما ربطه باحثون آخرون بتطور محتمل للأقبية[7]. وبناء على ما سبق، يبدو من الصعب الحسم في أصل القبر المبني الذي ظل استعماله محدودا كما يستشف من المعطيات المتوفرة. ويبقى الأصل الأجنبي لتلك القبور محتملا، لكن لا شيء يمنع من افتراض العكس، أي أن يكون استعمال تلك القبور قد استجاب لحاجات محلية مرتبطة برغبات الفئات الغنية، وبالتالي يعكس تطورا حصل بالأرض الإفريقية، خصوصا وأن معظم شعوب العالم القديم مرت من تجارب خاصة في بناء القبور.

1- Ibid, p. 368.
2- Ibid. p. 364.
3- Ibid., p. 165.
4- GRAS M., et autres, *L'univers phénicien*, p. 204.
5- CAMPS G., Compte rendu sur Bénichou - Safar, H., les tombes punique de Carthage (1982), p. 203.
6- BERTHOLON L., et CHANTRE, E., *BERTHOLON L., et CHANTRE E., Recherches anthropologiques dans la Berbérie oriental*, p. 262.
7- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 449.

6-1-1 - الدولمن:

وجدت بقايا الدولمن[1] في عدة مواقع بالمجال الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي، وخصوصا بالساحل الشرقي التونسي، ورأس بون، وبوسط وغرب تونس[2]. (انظر الخريطة رقم 6) علما أن عددا كبيرا من الدولمن بالبلاد التونسية قد اختفت نتيجة عوامل مختلفة[3]. فهل استمر الليبيون والنوميديون في استعمال هذا الشكل من العمارة الجنائزية خلال الفترة القرطاجية؟

ترتبط محاولة الإجابة عن السؤال المطروح بالحسم في مسألة تاريخ استعمال الدولمن، وأصلها بشمال إفريقيا ككل. لقد استنتجت أولى الدراسات الأثرية والتاريخية التي اهتمت بتأريخ الدولمن أن الأمر يتعلق بمعالم متأخرة زمنيا بسبب عدم العثور على بقايا مادية تساعد على تأريخها[4]. لقد أعطيت الأولوية في دراسة الدولمن بشمال إفريقيا لنفس التصور الذي دُرست في إطاره باقي أنواع العمارة الجنائزية بالمنطقة، والتي لا ترى إمكانية لقدرة السكان الأصلاء على مجرد بناء قبور لدفن موتاهم رغم إدراج الدولمن ضمن ما يسمى بالمدافن الليبية، فكان لزاما البحث له، هو كذلك، عن أصل أجنبي.

طُرحت في البداية فرضية الأصل الأوروبي، وتم افتراض عدة مصادر انتشر منها الدولمن إلى شمال إفريقيا، سواء من بلاد الغال، أو إيبيريا، أو جنوب إيطاليا، أو من الجزر المتوسطية. وذلك بحجة الانتشار الساحلي للدولمن بشمال إفريقيا، وغيابها في الصحراء[5].

1- يتكون الدولمن من صناديق حجرية مشكلة من كتل حجرية كبيرة توضع فوقها كتل حجرية مستوية تسمى المائدة(Table)، ويحاط الكل بحزام دائري من الحجارة يُغَطى بدوره بأحجار وحصى وأتربة. لمزيد من التفاصيل راجع الأبحاث التالية:

- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 191-194; CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 117.

2- GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, p. 42; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 13 et 129; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 200; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, pp. 18-58.

3- Ibid., p. 10.

4- GSELL S., *HAAN*, T. VI, pp. 223-233.

5- للتوسع أكثر في موضوع الأصل الأجنبي للدولمن الشمال إفريقي انظر أبحاث كامبس وكسيل:

- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 148-150; id, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 128; GSELL S., *HAAN*, T. VI, pp. 223-233.

فعلا، ثمة عناصر تشابه بين دولمن شمال إفريقيا ودولمن أوروبا، لكن هناك كذلك عناصر اختلاف أساسية بينهما. ومن مظاهر الاختلاف، على سبيل المثال، ذلك الطابع المركب لدولمن وسط تونس (مكثر، اللاس، وحمام الزواكرة)، والذي يقدم عناصر معمارية وتقنيات بناء مختلفة تماما، ولا نجد لها مثيلا في دولمن أوروبا باعتراف منظري الأصل الأوروبي للدولمن الشمال إفريقي[1]. الأمر الذي دفع للإقرار باحتمال حدوث تطور محلي لهذا النوع من الدولمن المركب[2].

كما سمحت الأبحاث، بشكل متوال، بمراجعة تأريخ الدولمن بشمال إفريقيا القديم، وخصوصا بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، حيث اتضح انتماؤها إلى ما قبيل التاريخ، أي أنها على الأقل استعملت قبل اتصال سكان المنطقة بالفينيقيين[3]. مما يعني استبعاد أي دور للفينيقيين في إدخال استعمال الصروح الميغاليتية التي كانوا قد تخلوا عن استعمالها منذ تاريخ سابق لبداية انتشارهم بغرب البحر المتوسط من ناحية، ولانعدام آثارها في المواقع التي تحدثت المصادر عن استقرارهم بها مثل قرطاج وأوتيك من ناحية أحرى[4].

ويظهر أن بعض سكان المجال القرطاجي الإفريقي قد حافظوا على استعمال الدولمن كقبور كما يتضح من خلال الشواهد المادية المنتمية للفترة القرطاجية، ولا سيّما بدولمن وسط تونس (مغراوة ومكثر وإللاس)، حيث عثر بها على خزف يعود إلى القرن 5 ق.م[5]. ورغم صعوبة تأريخ الدولمن بالساحل الشرقي التونسي، فإن مؤشرات عدة تدفع للاستنتاج بأنها عاصرت الأقبية[6]، حيث أن نفس المعالم ظلت تستقبل من وقت لآخر جثامين جديدة مما يعني إعادة استعمالها[7]. (انظر اللوحة رقم 17، شكل1 و3)

1- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 189 et 117.

2- Ibid, p. 188; STÉKÉLIS M., *Les monuments mégalithiques de Palestine*, Masson et Cie, Éditeurs, Paris, 1935, p. 79; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 202.

3- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 100; id, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 148.

4- CINTAS P., *Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie*, p. 17 ; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 175.

5- MINIAOUI S., *La nécropole mégalithique d'Elles: architecture et céramique*, DEA en patrimoine et archéologie, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 2001(dactylographiée), p. 119.

6- LANCEL S., La Carthage punique, p. 1787; CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 100.

7- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 207.

1-1-7 - الحوانيت:

درسنا سابقا مسألة قدم استعمال الحوانيت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، واستمرار استعمالها بالمنطقة خلال الفترة البونية (انظر الخريطة رقم 7). غير أن إثبات استعمال ذلك النوع من العمارة الجنائزية خلال الفترة القرطاجية لازال يصطدم بقلة البقايا المادية من الأثاث الجنائزي التي قد تُسعف في تأريخ تلك القبور. ومع ذلك، فقد توفرت عدة قرائن تثبت معاصرة الحوانيت للفترة القرطاجية، ولا سيّما تزامنها مع استعمال الأقبية.

لقد عُثر في بعض حوانيت سيدي محمد الأطرش برأس بون على شقف خزفية تعود إلى نهاية القرن 4 وبداية القرن 3 ق.م[1]. كما يلاحظ تشابه الرسومات والزخارف التي نجدها على جدران الحوانيت والأقبية وتزامنها تقريبا، حيث تُؤرّخ رسومات حانوت كاف البليدة بغرب تونس بما بين القرنين 7 و6 ق.م[2]، بينما أُرجعت رسومات حوانيت الحروري برأس بون بنهاية القرن 4 وبداية القرن 3 ق.م

كما أن تشابه العناصر المعمارية المكونة للحوانيت والأقبية يمكن أن يُفَسَّر باستمرار استعمال الحوانيت خلال الفترة القرطاجية، وتعايشها مع باقي القبور المستعملة من طرف سكان المجال القرطاجي الإفريقي[3].(انظر اللوحة رقم 18). ومن هنا يبدو من المنطقي أن ننسب استعمال الحوانيت لساكنة إفريقية حافظت على تقاليد وطقوس العمارة الجنائزية العتيقة، خصوصا بالمجال الواقع بالظهير التونسي وشمال غرب تونس[4]. فرغم خضوع تلك المناطق لسلطة قرطاج خلال فترة معينة، فإن تأثير العاصمة الإفريقية يبدو أقل تجذرا بها[5].

1-1-8 - التملوس أو الجثوة:

تعد التملوس[6] من أكثر القبور انتشارا في شمال إفريقيا، فضلا عن انتشاره أيضا

1- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 233.

2- ZOUGLAMI J., et autres, *Atlas préhistorique de la Tunisie*, p. 46.

3- LONGERSTAY M.-S., Les haouanet. État de la question, dans *Actes du VIè colloque sur les institutions autochtones en Afrique du Nord antique et médiévale*, Pau, Octobre 1993-118è congrès, BCTH, 1995, pp. 33-52, p. 4.

4- GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, p. 139 et 169.

5- Ibid., p. 168.

6- تتحدد الخصائص المورفلوجية الخارجية للتملوس في كونه عبارة عن قبر مغطى بأكوام من الحجارة والحصى ليتخذ شكل ربوة صغيرة. الأمر الذي يطرح مسألة العلاقة بينه وبين البازينا بحكم أهمية القواسم المشتركة بينهما. وقد اعتبر المختصون

بالسهوب الصحراوية[1]. ولذلك، اعتبر التملوس والبازينا جزءا من تأثيرات حضارة الصحراء على المناطق الساحلية بشمال إفريقيا القديم[2]. أما بالمجال القرطاجي الإفريقي، فقد وجد التملوس في عدة مناطق من بينها بنزرت[3] على الساحل الشمالي التونسي، وبجندوبة بالشمال الغربي لتونس[4]. فضلا عن مواقع بالساحل الشرقي التونسي، ولا سيّما بالنفيضة وقابس[5]، وكذلك بالقيروان بعيدا عن الساحل[6]، وبشط الجريد[7] غرب قبلي بالصحراء التونسية.(انظر اللوحة رقم 17، شكل 2 و4).

لقد بيّنت التحريات الأثرية بعدد من المواقع المذكورة سابقا استمرار استعمال التملوس والبازينا خلال الفترة القرطاجية[8]، وبعضها إلى الفترة الرومانية[9]. مما يعني استمرار أنماط العمارة الجنائزية المحلية، وتمسك السكان الليبيين والنوميديين بالمجال القرطاجي الإفريقي بأنواع العمارة الجنائزية المحلية، بالموازاة مع استعمال أشكال أخرى. وهكذا نلاحظ أن الفترة القرطاجية تميزت بتنوع القبور التي استعملتها ساكنة المجال القرطاجي الإفريقي، حيث انتشرت، إضافة إلى القبور المحلية الليبية العتيقة، قبور ذات تأثير فينيقي. ويظهر أن

أن البازينا يعد- خصوصا على مستوى الشكل الخارجي- شكلا متطورا عن التملوس، ولذلك لم يروا ضرورة للتمييز بين التملوس والبازينا. انظر المراجع التالية:

- GSELL S., HAAN, T. VI, p. 184-187; CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, pp. 67-76 et 158-159.

1- Ibid., p.66 .

2- Id, *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 141.

3- MINIAOUI S., *La nécropole mégalithique d'Elles: architecture et céramique*, p. 7.

4- ZOUGLAMI J., et autres, *Atlas préhistorique de la Tunisie*, p. 41.

5- MINIAOUI S., *La nécropole mégalithique d'Elles: architecture et céramique*, p. 9; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 59 et 63; FERCHIOU N., Un problème d'éclairage historique: le cas des tumulus et des bazinats de l'ancien territoire de Carthage punique, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 186-190, p. 186-187; BEN YOUNES H., Note sur les Tumulus de Henchir Elmizouri (Sidi Alouane) au Sahel tunisien, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 33-42, p. 37.

6- MINIAOUI, S., *La nécropole mégalithique d'Elles: architecture et céramique*, p. 7.

7- PARIS F., et GHAKI M., Les monuments mégalithiques du Sud tunisien, Les nouvelles de l'archéologie [Online], 120-121 | 2010, Online since 30 September 2013, connection on 16 May 2020. URL: http://journals.openedition.org/nda/1009 ; DOI : https://doi.org/10.4000/nda.100.

8- FERCHIOU N., Un problème d'éclairage historique: le cas des tumulus et des bazinats de l'ancien territoire de Carthage punique, p. 188.

9- PARIS F., et GHAKI M., Les monuments mégalithiques du Sud tunisien, Les nouvelles de l'archéologie (Document électronique mentionné ci-dessus).

ذلك التنوع قد ارتبط-على الأرجح-باختلاف الأصول الاجتماعية والثقافية لساكنة كل منطقة على حدة (انظر الجدول رقم 10).

2 - علامات القبور واتجاهها والشواهد الجنائزية:

لعل أهم ما يميز القبور ذات التأثير الفينيقي البوني (القبور ذات الجب وبدرجة أقل الأقبية)، فيما يخص علامات القبور، هو غياب معالم خارجية تدل على وجود القبور المطمورة تحت الأرض. فرغم تفسير وجود قطع من الحجارة فوق بعض القبور بموقع قرطاج، وبمواقع أخرى من المجال القرطاجي الإفريقي[1] بوجود علامات خارجية للقبور التحت أرضية، واعتبار ذلك دليلا على تأثير فينيقي بهذا الخصوص[2]، فإننا لا نجد، في الواقع، فوق الأقبية والقبور ذات الجب أهرامات، أو أبراجا حقيقية يمكن ربطها بتأثير فينيقي محتمل على سكان المجال القرطاجي. ولهذا فنحن إزاء فرضيات تحتاج للمزيد من التمحيص والبحث، خصوصا وأن عدم وجود علامات ومعالم بارزة قد يفسر بتعرضها للتلف، رغم أن المقاربة العلمية تشترط توفر إثباتات أثرية تبرهن، بشكل صريح، أن مجرد وضع قطع من الحجارة فوق القبور يعكس بالضرورة تأثرا بعادات الفينيقيين.

علما أنه لم يعثر بمواقع الشرق الفينيقي إلا نادرا على علامات تدل على مكان القبر لأن السائد عند الفينيقيين هو الميل نحو إخفاء القبور، وتفادي وضع ما يشير إلى وجودها[3] كما يتضح من الصيغ المكتوبة على أنصابهم، والتي وجدت بداخل القبور، وتحث على عدم الاقتراب من القبر، وتبين العواقب التي تلحق بمن يدنس القبور. ومن بين الأمثلة النادرة التي تُظهِر، ربما، عكس ما كان سائدا عند الفينيقيين، نذكر المعالم الجنائزية بقبور عمريت، وهي عبارة عن صروح جنائزية شبيهة بالأبراج يطلق عليها السكان اليوم اسم «المغازل» نسبة إلى شكلها[4].

1- تم العثور على قطع من الحجارة فوق بعض قبور برج الجديد والقديسة مونيقا بقرطاج، وببعض مواقع الساحل الشرقي (كورزا وأدروميتوم، وكركوان، وثابسوس)، إضافة إلى بنزرت بشمال البلاد. لكن الأمر لا يتعلق بعلامات بارزة وواضحة المعالم، ولذلك يبقى الحديث عن وجود علامات للقبور مجرد تأويلات تصطدم بالغموض الذي يلف هذه المسالة في قبور المنطقة.

2- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 441; FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 314-315; id, Nécropoles puniques de Tunisie, p. 56; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 80; CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 360.

3- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 233-232.

4- هناك جدل بخصوص وظيفة المغازل بموقع عمريت، فرغم تسميتها بالأضرحة، فهي تبقى مجرد معالم خارجية نظرا لعدم توفرها على غرف دفن تحت الأرض.

وهناك تباين في تأريخ تلك الأبنية بين القرن 7 ق.م والفترة الفارسية (ق. 5 ق.م)[1]. (انظر اللوحة رقم 19). كما وجدت آثار أبنية فوق بعض قبور بيبلوس[2]. إلا أننا لا نجد في قرطاج أبنية بارزة فوق القبر ذو الجب، إذا استثنينا الأجزاء البارزة من القبر المبني، والتي تشكل جزء من القبر نفسه.

وعلى العكس مما سبق، يلاحظ أن تعليم القبور كان شائعا منذ فترات جد قديمة عند السكان الليبيين الذين عاشوا بالمجال الذي امتد إليه نفوذ قرطاج، فالقبور الليبية (الدولمن والتملوس والبازينا) كانت في الأصل قبورا مكشوفة يعد المعلم الخارجي عنصرا رئيسا في عمارتها، حيث يستعمل لكي يدل على وجود القبر. كما بني هؤلاء السكان أضرحة ذات أبراج فوق قبور الشخصيات المهمة في عدد من أنحاء شمال إفريقيا.

من جهة أخرى، لا نمتلك أدلة أثرية تؤكد قدم استعمال شواهد القبور الحاملة للكتابة عند السكان الليبيين، ذلك أنها تنعدم بأقدم قبور قرطاج نفسها لتبدأ بالظهور، حسب نتائج الحفريات الأثرية، ابتداء من النصف الأول من القرن 4 ق.م ليعرف استعمالها انتشارا واسعا خلال القرن 3 ق.م[3]. ومن هنا رجح ستيفان كسيل أن يكون استعمال شواهد القبور بمثابة تأثير فينيقي على السكان الليبيين والنوميديين بالمجال القرطاجي الإفريقي[4]. ولعل ما يبين هذا الأمر أن استعمال شواهد القبور ظل محدودا مثلا في الأقبية بالساحل الشرقي التونسي (ثابسوس والعالية).

وقد تبين من خلال مقارنة النماذج القليلة التي عثر عليها بالساحل الشرقي مدى تأثرها بنماذج قرطاج رغم ملاحظة بعض الاختلافات على مستوى التفاصيل التقنية الدقيقة التي اتبعت هناك للتعبير عن نفس الموضوعات المنقوشة[5]. ورغم عدم استبعاد تأثير قرطاج على هذا المستوى، فالراجع أن خصوصيات محلية في صناعة شواهد القبور بالمجال الساحلي قد تجسدت فيما بعد كما يتضح من بعض الأنصاب التي تجمع في نحتها حسب الباحثين بين عناصر ليبية، وأخرى فينيقية[6].

1- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 232-233.

2- BÉNICHOU-SAFAR, H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 80.

3- Ibid., p. 340.

4- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 438; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 513.

5- Ibidem.

6- Ibidem.

وينبغي التنبيه إلى أن اتجاه القبور في قرطاج بالخصوص لا يعكس على الأرجح وجود اعتقادات معينة ذات صلة بالعادات الجنائزية، أو الدينية للفينيقيين. ذلك ما يمكن استخلاصه من الأبحاث التي اهتمت بهذا الجانب. فقد ثبت أن اتجاه القبور بمواقع المجال القرطاجي الإفريقي، وبقرطاج على وجه الخصوص، لم يكن يخضع لاعتبارات معينة، وإنما ارتبط بمعطيات عملية لها صلة بمدى هشاشة، أو صلابة التربة[1]. فمثلا هناك قبور ذات اتجاه شمالي شرقي، أو شمالي غربي، أو جنوبي شرقي. مما يعني أن حفار وبناة القبور لم يراعوا اعتبارات أخرى كضرورة توجيهها مثلا نحو الشرق، حيث مدينة صور، الموطن الذي قدم منه الفينيقيون إلى الجزء الشرقي من شمال إفريقيا[2].

3 - الإقبار:

3-1 - إعداد الجثة:

عرف استعمال الصباغة الجسدية (الأوكر، أو الزنجفار) انتشار واسعا في معظم المواقع القرطاجية الإفريقية كما يتضح من اكتشاف بقايا تلك المواد في موقع قرطاج، وفي مواقع الساحل الشرقي التونسي، وبداخل البلاد[3]، حيث استعملت بطرق متنوعة[4]. ويرجح بناء على ذلك، أن تلك المواد لم تستعمل لحفظ الجثث، وأن لها علاقة بعادات جنائزية، وربما باعتقادات متصلة بالإيمان بالخلود من منطلق أن اللون الأحمر يرمز إلى الدم الذي يعطي للميت القوة للاستمرار في الحياة الأخرى[5]. ويمكن اعتبار استعمال الصباغة الجسدية استمرارا لطقوس محلية بالنظر لقدمه عند السكان الليبيين، حيث أثبتت الأبحاث الأثرية استعمالهم

1- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 316.

2- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 336.

3- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 322 ; GOBERT E.-G., et CINTAS P., Smirat, p. 94 ; GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 356.

4- ميز الباحثون بين عدة طرق، من بينها طلاء عظام الموتى بالمغر، أو وضع الصباغة بالقبر ضمن الأثاث الجنائزي، أو بداخل النعوش الخشبية، أو التوابيت الحجرية، أو تستعمل كصباغة لرسم الزخارف التي نجدها على جدران الغرف الجنائزية. لمزيد من التفاصيل حول الاستعمالات المختلفة للصباغة الجنائزية في قبور قرطاج ومجالها الإفريقي انظر المراجع التالية:

- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 496; FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 322; LANCEL S., *Carthage*, p. 68.

5- Ibidem ; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 499; FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 322.

للصباغة الجسدية منذ ما قبل التاريخ[1]، وهو الأمر الذي أكدته النصوص التاريخية أيضا[2].

فسّر بعض الباحثين وجود آثار الصمغ ببعض قبور قرطاج بممارسة القرطاجيين للتحنيط تأثرا بالمصريين[3]، خصوصا أن نفس الممارسة الجنائزية قد وجدت عند فينيقيي الشرق بتأثير مصري[4]. وفعلا، يعد التحنيط ممارسة قديمة عند الفينيقيين تأثرا بالمصريين، في حين لا شيء يسمح بالاعتقاد بأن سكان المجال القرطاجي الإفريقي قد حاولوا تحنيط جثامين موتاهم، إذ لم يثبت بعد أن بقايا مادة الصمغ، التي وجدت بعظام بعض الجثث بقبور قرطاج، قد استعملت لنفس الغرض. والظاهر أن المحافظة على جثث الموتى لم تكن جزءا من اعتقادات هؤلاء السكان على خلاف عادات الفينيقيين والمصريين[5]. ومن هنا يتضح أن سكان المجال القرطاجي الإفريقي قد حافظوا على الأرجح على طقوسهم الجنائزية القديمة فيما يتعلق بإعداد الجثث للدفن، ولم يتأثروا بالممارسات السائدة في الشرق الفينيقي. واشتهر القرطاجيون باستعمال التوابيت الخشبية والحجرية، ويتميز النوع الأخير بكونه مُحَلّى بنقوش ورسوم متنوعة تأثرا بما كان سائدا عند الفينيقيين الذين اشتهروا بهذه الأنواع من التوابيت.

3-2 -طرق الدفن:

أ- الدفن العادي:

يمثل الدفن العادي أكثر الطقوس الجنائزية انتشارا بالمجال القرطاجي الإفريقي[6]. ونميز

1- رغم قلة آثار الصباغة الجسدية في مواقع الحضارة الوهرانية (مغارة تافوغالت) ، فقد استعملت على نطاق واسع بمواقع العصر القفصي الأعلى والعصر الحجري الحديث. انظر بهذا الخصوص:

- أعشي (مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 63.

- CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 178; VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, p. 414; CAMPS-FABRER H., *Matière et art mobilier dans la préhistoire africaine et saharienne*, AMG, Paris, 1966, p. 214; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 217.

2- تنسجم المعطيات الأثرية مع ما ذكره هيرودوتوس خلال القرن 5 ق.م بشأن استعمال الزنجفار لطلي الجسد عند بعض المجموعات البشرية الليبية:

- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 191 ; 194.

3- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 321; PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 174.

4- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 172

5- BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p.259 et 275; FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique*, p. 14; GSELL, S., *HAAN*, T. VI, p. 212.

6- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 205.

فيه بين عدة طرق ووضعيات لإسجاء الميت في قبره[1]. وفي هذا السياق، يلاحظ غياب وضعية الثني الجنيني بقبور قرطاج وأدروميتوم[2]، في حين تركزت بالمناطق الساحلية، وبداخل البلاد بتونس[3]، وبلبدة بالطرابلسية[4]. كما اتُبِعت نفس الوضعية في الأقبية والقبور الليبية، بحيث يمكن اعتبارها من أكثر أنواع الدفن انتشارا بالمجال القرطاجي الإفريقي[5]، وهو ما ينسجم أيضا مع انتشارها المجالي في باقي مناطق شمال إفريقيا القديم والصحراء[6]. ويمكن اعتبار استعمال تلك الطريقة في الدفن خلال الفترة القرطاجية بمثابة استمرارا للعادات الجنائزية الليبية العتيقة. لقد دُفن الإنسان موتاه في شمال إفريقيا والصحراء بنفس الطريقة منذ ما قبل التاريخ، ولا سيّما منذ عصر الحضارة الوهرانية[7]، والقفصية[8]، حيث استمرت تلك الطريقة في الدفن بالمنطقة إلى غاية العصر الإسلامي[9]. أما فيما يخص المعطيات الأدبية، فالراجح أن نفس الوضعية هي التي أشار إليها هيرودوتوس، منذ القرن 5 ق.م عندما ذكر أن النازمون كانوا يدفنون موتاهم بوضعية القرفصاء[10]، وهو الشيء الذي أكدته الأبحاث الأثرية بمنطقة فزان، حيث كان الجرمنتيون المجاورون للنازمون يدفنون موتاهم بوضعية جنينية[11].

1- هناك وضعية يكون فيها جسد الميت مضموما، بحيث تكون أطراف الجسم مضمومة إلى بعضها البعض، ومشدودة إلى الجدع، وتسمى أيضا وضعية القرفصاء، أو الوضعية الجنينية. وهناك كذلك وضعية أخرى يكون فيها الجسد مثنيا، بحيث يكون الميت راقدا على إحدى جانبيه وأعضاء الجسم مثنية، وخصوصا المرفقين والركبتين. ثم هناك وضعية الاستلقاء أو التمدد على الظهر أو الجانب، وتسمى أيضا بوضعية التمدد، ويكون فيها الميت ممددا على ظهره، أو أحد جانبيه. انظر المراجع التالية:

- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 469 et 477; GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 210-211; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 489.

2- BEN YOUNES H *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 489.

3- Ibidem.

4- FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, p. 321.

5- BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 206.

6- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 476.

7- أعشي(مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، مرجع سابق، ص. 63.

8- CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 173.

9- Id, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 470.

10- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 190.

11- EL-RASHDY F., les pratiques funéraires des Garamantes et leurs relations avec celles d'autres peuples d'Afrique du Nord, p. 108.

أما بالنسبة لوضعية الثني الجانبي، فلم يعثر على دلائل اتباعها بقرطاج وأدروميتوم، بينما انتشرت في معظم المواقع القرطاجية الإفريقية الأخرى، ولا سيّما بأقبية الساحل الشرقي، وبالقبور والمدافن الليبية[1]. كما عُثر على أدلة استعمالها في عدة مواقع بشمال إفريقيا[2]. ولا شك أن اتباع تلك الطريقة يمثل استمرارا لعادات عتيقة، حيث مارسها الإنسان القفصي من خلال القبور على شكل حفر، واستمرت بشمال إفريقيا إلى غاية فترة الاحتلال الروماني[3]، وهناك معطيات تبيّن استمرارها في الصحراء إلى غاية العصر الوسيط[4].

وعلى خلاف وضعيات الدفن السابق ذكرها، والتي تغيب في المدن القديمة التي أشارت المصادر الأدبية إلى استقرار الفينيقيين بها، يلاحظ أن وضعية الاستلقاء على الظهر كانت متبعة بموقعي قرطاج وأدروميتوم كما خلص إلى ذلك عدد من الباحثين[5]. إلا أنها كانت نادرة في باقي مواقع المجال القرطاجي الإفريقي، حيث عثر الأثريون على حالات معدودة في بعض المواقع الساحلية بتونس[6]. ويتبين من خلال التوزيع المجالي لممارسة الدفن بهذه الطريقة أن استعمالها كان محدودا بالساحل الشرقي التونسي، كما تعتبر نادرة بداخل البلاد، حيث تقل بالصروح الميغاليتية كما هو الشأن بالنسبة لمواقعي ثوگا ومغراوة بولاية باجة بالشمال الغربي، وموقع جبل طِبَاقَة شمال غربي قابس بجنوب شرقي تونس[7]. بينما نجد حالات معدودة بقبور بالمغرب والجزائر[8].

1- GSELL S., *HAAN*, T. IV, p. 454; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 489.

2- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 468.

3- Ibidem ; GSELL S., *HAAN*, T.VI, p. 209-210.

4- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 469.

5- LANCEL S., *Carthage*, p. 68-69; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 258; GAUCKLER P., *NP*, T. I, p. 66; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 487.

6- Ibidem ; FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, p. 214; CHÉRIF Z., Découverte fortuite d'une tombe punique à Hammam El Enf, p. 87; FERRON J., La Byzacène à l'époque punique, état actuel des connaissances, p. 41; CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, p. 149; GOBERT E.-G., et CINTAS P., Smirat,, p. 120; BEN YOUNES H., La nécropole punique d'ElHkayma, seconde campagne, septembre 1985, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 49-81, p. 76; FANTAR M.-H., La cité punique de Thapsus, dans *Actes du 2éme congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 59-69, p. 64.

7- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, fig. n° 8, p. 478.

8- Ibid., p. 480.

وبناء على المعطيات المذكورة سابقا، يتضح أن الدفن بوضعية التمدد أو الاستلقاء لم تكن الطريقة المفضلة لدى ساكن المجال القرطاجي الإفريقي بصفة خاصة، وشمال إفريقيا بصفة عامة. ذلك أن استعمالها بقرطاج وأدروميتوم لم يساهم، على الأرجح، في انتشارها بشكل واسع بالمناطق التي يفترض أن يمتد إليها تأثير قرطاج، حيث بقيت محدودة الاستعمال خلال الفترة المسيحية، وإلى غاية دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا القديم[1]، بل يلاحظ أن طريقة الدفن بثني الجثة بقيت متبعة ببعض المناطق في الصحراء إلى غاية العصر الإسلامي[2]. ومن هذا المنطلق اقترحت الدراسات التي اهتمت بالموضوع ضرورة البحث عن أصل أجنبي لهذه الطريقة في الدفن. فقد طرح كسيل عدة مصادر للتأثير، من بينها بلاد الإغريق، أو القورينائية، أو فينيقيا، مرجحا فرضية التأثير الإغريقي[3]. وقد استندت فرضية التأثير الإغريقي على ما ذكره هيرودوتوس من أن الليبيين الرحل كانوا يدفنون موتاهم على الطريقة الإغريقية[4].

أما كامبس، فاعتبر أن مصدر ذلك التأثير لن يكون سوى بلاد فينيقيا مستدلا على رأيه بكونها ممارسة متأخرة زمنيا، وملازمة لمجال التأثير القرطاجي ما دام أن الجهات التي لم يشملها ذلك التأثير لم تعرف الدفن بالتمدد أو الاستلقاء[5]. لقد أقر كامبس أن تلك الطريقة قد لاقت مقاومة بالمجال الإفريقي التابع لقرطاج لأن التحريات أظهرت تعايشها مع طريقة الدفن بالثني في المناطق التي استقر بها الليبيون[6]. في حين قلل الحبيب بن يونس من أهمية فرضية التأثير الفينيقي من منطلق أن ملاحظة التوزيع المجالي لتلك الطريقة في الدفن (قرطاج وأدروميتوم) لا يعد دليلا كافيا للحكم بكونها تأثيرا فينيقيا[7]، وهي فكرة منطقية في نظرنا لأن التحريات بيّنت أن طريقة الدفن بوضعية الاستلقاء الظهري لم تكن مجهولة تماما عند سكان شمال إفريقيا القديم، حيث نجدها في بعض القبور المؤرخة بالعصر القفصي[8]. فإذا كان التأثير

1- Ibidem.
2- GSELL S., *HAAN*, T.VI, p. 216.
3- Ibid, p. 215.
4- HÉRODOTE, *Histoires*, IV, 190.
5- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 477.
6- Ibidem.
7- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 490.
8- CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, p. 173.

الفينيقي في اتباع تلك الطريقة قد مر عبر قرطاج فمن المفروض-على الأقل-أن يشمل المناطق الإفريقية الأكثر قربا من قرطاج، أو التي ثبت تلقيها تأثيرات قرطاجية، وهو ما لم يثبت بعد.

ذلك أن تلك الطريقة في الدفن قد انتشرت في مناطق بعيدة عن قرطاج مثل المغرب والجزائر الشيء الذي يبين هشاشة الربط بين انتشار تلك الممارسة والتأثير الفينيقي، أو حتى القرطاجي. فإذا نظرنا إلى الممارسات الجنائزية بالمناطق الإفريقية الأكثر قربا من قرطاج والملائمة، بحكم طابعها الساحلي، لتلقي التأثيرات الفينيقية أو القرطاجية لوجدنا أن السكان هناك قد اتبعوا بموازاة الدفن بطريقة الثني طريقة الدفن بالاستلقاء الجانبي، وهي طريقة لم يثبت وجودها بقرطاج[1]. ويمكن الحديث من خلال ما سبق أن الدفن بوضعية الاستلقاء تعد طريقة محلية في الدفن مستقلة عن أي تأثير أجنبي[2].

نستخلص من دراستنا لطرق دفن الموتى بقبور المجال القرطاجي الإفريقي أن معظم الممارسات الجنائزية التي كانت سائدة خلال الفترة القرطاجية تجد جذورها في عادات قديمة عند السكان الليبيين والنوميديين استمدوها من ممارسات تعود لما قبل التاريخ. وتوفر هذه المعطيات أيضا فكرة عن العنصر البشري الذي استقر بالمجال الإفريقي الذي تبع لسلطة القرطاجية، وعن الحضارة التي تشبع بها كما يظهر جليا من خلال أشكال العمارة الجنائزية، والطقوس المرتبطة بها.

وفضلا عن طريقة الدفن العادي، دافع كامبس في أبحاثه عن وجود طريقة أخرى في الدفن مارسها سكان شمال إفريقيا القديم، وسماها «الدفن الثانوي»، أو «التجريد». توصل الباحث لهذه الفكرة من خلال ملاحظة تشتت العظام في بعض القبور. وافترض تبعا لذلك أن الجثة قد خضعت لدفن ثانوي في قبر مؤقت، أو من خلال تركها في العراء حتى تتحلل ويُفصل اللحم عن العظام، أو تعريضها لحرق غير تام[3].

لقد وجدت دلائل تلك الممارسة حسب تفسيرات كامبس بمواقع من المجال القرطاجي الإفريقي، سواء في الدولمن (دقة، النفيضة، كدية سلطان، هنشير الحجر، سيدي الهاني، بلاريجيا،

1- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 488.

2- Ibid., p. 490.

3- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, pp. 464-465 et 485-492.

مكثر..)[1]. كما وجدت نفس البقايا التي تحتمل تأويلا مماثلا في بعض الأقبية بالساحل الشرقي التونسي (المهدية والعالية، وربما بسميرات)[2]. علما أن أهم آثار تلك الممارسة الجنائزية توجد بالخصوص في مواقع بالجزائر[3].

لقد اعُتبر الدفن الثانوي طقس جنائزي ليبي عتيق استمر، على ما يبدو، إلى جانب الدفن العادي[4]، خصوصا وأنه ارتبط في الغالب بالصروح الميغاليتية(الدولمن والبازينا)[5] وبالأقبية بالساحل الشرقي التونسي، مقابل انعدامه في قرطاج، وغيابه عند الفينيقيين في الشرق[6]. ومع ذلك، فإن ثمة أكثر من سبب يدفع لعدم الاستعجال في تبني التفسيرات التي قدمها كامبس لوجود العظام المبعثرة، وعلاقتها بطقس الدفن الثانوي أو التجريد، حيث يظل هذا الطقس غامضا في حدود المعلومات الحالية. كما أن وجود العظام المبعثرة، أو غير الكاملة قد يحتمل تفسيرا آخر كما يرى ستيفان كسيل[7]،الذي افترض أن ذلك ناجم عن نبش القبور، أو بفعل دفن متوال في نفس القبر[8]. ومن هنا يبقى من الصعب الحسم في وجود طرق أخرى للدفن إضافة إلى الدفن العادي. وينطبق نفس الغموض على الطقس المرتبط بالدفن عن طريق الترميد.

ب- الترميد:

تستند فرضية ممارسة عادة حرق جثث الموتى[9] من طرف سكان قرطاج على وجه الخصوص إلى مجموعة من النصوص التاريخية. فقد روى جوستينوس أن الملك الفارسي

1- Ibid., fig. n° 9, p. 482 ; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 146; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 148.

2- Ibid., p. 494.

3- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 133.

4- KRANDEL-BEN YOUNES A., La nécropole rurale de Thigibba Bure (Djebba), p. 188; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 496.

5- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 133.

6- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 496.

7- GSELL S., *HAAN*, T.I, p. 273.

8- Ibid, T. VI, p. 212.

9- يُقصد بالترميد حرق جثث الموتى بالكامل لتتحول إلى رماد يوضع في مرمدات توضع بدورها بداخل القبر. وقد ميزه الباحثون عن الحرق غير التام الذي يعد جزءا من الدفن الثانوي. انظر بهذا الخصوص:

- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 501.

داريوس (القرن 5 ق.م) قد أرسل بعثة إلى قرطاج تحث القرطاجيين على ترك عدد من الممارسات من بينها حرق جثث موتاهم[1]. كما أخبرنا ديودوروس الصقلي بأن الرومان قاموا حوالي 250 ق.م بحرق جثة أسير قرطاجي بعد أن مات عندهم[2]. كما تحدث أبيانوس عن تخلي القائد القرطاجي أسدربعل عن حرق جثث القتلى من جنوده بسبب عدم توفر ما يكفي من الأخشاب، وذلك إثر هزيمته أمام مسنيسا[3].

اعتُبرت بقايا العظام المحروقة، التي عثر عليها بقبور قرطاج، دليلا ماديا على ممارسة حرق الموتى بقرطاج، حيث اكتشفت في الموقع بقايا مرمدات عبارة عن أواني صغيرة من الخزف، أو الحجارة، أو جرار وجدت فيها عظام محروقة. أرخت تلك البقايا بتاريخ القبور التي وجدت بها(القرنين 7 و6 ق.م). علما أن معظمها ينتمي إلى القرنين 5 و4 ق.م[4]. وقد افترض الباحثون، الذين قدموا هذا التأويل، أن تلك البقايا تبين أن ممارسة هذا الطقس في قرطاج شكلت الاستثناء في مقابل القاعدة التي هي الدفن بالطريقة العادية[5].

أما خارج قرطاج، فقد اكتشفت بقايا مماثلة فُسّرت بممارسة عادة حرق جثث الموتى، ولا سيّما في بعض أقبية الساحل الشرقي التونسي[6]، وبقبور رأس بون[7]. ومع إدراك التحفظات

1- يبدو أن المقصود من نص جوستينوس هي عادة تقديم القرابين البشرية عن طريق الحرق:
- JUSTIN, XIX, 1.

2- DIODORE DE SICILE, *BH*, XXIV (fragments), Excerpt de Vert., p. 566.

3- APPIAN, *PW*, VIII, 73.

4- LANCEL S., *Carthage*, p. 66-67; FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique*, p. 11; BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, p. 327-331; GSELL S., *HAAN*, T.IV, p. 444.

5- FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique*, p. 11; SOREIN D., et autres, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, p. 179.

6- من بين تلك المواقع نذكر: سميرات، كورزا، أدروميتوم، لمطة الصغرى،الحكايمة، ثابسوس، سيدي الهاني، هنشير العالية، المهدية: يمكن ملاحظة ذلك في كل موقع على حدة من خلال الأبحاث التالية:
- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques,* p. 492; id, 1986, La nécropole punique d'El-Hkayma, p. 45 et 49; id, 1988, La nécropole punique d'El-Hkaym, p. 56; id, Rapport sur la campagne de fouilles effectuées dans la grande nécropole punique de Mehdia octobre-novembre 1982, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 23-61, p. 37; BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, p. 149; FERRON J., La Byzacène à l'époque punique, état actuel des connaissances, p. 41; BEDOUI H., BEN YOUNES H., et DUTOUR O., Études anthropologiques préliminaire d'une population antique du Sahel de la Tunisie (cas de le nécropole d'Echat et de Zbidi-Ras Dimas, Thapsus), dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 1-12, p. 2.

7- CHÉRIF Z., Découverte fortuite d'une tombe punique à Hammam El Enf, p. 86 ; BEN YOUNES H., et GHAKI M., Sahel, p. 266.

التي يجب إبداؤها فيما يخص ربط كل البقايا بممارسة عادة الحرق بالنظر للشكوك المثارة بالنسبة لبعض اللقى، فإنه إذا سلمنا بصحة التأويلات التي قُدِّمت لوجدنا أن الأمر لا يتعلق بممارسة شائعة، وإنما بطقس محدود الانتشار في المناطق المذكورة سابقا. في حين تقل البقايا التي يمكن إدراجها في إطار نفس الممارسة في القبور الليبية، وخصوصا تلك التي تقع بداخل البلاد (مكثر مثلا)[1].

لجأ بعض الباحثين أمام غموض البقايا المادية في الشرق الفينيقي، والتي يمكن أن تبرر الحديث عن انتقال عادة الترميد إلى قرطاج، إلى طرح فرضية التأثير الإغريقي، سواء بشكل مباشر[2]، أو عبر شعب آخر اتصل بالإغريق وتأثر بعاداتهم الجنائزية مثل سكان جنوب إيطاليا[3]، أو القبارصة الذين قدِموا رفقة عليسا إلى إفريقيا[4]، أو الفينيقيين الذين ارتبطوا مع الإغريق بعلاقات تجارية[5]. واستند باحثون آخرون لتبرير فرضية التأثير الإغريقي إلى المعطى الكرونولوجي المتمثل في كون معظم آثار الترميد بقرطاج متأخرة زمنيا (القرن 4 ق.م)، أي أنها تزامن الفترة الهلينية التي يفترضون أن قرطاج تلقت خلالها تأثيرات إغريقية قوية[6].

كما تم ترجيح كفة التأثير الإغريقي من خلال إنكار ممارسة نفس العادة الجنائزية من طرف الليبيين القدامى منذ فترات أقدم، حيث تم اكتشاف آثار تلك الممارسات في بعض مواقع ما قبيل التاريخ بالجزء الغربي لشمال إفريقيا- وربما أقدم من ذلك كما سنبين لاحقا. ولتسويغ التأثير الإغريقي ثم استبعاد معطيات الجزء الغربي لشمال إفريقيا القديم في دراسة عادة الترميد بالجزء الشرقي الذي وجدت به أكثر البقايا للاستنتاج بأن انتشار تلك الممارسة بهذا المجال الأخير قد تم إما بتأثير إغريقي أو فينيقي[7].

1- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, fig. n° 12, p. 502; BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 494.
2- CINTAS P., *Céramique punique*, p. 568.
3- Ibidem.
4- PIGANIOL A., *La conquête romaine*, p. 42.
5- CINTAS P., *MAP*, T. II, p. 291.
6- LEGLAY M., Nouveautés puniques, dans *Rev. Afr.*, T. XCVI, 3è et 4è Trimestre 1952, pp. 399-415, p. 409.
7- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 503-504.

يجب الإقرار بأن التأثير الإغريقي في نشر عادة الترميد يبقى مجرد فرضية لا نملك بصددها نصوصا صريحة في المصادر الأدبية التي تحدثت عن علاقة الإغريق بسكان الجزء الشرقي لشمال إفريقيا، وخصوصا كتابات هيرودوتوس. لذلك فالتأثير الفينيقي يمثل الفرضية الأقرب التي ينبغي بحثها في هذا المضمار. لقد كشفت الأبحاث الأثرية عن بقايا مادية تؤكد قدم تلك الممارسة عند الفينيقيين في الشرق، حيث أرخت تلك البقايا بالألف الأول ق.م[1]. تنضاف إلى ذلك بقايا الترميد في المراكز الفينيقية بغرب البحر الأبيض المتوسط، والتي اعتُبرت بمثابة دليل على أن الفينيقيين هم من أدخل تلك الممارسة إلى المجال المتوسطي، بما في ذلك شمال إفريقيا القديم[2]. وهناك من سعى لترجيح فرضية التأثير الفينيقي مستدلا على ذلك بكثرة بقايا الترميد بقرطاج وأدروميتوم مقابل ندرته في أقبية الساحل الشرقي التونسي والقبور الليبية، أي في البلاد التابعة لقرطاج التي استوطنها الليبيون والنوميديون[3].

غير أن ممارسة الفينيقيين لعادة الحرق الكامل حسب ما يستفاد من بقايا العظام المحروقة لا يعني إلغاء فرضية ممارسة الترميد محليا من خلال البحث أيضا في الجذور المحلية لتلك الممارسة. فرغم الشكوك التي تحوم حول بقايا مغارة تيفريت ببلدية عين سلطان التابعة لولاية سعيدة بغرب الجزائر، التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، ودولمن العين الصفراء بالجنوب الوهراني بالجزائر كذلك[4]، وهو الشك الذي يمكن تعميمه على بقايا العظام المحروقة في كل المواقع الأخرى بما في ذلك موقعي قرطاج وأدروميتوم، فإن حديث أسطورة الأمازونات عن حرق الأميرة ميرينا *(Myrina)* لجثث الجنديات القتيلات[5] يعطي فكرة تعزز تلك البقايا المادية التي توحي بقدم تلك الممارسة عند الليبيين أيضا.

ينضاف إلى ذلك أيضا أنه إذا كان التأثير فينيقيا، ويفترض أن يمر عبر قرطاج، ويدخل بالتالي ضمن مظاهر تأثير المدينة على جوارها الإفريقي، فإن العكس يبدو واضحا على الأقل من خلال المعطيات المتوفرة لحد الآن. فبالإضافة إلى قلة البقايا بمناطق خضعت مباشرة للسلطة القرطاجية، يلاحظ أن المجال النوميدي الذي تلقى تأثيرات قرطاجية مهمة قد بقي

1- كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص. 295.

2- GRAS M., et autres, *L'univers phénicien*, p. 198-199.

3- BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, p. 494.

4- CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, p. 145 ; GSELL S., *HAAN*, T.I, p. 273.

5- DIODORE DE SICILE, *BH*, III, 54.

بمعزل عن تلك الممارسة كما يتضح من ندرة البقايا بمواقع ذلك المجال، وانتماء البقايا التي عثر عليها إلى فترات متأخرة(ق. 2 ق.م)[1]. ويسجل نفس الشيء بمواقع البلاد النوميدية غير التابعة لقرطاج[2]، والتي يُفترض أن يكون فيها التأثير القرطاجي أقوى- حيث يتضح من التحريات الأثرية أن العكس هو الحاصل، إذ أن بقايا الترميد تكثر في غرب الجزائر، وليس في شرقها[3].

إذن، هناك صعوبة في فهم مصدر التأثير في ممارسة الليبيين للترميد، ولا يبدو أن الطرح التلقائي لفرضية تأثير قرطاج يبدو مجديا، مثلما لا نرى أن تفسير كامبس للتناقض المشار إليه سابقا يعد صائبا من خلال الاعتقاد بأن كثرة بقايا الترميد في غرب الجزائر مرتبط بممارسة جد قديمة في الجزء الغربي لشمال إفريقيا في مقابل إرجاع بقايا الجزء الشرقي لشمال إفريقيا إلى تأثير تم عبر قرطاج لأن سكان تلك المنطقة لم يمارسوا الترميد وفق منظور كامبس الذي قام على وجود تفاوتات مجالية تطبع حضارة شمال إفريقيا القديم[4]. لكن، ألا يمكن افتراض أن تلك الممارسة كانت معروفة عند سكان شمال إفريقيا القديم بمعزل عن أي تأثير أجنبي، لكنها لم تكن تحظى بنفس الإقبال من طرف جميع سكان المنطقة بحكم تنوع العادات الجنائزية؟ هل انتظر سكان الجزء الشرقي مجيء الفينيقيين للتأثر بعادة قديمة في الجزء الغربي لشمال إفريقيا؟

يجب الإقرار بصعوبة إيجاد أجوبة مقنعة للأسئلة المطروحة أعلاه. لكن، إذا كان هناك تأثير، فمن المفروض أن يتم أولا بين مناطق شمال إفريقيا القديم، حيث توجد أواصر دينية واجتماعية أقوى بين سكانه. ومن هذا المنطلق لا نستبعد أن تكون ممارسة الترميد عادة جنائزية قديمة لم تعرف إقبالا كبيرا عند السكان الليبيين بشمال إفريقيا القديم، وهي نفس الفكرة التي سبق أن طرحها مرلان *(Merlin)* منذ 1918 دون أن يقدم أدلة كافية بسبب قلة الأبحاث الأثرية وقتئذ[5].

نستنتج من دراستنا للعمارة الجنائزية وطرق الدفن والعادات الجنائزية بالمجال القرطاجي الإفريقي أن ذلك المجال عرف تنوعا في الطقوس الجنائزية (انظر الجدول رقم

1- GSELL S., *HAAN*, T. VI, p. 216.
2- CAMPS G., Réflexions sur la pénétration de la civilisation punique en Numidie, p. 9.
3- Id, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 465.
4- CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, p. 504.
5- MERLIN A., Tombeaux de la colline dite de Junon, dans *BAC*, 1918, pp. 288-312 passim.

10)، وتأثرا أقل بالممارسات التي كانت سائدة بمدينة قرطاج بشكل عكس تشبث السكان المحليين بالموروث الجنائزي العتيق باعتباره جانبا مهما من حضارتهم العائدة إلى حقبة ما قبل التاريخ، بحيث يمكن اعتبار الممارسات الجنائزية مظهرا من مظاهر استمرارية الحضارة المحلية خلال الفترة القرطاجية.

خلاصة:

في ختام دراستنا للعقائد والمعبودات والعمارة والطقوس الجنائزية بالمجال الإفريقي الذي أشرفت عليه قرطاج يمكننا إبداء الملاحظات التالية على ضوء مراجعة الآراء التي تبلورت حول العقائد الدينية بالمجال القرطاجي الإفريقي:

أولا: يتبين من خلال دراسة بعض جوانب الفكر الديني بالمجال القرطاجي الإفريقي أن هنالك ضرورة لمراجعة الرأي الذي ينسب، بشكل مبالغ فيه، مجموع عناصر الفكر الديني بذلك المجال للفينيقيين، وذلك من خلال استحضار الأساس الديني والميثولوجي المحلي المتمثل في العقائد والمعبودات الليبية التي تبلورت بالمنطقة منذ فترات سابقة على اتصال المحليين بالمهاجرين الفينيقيين، واستمرت خلال الفترة القرطاجية. لقد ظل هذا الأمر مغيبا في الدراسات التي اهتمت بدراسة الديانة بقرطاج ومجالها الإفريقي بفعل التركيز على المعطيات الخاصة بموقع قرطاج دون سواه. لقد قاد هذا التناول إلى تكوين فكرة عامة تجعل من الدين الذي تبلور بقرطاج ومجالها الإفريقي دينا فينيقيا خالصا، أو إغريقيا، دون أن ترى إمكانية لوجود أساس محلي من عقائد السكان الليبيين والنوميديين الذين خضعوا للحكم أو للتأثير القرطاجي، ولو بالتساؤل عن مصير الأرباب التي عبدها هؤلاء السكان قبل اتصالهم بالفينيقيين، بل وتفترض أنهم تخلوا عن معبوداتهم بمجرد وصول الفينيقيين إلى المنطقة لتحل محلها الأرباب الفينيقية الوافدة على الأرض الإفريقية.

ثانيا: ينبغي الحرص عند دراسة أصول الأرباب والطقوس الدينية المرتبطة بها بالمناطق التي خضعت لقرطاج على ضرورة استحضار عامل التطور والتفاعل الذي من المنطقي أن يحصل بين العقائد المحلية الأصلية بالمجال الإفريقي وتلك الوافدة عليه، والذي دام ما يربو عن ستة قرون. وهذا ما يتضح من التغييرات التي مست بعض العبادات، وظهور أخرى لم تكن معروفة في الشرق الفينيقي، الأمر الذي يستوجب النظر إلى بعض المظاهر الدينية، التي تبدو اليوم مستعصية على الفهم-رغم الإغراء الذي أصبحت تمثله الفرضيات التي تركن

إلى الحل السهل المتمثل في اعتبارها أجنبية بالضرورة- من زاوية التفاعل الذي حصل على الأرض الإفريقية بالشكل الذي يتلافى تصوير السكان المحليين بالمجال القرطاجي الإفريقي، أو أولئك الذين ولدوا من مصاهرات مع الوافدين الفينيقيين كمجرد مستقبلين للتأثيرات الدينية الوافدة مجرّدين من أي أساس موروث من الأفكار والعقائد الدينية. ويتضح مما سبق أيضا عدم دقة إسقاط معطيات موقع قرطاج، سواء في الوثائق الأثرية، أو النصوص القديمة على باقي مناطق البلاد الإفريقية التي امتد إليها الحكم القرطاجي، حيث لا يمكن الادعاء بأن ما بحوزتنا من الوثائق يعد كافيا لفهم الأفكار الدينية التي سادت بالمجال الإفريقي خلال الفترة القرطاجية، والحسم في أصل العقائد والمعبودات التي وُجدت بذلك المجال. إن التريث في هذا الجانب أهم بكثير من التسرع بنسب عناصر الديانة خلال الفترة القرطاجية لهذا المصدر الأجنبي أو ذاك دون دليل مقنع.

لقد قدمت الوثائق الأثرية والنصوص القديمة التي درسناها ما يثبت استمرار عبادة عدد من الأرباب الليبية القديمة خلال الفترة القرطاجية. ويرجح أن عبادة تانيت وبعل حمون تمثل ظاهرة دينية مرتبطة بشمال إفريقيا القديم أكثر من أي مجال آخر، وتعكس ذلك التلاقي الذي حصل بين معتقدات الفينيقيين والليبيين. وتؤكد نماذج أخرى وجود أساس محلي في الديانة البونية التي اتسمت بالتنوع كما يتضح من كثرة الأرباب. ولا يستبعد أن تأثير الأساس الديني المحلي كان أقوى مما توحي به الوثائق القليلة التي بحوزتنا، خصوصا وأن أهم معطياتنا تخص سكان مدينة قرطاج مقابل قلة الوثائق الأثرية والنصوص القديمة التي تهم المواقع الإفريقية الأخرى. ومن هنا ينبغي استحضار غياب الوثائق المحلية التي يمكن أن تعكس معتقدات سكان ذلك المجال بسبب ضعف إفادات النقائش الليبية فيما يخص الجانب الديني.

ويتضح أن تأثير الديانة الإغريقية في معتقدات سكان المجال القرطاجي الإفريقي كان ضعيفا على خلاف النظريات التي تبالغ في تقييم التأثير الإغريقي لدرجة الحديث عن هلينة الديانة البونية. وبالمقابل لا نستبعد، على ضوء المعطيات التي بسطناها، تأثر سكان المجال القرطاجي الإفريقي ببعض العبادات المصرية بحكم قد الصلات الحضارية بين الليبيين والمصريين من جهة، وبين الفينيقيين والمصريين من جهة أخرى، واستمرارها أيضا خلال الفترة القرطاجية. إلا أنه يمكن الاستنتاج على ضوء معطيات نقائش قرطاج بأن القرطاجيين لم يتأثروا،

ربما، سوى بجزء محدود من العقائد المصرية، ولا سيّما تلك المرتبطة بالسحر، هذا مع الإقرار بأن تلك المعطيات لا تكفي لاعتبار هذا الرأي حاسما.

وتسمح المعطيات النقائشية والأثرية بتأكيد قوة تأثير العبادات الفينيقية في مدينة قرطاج بالخصوص، إذ نتوفر على معطيات أكيدة تثبت عبادة أرباب فينيقية بالمدينة. ولا نشك بأن الفينيقيين الذين استقروا بالموقع قد أدخلوا عددا من الأرباب إلى قرطاج، وربما إلى مناطق أخرى من المجال الإفريقي. وهذا يعني استمرار ذوي الأصول الفينيقية في الإخلاص للأرباب الفينيقية بالرغم من مولدهم الإفريقي واختلاطهم بالسكان الليبيين والنوميديين. ورغم ذلك ينبغي توخي الحذر من إسقاط ما كان سائدا بقرطاج، وربما ببعض المدن الأخرى التي قدم إليها مهاجرون فينيقيون، على باقي البلاد الإفريقية التي ظلت عدد من مناطقها بمعزل عن تأثير قرطاج. ذلك أن دراستنا لأرباب المجال القرطاجي الإفريقي من خلال المعطيات المتوفرة لحد الآن تكشف أن معبودات ذلك المجال تختلف في نواح كثيرة عن الأرباب التي انتشرت عبادتها في المدن الفينيقية، وهو ما يمكن ملاحظته من غياب عدد من الأرباب الفينيقية الكبيرة بالمجال الإفريقي لقرطاج.

ينضاف إلى ذلك غياب ما يستدل به على تأثر القرطاجيين والأفارقة بالأساطير الدينية الفينيقية، إذ لا نجد ذكرا لأساطير الخلق وميلاد الأرباب التي تداولها الفينيقيون، وخلدوها بطقوس دينية منظمة. كما لم تحظ الأرباب التي حظيت بمكانة رفيعة في الشرق الفينيقي بنفس الأهمية في المجال القرطاجي الإفريقي، حيث لم تكن أربابا رئيسية بإفريقيا في حين تقوت مكانة أرباب أخرى لم يثبت بعد بدلائل كافية أصلها الفينيقي مثل بعل حمون. ومن هذا المنطلق يمكن الحديث عن خصوصيات العقائد التي سادت بالمجال القرطاجي الإفريقي مقارنة بالشرق الفينيقي، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بالتطورات التي حصلت بإفريقيا، وما زالت الوثائق لا تسعفنا للأسف لفهم أسرارها. ولذلك فرغم ثبوت إدخال عبادات فينيقية، فلا شيء يسمح بإصدار الحكم العام الذي مفاده أن ديانة سكان المجال القرطاجي الإفريقي، بما في ذلك قرطاج، كانت فينيقية خالصة. ويتطلب هذا الأمر إعادة النظر في بعض الأحكام المسبقة التي ألغت عوامل الزمان والمكان التي ساهمت، على الأرجح، في بلورة الخصوصيات التي ميزت عقائد سكان قرطاج ومجالها الإفريقي.

لقد وفرت معطيات العمارة الدينية والجنائزية معلومات قيمة تعزز ما خلصنا إليه، رغم إهمالها في الدراسات التي تناولت الموضوع. لقد اتضح أن السكان الليبيين بالمجال القرطاجي الإفريقي حافظوا على عادة بناء الأضرحة للأغراض الدينية والجنائزية المتمثلة في تخليد ذكرى قادتهم، وربما تخصيص عبادات على شرفهم. كما اتسمت العمارة الجنائزية بالمجال الإفريقي بطابع التنوع. ففضلا عن استمرار استعمال القبور والمدافن الليبية كالحوانيت، والدولمن، والتملوس أو البازينا، فقد تم استعمال قبور حفرت أو بنيت على الطراز الفينيقي مثل القبر ذو الجب في قرطاج وأدروميتوم بالخصوص. ولا نستبعد حصول تطور في العمارة الجنائزية من خلال تلاقي عناصر ليبية وفينيقية أدت على الأرجح إلى ظهور أنواع جديدة من القبور يصعب الحسم في أصلها مثل الأقبية والقبور المبنية.

لقد أعطتنا الطقوس الجنائزية المرتبطة بطرق الدفن ووضع الجثث في القبور فكرة قيمة عن أصل تلك الطقوس، ومكنتنا من التوفر على معلومات مهمة حول العنصر البشري الذي استوطن المناطق المجاورة لتلك لقبور. فإذا استثنينا طريقة الدفن بالاستلقاء الظهري التي انتشرت خلال الفترة القرطاجية في قرطاج وأدروميتوم، وكانت نادرة الاستعمال من طرف الليبيين منذ ما قبل اتصالهم بالفينيقيين، فإن الدلائل الأثرية تبرهن على أن سكان معظم البلاد الإفريقية كانوا من الليبيين، وأنهم واظبوا على اتباع الطقوس الجنائزية التي مارسها أجدادهم منذ فترات جد قديمة من خلال ثني الجثث، واستعمال الصباغة الجنائزية، وعدم تحنيط الجثث على خلاف الفينيقيين. ويمكن القول بأن وجود ما يسمى بالدفن الثانوي، أو التجريد بالمنطقة يبقى أمرا قابلا للنقاش. علما أن تلك الممارسة تمت، على الأرجح، بمعزل عن التأثير الأجنبي بحكم تسجيل نفس المعطيات في قبور محلية تنتمي لما قبل التاريخ. ويظهر أن الليبيين قد عرفوا عادة حرق الجثث قبل اتصالهم بالفينيقيين، وبالمقابل لا نمتلك معطيات كافية تنسب لهؤلاء الأخيرين دورا في نشرها. وبالجملة، يمكن القول أن المعطيات الخاصة بالطقوس الجنائزية بالمواقع القرطاجية الإفريقية تشكل أساسا جيدا لتطوير البحث في العنصر البشري الذي بنى الحضارة التي سادت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا خلال الفترة القرطاجية.

خلاصات عامة:

إن أهم ما يمكن التوقف عنده في ختام هذه الدراسة هو أن البحث في إشكالية المحلي والوافد في الحضارة قرطاجية البونية يمثل اتجاها واعدا في مسار كتابة تاريخ شمال إفريقيا القديم، يجب السير على منواله وترسيخه. وذلك بقصد إزالة الكثير من جوانب اللبس والأحكام المتسرعة التي اعترت الأبحاث الأثرية والتاريخية التي تصدى لها في البداية الرعيل الأول من الباحثون الأوروبيين. فإذا كانت إشكالية الوافد أو الأجنبي قد حازت القسط الأوفر من اهتمام كتبة تاريخنا القديم. إن النتائج التمهيدية لهذه الدراسة تمثل، في تكاملها مع الكثير من الدراسات الجزئية التي شكلت مادة بيبليوغرافية لهذا العمل، مساهمة أولية في دراسة التاريخ المحلي لشمال إفريقيا القديم من منظور شمولي يتجاوز التاريخ القُطري القائم على دراسة تاريخ المنطقة القديم وفق التقسيم الحدودي لما بعد الاستعمار.

ومن زاوية الجانب المحلي من تاريخ شمال إفريقيا القديم حاولنا تقييم مساهمة الكتلة البشرية المحلية الهائلة، التي استوطنت شمال إفريقيا عموما والمجال القرطاجي خصوصا، في الحضارة التي نمت وتطورت على مجال استوطنه السكان المحليون منذ فترات سابقة على الاتصال بالشعوب الوافدة من مختلف أنحاء الضفة المتوسطية. إن القرائن التي احتوتها هذه الدراسة تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن السكان المحليين بالمجال القرطاجي لإفريقي، لم يكونوا مجرد شهود ومتفرجين متابعين لأطوار انبثاق وازدهار الحضارة القرطاجية بالأرض الإفريقية، بل لقد كانوا فاعلين في تلك الحضارة تأثيرا وتأثرا، وفي عدة جوانب حضارية.

لقد سمحت دراسة الإطار المجالي للكيان القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم بتتبع التطورات التاريخية التي أحاطت بتكوين ما أسميناه ب «المجال القرطاجي الإفريقي»، والذي نقصد به المناطق التي خضعت للسيطرة القرطاجية المباشرة. لقد اتضح أن المجال السياسي الذي شكلته قرطاج قد اتسع بشكل تدريجي، وعرف عدة تغييرات حسب تطورات تاريخ قرطاج ككيان سياسي. وينطوي البحث في الفترة المبكرة من تاريخ قرطاج على أهمية بالغة لأن من شأن ذلك تسليط الأضواء على ظروف تطور المدينة، والمصير الإفريقي الذي آلت إليه على خلاف باقي المراكز الفينيقية التي أنشأها البحارة الفينيقيون بسواحل حوض البحر الأبيض المتوسط. كما يساعد على تتبع نهوض قرطاج منذ الفترة العتيقة على فهم ملابسات ظاهرة التوسع القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، وتحديد المجال

الإفريقي الذي خضع للحكم القرطاجي، واعتملت فيه مظاهر الحضارة المسماة «قرطاجية»، أو «بونية».

اتضح من خلال مقاربتنا لهذا الجانب أن العوامل الطبيعية، والبشرية، والحضارية للمجال الإفريقي قد ساهمت بدور كبير في تطور قرطاج، وأعطت لهذه المدينة الفينيقية المنشأ مصيرا مختلفا عما يمكن أن يؤول إليه المركز التجاري الفينيقي بمواصفاته التجارية المعروفة. ولعل من أبرز تلك العوامل نذكر الموقع الجغرافي، والارتباط بالأرض الإفريقية، ومحاولة التوسع بالمجال المحلي، والاستفادة من مؤهلاته الاقتصادية، والبشرية. ولعل هذه الأسس المحلية التي استند إليها فينيقيو قرطاج هي التي تفسر لماذا سارت قرطاج، على غير عادة الفينيقيين، سواء في موطنهم على الساحل الفينيقي، أو في مراكزهم التجارية بضفاف غرب البحر الأبيض المتوسط. إن المجال الإفريقي هو ما أعطى لقرطاج تجربة حضارية مختلفة، سواء عن مدن الوطن الأم بفينيقيا، أو باقي المراكز التي أنشأها الفينيقيون على ضفاف البحر الأبيض المتوسط.

كما نستخلص من دراستنا أيضا أن نهوض قرطاج خلال فترة وجيزة، وخروجها إلى البحر الأبيض المتوسط منذ القرن 7 ق.م للدفاع عن مصالحها التجارية، والشروع في التوسع على حساب الجوار الإفريقي-على الأقل منذ القرن 6 ق.م- يفسر إلى حد ما بمزايا المجال الإفريقي أكثر مما يرتبط بأوضاع الشرق الفينيقي بما يفيد أن قرطاج قد استمدت قوتها بالأساس من مجالها المحلي إفريقيا. لقد استنتجنا على ضوء المعطيات الأدبية والأثرية أن استنبات مدينة صغيرة بحجم قرطاج في بداية التأسيس، ثم انفتاحها، واستمرارها، ثم توسعها لاحقا على حساب مجال إفريقي شاسع يتصل اتصالا وثيقا بعوامل محلية تختزلها التطورات الداخلية التي حدثت بالمدينة في علاقتها بمجالها الإفريقي. ولعل ما يزكي ذلك أننا لم نجد في الوثائق المدروسة ما يسمح بافتراض تبعية المدينة منذ الفترة المبكرة لسلطة مدينة صور بفينيقيا، حيث أن فينيقيي قرطاج قد اختاروا منذ البداية الانغراس في تربة الأرض الإفريقية.

ويتضح بناء على مقاربتنا لموضوع المجال الإفريقي الذي خضع لسلطة قرطاج، أن هذه الأخيرة قد سارعت منذ فترة مبكرة من تاريخها إلى التوسع بالمجال الإفريقي. وذلك على الأقل منذ القرن 6 ق.م على خلاف الآراء التي ربطت ذلك بحدث هزيمة هيميرا في صقلية سنة 480 ق.م. كما يستفاد من الدراسة المعمقة للنفوذ القرطاجي بالجزء الشرقي لشمال

إفريقيا أن سيطرة قرطاج لم تقتصر مثلما صوّرت لنا ذلك الكثير من الدراسات على مجال ساحلي ضيق لا يتعدى جزءا محدودا من البلاد التونسية الحالية. لقد امتدت تلك السيطرة، في الواقع، لتشمل مجالا أوسع من المجال الذي حددته الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب، وجعلته مقصورا على المناطق القريبة من المدينة. لقد راقبت قرطاج، حسبما توصلنا إليه في هذه الدراسة، مجالا شاسعا يمتد من هيبو ريغيوس(عنابة) بشرق الجزائر إلى مذابح فيلان بالسرت الكبرى ضاما باتجاه داخل الأراضي جزءا من البلاد النوميدية بوسط وغرب تونس، بالإضافة إلى الشريط الساحلي الممتد بين السرت الكبرى و الصغرى.

وأما فيما يخص المعطى البشري الذي صنع الحضارة القرطاجية، فيستفاد من خلال تمحيص معلومات النصوص القديمة، ومعطيات المصادر الأثرية، والنقائشية، والأعلامية، والأنثروبولوجية أن مدينة قرطاج بالخصوص قد شهدت طيلة تاريخها استقرار عناصر فينيقية، كما قدمت إليها أيضا عناصر أجنبية أخرى إما بغرض التجارة، أو بدافع الارتزاق الذي ميز الجيش القرطاجي. لكن الموقع تميز أيضا باستقرار السكان المحليين من الليبيين والنوميديين الذين شملهم الحكم القرطاجي. وذلك منذ الفترة المبكرة من تاريخ المدينة كما تبين لنا ذلك من خلال عدة معطيات مادية، الشيء الذي يجعل الحديث عن مدينة فينيقية خالصة أطروحة متجاوزة في حدود المعطيات الحالية للبحث. أما بالنسبة لباقي مدن ومواقع المجال الإفريقي التابع لقرطاج، فإننا لم نجد في المعطيات المتوفرة لحد الآن ما يستدل به على الأطروحة التي تنبني على افتراض قيام هجرات فينيقية كثيفة ومنظمة بشكل سمح باستيطان فينيقي واسع للمنطقة.

فإذا كانت القرائن التاريخية المتمثلة في استقرار العنصر الفينيقي بمدينة قرطاج، والإغراء الذي أصبح يمثله الازدهار التجاري للمدينة تمثل عوامل موضوعية لافتراض قدوم الفينيقيين إلى المنطقة، وهو أمر تزكيه المعطيات الأدبية والأثرية، فإن الأخيرة ليست كافية للبرهنة على استقرار الفينيقيين بأعداد ضخمة بسواحل المجال القرطاجي الإفريقي. فلا نستطيع في حدود الوضعية الحالية للبحث معرفة الحجم الحقيقي الذي اتخذه ذلك الانتشار نظرا للغموض الذي يلف موضوع الهجرات الفينيقية ككل في النصوص التاريخية، وانعدام معلومات موثوقة وكافية في باقي الوثائق المادية. وعلى خلاف ذلك، فإن النصوص القديمة، والمعطيات الأثرية، والنقائشية، والأعلامية، والأنثروبولوجية تتكامل فيما بينها لتعطي فكرة

واضحة عن انتشار العنصر المحلي الليبي والنوميدي بالمجال الذي صار تابعا لقرطاج، وذلك منذ فترات جد قديمة. ولذلك، فإن قرطاج قد وجدت نفسها أمام كتلة هائلة من السكان المحليين المستقرين بالمناطق الإفريقية التي توسعت بها. ولا شك أن استقرار العنصرين الفينيقي والليبي والنوميدي جنبا إلى جنب في بعض المواقع قد أسفر عن اختلاط الدم الفينيقي بالدم الليبي النوميدي من خلال مصاهرات سجلتها لنا النصوص التاريخية وأكدتها الوثائق الأثرية، وهو الأمر الذي يلاحظ بالخصوص في موقع قرطاج. وإجمالا، يتعين أن نأخذ بعين الاعتبار عند دراسة الحضارة القرطاجية دور المعطى البشري للمجال الذي خضع لقرطاج، والذي يختزل ما نسميه «حضارة» باعتباره من العوامل المحلية المؤثرة في حضارة المنطقة.

أما فيما يخص دراسة تيمتي المحلي والوافد في مجال اللغة بالمجال القرطاجي الإفريقي، فقد خلصنا من خلال دراسة اللغة البونية بإفريقيا إلى ملاحظة عدد من القواسم المشتركة بينها وبين اللغة الفينيقية في الشرق. بيد أن معطياتنا الحالية لا تكفي لإصدار رأي نهائي مدعوم بوثائق علمية رصينة من شأنها أن تثبت بأن اللغة البونية بإفريقيا هي نفسها اللغة التي تكلم بها الفينيقيون في موطنهم بالساحل اللبناني. وباستثناء السياق التاريخي العام، فليس لدينا ما نبرهن به على أن تلك اللغة قد ظلت طيلة تداولها بالمجال الإفريقي لغة فينيقية خالصة محتفظة بكامل عناصرها اللغوية والصواتية مثلما كانت عليه بفينيقيا قبل هجرة الفينيقيين إلى قرطاج ومجالها الإفريقي. ويرجح على ضوء معطيات جزئية أن اللغة التي أدخلها الفينيقيون، وتكلم بها المهاجرون الأوائل، قد خضعت لتغييرات هامة بسبب تداولها بالأرض الإفريقية. لكن إذا كانت تلك التحويرات واضحة على المستوى الصواتي كما يظهر من الوثائق البونية، فإنه يصعب الحسم في المدى الذي وصلت إليه دينامية التطور اللغوي الداخلي للغة الوافدة في باقي عناصر اللغة. والراجح أن ذلك التفاعل ربما كان أكثر عمقا في لهجات التداول اليومي التي تغيب عنا عناصرها اللغوية على عكس اللغة التي استُعملت في كتابة الوثائق الرسمية والإدارية.

لقد سمحت المعطيات التي اعتمدنا عليها لدراسة التأثير الأجنبي والأساس المحلي في مجال الكتابة بالمجال القرطاجي الإفريقي بالتأكيد على الطابع النسبي للأطروحة التي ربطت استعمال الكتابة في شمال إفريقيا عموما بتأثير الأبجدية الفينيقية. لقد اتضح من خلال المعطيات التي أمدتنا بها مجموع وثائق المجال الشمال إفريقي والصحراوي أن سكان

المنطقة قد طوروا أشكالا ورموزا مهدت لاستعمال الكتابة بشكل مستقل، وسابق على استقرار الفينيقيين ببعض المناطق الساحلية في سياقات لا تزال غامضة لحد الآن. لقد أدخل الفينيقيون الحروف الفينيقية إلى المنطقة، حيث يتضح أن الخط البوني بشمال إفريقيا يستمد جذوره من الكتابة الفينيقية العتيقة، لكن حروف تلك الكتابة الوافدة خضعت بإفريقيا لتغييرات مورفلوجية هامة خلال الفترة القرطاجية، ثم تعرضت لتحويرات جذرية بعد سقوط قرطاج.

أما على مستوى العقائد والمعبودات التي سادت بالمجال القرطاجي الإفريقي في علاقتها بإشكالية المحلي والوافد، فقد اتضح من خلال معطيات موقع قرطاج أن الفينيقيين قد أدخلوا بالفعل بعض الأرباب المعروفة في الشرق الفينيقي إلى المدينة. بيد أن وثائق باقي أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي لا تسمح لحد الآن بالاستنتاج بأن التأثير الديني الفينيقي بذلك المجال قد اتخذ نفس الطابع الملاحظ في قرطاج. وتبعا لذلك يصعب الاستنتاج بأن معتقدات ساكنة ذلك المجال، الذي كان يستوطنه المحليون، كانت ديانة فينيقية خالصة. لقد لاحظنا على العكس من ذلك- في موقع قرطاج نفسه- غياب أرباب فينيقية كبيرة، وتراجع عبادة أخرى، وظهور أرباب غير معروفة في الشرق مما يبين أن معبودات المجال الإفريقي تختلف في نواح كثيرة عن تلك التي عبدها الفينيقيون في موطنهم، وخلدوها في أساطيرهم. وإذا كانت لدينا شواهد على تأثير الأرباب المصرية بقرطاج بارتباط مع تغلغل الاعتقادات السحرية المصرية بالمنطقة، فإننا لم نجد في الوثائق التي درسناها أسبابا مقنعة للحديث عن حصول تحول ديني كبير بقرطاج خلال القرنين 5 و4 ق.م كنتيجة لإدخال عبادة بعض الأرباب الإغريقية، وأن الحديث عن هلينة قرطاج في المجال الديني أمر مبالغ فيه، ولا يستند إلى أدلة مقنعة.

وإذا كان اقتباس عقائد ومعبودات فينيقية في قرطاج، وربما في مجالها الإفريقي شيء مؤكد، حتى ولو كان من الصعب تقدير مداه، فإن الإرث المحلي الليبي الإفريقي قد برز بالخصوص في هذا الجانب باعتباره من أكثر مجالات التجذر الحضاري، والذي قد يساعد على تقدير أهمية إسهامات العنصر المحلي في الحضارة القرطاجية بوجه عام. لقد أمدتنا الوثائق الأثرية والأدبية بمعلومات هامة حول استمرار عبادة عدد من الأرباب المحلية خلال الفترة القرطاجية. كما لا يستبعد أن التفسير الأرجح لبروز أرباب لم تنتشر عبادتها في الشرق بنفس المستوى الذي ميز عبادتها في المجال القرطاجي الإفريقي يعكس تأثير الاعتقادات المحلية،

وتمسك السكان الأصلاء بمعبوداتهم، وربما تبني الفينيقيين لجانب من المعتقدات الإفريقية كما يستشف من الأهمية التي حظيت بها الربة الكبيرة تانيت وشريكها الرب بعل حمون. أما على مستوى العمارة الدينية والجنائزية، فقد حافظ السكان المحليون على معظم أنواع الأضرحة والقبور التي ورثوها عن الحقب السابقة على اتصالهم بالفينيقيين، وطوروا، على الأرجح، أنماطا جديدة خلال الفترة القرطاجية. فإذا استثنينا التأثير الفينيقي المتمثل في القبر ذو الجب، فإن معظم أنحاء المجال القرطاجي الإفريقي قد استمرت في بناء نفس العمارة الجنائزية العتيقة، وربما طوّرت أنماطا جديدة كما يتضح من ظهور نوع جديد من القبور (الأقبية). كما خلصنا أيضا إلى أن التأثير الفينيقي كان ضعيفا، إن لم نقل معدوما على مستوى طقوس وطرق دفن الموتى، حيث واظب سكان المنطقة على اتباع الطقوس الجنائزية التي عُرفت منذ فترات جد قديمة.

الجداول:

الجدول رقم 1: أسماء الأعداد الرئيسية في اللغة البونية ولغات الشرق القديم

البونية	الفينيقية	الأوغاريتية	الأشورية/البابلية	العبرية	الأمازيغية	العربية
أحد	أحد	أحد/ أحت	أدو	أحاد	يان	واحد
شنم	شنم	تنم؟	شينا	شنايم	سن	اثنان
شلش	شلش	تلت	شلا شو	شلوش	كراد	ثلاث
أربع	أربع	أربات	أربعو	أربع	كوز	أربع
حمش	حمش	خمش	خمشو	حمش	سموس	خمس
ششت	...	تت؟	ششو	شش	صضس	ست
شبع	شبع	سبعت	سبو	شبع	س	سبع
شمن	شمن	تمن	شمانو	شمونه	تام	ثماني
تشع	...	تسع	تشو	تسع	تزا	تسع
عشر	عشر/عسر	عشر/عشرا	عشرو	عشر	مراو	عشر

المصدر: عمل شخصي

الجدول رقم 2: نماذج من الألفاظ المشتركة بين البونية واللغات الشرقية القديمة

معنى الألفاظ	البونية	الأوغاريتية	الفينيقية
رئيس / كبير / قائد	رب	رب	رب
عبد	ع ب د	ع ب د	ع ب د
عبدة	أ م ت	أ م ت	أ م ت
ابن	ب ن	ب ن	ب ن
ذبح / قربن	ز ب ح	ز ب ح	ز ب ح
أعطى / وهب	ي ت ن	ي ت ن	ي ت ن
سمع	ش م ع	ش م ع	ش م ع
قول / كلام	ق ل	ق ل	ق ل
تضرعت	ك	ر أ ت ي-	ك ر أ ت
في زمن	أ	ت-	أ ت
أنا	أ	ن ك-	أ ن ك/ أ ن خ
هنا	ف ه	ف	ه-
ضيافة	ح ل ك ت	ح	ل ك ت-
ماعون	ح ر ش	ح	ر ش-
حماية	م ع ر ب	م	ع ر ب-
مداوي	ر ف أ	ر	ف أ-
شاب	أ ل م	أ	ل م-
فهم	ب ي ن	ب	ي ن-
حكى	ت ن ي	ت	ن ي-
بارك	ب	ر ك أ-	ب رك
سيدتنا	ر	ب ت ن-	ر ب ت ن
(أداة التعريف)	ه /أ / ح	-	ه

(تابع)

(لام النسبة)	ل	ل	ل
صندوق	أ ر ن	-	أ ر ن
نذر	ن د ر	-	ن د ر
(اسم الإشارة)	أ / ز / س ت	-	أ / ز
(اسم الموصول)	أ ش / ع ش / ش ع	-	أ ش
أ ش	ب ن أ	ب ن و(بنى)	ب ن ت(بنيت)
رجل	أ د م	-	أ د م
الأرباب	إ ل و ن ي م / أ ل و ن و ت	-	إ ل ن م
كاهنة	ك ه ن ت	-	ك ه ن ت

المصدر: بتصرف عن:

ولفنسن، تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص.69 و283، موسكاتي (سباتينو) وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية، مرجع سابق، ص. 195، حامدة (أحمد)، اللغة الكنعانية والفينيقية، مرجع سابق، ص ص. 36-51، أسمهر (المحفوظ)، (ورقة حول أسماء الأعداد بالأمازيغية).

الجدول رقم3 : نماذج لاختلاف ألفاظ اللغتين البونية والليبية من خلال النقائش المزدوجة

النص الليبي	النص البوني	المعنى التقريبي
ص ك أ	ب ع ل أ ت	في النص الليبوي يعني «مدينة» وفي النص البوني تعني على الأرجح «سكان المدينة»
ب ن ي	ب ن أ	بنى
ف ش ج	ت م ق ر	ضريح/معبد
م أ(م س ن سن)	ل(م س ن س ن)	لام النسبة
أ ك ل د ت	م	م ل ك ت ملك
أ و	ب ن	ابن
ش ف ط	ش ف ط	الشوفط(والي كبير)
أ م وس ن ا ك ا	ر ب ت م أ ت	قائد المائة
م ص ي ص ك وا	م ص ص ك وي	معماري!
أ ك ز ب ا	ج ز ب ي	المكلف بالبناء!
أ س ك وس	ش ن ت	سنة
ج م ي ل أ	ج ي م ل	الجمل!
أ	هـ	أداة التعريف
ك س ل ن س	ب أ ز ر ت	الحفارون!
ش ك ر ي	ش ي ر	الجير!

المصدر: عمل شخصي

جدول رقم4: التأثيرات الصواتية بين اللغتين البونية والليبية من خلال النقائش المزدوجة

اللغة البونية	اللغة الليبية(الأمازيغية القديمة)
ج ع ي ي	ج ي ي أ
ز ل ل ص ن	هـ ل ل ص ن
أ ف ش ن	ف ش ن
م ج ن	م ج ن/ ي
ت د ي ل ن	ت س د ي ل ن
ع ب د أ ش م ن	ش م ن
ز م ر	هـ م ر
أ ش ي ن	ش ي ن
ت ب ج ج (إسم مدينة)	ت ب ج ج أ
ع ب د ش ت ر ت	و د ش ت ر ت
و ر س ك ن	ور ت س كن
ي ف د ع ت	ي ف د ت
ب ع ل ش ل ك	ب ر ش ل ت
ج ر أ	ج ر هـ
ح ن ن	هـ ن هـ
ب ع ل ح ن ن	ب هـ ن هـ
ك ل م و	ك ل م هـ
س ك ر ب ع ل	س ك ب ل
ن ع م ج د أ	ن م ج د هـ
ب د ع ش ت ر ت	ب ش ت ر ت
ش د ن	س د ن

المصدر: بتصرف عن:

MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord, pp. 19-21; CHABOT J.-B., Recueil des inscriptions libyques, 1ère partie, p. 8.*

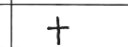
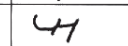
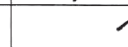
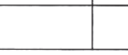
الجدول رقم 5: مقارنة رسم الحروف في الخط الفينيقي والبوني

الخط الفينيقي العتيق	الخط البوني بقرطاج	الخط النيوبوني	اللغة العربية
			أ
			ب
			ج
			د
			هـ
			و
			ز
			ح
			ط
			ي
			ك
			ل
			م
			ن
			س
			ع
			ف
			ص
			ق
			ر
			ش
			ت

المصدر بتصرف عن:

DCPP, Brepols, *Paris, 1992, p. 141 ; BERGER PH., l'Ecriture dans l'antiquité, Imprimerie nationale, Paris, MDCCCXCI, p. 185-186.*

الجدول رقم 6: الحروف المتشابهة بين الكتابتين الفينيقية والليبية.

الفينيقية العتيقة	الليبية الشرقية والغربية	المقابل الصواتي
		تاء
		شين
		ياء
		جيم
		ميم
		نون
		زي

المصدر: عمل شخصي.

الجدول رقم7: اختلاف الحروف البونية عن حروف الكتابة الليبية الشرقية

الكتابة البونية	الكتابة الليبية الشرقية	الصوت
	•	ألف
	⊙	باء
	← ⌐	جيم
	⌐	دال
	≡	هاء
	=	واو
	⊐ ⊢ –	زي
	≡	حاء
	➢	طاء
	Z	ياء
	⇐ ⇐	كاف
	ıı	لام
	⊐ ⊃	ميم
	ı	نون
	C ⧖	سين
	⧖	فاء
	⊢	صاد
	÷	قاف
	O	راء
	⧖	شين
	× + ⊐	تاء
(غير محدد)	≡	

ملاحظة: الحرف الليبي على شكل ثلاثة خطوط قصيرة متراكبة بشكل أفقي يقابل حروف الهاء والحاء والعين، وأحيانا الألف في الكتابة البونية. وهي حروف حلقية كان نطقها ضعيفا في الليبية. كما أن الصورة السمعية للحروف المدرجة في الجدول تمثل المقابل الصواتي للحرف بصفة عامة، وليس كما كانت تنطق خلال الفترة القديمة.

المصدر بتصرف عن:

GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c, p. 48 ; FÉVRIER J.-G., Histoire de l'écriture, fig. 87, p. 324 ; BATES O., The Eastern Libyan, p. 87.*

الجدول رقم 8: بعض الأرباب من خلال أسماء الأعلام البونية

اسم الرب	آثاره بنقائش قرطاج	آثاره بنقائش الشرق
ش ح ر	+	+
ي ر ح	+	+
ش ل م	+	+
س س م	+	+ رب مصري حسب هالف
ف وم ي	+	-
ف ع م	+	+
ع ش ت ر	+	+ ربة آشورية-بابلية
ي ؤ ل	+	في ملاحم رأس شمراء
ع ن ت	+	؟
س ك ن	+	+ في وثائق آشورية وفينيقية
س د	+	-
أرش / عرش	+	-
م س ك ر	+	-
ح وت	+	-
ب ع ل م ج ن م	+	-
ب وم ي	+	آثار عبادته في سردينيا(نورا) وقبرص(كيتيون)
ش ي ح ر	+	باسم علم واحد برأس شمراء
أ ش د	+	-
إ ل؟	+	إيل رب فينيقي قديم
إ ل ت	+	الألف الثاني ق.م بصيدا وبملاحم رأس شمراء
ن ك ر ح	+	رب عربي حسب هالف
ن ش ك	+	رب عربي حسب هالف
ع ت ر	+	رب عربي حسب هالف

ش ر أ	+	رب عربي حسب هالف
ن ا ب و	+	رب بابلي حسب هالف
ن ر ك ل	+	رب بابلي حسب هالف
س ن	+	رب بابلي حسب هالف
ا ز س	+	+
أ ز ر س	+	+
ح ر س	+	رب مصري عبد في فينيقيا
أ ت ن	+	رب مصري عبد في فينيقيا
خ ن س و	+	رب مصري عبد في فينيقيا
ب ت ح	+	رب مصري عبد في فينيقيا
(أو أمون) م ن	+	+
ب س ت ت	+	+
ك ش ر	+	-

المصدر بتصرف عن:

HALFF G., *L'onomastique punique de Carthage, passim; LIPINSKI E., Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique, passim; GSELL S., HAAN, T. IV, pp. 329-332.*

الجدول رقم 9: أسماء ورموز وصور الأرباب المصرية على المواد الأثرية البونية

الأرباب	نوع التشخيصات
إيزيس (Isis)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
أمون رع (Amon-Rê)	رموز هيروغليفية
خوننسو(Khonsou)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
بتاح (Ptah)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
شو (Shou)	رموز هيروغليفية
موت (Mout)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
ثوت (Thot)	صور الحيوانات التي ترمز إليها
خنوم (Khnoum)	صور الحيوانات التي ترمز إليها
ون (لقب أوزوريس) (Wn)	صور الحيوانات التي ترمز إليها
سيبك (Sebek)	صور الحيوانات التي ترمز إليها
باستيت (Bastet)	صور الحيوانات التي ترمز إليها
حوروس (Hourus)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
توريس (Touéris)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
حاثور (Hathor)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
نيث (Neith)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
أنوبيس (Anubis)	رموز هيروغليفية+هيئة آدمية
مت (Maat)	هيئة آدمية
بس (Bès)	هيئة آدمية
أنحور (Anhour)	هيئة آدمية
سخمت (Sekhmet)	هيئة آدمية
حابي (Hapi)	هيئة آدمية

المصدر: بتصرف عن:

VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, pp. 80-82; 88; 90; CINTAS P., Amulettes puniques, pp. 82-85; MOSCATI S., L'épopée des phéniciens, p. 195.*

الجدول رقم 10 : أصول القبور المستعملة بالمجال القرطاجي الإفريقي

أنواع القبور	الأصول المحتملة
القبر ذو الجب	قبر فينيقي
الأقبية	يجمع بين عناصر معمارية فينيقية وليبية
القبر المبني	استعملت بفينيقيا
القبر على شكل حفرة بسيطة	استعملتها معظم شعوب العالم القديم
الأحواض المنقورة في الصخر	وجدت بفينيقيا ولا يستبعد استعمالها بشمال إفريقيا القديم
التملوس والبازينا	قبر عتيق بشمال إفريقيا القديم والصحراء
الدولمن	قبر عتيق بشمال إفريقيا القديم
الحوانيت	استعملت بشمال إفريقيا قبل مرحلة الانتشار الفينيقي

المصدر: عمل شخصي

الجدول رقم 11: طرق الدفن بالقبور الليبية بالساحل الشرقي التونسي

طريقة الدفن	الموقع	نوع القبر
الدفن عن بطريقة الدفن الجانبي (Décubitus latéral fléchi)	النفيضة	دولمن
الدفن عن طرق ضم الجثث أو بطريقة القرفصاء (Décubitus latéral contracté et en position accroupie)	هنشير العسل	معلم مركب
	هنشير الحجر	دولمن ذو رواق غير مغطى
	منستير	حانوت
	هنشير العالية	حانوت
الدفن بالاستلقاء الظهري	قصور الساف	دولمن مبني بغرف متعددة
التجريد؟	هنشير الحجر	دولمن مبني بغرف متعددة
	سيدي الهاني	دولمن مبني
	سلكته/هنشير العالية	دولمن مبني
الترميد؟	سيدي الهاني	دولمن مبني
	سلكته/هنشير العالية	مدافن مركبة
	هنشير الكسكسي	بازينا
	بير جديد	بازينا

المصدر:

BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel, ab. n° 9, p. 205.*

اللوحات

اللوحة رقم 1: رأس كبش من الطين المشوي عثر عليه بقرطاج ربما له علاقة ببعل حمون أو أمون



المصدر: PICARD, G. -Ch., *Le monde de Carthage*, pl. 20.

اللوحة رقم 2: تشخيصات الشخص الأقرن بسوريا وقبرص المنسوبة لبعل حمون



الشكل رقم 1: تمثال عثر عليه بقبرص منسوب لبعل الفينيقي(القرنين 6 و5 ق.م)



الشكل رقم 2: تمثال طرطوس بشمال سوريا المنسوب لبعل حمون

المصدر:

PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité (Phénicie, Chypre), T. III, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1885, p. 199, fig. 140; VANDENBEELE,*

F., L'influence phénicienne sur la coroplasthie chypriote, dans SP, T. III, 1985, pp. 203-211, fig.3.

اللوحة رقم 3: تشخيص منسوب لبعل حمون بأدروميتوم بتونس(ق. 5 ق.م)



المصدر: PICARD, G.-Ch., *Le monde de Carthage, pl. 34*

اللوحة رقم 4: تمثال منسوب لبعل حمون عثر عليه بثينسوت بتونس(ق. 1م)

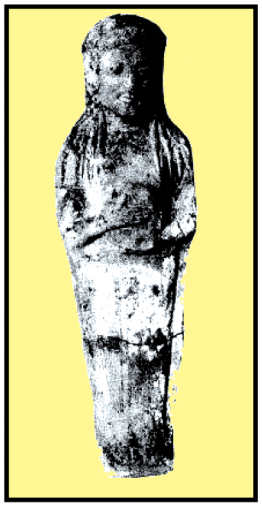


المصدر: PICARD, G.-Ch., *Le monde de Carthage, pl. 35*

اللوحة رقم 5: التشخيصات المنسوبة للربة الفينيقية عشتارت بقرطاج



الشكل رقم 1: تمثال منسوب لعشتارت (قرطاج)



الشكل رقم 2: تمثال لامرأة تحمل قرصا نُسبت لعشتارت

اللوحة رقم 6: تماثيل نسبت لأرباب مصرية



الشكل رقم 1: تميمة منسوبة للرب المصري بس (Bès)



الشكل رقم 2: جزء من نصب يمثل حوروس ويحمل رموزا هيروغليفية

اللوحة رقم 7: أضرحة مبنية بالمجال القرطاجي الإفريقي



صورة رقم 1: ضريح دقة (تونس)

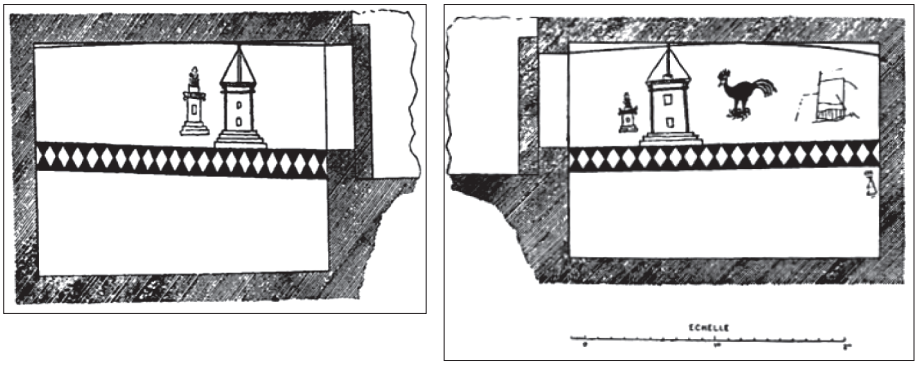


صورة رقم 2: ضريح صبراته (ليبيا)

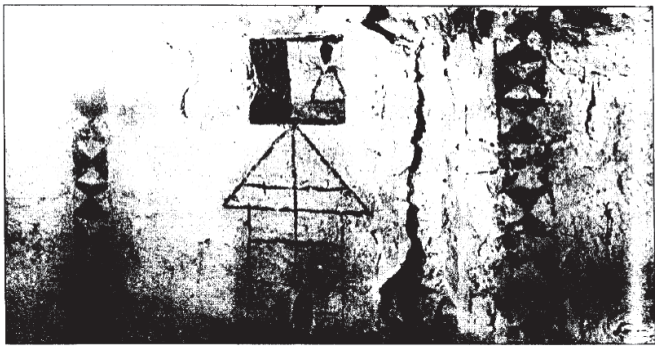


صورة رقم 3: بقايا ضريح بورقو(جربة/تونس)

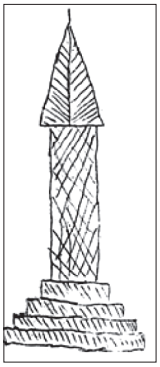
اللوحة رقم 8: ضريح شبيه بضريح دقة مرسوم على جدار قبو بجبل ملزة (ق. 4 ق.م)



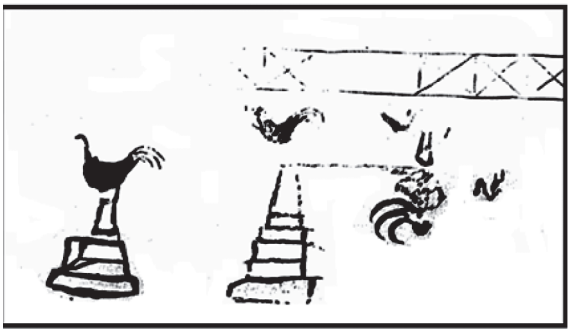
اللوحة رقم 9: رسومات الأضرحة بحوانيت سيدي محمد الأطرش قرب رأس بون



الشكل 1: ضريح ذو هرم

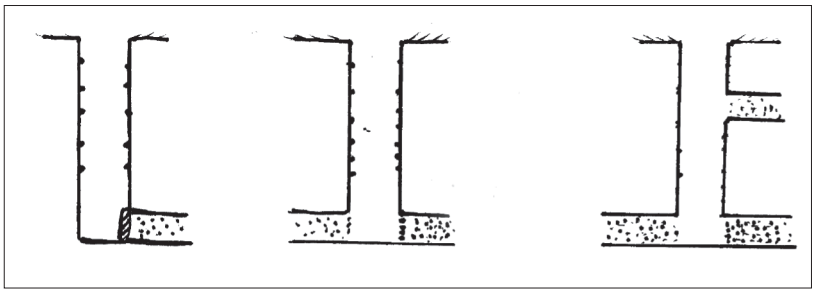


شكل 2: ضريح بصقالة مدرجة وهرم علوي وصاري

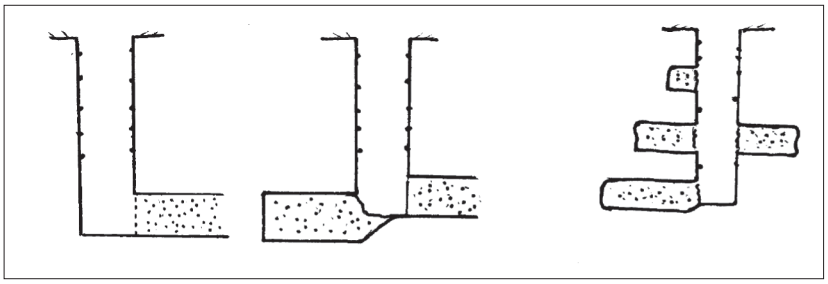


الشكل 3: ضريح ذو صقالة مدرجة ينتهي بهرم

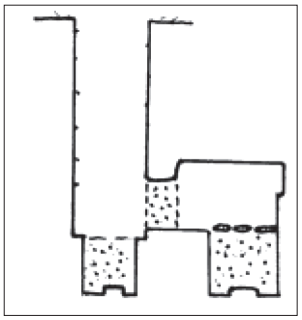
اللوحة رقم 10: القبر ذو الجب بقرطاج وفينيقيا ومصر



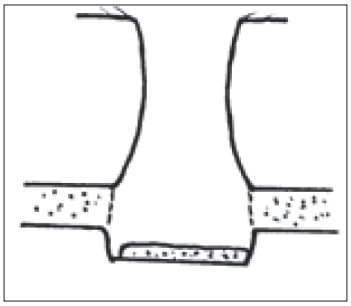
الشكل رقم 1: نماذج من قبور قرطاج



الشكل رقم 2: نماذج من قبور مصر



الشكل رقم 3: قبر بعمريت بفينيقيا

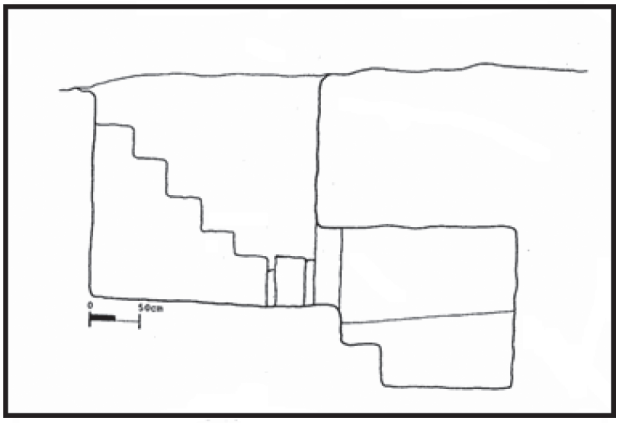


الشكل رقم 4: نموذج من القبر ذو الجب بصيدا بفينيقيا

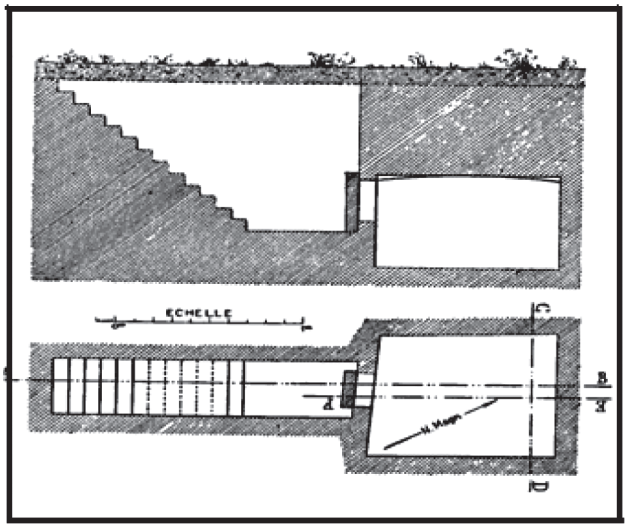
المصدر بتصرف عن:

PERROT, G., et CHIPIEZ, Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité, T. III, p. 157; BÉNICOU-SAFAR, H., Les tombes puniques de Carthage, p.88, fig. 45; et p. 355, fig. 142; CINTAS, P., MAP, T. I, p. 274, fig. 28.*

اللوحة رقم 11: نموذج للقبو البوني



الشكل رقم 1: قبو بالمهدية بالساحل الشرقي التونسي

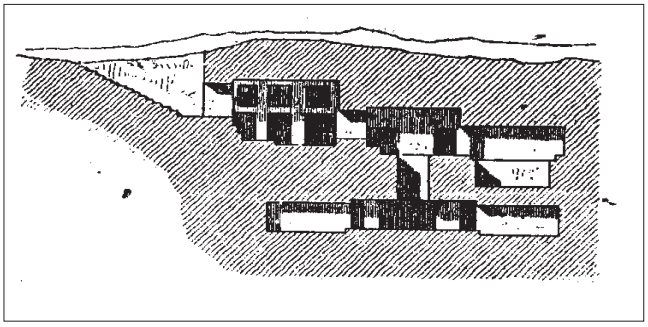


الشكل رقم 2: قبو بجبل ملزة قرب كركوان)رأس بون)

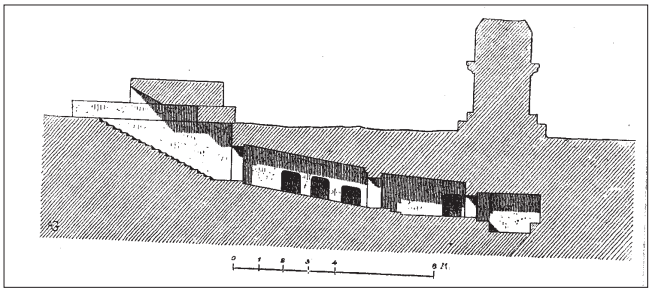
المصدر:

BEN YOUNES, H., *Rapport sur la campagne de fouilles effectuées dans la grande nécropole punique de Mehdia, Octobre-Novembre 1982, dans REPPAL, T. I, 1985, pp. 23-61, pl. n° 10; CINTAS, P., et GOBERT, G., Les tombes du Jbel Mlezza, p. 190, fig. n° 92.*

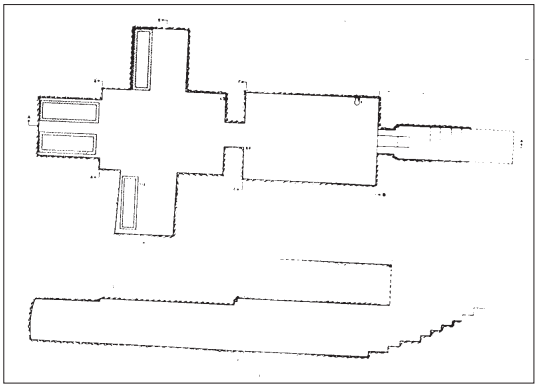
اللوحة رقم 12: نماذج من الأقبية بفينيقيا وقبرص



الشكل رقم 1: قبو تحت أرضي بعمريت (فينيقيا)



الشكل رقم 2: قبو تحت أرضي بمعلم خارجي بعمريت

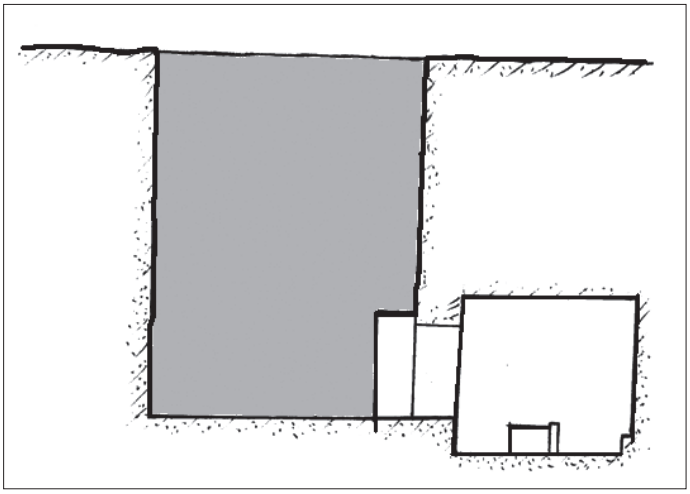


الشكل رقم 3: قبو تحت أرضي بقبرص(النصف الثاني من القرن 11 ق.م)

المصدر:

PERROT, G., et CHIPIEZ, Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité, T. III, p. 148 et 154; KARAGEORGHIS, V., New phoenician discoveries in Cyprus, dans ACISPP, I, Roma, 1983, pp. 173-176, pl.I.*

اللوحة رقم 13: رسم مبسط لنموذج الأقبية الشبيهة بالقبر ذو الجب (بجب ودون درج) بقبور جبل ملزة (ق. 4 ق.م)



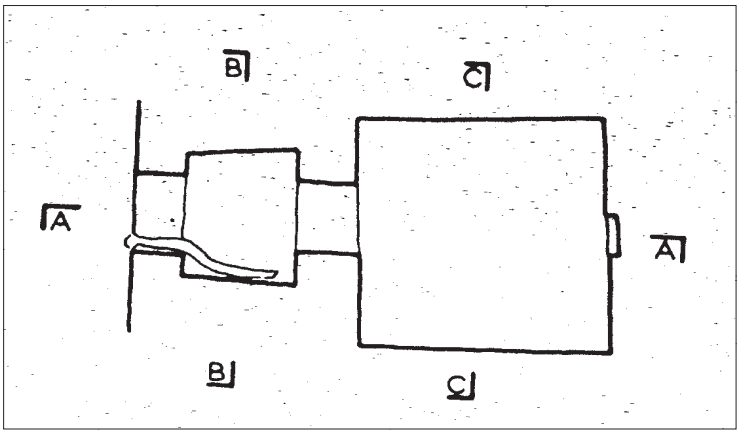
المصدر:

CINTAS, P., et GOBERT, G., *Les tombes du Jbel Mlezza, p. 141, fig. 3.*

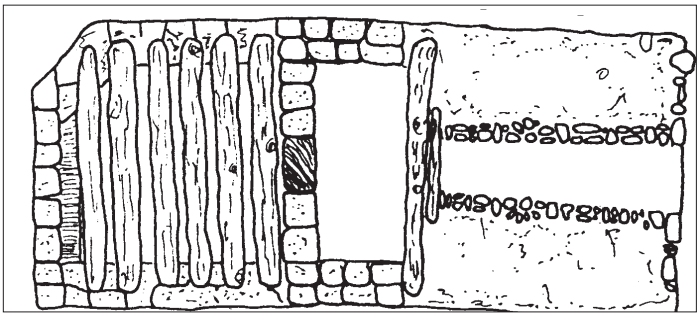
اللوحة رقم 14 : بعض الخصائص المشتركة بين الأقبية والحوانيت والدولمن (المدخل والغرف المتوالية)



الشكل رقم 1: قبو بالمهدية (تونس)



الشكل رقم 2: حانوت بالحروري(تونس)

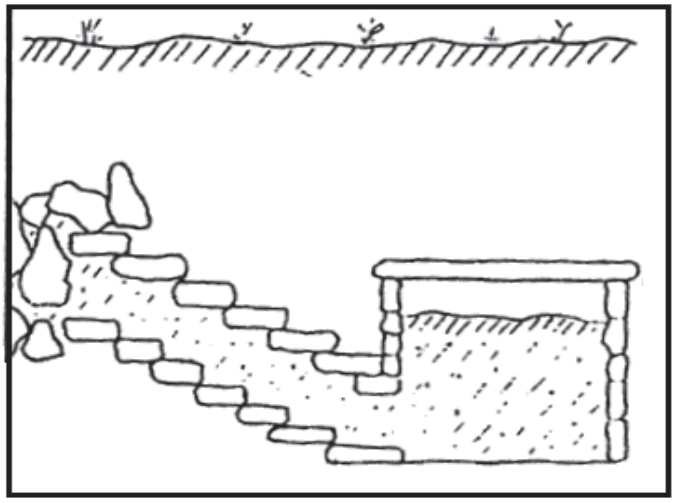


الشكل رقم 3: دولمن سيدي سليمان(المغرب)

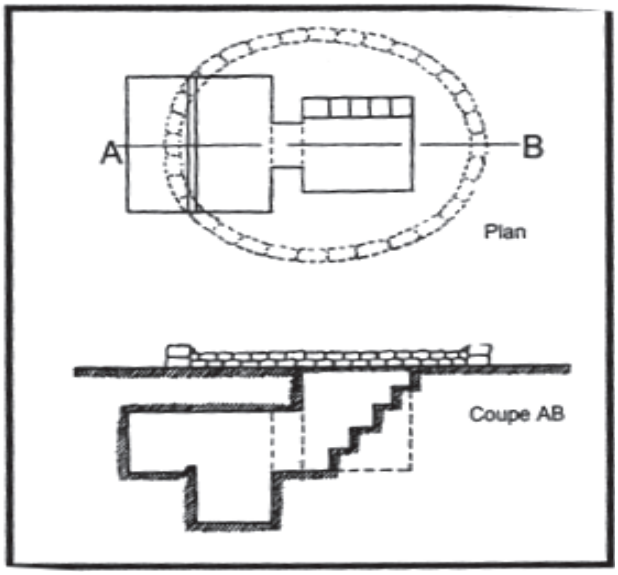
المصدر:

BEN YOUNES, H., *Rapport sur la campagne de fouilles effectuées dans la grande nécropole punique de Mehdia, Octobre-Novembre 1982, pl. 6; BEN GUITH HMISSA, E., Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel, n° 146, p. 198; GHAKI M., Les haouanet d'Elharouri, dans REPPAL, T. III, 1987, pp. 229-251, p. 237, pl. I.*

اللوحة رقم 15: توفر الدولمن بالمجال القرطاجي الإفريقي
على بعض الخصائص المعمارية للأقبية (الدرج مثلا)



الشكل رقم 1: دولمن مبني سيدي الهاني (الساحل الشرقي التونسي)

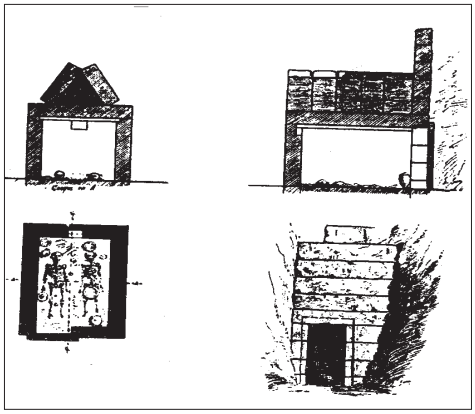


الشكل رقم 2: دولمن العالية (الساحل الشرقي التونسي)

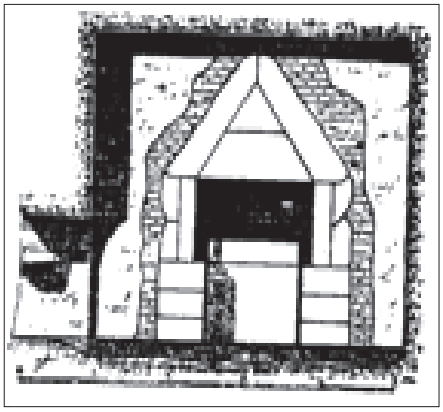
المصدر:

BEN GUITH HMISSA, E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, n°6, p. 21 ; et n°40, p. 54.

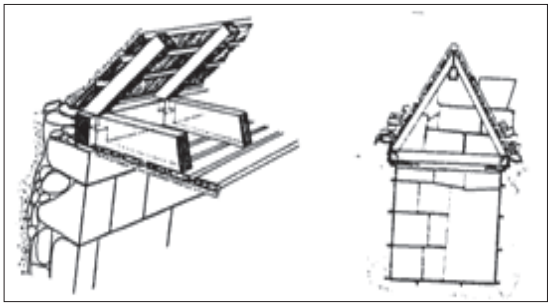
اللوحة رقم 16: القبر المبني بقرطاج ومصر وقبرص وإسبانيا



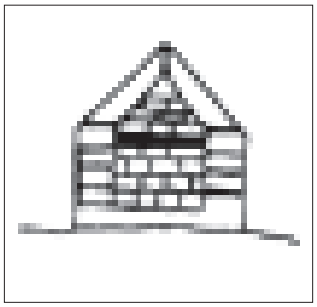
الشكل رقم 1: القبر المبني بقرطاج



الشكل رقم 2: القبر المبني بمصر



الشكل رقم 3: القبر المبني بإسبانيا

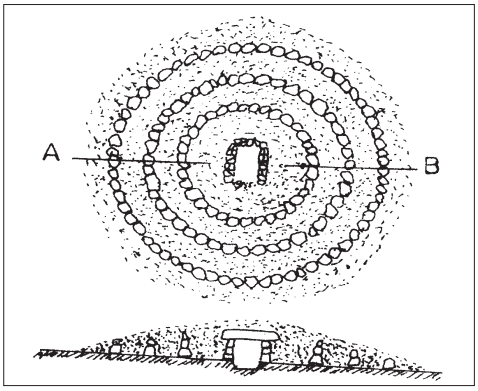


الشكل رقم 4: القبر المبني بقبرص

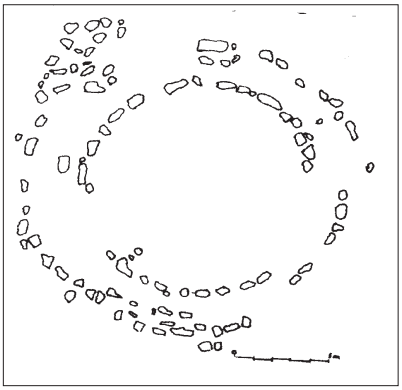
المصدر:

BÉNICOU-SAFAR, H., *Les tombes puniques de Carthage, pp. 142 ; 165 et* 263.

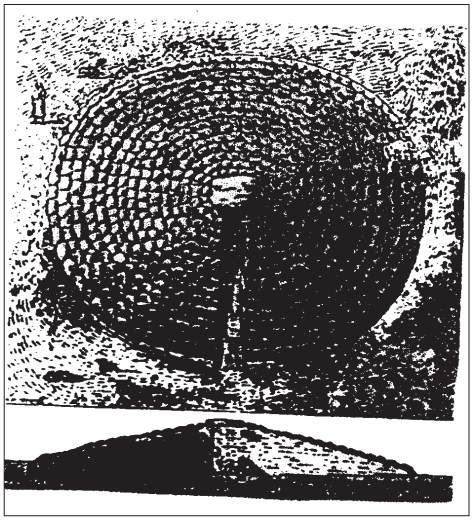
اللوحة رقم 17: المدافن الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي (الساحل الشرقي التونسي)



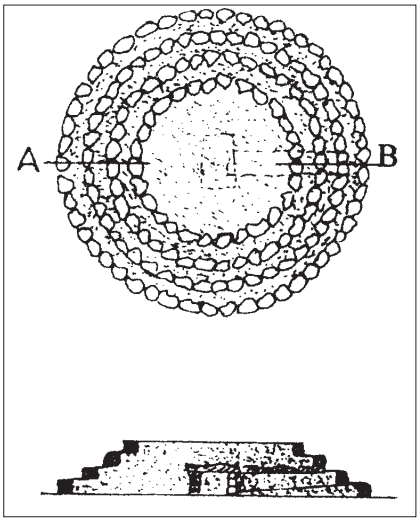
الشكل رقم 1: دولمن مغطى بتملوس بالعالية



الشكل رقم 2: بازينا بير الرومي



الشكل رقم 3: مدفن ليبووي مركّب بهنشير العسل

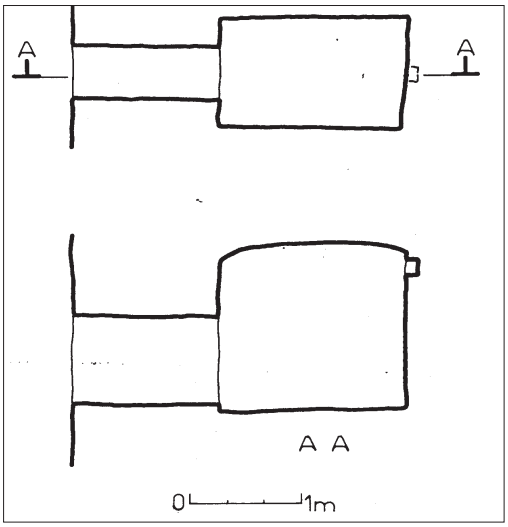


الشكل رقم 4: بازينا ذات درج بجبل المستيري

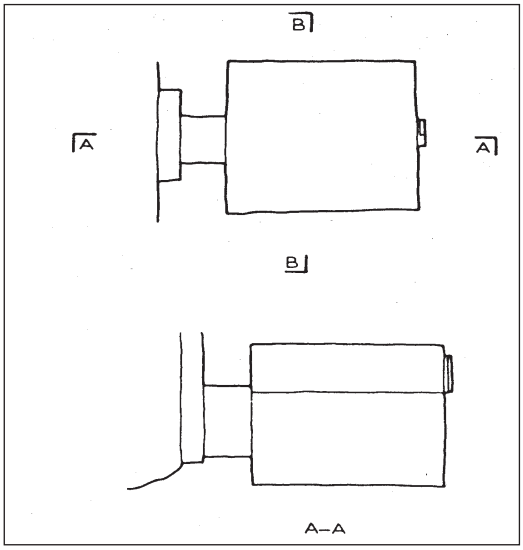
المصدر:

BEN GUITH HMISSA, E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel, op. cit., p. 191, fig. n° 42.*

اللوحة رقم 18: نماذج من حوانيت المجال القرطاجي الإفريقي



الشكل رقم 1: حانوت بسيدي محمد الأطرش

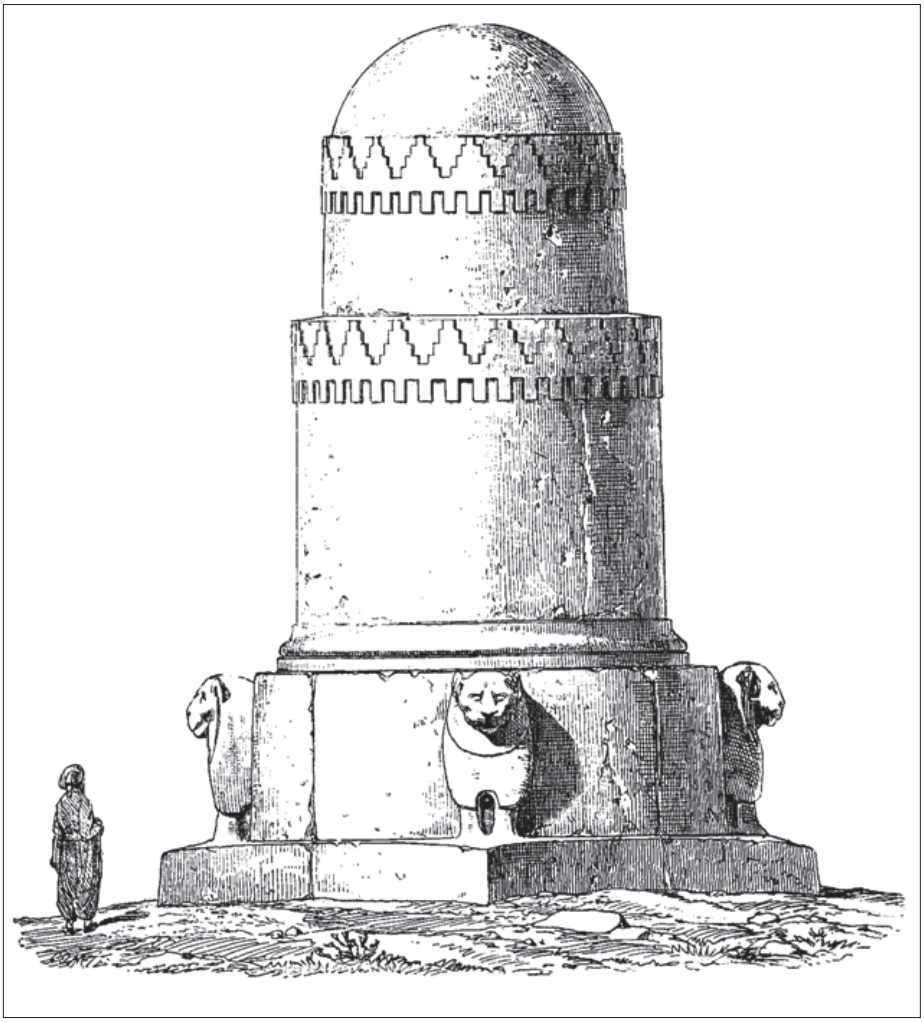


الشكل رقم 2: حانوت بالحروري

المصدر:

GHAKI, M., *Les haouanet de Sidi Mohamed Latrach, pl. 19 ; Id, Les houanet d'El-Harouri, p. 242, pl. n° VI.*

اللوحة رقم 19: نموذج للمعالم المبنية فوق القبور بفينيقيا (موقع عمريت)

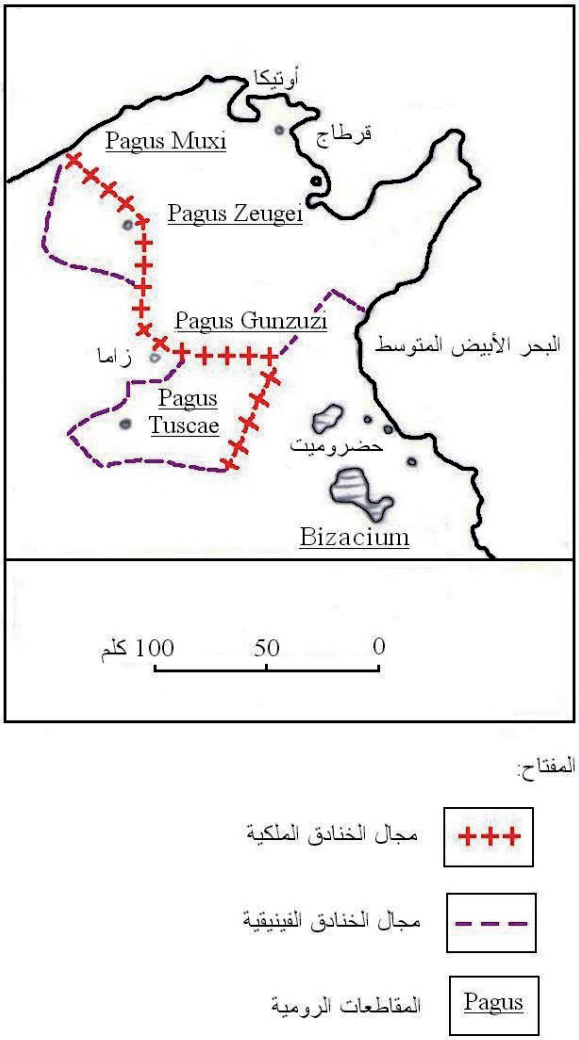


المصدر:

PERROT, G., et CHIPIEZ, Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité, T. III, p. 152, fig. 93.*

الخرائط:

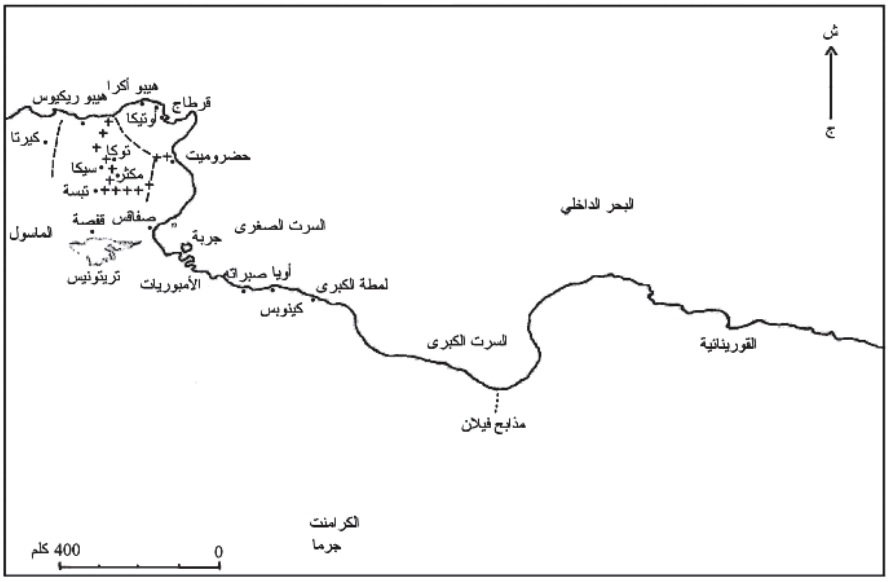
الخريطة رقم1: مجال المقاطعات الرومانية والخنادق الفينيقية والخنادق الملكية



المصدر:

PICARD G.-Ch., *L'administration territoriale de Carthage, dans Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à Piganiol, A., Paris, 1966, pp. 1257-1265, p. 1257.*

الخريطة رقم2: حدود المجال القرطاجي الإفريقي



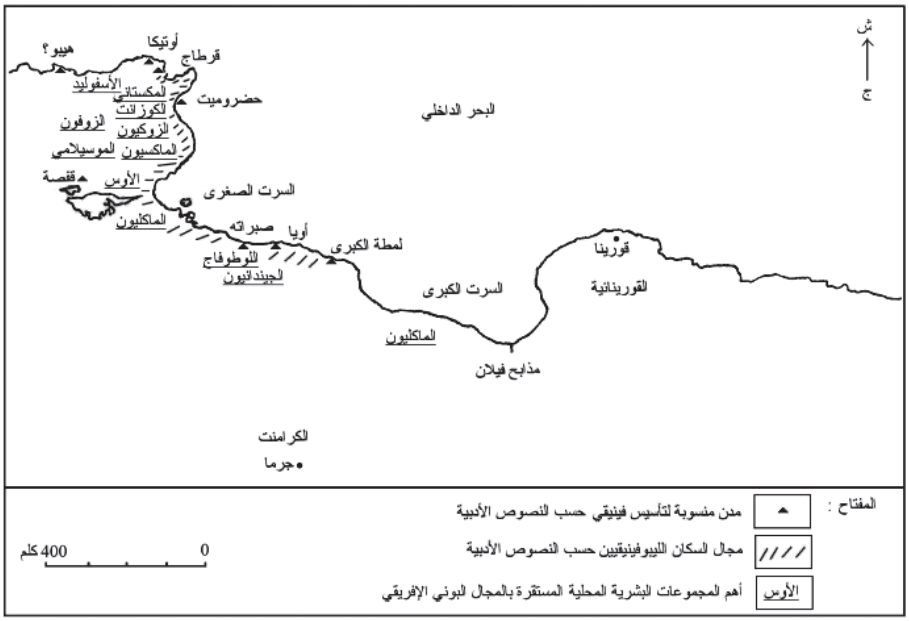
المفتاح :

++ الخنادق الملكية

-- الخنادق الفينيقية

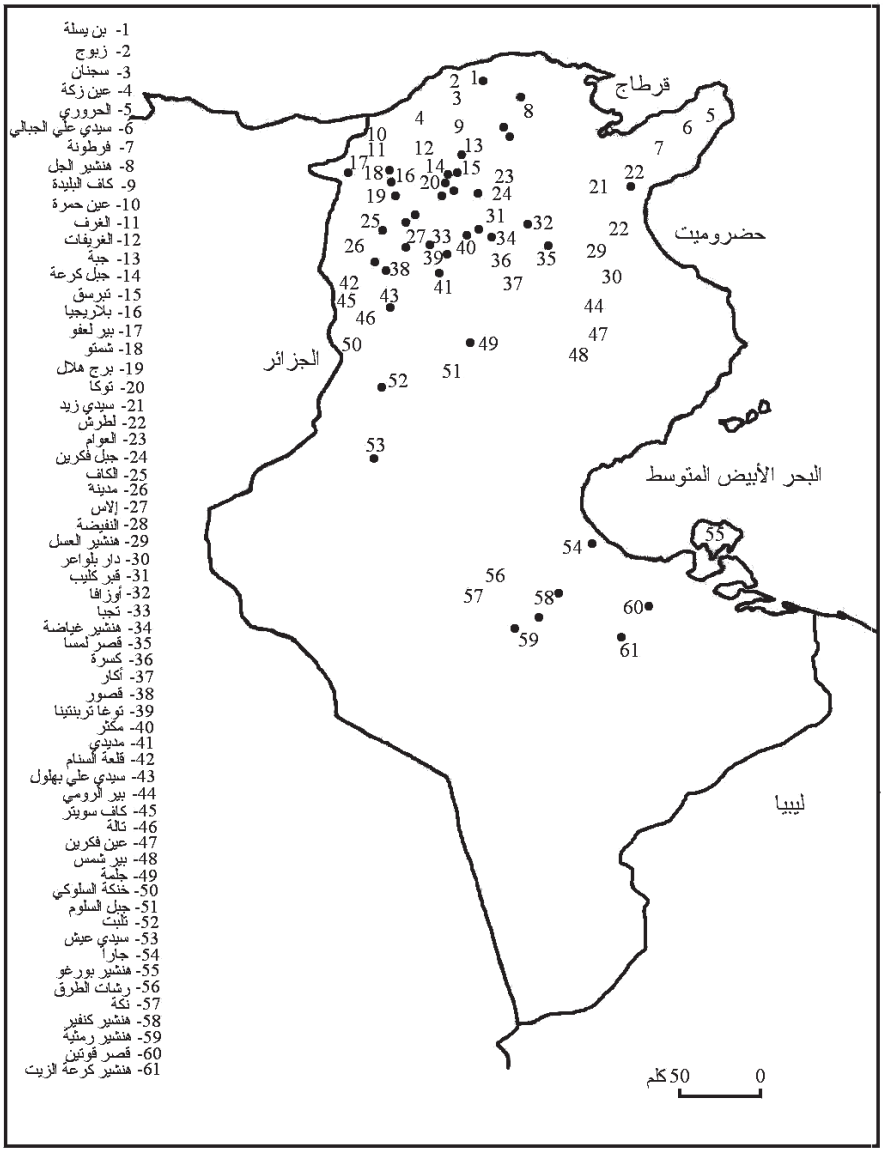
المصدر: عمل شخصي.

الخريطة رقم3: سكان المجال القرطاجي الإفريقي من خلال المصادر القديمة



المصدر: عمل شخصي.

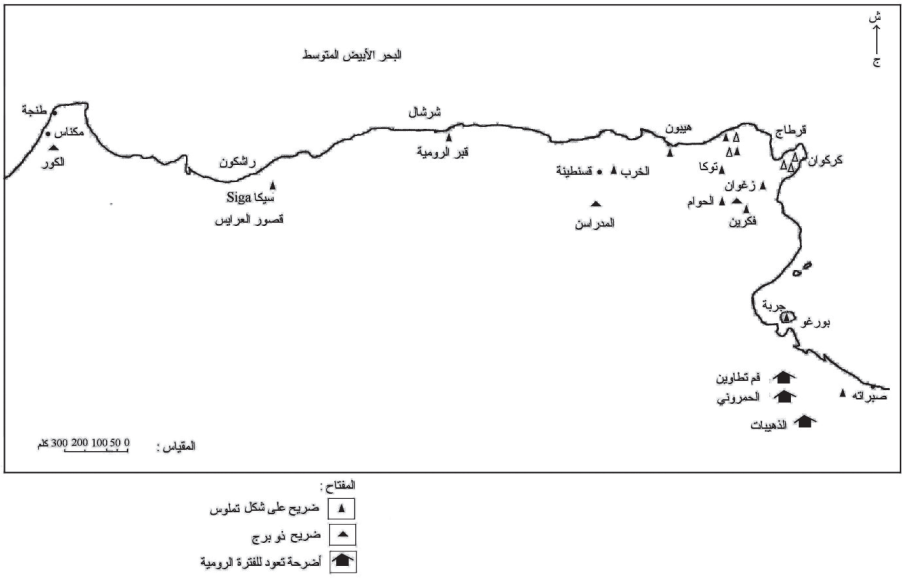
الخريطة رقم4: أهم مواقع الآثار والنقائش الليبية بتونس



المصدر بتصرف عن:

GHAKI M., *La répartition des inscriptions libyques, p. 97.*

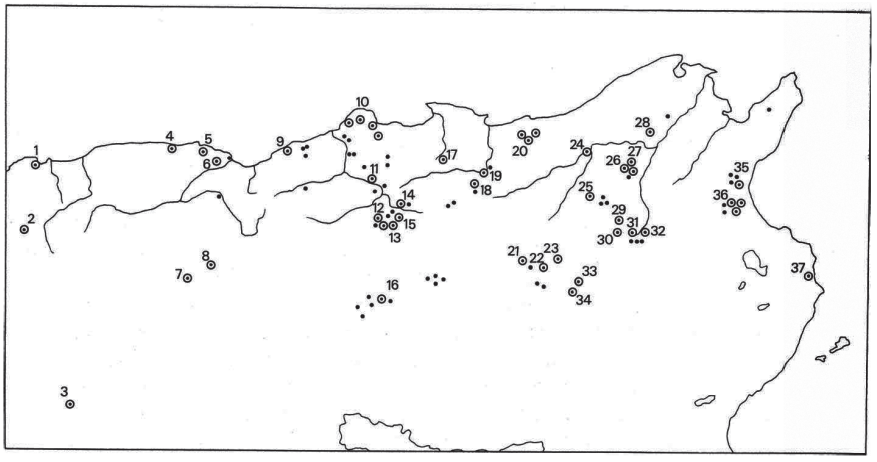
الخريطة رقم5: أهم الأضرحة بشمال إفريقيا القديم



المصدر بتصرف عن:

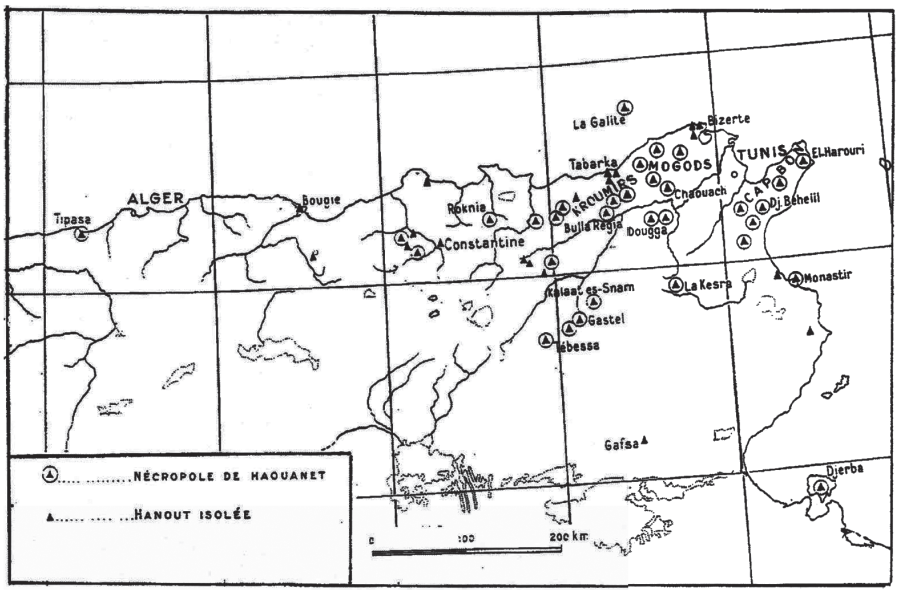
VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, p.5, planche n°1.*

الخريطة رقم6: توزيع الدولمن بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم



G. Camps, Dolmens, dans Ency. Berb., 16, 1995, 2490-2509., fig. n°1.

الخريطة رقم7: توزيع الحوانيت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم



G. Camps and M. *Longerstay, Haouanet, dans Ency. Berb., 22, 2000, 3361-3387, fig. n°1.*

البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر:

أ- المصادر العربية:

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد السابع، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959.

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القسم الأول، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961.

أوروسيوس(أبلوس)، تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة (منتصف ق. 4هـ)، حققها وقدم لها عبد الرحمان بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1982.

ب-المصادر الإغريقية واللاتينية:

APPIAN, *Roman history (The Punic wars)*, Vol. I, book VIII, English translation by WHITE, H., et HEINEMANN W. , London, 1912.

APPIEN, *Histoire romaine (l'Ibérique)*, T. II, livre. VI, texte établi et traduit par GOUKOUSKY, P., les Belles lettres, Paris, 1997.

ATHÉNÉE, *Banquet des savants*, traduit, tant sur les textes imprimés, que sur plusieurs manuscrits par M. LEVEBVRE DE VILLEBRUNE, T. I, (Les Deipnosophistes, liv. IX), De l'imprimerie de Monsieur, Paris, DCC. LXXXIX.

CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, liv. I, les Éditions du Cerf, Paris, 1974.

CICÉRON, *De l'orateur*, T. I, liv. II, traduction en français de M. NISARD de l'Académie Française, Chez Firmin Didot frères, Fils et Cie, Libraires-Imprimerie de l'Institut de France, Paris, M DCCC LXIX.

CICÉRON, *La république*, T. II, liv. II-VI, texte établi et traduit par BREGUET, É. les Belles lettres, Paris, 1980.

CICÉRON, *Oeuvres complète*, T. IV, traduction en français publiée sous la direction M. NISARD de l'Académie Française, Chez Firmin Didot Frères, Fils et Cie, Libraires-Imprimerie de l'Institut de France, Paris, M DCCC LXIX.

CICÉRON, *Pro Scauro*, Oeuvres complètes de M. T. CICÉRON, T. XXIX, (Fragment), Traduction de JOS.-VICT. LE CLERC, Imprimerie de CRAPELET, Paris, 1823.

CORIPPE, *La Johannide*, texte traduit par ALIX, J., dans Rev. Tun., T. VI-IX, 1899-1902.

CORNÉLIUS NÉPOS, *Œuvres complètes*, texte établi et traduit par GUIUEMIN, A.- M., 2ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1961.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, liv. XIX, texte établi et traduit par BIZIERE, F., les Belles lettres, Paris, 1975.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, liv. XVII, texte établi et traduit par GOUKOUSKY, P., les Belles lettres, Paris, 1973.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. I, livre. III-IV, traduction du grec par HOEFER, F., 3ème édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1912.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. II, liv. V-XIII, traduit du grec par HOEFER r, F., Librairie Hachette et Cie, Paris, 1912.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. III, liv. XIV-XVII, traduit du grec par HOEFER, F., 3 ème édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1912.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T. IV, liv. XXI (Fragments), Traduction française par FERD. HOEFER, Hachettes, Paris, 1865.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T.IV, liv. XX, 2 ème édition, traduit du grec par HOEFER, F., Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1865.

DIODORE DE SICILE, *Bibliothèque historique*, T.IV, liv. XXIV (fragments), Traduction française : FERD. HOEFER, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1865.

DION CASSIUS, *Histoire romaine*, T. I, traduction en français par GROS, É., Librairie de firmin-diodot et Cie, Paris, 1889.

EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Histoire de la vie de l'empereur Constantin*, T. I, liv. III, Damien Foucault imprimeur, Libraire ordinaire du roi, Paris, M. DC. LXXXVI.

EUSÈBE DE CÉSARÉE, *La préparation évangélique*, liv. I, introduction, texte grec, traduction et commentaire par SIRINELLI, J., et PLACES, E., les Editions du Cerf, Paris, 1974.

FESTUS AVIENUS, *Ora maritima*, Edition annotée, précédée d'une introduction et accompagnée d'un commentaire par BERTHELOT, A., Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris, 1934.

FLAVIUS JOSÈPHE, *Antiquités judaïques*, T. II, liv. VI-X, traduction de WEIL, J., et sous la direction de REINACH, T., Ernest Leroux, Éditeur, Paris, 1926.

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. I, texte établi et traduit par LEGRAND, PH.- E., les Belles lettres, Paris, 1932.

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. II, texte établi et traduit par LEGRAND, PH.- E., les Belles lettres, Paris, 1936.

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. IV, texte établi et traduit par LEGRAND, PH.- E., 4ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1949.

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. V, texte établi et traduit par LEGRAND, PH.- E., 4ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1989.

HÉRODOTE, *Histoires*, liv. VII, texte établi et traduit par LEGRAND, PH.- E., 4ème tirage, les Belles lettres, Paris, 1951.

HOMÈRE, *Iliade*, T. IV, chants XIX-XXIV, texte établi et traduit par MAZON, P., avec la collaboration de CHANTRAINE, P., COLLART, P., et LANGUMIER, R., les Belles lettres, Paris, 1963.

HOMÈRE, *L'Odyssée*, T. I, chants I-VII, texte établi et traduit par BERARD, V., 2ème édition, les Belles lettres, Paris, 1933.

HOMÈRE, *L'Odyssée*, T. II, chants VIII-XV, texte établi et traduit par BERARD, V., 3ème édition, les Belles lettres, Paris, 1939.

JUSTIN, *Abrégé de l'histoire universelle de Troque-Pompé*, XVIII, 7, traduction française par PIERROT J., et PESSONEAUX, Librairie Granier Frères, Paris, 1922.

LUCAIN, *La guerre civile, (La Pharsale)*, T. I, liv. I-V, texte établi et traduit par BOURGERY, A., les Belles lettres, Paris, 1926.

LUCIEN de SAMOSATE, *Oeuvres complètes*, traduction nouvelle avec une introduction et des notes par TALBOT E., Paris, Hachette, 1912.

OVIDE, *Les fastes*, texte établi, traduit et commenté par SCHILLING, R., les Belles lettres, Paris, 1993.

PAUSANIAS, *La description de la Grèce*, T. III, liv. V-VI, traduction nouvelle par CLAVIER, M., EBERHART, J.-M., Imprimeur de la société royale académique des sciences, Paris, 1820.

PAUSANIAS, *La description de la Grèce*, T. III, liv. V-VI, traduction nouvelle par Clavier, M., EBERHART, J.-M., Imprimeur de la société royale académique des sciences, Paris, 1820.

PAUSANIAS, *La description de la Grèce*, T. V, liv. IX-X, traduction nouvelle par Clavier, M., BOBÉE, A., Imprimeur de la société royale académique des sciences, Paris, 1821.

PLATON, *La république, (Timée – Critias)*, T. VII, liv. VIII-X, texte établi et traduit par CHAMBRY, É., les Belles lettres, Paris, 1934.

PLAUTE, *Comédies (Mostellaria-Persa-Poenulus)*, T. V, texte établi et traduit par ERNOUT, A., les Belles lettres, Paris, 1961.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. III, Texte français édition d'Émile Littré, Dubochet, Paris, 1848-1850.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. IX, texte établi et traduit par De SAINT-DENIS, É., les Belles lettres, Paris, 1955.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. V, texte établi et traduit par DESANGES, J., les Belles lettres, Paris, 1980.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. VIII, texte établi et traduit par ERNOUT, A., les Belles lettres, Paris, 1952.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XI, texte établi, traduit et commenté par ERNOUT, A., et PÉPIN, R., les Belles lettres, Paris, 1947.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XIII, texte établi, traduit et commenté par ERNOUT, A., les Belles lettres, Paris, 1956.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XIV, texte établi, traduit et commenté par ANDRÉ, J., les Belles lettres, Paris, 1958.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XVI, édition d'Émile Littré, Dubochet, Paris 1848-1850.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XVIII, texte établi, traduit et commenté par Le BONNEC, H., et LE BOEUFFLE, A., les Belles lettres, Paris, 1972.

PLINE L'ANCIEN, *Histoire naturelle*, liv. XXXIV, texte établi et traduit par LE BOEUFFLE, H., et commenté par GALLET DE SANTERRE, H., et LE BOEUFFLE, H., les Belles lettres, Paris, 1953.

PLUTARQUE, *Le visage qui apparaît dans le disque de la Lune*, partie 2, Traduction du grec par PICARD, Le fèvre Editeur, Paris, 1844.

PLUTARQUE, *Les vies des hommes illustres*, T. II, édition établie et annotée par WALTER, J., Bibliothèque de la Pléiade Guillimard, Paris, 1951

PLUTARQUE, *œuvres complètes*, T. XIII, texte établi et traduit par GUVIGNY, M., et LACHENAUD, G., les Belles lettres, Paris, 1981.

POLYBE, *Histoires*, liv. III, texte établi et traduit par FOUCAULT, J., les Belles lettres, Paris, 1971.

POLYBE, *Histoires*, T. I, liv. I, texte établi et traduit par PÉDECH, P., les Belles lettres, Paris, 1969.

POLYBE, *Histoires*, T. II, liv. XIV, Traduction française par BOUCHOT, F. Charpentier-Libraire Éditeur, Paris, 1847.

POLYBE, *Histoires*, T. III, liv. IX, texte établi et traduit par BOUCHOT, F., Charpentier, Paris, 1847.

POLYBE, *Histoires*, T. III, livre XXXII, Traduction française par BOUCHOT, F., Charpentier-Libraire Éditeur, Paris, 1847.

POLYBE, *Histoires*, T. VII, liv. VII-VIII, texte établi et traduit par WEIL, R., les Belles lettres, Paris, 1982.

POLYBE, *Histoires*, T. VIII, liv. X-XI, texte établi et traduit par FOULON, E., et WEIL, R., les Belles lettres, Paris, 1990.

POLYBE, *Histoires*, XXXII, T. III, livre XXXI, Traduction française par BOUCHOT, F., Charpentier-Libraire Éditeur, Paris, 1847.

POMPONIUS MÉLA, *Géographie*, texte traduit par BAUDET, M.-L., C.L.F Panckoucke, Ed., Paris, 1843.

PROCOPE DE CÉSARÉE, *La guerre contre les vandales*, liv. III-IV, texte traduit et commenté par ROQUE, D., les Belles lettres, Paris, 1990.

PTOLÉMÉE, *Géographie*, Traduction latine par MÛLLER, C., Paris, 1883.

QUINTE-CURCE, *Histoires*, T.I, liv. III-VI, texte établi et traduit par BARDON, H., 4ème tirage revu et corrigé, les Belles lettres, Paris, 1992.

SAINT JEROME, *Oeuvres complètes*, Publiées par M. BENOIT MATOUGUES,

SALLUSTE, *Guerre de Jugurtha*, texte établi et traduit par Ernout, A., les Belles lettres, Paris, 1964.

SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, T. II, liv. V-VIII, texte établi et traduit par VOLPILHAC, J., MINICONI, P., et DEVALLET, G., les Belles lettres, Paris, 1981.

SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, T. III, liv. IX-XIII, texte établi et traduit par VOLPILHAC, J., MINICONI, P., et DEVALLET, G., les Belles lettres, Paris, 1984.

SILIUS ITALICUS, *La guerre punique*, T. IV, liv. XIV-XVII, texte établi et traduit par MARTIN, M., et Devallet, G., les Belles lettres, Paris, 1992.

SILIUS ITALICUS, *Les puniques*, T. I, liv. I-V, traduction nouvelle par CORPET, E.-F., et DUBOIS, N.-A., C.L.F Pankoucke, Paris, MDCCCXXXVI.

SOLIN, *Polyhistor*, Traduction en français par AGNANT M. A., Bibliothèque latine-française. Seconde série, C. L. F. Panckoucke, 1847.

STRABON, *Géographie*, T. I, liv. I-II, introduction par AUJAC, J., et LASSERE, F., texte établi et traduit par AUJAC, J., les Belles lettres, Paris, 1969.

STRABON, *Géographie*, T. I, liv. V, traduction nouvelle par AMEDEE, T., Librairie de L. Hachette et C, Paris, 1867.

STRABON, *Géographie*, T. I, liv. XVI, traduction nouvelle par TRADIEU, A., Hachette, Paris, 1867.

STRABON, *Géographie*, T. II, liv. III-IV, texte établi et traduit par LASSERE, F., les Belles lettres, Paris, 1966.

STRABON, *Géographie*, T. III, liv. XVII, traduction nouvelle par TRADIEU, A., Hachette, Paris, 1966.

TACITE, *Annales*, T. I, liv. I-III, texte établi et traduit par WUILLEUMIER, P., les Belles lettres, Paris, 1978.

THUCYDIDE, *La guerre de Péloponnèse*, T. IV, liv. VI-VII, texte établi et traduit par BODIN, L., et ROMILLY, J., 3ème tirage revu et corrigé, les Belles lettres, Paris, 1970.

TITE-LIVE, Histoire romaine, liv. XXXIII, Garnier- Flammarion, Paris, 1997.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, liv. XXXIV, Garnier- Flammarion, Paris, 1997.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. II, liv. XLI., collection des Auteurs latins sous la direction de M. NISARD, Firmin Didot, Paris, 1864.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. VI, liv. XXVII-XXX, traduction nouvelle avec introduction et des notes de LASSERE, E., Librairie Garnier Frères, Paris, 1949.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. VXI, liv. XXI, texte établi et traduit par JAL, P., les Belles lettres, Paris, 1991.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. XVI, liv. XXVI, texte établi et traduit par JAL, P., les Belles lettres, Paris, 1991.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. XXIX, liv. XXXIX, texte établi et traduit par ADAM, A., les Belles lettres, Paris, 1994.

TITE-LIVE, *Histoire romaine*, T. XXX, liv. XL, texte établi et traduit par GOUILLART, Ch., les Belles lettres, Paris, 1986.

VALERE MAXIME, *Oeuvres complètes*, Garnier: l'édition de 1935 de CONSTANT(http://remacle.org/bloodwolf/historiens/valere/index.htm).

VARRON, *De la langue latine*, liv. VIII, traduction en français de M. NISARD, Firmin-Didot Frères Fils et Cie Libraires, imprimerie de l'institut de France, Paris, M DCCC LXXV.

VIRGILE, *Enéide*, liv. I-VI texte établi par GOELZER, H., et traduit par BELLESSORT, A., les Belles lettres, Paris, 1948.

ثانيا: المراجع:

أ- باللغة العربية:

أعشي (مصطفى)، أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ) ، ترجمة وتعليق، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الترجمة رقم 13، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008.

حامدة (أحمد)، اللغة الكنعانية والفينيقية، منشورات جامعة ، دمشق، 1995.

حيدر (حسن جمال)، أوغاريت. التاريخ والآثار، ط. 1، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، 2003.

الخطيب (محمد)، الحضارة الفينيقية، دار علاء الدين ودار مؤسسة رسلان، دمشق، 2017.

دانيلز (تشارلز)، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء ، ترجمة أحمد اليازوري، الطبعة الثانية، دار الفرجاني، طرابلس، 1991.

الشريف (أحمد الريفي)، المعتقدات الدينية الفينيقية، ضمن مجلة جامعة سبها(العلوم الإنسانية)، المجلد السابع، العدد الأول، 2008، ص ص 18-24.

شريف (زهرة)، تأسيس قرطاج وموجات استيطان الفينيقيين بتونس، مجلة الحياة الثقافية، العدد 38، 1985، ص.ص 132-147.

عارف (نصر محمد)، الحضارة-الثقافة-المدنية. دراسة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم والمصطلحات رقم 1، هيرندن، فرجينيا، 1994.

عصفور (محمد أبو المحاسن)، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

علبي (عاطف)، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2006.

غازي-بن ميس(حليمة)، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مقال تحت الطبع بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط(عدد الصفحات 20).

غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، ط. 2، الجزائر، 2006.

غانم (محمد الصغير)، النقوش البونية في الجزائر، ضمن نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، أعمال الندوتين المنظمتين بالدار البيضاء من طرف مؤسسة الملك عبد الله آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الإنسانية، أيام 17-18 يناير و18-19 أبريل 2002، تنسيق محمد سيراج ومحمد حسين فنطر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ديسمبر 2004، ص ص 17-22.

غانم (محمد الصغير)، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، 2003.

غرلي (عماد محمد)، الفنون الحربية في الشرق الأدنى القديم من الألف الثالث ق.م إلى الألف الأول ق.م، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 2018.

الفرجاوي (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1993.

فنطر (محمد حسين)، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة إفريقية، سلسلة مجلة الدراسات الفينيقية و الآثار اللوبية، العدد 12، 2002، ص.ص 43-59.

فنطر (محمد حسين)، حول النقائش البونية، مجلة الدراسات الفينيقية -البونية والآثار اللوبية، عدد 11، 1999، ص ص. 1 - 35.

فنطر (محمد حسين)، معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان، ضمن نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، أعمال الندوتين المنظمتين بالدار البيضاء من طرف مؤسسة الملك عبد الله آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الإنسانية، أيام 17-18 يناير و18-19 أبريل 2002، تنسيق محمد سيراج ومحمد حسين فنطر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ديسمبر 2004، ص ص 9-16.

فنطر (محمد حسين)، الفينيقيون وقرطاجة. صلة بين أصقاع البحر الأبيض المتوسط، مجلة الكراسات التونسية، مجلد 43، أعداد 155-156، 1991، ص.ص 13-29.

كونتنو(ج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

مازيل(جان)، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تعريب نجيب عزاوي، ط. 1، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، 1998.

مهران(بيومي محمد)، المدن الفينيقية، بيروت، 1994.

موسكاتي(سباتينو)، وآخرون، مدخل إلى نحو الغات السامية المقارن، ترجمة مهدي المخزومي عبد الجبار المطليبي، عالم الكتب، بيروت، 1993.

ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ط. 1، دار القلم، بيروت، 1980.

ب- باللغات الأوروبية:

ABDELALIM M.-K., Le nationalisme Libyen et la domination étrangère à l'époque gréco-romaine, dans *LA*, n° 11, 1988, pp. 165-177.

ALEXANDROPOULOS J., *Les monnaies de l'Afrique antique (400 av.j.-c – 40 ap. j.-c)*, PUF, Toulouse, 2000.

AL-MAQDISSI M., Amrith dans la Pérée d'Arados. Nouvelles recherches sur la période phénicienne tardive, dans CRAI, Année 2014, 158-1, pp. 457-484.

AMADASI GUZZO M.-G., Les divinités dans les inscriptions puniques de Tripolitaine: essai de mise au point, dans *BCTH*, n.s. 17, fasc. B, 19984, pp.189-196.

AMADASI GUZZO M.-G., Remarques sur la présence phénico-punique en Espagne d'après la documentation épigraphique, dans *2ème congrès internationale d'études des cultures de la méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 33-41.

BALOUT L., *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, AMG, Paris, 1955.

BASSET H., Les influences puniques chez les Berbères, dans *Rev. Afr.*, 72è année, T. LXII, n° 366, 1er Trimestre 1921, pp. 340-373.

BASSET H., Quelques notes sur l'Ammon libyque, dans *Mélanges offerts à Basset, R.*, T. I, Éditions Ernest Leroux, Paris, 1923, pp. 1-30.

BATES O., *The Eastern Libyan*, Frank Cass et Co, LTD, London, 1970.

BEDOUI H., BEN YOUNES H., et DUTOUR O., Études anthropologiques préliminaire d'une population antique du Sahel de la Tunisie (cas de la nécropole d'Echat et de Zbidi-Ras Dimas, Thapsus), dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 1-12.

BEHRENS P., Langues et migrations des premiers pasteurs du Sahara: la formation de la branche berbère, dans *LA*, n° 11, 1988, pp. 31-53.

BELLARD C.-G., La fondation phénicienne d'Ibiza et son développement au VII et VI siècle av. j.-c., dans *ACISPP, II*, Roma 9-14 novembre 1987, Vol. I, Roma, 1991, pp. 109-112.

BEN ABID L., Le paysage religieux de Maktar à l'époque préromaine : l'aire sacrée de Baal Hammon, dans *Revue de l'histoire des religions*, T. 4, 2010, pp. 683-701.

BEN YOUNES H., El Gaala, site périphérique de la ville de Thapsus (Ras Dimas) à l'époque préromaine. Note préliminaire, dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 9-12.

BEN YOUNES H., et GHAKI M., Sahel, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 261-268.

BEN YOUNES H., et KRANDEL A., Typologie des tombeaux puniques en pays numide, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 1-37.

BEN YOUNES H., La nécropole punique d'ElHkayma, mai 1984, dans *REPPAL*, T. II, 1986, pp. 31-111 + 61 pls.

BEN YOUNES H., La nécropole punique d'ElHkayma, seconde campagne, septembre 1985, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 49-81.

BEN YOUNES H., La nécropole punique de Moknine. Etat de la question, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 19-27.

BEN YOUNES H., Note sur les Tumulus de Henchir Elmizouri (Sidi Alouane) au Sahel tunisien, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 33-42.

BEN YOUNES H., Rapport sur la campagne de fouilles effectuées dans la

grande nécropole punique de Mehdia octobre-novembre 1982, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 23-61.

BEN YOUNES, H., Rapport sur la campagne de fouilles effectuées dans la grande nécropole punique de Mehdia, Octobre-Novembre 1982, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 23-61.

BENICHOU- SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, CNRS, Paris, 1982.

BÉNICHOU-SAFAR H., Les enseignements tirés des fouilles de la nécropole punique voisine de Sainte-Monique à Carthage, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 717-723.

BÉNICHOU-SAFAR H., *Les tombes puniques de Carthage*, CNRS, Paris, 1982.

BERBRUGGER A., Chronique de la société historique algérienne, analyse du procès-verbal de la séance générale du 18 janvier 1861, dans *Rev. Afr.*, 5è année, n° 27, mai, 1861, pp. 144-160.

BERGER PH., *l'Ecriture dans l'antiquité*, Imprimerie nationale, Paris, MDCCCXCI.

BERTHIER A., et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, AMG, Paris, 1955.

BERTHOLON L., et CHANTRE E., *Recherches anthropologiques dans la Berbérie orientale*, 1ère partie, A. Rey, Imprimeur-Editeur, Lyon, 1913.

BERTHOLON L., Étude comparée sur des crânes de carthaginois il y a 2000 ans et de tunisois contemporains, dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 86 bis, mars 1911, pp. 161-168.

BERTHOLON L., Le peuplement du Nord-Est de l'Afrique avant les phéniciens, dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 89 bis, septembre 1911, pp. 391-414.

BERTRANDY F., Cirta, dans *Ency. Berb.*, T. XIII, Édisud, Aix-en-Provence, France, 1994, pp. 1964-1977.

BESCHAOUCH A., Le territoire de Sicca Veneria (El-Kef), nouvelle Cirta, en Numidie proconsulaire (Tunisie), dans *CRAI*, Année 1981, 125-1 pp. 105-122.

BONNET, C., le destin féminin de Carthage, dans *PALLAS*(Revue d'études antiques), n° 85, 2011, pp. 19-29.

BORDREUIL P., Attestations inédites de Melqart, Baal Hammon et Baal Saphon à Tyr, dans *SP*, T. IV, 1986, pp. 77-86.

BORDREUIL P., Épigraphes phéniciennes sur bronze, sur pierre, et sur céramique, dans *Archéologie du Levant*, Lyon, 1982, pp. 179-186.

BORDREUIL P., et FERJAOUI A., À propos de BN SR et BN QRTHDST, dans *SP*, T. VI, 1978, pp. 137-142.

BORDREUIL P., Le dieu Echmoun dans la religion d'Amrit, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 221-230.

BRUNOT L., Grèce antique et Afrique du nord, *Extrait du Bulletin de l'enseignement public au Maroc*, n°223, mai-juin 1953, pp. 1-10.

BUNNES G., *L'expansion phénicienne: essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires*, Bruxelles-Rome, 1979.

BUNNES G., La distinction entre phéniciens et puniques chez les auteurs classiques, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 231-238.

CAGNAT R., *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord*, 3ème édition, Librairie Renouard, H. Laurens Editeurs, Paris, 1927.

CAMPS G., Annaba, dans *Ency. Berb*., T. V, Aix-en-Provence, France, 1988, pp. 675-678.

CAMPS G., *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, AMG, Paris, 1961.

CAMPS G., Compte rendu sur Bénichou - Safar, H., les tombes puniques de Carthage (1982), dans *ROOM*, n°36, 2è Semestre 1983, pp. 202-203.

CAMPS G., Essais de cartographie culturelle, dans *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique: Hommage à Pierre Salama*, Études réunies par DUPUIS, X. et LEPELLEY, C., Éditions de la Sorbonne, Paris, 1999, pp. 31-47.

CAMPS G., *L'Afrique du Nord au féminin*, Perrin, Paris, 1992.

CAMPS G., *Les Berbères, mémoire et identité*, Editions Errance, Paris, 1987.

CAMPS G., Les cités numides et maures, dans *Ency. Berb.*, T. XIII, Aix-en-Provence, France, 1994, pp.1980-1989.

CAMPS G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Dion, Paris, 1974.

CAMPS G., Liste onomastique libyque d'après les sources latines, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 39-73.

CAMPS G., *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, dans *Libyca (Anthr.-Préh.-Ethn.)*, T. VIII, 1960.

CAMPS G., Protohistoire de l'Afrique du Nord: questions de terminologie et de chronologie, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 43-70.

CAMPS G., Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara, dans *BCTH*, n.s, n°10-11, fasc. A, 1977, pp. 143-166.

CAMPS G., Réflexions sur l'origine des juifs des régions nord-sahariennes, dans *Travaux du LAPEMO*, étude n° 10, 1980, pp. 1-11.

CAMPS G., Réflexions sur la pénétration de la civilisation punique en Numidie, dans *Travaux du LAPEMO*, 1975, pp. 1-13.

CAMPS-FABRER H., et MORIN-BARDE M., Amulette, dans *Ency. Berb.*, T. IV, Aix-en-Provence, France, 1987, pp. 613-622.

CAMPS-FABRER H., *Matière et art mobilier dans la préhistoire africaine et saharienne*, AMG, Paris, 1966.

CARTER T.-H., Western Phoenician and Lepcis, dans *AJA*, T. LXIX, 2, 1965, pp. 123-132.

CARTON L., Huitième chronique archéologique nord-africain (années 1910-1911), dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 89 bis, septembre 1911, pp. 448-466.

CARTON L., *Sanctuaire punique découvert à Carthage*, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1929.

CARTON, L., Fouilles du sanctuaire punico-romain de Tanit découvert à El-Kenissia, près de Sousse, dans *CRAI*, Année 1905, 49-5, pp. 501-504.

CARTON, L., Les fouilles à El Kenissia, près de Sousse (Tunisie), dans *CRAI*, Année 1903, 47-4, pp. 283-287.

CHABOT J.-B., À propos d'inscription punique, dans *Rev. Afr.*, 72è année, n°364-365, 3è et 4è Trimestres 1935, pp. 27-34.

CHABOT J.-B., Fantaisies libyque, dans *Rev. Afr.*, T. LXXX, n°371, 2è Trimestre, 1937, pp. 129-141.

CHABOT J.-B., Les inscriptions libyques de Dougga, dans *JA*, T. XVII, n°1, Janvier-mars 1921, pp. 67-96.

CHABOT J.-B., Punica, dans *JA*, T. VII, mai-juin 1916, pp. 443-467.

CHABOT J.-B., Punica, dans *JA*, T. XI, Mars-Avril 1918, pp. 249-302.

CHABOT J.-B., *Recueil des inscriptions libyques*, 1er fascicule, Imprimerie nationale, Paris, 1940.

CHAKER S., L'inscription libyque de Sidi Naamane, *CTHS*, n.s., fasc. 25, 1989, pp. 33-39.

CHAKER S., *Textes en linguistique berbère*, CNRS, Paris, 1984, pp. 233-234.

CHAMLA M.-C., Anthropologie (préhistoire et antiquité), dans *Ency. Berb.*, T. V, Aix-en-Provence, France, 1988, pp. 721-742.

CHEBBI ROUDESLI S., A propos des crânes puniques de Carthage, dans *Africa(Série REPPAL)*, n° IX, 1995, pp. 189-202.

CHÉHAB M., Découvertes phéniciennes au Liban, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 165-183.

CHELBI F., À propos des amphores archaïques de Carthage, dans *ACISPP, II*, Roma 9-4 novembre 1987, Vol. II, Roma, 1991, pp. 715-731.

CHELBI F., Prospection archéologique dans la région de Bizerte (année 1986), dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 71-83.

CHENORKIAN R., *Les armes métalliques dans l'art protohistorique de l'Occident méditerranéen*, CNRS, Paris, 1988.

CHÉRIF Z., Découverte fortuite d'une tombe punique à Hammam El Enf, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 83-95.

CINTAS P., À propos de Motyé CIS, 1,2, n°157», réflexions sur l'épigraphie paléopunique, dans *Karthago*, T. XII, 2è année, 1963-64, pp. 174-163.

CINTAS P., *Amulettes puniques*, Imprimerie Rapide, Tunis, 1946.

CINTAS P., *Céramique punique*, Librairie C. Klincksiek, Paris, 1950.

CINTAS P., *Éléments d'étude pour une protohistoire de la Tunisie*, PUF, Paris, 1961.

CINTAS P., et GOBERT E.-G., Les tombes du Jbel Mlezza, dans *Rev. Tun.*, 2è, 3è et 4è Trimestres, n.s, n°38-39-40, 1939, pp. 135-198.

CINTAS P., Le sanctuaire punique de Sousse, dans *Rev. Afr.*, n°410-411, 1947, pp. 1-80.

CINTAS P., *Manuel d'archéologie punique*, T. I, Editions A. et j. Picard, Paris, 1970.

CINTAS P., *Manuel d'archéologie punique*, T. II, Editions A. et j. Picard, Paris, 1976.

CINTAS P., Un sanctuaire pré-carthaginois sur la grève de Salammbô, dans *Rev. Tun.*, 1è et 2è Trimestres, 3è série, n°1 et 2, 1948, pp. 1-31.

COLIN F., Le vieux libyque dans les sources égyptiennes (de la nouvelle empire à l'époque romaine) et l'histoire des peuples libyco-phones dans le Nord de l'Afrique, dans *BCTH*, n.s, 25, 1999, pp. 13-18.

CONTENAU G., *Manuel d'archéologie orientale*, T. I, Editions Auguste Picard, Paris, 1927.

CROUZET S., Les statuts civiques dans l'Afrique punique, dans *MEFR*, T. 115, 2003, pp. 655-703.

D'ANDREA B. et, GIARDIN S., Le tophet : où et pourquoi. L'identité phénicienne, le cercle de Carthage et la phase tardo punique, dans *la vie la mort et la religion dans l'univers phénicien et punique*, Actes du VIIème congrès international des études phéniciennes et puniques, Volume III, Institut National du Patrimoine, Tunis, 2019, pp. 1519-1551.

DECRET F., *Carthage ou l'empire de la mer*, Éditions du Seuil, Paris, 1956.

DECRET F., et FANTAR M.-H., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Payot, Paris, 1981.

DESANGES J., Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique, dans *Actes du 17ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 20 & 21 octobre 2006*, publications de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Année 2007, 18, pp. 167-184.

DESANGES J., *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Publications de la section d'histoire, n°4, Université de Dakar, 1962.

DESANGES J., Étendue et importance du Byzacium avant la création, sous Dioclétien, de la province de Byzacène, dans *CT*, 11è année, n°44, 4è Trimestre, 1963, pp. 7-22.

DESPOIS J., *La Tunisie, ses régions*, Librairie Armand Colin, Paris, 1961.

DEVILLERS O., Regards romains sur les Autels des frères Philènes, dans *Africa Romana*, T. XIV, Vol. I, 2000, pp. 119-144.

DI VITA A., Influences grecques et tradition orientale dans l'art punique de Tripolitaine, dans *MEFR*, Année 1968 80-1 pp. 7-84.

DRINE A., Le sanctuaire de Tala (Ile de Djerba), dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 29-32.

DRIOTON É., et MONTET P., Une inscription égyptienne du Musée de Carthage, dans *CRAI*, Année 1959, 103-2, pp. 442-447.

DUNAND M., L'iconographie d'Echmoune dans son temple sidonien, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. II, Roma, 1983, pp 515-516.

DUSSAUD R., *Les religions des Hittites et des Hourrites*, des Phéniciens et des Syriens, PUF, Paris, 1949.

DUSSAUD R., Melqart, dans *Syria*, T. 25, Fasc. 3/4 (1946 - 1948), pp. 205-230.

DUSSAUD R., Melqart, d'après de récents travaux, dans *Revue de l'histoire des religions*, Année 1957, pp. 1-21.

EL-RASHDY F., les pratiques funéraires des Garamantes et leurs relations avec celles d'autres peuples d'Afrique du Nord, dans *LA* (Documents de travail et compte rendu des débats du colloque organisé par l'UNESCO, Paris 16-18 Janvier 1984), UNESCO, Paris, 1986, pp. 85-113.

FAIDHERBE (Le général), Découverte d'une inscription libyque aux Canaries, dans *Rev. Afr.*, 1873, pp. 34(une page).

FANTAR M. H., À propos de la présence des Grecs à Carthage, dans *Ant. Afr.*, T. 34, 1998, pp. 11-19.

FANTAR M., Résumé: recherche sur l'architecture funéraire punique au Cap Bon, dans *REPPAL*, T. XII, 2002, pp. 39-45.

FANTAR M.-H., À propos d'Ashtart en Méditerranée occidentale, dans *Actes du 1er congrès d'étude des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Société nationale d'édition et de la diffusion, Alger, 1973, pp. 509-518.

FANTAR M.-H., Baal Hammon, dans *REPPAL*, T.V, 1990, pp. 67-105.

FANTAR M.-H., *Carthage. Approche d'une civilisation*, T. II, Alif, Tunis, 1993.

FANTAR M.-H., *Eschatologie phénicienne-punique, Collection Notes et documents*, INAA, centre de la recherche archéologique et historique, Tunis, 1970.

FANTAR M.-H., *Kerkouane, cité punique au Cap Bon*, Maison tunisienne d'édition, Tunis, 1987.

FANTAR M.-H., La cité punique de Thapsus, dans *Actes du 2éme congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 59-69.

FANTAR M.-H., La religion phénicienne et punique de Lixus, témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, dans *Actes du colloque sur Lixus*, Larache 8-11 novembre 1989, Ecole française de Rome, Palais Farnès, Rome, 1992, pp. 115-121.

FANTAR M.-H., Les études puniques en Tunisie, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 179-186.

FANTAR M.-H., Nécropoles puniques de Tunisie, dans *Actes du VIé colloque international sur l'Afrique du nord antique et médiévale* (Pau, octobre 1993-118é congrès), Edition du CTHS, Paris, 1995, pp.55-72.

FANTAR M.-H., Présence punique et libyque dans les environs d'Apsis au cap Bon, dans *CRAI*, Année 1988, 132-3, pp. 502-518.

FANTAR M.-H., Présence punique et romaine à Tunis et dans ses environs immédiats, dans *Ant. Afr.*, T. 14, 1979, pp. 55-81.

FANTAR M.-H., Stèles épigraphiques du Tophet de Sousse, dans *REPPAL*, T. IX, 1995, pp. 25-43.

FERCHIOU N., Fossa Regia, *Ency. Berb.*, 19, 1998, pp. p. 2897-2911.

FERCHIOU N., L'architecture préromaine d'Uzila Sar (Henchir Djal), Tunisie, observations préliminaires, dans *REPPAL*, T. IV, 1988, pp. 247-252.

FERCHIOU N., Le sanctuaire de Carthage dit chapelle Carton, dans *CEDAC*, Carthage, Bull. n° 8, 1987, pp. 13-17.

FERCHIOU N., Nouvelles données sur un fossé inconnu en Afrique proconsulaire et sur la fossa regia, dans *Actes du IIIè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Montpellier, 1-5 avril 1985, BCTH, 1986, pp. 351-362.

FERCHIOU N., Un petit monument de Mididi : temple ou mausolée, dans *Ant. Afr.* Année 1985, 21, pp. 159-172.

FERCHIOU N., Un problème d'éclairage historique: le cas des tumulus et des bazinats de l'ancien territoire de Carthage punique, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 186-190.

FERCHIOU N., Un Fossé Inconnu en Afrique Proconsulaire: suite des recherches, dans *REPPAL*, T. V, 1990, pp. 107-115.

FERJAOUI A., À propos des inscriptions mentionnant les Suffètes et Rabs dans la généalogie des dédicants à Carthage, dans *ACISPP, II*, Roma 9-4 novembre 1987, Vol. II, Roma, 1991, pp. 479-483.

FERJAOUI A., et M'CHAREK A., Le sanctuaire de Baal Hammon-Saturne à Henchir Ghayada, dans *REPPAL*, T. V, 1990, pp. 117-141.

FERJAOUI A., Fonctions et métiers de Carthage punique à travers les inscriptions, dans *REPPAL*, T. VI, 1991, pp. 71-86.

FERJAOUI A., Nouveaux fragments stèles néopuniques de Mididi, dans *REPPAL*, XII, 2002, pp. 64-72.

FERJAOUI, A., *Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage*, Fondation nationale - Carthage, Tunis, 1992.

FERRON J., Dédicace latine à Baal Hammon, dans *Cahiers de Byrsa*, T. III, 1953, pp. 113-118.

FERRON J., Inscription punique archaïque à Carthage, dans *Mélanges de Carthage offerts à Saumagne, Ch.*, Paris, 1964-65, pp. 46-64.

FERRON J., L'inscription dite bilingue des disques en plomb de Carthage, dans *Mélanges de Carthage offerts à Saumagne, Ch.*, Paris, 1964-1965, pp. 65-83.

FERRON J., La Byzacène à l'époque punique, état actuel des connaissances, dans *CT*, 11è année, n° 41-42, 1963, pp. 31-46.

FERRON J., Le médaillon de Carthage, dans *CT*, T. VIII, 1958-1959, pp. 45-56 + 2 pls.

FERRON J., Restauration de l'autel et gravure d'une image sacrée dans un sanctuaire sahélien de Baal Addir, dans *SP*, T.III, 1987, pp. 193-224.

FÉVRIER J.-G., *Histoire de l'écriture*, Payot, Paris, 1984.

FÉVRIER J.-G., L'inscription punico-libyque de Maktar, dans *JA*, T. CCXXXVII, 1949, pp. 85-91.

FÉVRIER J.-G., Les fouilles de Byblos et la date de l'alphabet phénicien, dans *JA*, T. CCXVI, 1948, pp. 1-10.

FÉVRIER J.-G., Paralipomenta punica, I- A propos du serment d'Hannibal, dans *Cahiers de Byrsa*, T. VI, 1956, pp. 13-25.

FÉVRIER J.-G., Que savons-nous du libyque, dans *Rev. Afr.*, T. C, 1956, pp. 263-273.

FÉVRIER P.-A., (Discutions) dans *Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. I, Alger, 1976, pp. 13(une page).

FOUCHET M.-P., *L'Art à Carthage*, T. I, Éditions Georges Fall, Paris, 1962.

GALAND L. ; FÉVRIER J. ; et VAJDA G., *Les inscriptions antiques du Maroc*, Éditions du CNRS, Paris, 1966.

GALAND L., Épigraphie libyco-berbère, la lettre du RIL b, répertoire des inscriptions libyco-berbères, dans *EPHE*- IV section, n° 7, 2001, pp. 1-2.

GALAND L., L'inscription d'Azib n'Ikkis, dans *BAM*, T. IV, 1960, pp. 418-421.

GALAND L., Les alphabets libyques, dans *Ant. Afr.*, T. 25, 1989, pp. 69-81.

GALAND L., Observations sur l'enchaînement du récit en berbère, dans *Actes du 1er congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Alger, 1973, pp. 81-99.

GAUCKLER P., *Nécropoles puniques de Carthage*, 1ére partie, Auguste Picard, Editeur, Librairie des Archives nationaux et de la société de L'école des Chartes, Paris, 1915.

GERMAIN G., Le culte du bélier en Afrique du Nord, dans *Hespéris*, T. XXXV, 1er et 2è Trimestres 1948, pp. 93-124.

GEUS K. et ZIMMERMANN K., *Punica, Libyca, Ptolemaica: Festschrift für Werner hub*, Uitgeverij Peeters en Département Oosterse Studies, Leuven-Parid-Sterling, Virginia, 2001

GHAKI M., Inscriptions libyques de Tunisie, dans *Épigraphie libyco-berbères, la lettre du RILB*, n° 18-19, 2012-2013, pp. 2-4.

GHAKI M., l'apport des inscriptions libyques, dans *Débuts de l'écriture au Maghreb*, Actes des colloques organisés à Casablanca par la Fondation Al Saoud, 2004, pp. 19-24.

GHAKI M., La répartition des inscriptions libyques, dans *Africa(série REPPAL)*, T. IX, 1995, pp. 93-108.

GHAKI M., Le cas de la stèle libyque Borj Hellal 3 : note sur l'orientation de l'écriture libyque, *Extrait dell Instituto Archeologico Germanico, Sezione romana*, Vol. 104, 1997, pp. 387-391.

GHAKI M., Le libyque, dans *Revue Tunisienne d'Archéologie*, n°1, 2013, pp. 9-28

GHAKI M., Les haouanet d'Elharouri, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 229-251.

GHAKI M., *Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech*, Institut National du Patrimoine, Tunis, 1999.

GHAZI-BEN MAISSA H., Image ou mirage de la Tingitane à travers les sources arabes médiévales, dans *Africa romana*, T. XIV, 2002, pp.2185-2266.

GHAZI-BEN MAISSA H., L'assise historique de l'institution royale au Maroc, dans *Le monde Amazigh*, n° 39, Novembre 2003, pp. 3-4.

GHAZI-BEN MAISSA H., Le culte royal en Afrique mineure antique, dans *Hespèris Tamuda*, Vol. XXXII, fasc.2, 1997, pp. 7-42.

GHAZI-BEN MAISSA H., Le royaume du Maroc antique : image et réalité, dans *Mélanges offerts à Boutaleb, B.*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Rabat, série : essai et études, n° 27, 2001, pp. 9-31.

GHAZI-BEN MAISSA H., Muttines, le libyphéniciens(212-190 avt. j.-c.), dans *Hespèris Tamuda*, Vol. XXXII, 1994, pp. 7-10.

GOBERT E.-G., et CINTAS P., Smirat, dans *Rev. Tun.*, 1er, 2è et 3è Trimestres, n.s., n°45-46-47, 1941, pp. 83-121.

GOBERT E.-G., Notes générales acquises sur la protohistoire de la Tunisie, dans *Actes du congrès panafricain de préhistoire*, 2è session, Alger, 1952, pp. 221-239.

GRAN-AYMERICH J., La Méditerranée et les sites princiers du détroit de Gibraltar et dans «l'isthme gaulois», dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 97-109.

GRAS M., ROUILLARD P., et TEIXIDOR J., *L'Univers phénicien*, Édition révisée, Hachette, Paris, 1995.

GRENIER J.-C., Une scène d'offrande à Astarté, dans *Mélanges offerts à Vercoutter, J.*, Édition Recherche sur les civilisations, Paris, 1985, pp 107-110.

GSELL S., Étendue de la domination carthaginoise en Afrique, dans *Recueil de mémoires et de textes publiés en l'honneur du XIVè congrès des orientalistes*, Algiers, 1905, Kraus Reprint, Nendeln/Liechtenstein, 1968, pp. 347-387.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I, 3è édition revue, Librairie Hachette, Paris, 1921.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. II, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1921.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. III, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1921.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. IV, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1929.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. VI, 2è éd., Librairie Hachette, Paris, 1929.

GSELL S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. VII, édité par Otto Zeller Verlag Osnabrück, 1972.

GSELL S., *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915.

HACHID M., *Le Tassili des Ajjer: aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides*, Paris, 2000.

HACHID M., *Les pierres écrites de l'Atlas saharien*, El-Hadjra El-Mektouba, T. I, ENAG/Éditions, 1992.

HACHID M., *Les premiers berbères*, Ina-Yas, Édisud, Paris, 2000.

HALÉVY J., Les inscriptions du roi Kalamu, dans *Revue Sémitique*, T. XX, 1912, pp. 19-30.

HALFF G., L'onomastique punique de Carthage, dans *Karthago*, T. VI, Édisud, Aix-en-provence, France, 1989, pp. 855-861.

HALVEY, J., Étude sur l'alphabet libyque et ses rapports avec l'alphabet phénicien, dans *CRAI*, Année 1872, 16, pp. 231-233.

HARDEN D., *The Phoenicians*, Thames and Husden, London, 1963.

HEURGON J., Sur l'interdiction de naviguer au-delà du Beau-Promontoire dans le premier traité entre Rome et Carthage, dans *Ant. Afr.*, Année 1979, 14, pp. 37-42.

HOURS-MIÉDAN M., *Carthage*, PUF, Paris, 1964.

JÉQUIER G., *Histoire de la civilisation égyptienne*, Éditions du Rocher, Paris, 1993.

JODIN A., L'archéologie phénicienne au Maroc, ses problèmes et ses résultats, dans *Hespéris Tamuda*, Vol. VII, fasc. Unique, 1966, pp. 9-16.

JUDAS A., Sur vingt-sept inscriptions libyques récemment trouvées aux environs de Bône en Algérie, dans *Rev. Afr.*, 11è année, n° 70, juillet 1868, pp. 257-276.

KADRA-HADJADJI H., *Massinissa le Grand Africain*, Éditions Karthala, Paris, 2013.

KALLALA N., De Sicca au Kef (au nord-ouest de la Tunisie), histoire d'un toponyme, dans *Africa*, no XVIII, mai 2000, p. 77-104.

KARAGEORGHIS, V., New phoenician discoveries in Cyprus, dans *ACISPP*, I, Roma, 1983, pp. 173-176.

KATZENSTEIN H.-J., Some reflexions on the phoenician deities mentioned in the treaty between Esarhaddon king of Assyria and Baal king of Tyre, dans *ACISPP*, II, Vol. I, Roma, 1991, pp. 373-377.

KHANOUSSI M., et GHARBI M., Un nouvelle représentation de divinités numides sur un bas-relief de Borj Hellal (Thunussida), dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 171-175.

KHANOUSSI M., L'évolution urbaine de Thugga (Dougga) en Afrique proconsulaire: de l'agglomération numide à la ville africo-romaine, dans *CRAI*, 2003, 147-1, pp. 131-155.

KOTULA J., Afri, dans *Ency. Berb.*, T. II, Aix-en-Provence, France, 1985, pp. 208-210.

KRANDEL-BEN YOUNES A., La nécropole rurale de Thigibba Bure (Djebba), dans *REPPAL*, T. VII-VII, 1992-1993, pp. 179-219.

KRANDEL-BEN YOUNES A., Les haouanet d'Elharouri, dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 229-251.

KRANDEL-BEN YOUNES A., Note à propos d'un type de caveau bâti rencontré aux Andalouses (Algérie), dans *REPPAL*, T. III, 1987, pp. 1-12.

LABAT R., *Le caractère religieux de la royauté assyro-babylonienne*, Librairie d'Amérique et d'Orient adrien-maisonneuve, Paris, MCMXXXIX.

LANCEL S., *Byrsa II, mission archéologique française à Carthage. Rapports préliminaires des fouilles 1977-1978 (Niveaux et vestiges)*, Collection de l'École Française de Rome, 1982.

LANCEL S., *Carthage*, Fayard, Paris, 1992.

LANCEL S., et LIPINSKI E., Sahel, dans *DCPP*, pp. 384(une page).

LANCEL S., Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin: Recherches de topographie ecclésiastique, dans *MEFR*, 1984, 96, 2, pp. 1085-1113.

LANCEL S., La Carthage punique, *Ency. Berb.*, T. XI, Aix-en-Provence, France, 1992, pp. 1780-1789.

LAPEYRE G.-G., et Pellegrin A, *Carthage punique*, Payot, Paris, 1942.

LARONDE A., Grecs et Libyens à l'époque classique et hellénistique, dans *Collection de l'Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité*, Année 1993, 491, pp. 169-182.

LARONDE A., *La Cyrène et la Libye hellénistique*, Éd. CNRS, Paris, 1987.

LECLANT J., Carthage et l'Égypte, dans *Actes du IIIè congrès des études phéniciennes et puniques*, Tunis, 11-16 Novembre 1991, Vol. I, INP, Tunis, 1995, pp. 41-50.

LEGLAY M., Nouveautés puniques, dans *Rev. Afr.*, T. XCVI, 3è et 4è Trimestre 1952, pp. 399-415.

LEGLAY M., *Saturne africain*, Éditions E. de Boccard, Paris, 1966.

LEVI DELLA VIDA G., Iscrizione punico da Sabratha, dans *LA*, T. VIII-IX, 1966-1967, pp. 9-11.

LEVI DELLA VIDA G., Le iscrizione neopuniche della Tripolitania, dans *Libya*, T.2, 1927, pp. 1-26.

LIPINSKI E., *Dieux et déesses de l'univers phénicien et punique*, Publications du SP, T. XIV, 1995.

LIPINSKI E., La Méditerranée Centrale D'Après Le Pseudo-Skylax, dans *Journal of Mediterranean Studies*, Volume 3, Number 2, 1993, pp. 175-197.

LIPINSKI E., Les racines syro-phéniciennes de la religion carthaginoises, dans *CEDAC*, Carthage, Bulletin n° 8, 1987, pp. 28-44.

LIPINSKI E., Sites «phénico-puniques» de la côte algérienne, dans *REPPAL*, T. VII-VIII, 1992-1993, pp. 287-323.

LITTMAN M.-E., L'origine de l'alphabet libyque, dans *JA*, 1904, pp. 423-442.

LONGERSTAY M.-S., Haouanet : quelle définition?, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 157-167.

LONGERSTAY M.-S., Les haouanet. État de la question, dans *Actes du VIè colloque sur les institutions autochtones en Afrique du Nord antique et médiévale*, Pau, Octobre 1993-118è congrès, BCTH, 1995, pp. 33-52.

LONGERSTAY M.-S., Les représentations picturales de mausolées dans les haouanet du N-O de la Tunisie, dans *Ant. Afr.*, Année 1993, 29, pp. 17-51.

LONGERSTAY M.-S., Les représentations picturales de mausolées dans les houanet du Nord-Ouest de la Tunisie, dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 novembre 1991, Vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 210-219.

LUQUET A., Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc: le Maroc punique, dans *BAM*, T. IX, 1973-1975, pp. 237-293.

MALHOMME J., L'homme à l'inscription des Azibs n'Ikkis, Yagour, dans *BAM*, T. IV, 1960, pp. 411-417

MARCY G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, Cahiers de la société asiatique, V, Imprimerie nationale, Paris, 1936.

MARCY G., Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, dans *Hespéris*, T. XX, fasc. 1-2, 1935, pp. 21-72.

MARCY G., Réponse à M. l'Abbé Chabot, dans *Rev. Afr.*, T. LXXX, n° 371, 2è Trimestre 1937, pp. 142-158.

MARCY, G., *Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord*, Cahiers de la société asiatique, V, Imprimerie nationale, Paris, 1936.

MARIN CEBALLOS M.-C., Documents pour l'étude de la religion phénico-punique dans la Péninsule ibérique: Astarté, dans *Actes du IIè congrès international d'étude des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. II, Alger, 1978, pp. 21-32.

MATTINGLY P., Nouveaux aperçus sur les Garamantes : un Etat saharien ?, dans *Ant. Afr.*, T. 37, 2001, pp. 45-61, p. 53.

MELLERCH H.-E.-L., *Carthage*, Weidenfeld et Nicilson LTD, London, 1963.

MERCIER G., La langue Libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, dans *JA*, T. CCIV, Octobre-Décembre 1924, pp. 189-320.

MERLIN, A., Divinités indigènes sur un bas-relief romain de la Tunisie, dans *CRAI*, Année 1947, 91-2, pp. 355-371.

MONCHAMBERT J.-Y., ET AUTRES, Utique, Chronique des activités archéologiques de l'École française de Rome [En ligne], Maghreb, mis en ligne le 24 juillet 2013, consulté le 31 mai 2020. URL: http://journals.openedition.org/cefr/996;DOI:https://doi.org/10.4000/cefr.996.

MOSCATI S., L'expansion phénico-punique dans la Méditerranée occidentale, dans *Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale*, T. I, Alger, 1976, pp. 9-33.

MOSCATI, S., *L'épopée des phéniciens*, traduit par SALA, C., et revue par ARCELIN, P., Fayard, Paris, 1971.

NIEMEYER H.-J., Á la recherche de la Carthage archaïque : premiers résultats des fouilles de l'Université de Hambourg, 1986, dans *Actes du IVè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Strasbourg, 1988, T. I, Éd. BCTH, Paris, 1990, pp. 45-52.

PAÏS E., Leçons sur les guerres puniques, dans *Rev. Afr.*, T. LXVII, n° 322, 1925, pp. 11-74.

PALLARY P., Notes sur quelques coutumes carthaginoises et sur la survivance du symbole de Tanit, dans *Rev. Afr.*, 18è année, n° 86 bis, mars 1911, pp. 127-137.

PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité (l'Égypte)*, T. I, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1882.

PERROT G., et CHIPIEZ Ch., *Histoire de l'art dans l'antiquité (Phénicie, Chypre)*, T. III, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1885.

PEYRAS J., Les libyens et les autres: réflexions sur la notion d'»influences», dans *Homme méditerranéen, Mélanges offerts à Provence*, 1995, pp. 215-230.

PEYRAS M., (Discussion) dans SZNYCER, M., Le problème de la «Mégara» de Carthage, dans *Actes du IIIè colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Montpellier 1-5 Avril 1985, CTHS, 1986, pp. 119-132.

PICARD C., et PICARD G., Problèmes d'Utique, dans *Bulletin de la Société nationale des Antiquaires de France*, Année 1996, 1994, pp. 71-72.

PICARD C., Les représentations du sacrifice molk sur les ex-voto de Carthage, dans *Karthago*, T. XVII, 1976, pp. 68-138.

PICARD C., Les sources de l'iconographie hellénistique à Carthage, dans *ACISPP, I,* Roma 5-10 novembre 1979, Vol. III, Roma, 1983, pp. 725-729.

PICARD C., Notes de chronologie punique : le problème du Vè siècle, dans *Karthago*, T. XII, 12è année, 1963-1964, pp. 16-29.

PICARD G.- Ch., Hercule et Melqart, dans *Hommages à Bayet, J.,* (*Collection Latamus 70)*, *Revue des études latines*, Bruxelles-Berchem, 1964, pp. 569-578.

PICARD G., *Le monde de Carthage*, Éditions Correâ, Buchet/Chastel, Paris, 1956.

PICARD G.-Ch., Est-il possible d'écrire une histoire de Carthage?, dans *ACISPP, I*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 279-283.

PICARD G.-Ch., et PICARD C., *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, Hachette, Paris, 1958.

PICARD G.-Ch., *Les religions de l'Afrique antique*, Librairie Plon, Paris, 1954.

PICARD G.-Ch., Mythes et histoire aux débuts de Carthage, dans *ACISPP, II*, Roma, 1991, pp. 385-392.

PICARD, G.-Ch., Mactar, dans *DCPP*, pp. 270-271.

PIGANIOL, A, *La conquête romaine*, PUF, Paris, 1974.

POINSSOT C. et SALOMONSON, J.-W., Le mausolée libyco-punique de Dougga et les papiers du comte Borgia, dans *CRAI*, Année 1959, 103-2, pp. 141-149.

POINSSOT L., Inscriptions libyques de Tunisie, dans *Rev. Tun.*, n° 13-14, 1er et 2è Trimestre 1933, pp. 19-30.

POTS A., Un pays sans nom, dans *Rev. Tun.*, 3è série, n° 1 et 2, 1er et 2è Trimestre 1948, pp. 72-83.

PRITCHARD J.-B, Sarepta and phoenician culture in the west, dans *ACSFP, I*, vol. II, Roma, 1983, pp. 521-525.

QUILLARD B., *Bijoux carthaginois*, T. I, les colliers, Louvain-La-Neuve, Paris, 1979.

RAKOB F., Architecture royale numide, dans *Architecture et société de l'archaïsme grec à la fin de la république romaine*, Actes du colloque international organisé par CNRS et l'École française de Rome, 2-4 décembre 1980, Publications de l'École Française de Rome, Année 1983, 66, Paris-Rome , pp. 325-348.

RAKOB F., La Carthage archaïque, dans *Actes du IVè congrès international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Strasbourg, 1988, T. I, Éd. BCTH, Paris, 1990, pp. 31-43.

REBUFFAT R., Graffiti en libyque de Bu Njem, dans *LA*, Vol. XI-XII, 1974-1975, pp. 165-187.

REBUFFAT R., Le libyque de Bu Njem et le libyque, dans *Débuts de l'écriture au Maghreb*, Actes des colloques organisés à Casablanca par la Fondation Al Saoud, 2004, pp. 55-83.

RENAN E., *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, 2è partie, 8è édition, Calmann-Levy, Éditeurs, Paris, 1928.

RÔLLING W., The phoenician language, dremarks on the present state of research, dans *ACISPP, I*, vol. II, Roma, 1983, pp. 375-385.

SADER H., Les territoires des cités phéniciennes entre continuité et changement, dans *Topoi. Orient-Occident*, Année 2015, Suppl. 13, pp. 107-121.

SAUMAGNE, Ch., Zama regia, dans *Rev. Tun.*, 1è, 2è et 3è Trimestres n° 45-46-47, 1941, pp. 235-269.

SKOUNTI A., et NAMI M., Une inscription rupestre libyco-berbère peinte d'Ifrane-n-Taska (Sud marocain), dans *Sahara*, T. 12, 2000, pp. 174-176.

SLOUSCH N., La civilisation hébraïque et phénicienne à Carthage, dans *Rev. Tun.*, 18è année, n° 87 bis, Mai 1911, pp. 213-239.

SOLIGNAC M., *Les pierres écrites de la Berbérie orientale (Est costantinois et Tunisie)*, Imprimerie J. Barlier et Cie, Tunis, 1928.

SOREIN D. ; BEN ABD KHADER A., et SLIM H., *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, Traduit de l'anglais par Pérez, A., Éd. Albin Michel. S.A, Paris, 1994.

STÉKÉLIS M., *Les monuments mégalithiques de Palestine*, Masson et Cie, Éditeurs, Paris, 1935.

STIEGLITZ R., Neith, Athena and Tinnet: cultural diffusion and Maghrebin antiquity, dans *Cahiers de Byrsa*, T. XXIX, n° 117-118, 3è et 4è Trimestres 1981, pp. 465-475.

SWIGGERS P., Byblos dans les lettres d'El Amarna: Lumières sur des relations obscures, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 45-58.

SZNYCER M., Carthage et la civilisation punique, dans *Rome et la conquête du monde méditerranéen 264-27 av. j.c.* (sous la direct. de NICOLET, Cl.), T. II, PUF, Paris, 1978, pp. 545-593.

SZNYCER M., L'emploi des termes «phénicien» et «punique», «néopunique», dans *Atti dell II congresso internazionale di linguista camito-semitica*, Firenze, 1978, pp. 261-268.

SZNYCER M., L'expansion phénico-punique, dans *la Méditerranée occidentale (problèmes et méthodes),* dans Actes du 2è congrès international d'études des cultures de la Méditerranée occidentale, T. I, Alger, 1976, pp. 39-48.

SZNYCER M., *Les passages puniques en transcription latine dans le «Poenulus» de Plaute*, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1967.

SZNYCER M., Les phéniciens à Malte d'après les témoignages épigraphiques, dans *Actes du congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Alger, 1973, pp. 147-151.

SZNYCER M., Rapports sur l'épigraphie phénicienne et punique (1979-1987), dans *ACSFP, II*, vol. II, Roma, 1991, pp. 535-543.

TAHAR M.-A., Á propos de la première intervention de Carthage à Sicile, dans *Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 11-16 Novembre 1991, vol. II, INP, Tunis, 1995, pp. 392-397.

THÉBERT Y., Bulla régia, dans *Ency. Berb.*, T. XI, 1992, Édisud, Aix-en-Provence, France, 1992, pp. 1647-1653.

TISSOT Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, T. I, Imprimerie nationale, Paris, 1884.

TLATLI S., *Djerba et djerbiens*, Imprimerie J. Aloccio, Tunis, 1942.

TLATLI S., *La Carthage punique*, Cérès productions, Tunis, 1978.

TROUSSET P., Gigthis, dans *Ency. Berb.*, 20, 1998, pp. 3128-3134.

VANDENBEELE, F., L'influence phénicienne sur la coroplasthie chypriote, dans *SP*, T. III, 1985, pp. 203-211.

VASSEL E., et ICARD, F., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage, dans *Rev. Tun.*, n° 152-153-154, Juillet-Décembre 1922, pp. 212-230.

VASSEL E., Études puniques (XIII), quinze ex-voto carthaginois, dans *Rev. Tun.*, n° 146-147-148, Juillet-Décembre 1921, pp. 197-206.

VASSEL E., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage, dans *Rev. Tun.*, n° 162-163, Décembre 1924, pp. 243-265.

VASSEL E., Les inscriptions votives du temple du Tanit à Carthage (suite), dans *Rev. Tun.*, n° 161, Août 1924, pp. 186-260.

VASSEL E., Moloch et le grand couple divin des carthaginois, dans *Rev. Tun.*, n° 155-156, Janvier- Avril 1923, pp. 88-90.

VAUFREY R., *Préhistoire de l'Afrique*, T. I, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955.

VÉGAS M., Carthage: La ville archaïque, céramique d'importation de la période géométrique récent, dans *Actes du colloque sur Lixus*, Larache 8-11 novembre 1989, pp. 181-189.

VERCOUTTER J., *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1945.

VIROLLEAUD Ch., *La légende de Keret, roi des sidoniens, publiée d'après une tablette de Ras-Shamra*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1936.

VIROLLEAUD Ch., *La légende phénicienne de Danel*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1936.

VIROLLEAUD Ch., Les textes alphabétiques de Ras-Shamra (Ugarit)

provenant de la XVIè campagne (1952), dans *CRAI*, Novembre-Décembre 1953, pp. 209-211.

VUILLEMOT G., Fouilles du mausolée de Beni Rhenane en Oranie, dans *CRAI*, Année 1964 108-1 pp. 71-95.

VUILLEMOT G., La nécropole du phare dans l'île de Rachgoun (Oran), dans *Libyca (Arch.-Épig.)*, T. III, 1955, pp. 7-76.

WALTER G., *La destruction de Carthage (264-161 av. j.-c.)*, Aimery Somogy, Éditeur, Paris, 1947.

WARMINGTON B.-H., *Histoire et civilisation de Carthage (814 av. j.-c. à 146 av. j.-c.)*, Traduit de l'anglais par GUILLEMIN, S.-M., Payot, Paris, 1961.

WERIEMMI-AKKARI J., Un témoignage spectaculaire de la présence libyco-punique dans l'île de Jerba: le mausolée de Henchir Bourgou, dans *REPPAL*, T. I, 1985, pp. 189-195.

XELLA P., Le polythéisme phénicien, dans *SP*, T. IV, 1986, pp. 29-39.

ثالثا: أطاريح جامعية:

أ- باللغة العربية:

أسمهر(المحفوظ)، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003 (مرقونة).

أعشي(مصطفى)، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ القديم، فاس، 1998-1999(مرقونة).

بودرقا (لحسن)، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب بالرباط، 2001-2002، ص. 285 (مرقونة).

الركيك (عبد اللطيف)، صورة الربة أفريقيا على ضوء المستخرجات الأثرية: التماثيل والفسيفساء والنقود كنماذج، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000 (مرقونة).

قمش(خديجة)، الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2004 (مرقونة).

ب- باللغات الأوروبية:

BEN GUITH HMISSA E., *Les monuments funéraires de tradition libyque dans le Sahel*, Mémoire de DEA, en archéologie, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 2000(dactylographiée).

BEN YOUNES H., *La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques*, Diplôme de recherches approfondies, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, Mai 1981(dactylographiée).

GHAKI M., *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides Vè siècle av. j.-c-1er siècle av. j.- c*, Thèse de 3ème cycle, Université de Paris I, Panthéon Sorbonne, Décembre 1979(dactylographiée).

MINIAOUI S., *La nécropole mégalithique d'Elles : architecture et céramique*, DEA en patrimoine et archéologie, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 2001 (dactylographiée).

NÉE ZEGHAL Y.-S., *La femme à Carthage de 814 à 146 av. j. - c*, Certificat d'aptitude à la recherche en histoire, Université de Tunis I, Faculté des sciences humaines et sociales 9 Avril, Tunis, 1978-1979 (dactylographiée).

رابعا: مدونات ومعاجم وقواميس:

أ- باللغة العربية:

لسان العرب(ابن منظور)، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

المحكم والمحيط الأعظم (أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2000.

المحيط في اللغة (الصاحب إسماعيل بن عباد)، تحقيق الشيخ حسين آل ياسين، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1994.

ب- باللغات الأوروبية:

Corpus Inscriptionum Latinarum, Consilio et autoritate, Academiae litterarum regiae borussicae, Editum, Voluminis supplementum, Pars IV, Berolini apud georgium reimerum, MCMXVI.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars prima, iinscriptio phoenicias continens, Tomus I, Fasculus tertus, MDCCCLXXXV.

Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, Paris, 1992

Dictionnaire étymologique des noms géographiques, par CHERPILLORD A., Mason, Paris (sans date).

Dictionnaire général de la langue amazighe, Publication de Institut Royal de la Culture Amazighe, Centre de l'Aménagement Linguistique (Cal), Série: Lexiques et dictionnaires - N° 13, Imprimerie El Maarif AL Jadida, Casablanca, 2017.

فهرس الجداول

الجدول رقم 1: أسماء الأعداد الرئيسية في اللغة البونية ولغات الشرق القديم..... 380

الجدول رقم 2: نماذج من الألفاظ المشتركة بين البونية واللغات الشرقية القديمة..... 381

الجدول رقم3 : نماذج لاختلاف ألفاظ اللغتين البونية والليبية من خلال النقائش المزدوجة... 383

جدول رقم4: التأثيرات الصواتية بين اللغتين البونية والليبية من خلال النقائش المزدوجة..... 384

الجدول رقم 5: مقارنة رسم الحروف في الخط الفينيقي والبوني..... 385

الجدول رقم 6: الحروف المتشابهة بين الكتابتين الفينيقية والليبية..... 386

الجدول رقم7: اختلاف الحروف البونية عن حروف الكتابة الليبية الشرقية 387

الجدول رقم 8: بعض الأرباب من خلال أسماء الأعلام البونية..... 388

الجدول رقم 9: أسماء ورموز وصور الأرباب المصرية على المواد الأثرية البونية 390

الجدول رقم 10 : أصول القبور المستعملة بالمجال القرطاجي الإفريقي..... 391

الجدول رقم 11: طرق الدفن بالقبور الليبية بالساحل الشرقي التونسي..... 392

فهرس اللوحات

اللوحة رقم 1: رأس كبش من الطين المشوي عثر عليه بقرطاج ربما له علاقة ببعل حمون أو أمون... 393

اللوحة رقم 2: تشخيصات الشخص الأقرن بسوريا وقبرص المنسوبة لبعل حمون 393

اللوحة رقم 3: تشخيص منسوب لبعل حمون بأدروميتوم بتونس(ق. 5 ق.م)..... 394

اللوحة رقم 4: تمثال منسوب لبعل حمون عثر عليه بثينسوت بتونس(ق. 1م) 394

اللوحة رقم 5: التشخيصات المنسوبة للربة الفينيقية عشتارت بقرطاج..... 395
اللوحة رقم 6: تماثيل نسبت لأرباب مصرية..... 395
اللوحة رقم 7: أضرحة مبنية بالمجال القرطاجي الإفريقي..... 396
اللوحة رقم 8: ضريح شبيه بضريح دقة مرسوم على جدار قبو بجبل ملزة (ق. 4 ق.م) . 397
اللوحة رقم 9: رسومات الأضرحة بحوانيت سيدي محمد الأطرش قرب رأس بون..... 397
اللوحة رقم 10: القبر ذو الجب بقرطاج وفينيقيا ومصر..... 398
اللوحة رقم 11: نموذج للقبو البوني..... 399
اللوحة رقم 12: نماذج من الأقبية بفينيقيا وقبرص..... 400
اللوحة رقم 13: رسم مبسط لنموذج الأقبية الشبيهة بالقبر ذو الجب (بجب ودون درج) بقبور جبل ملزة (ق. 4 ق.م)..... 401
اللوحة رقم 14 : بعض الخصائص المشتركة بين الأقبية والحوانيت والدولمن (المدخل والغرف المتوالية)..... 401
اللوحة رقم 15: توفر الدولمن بالمجال القرطاجي الإفريقي على بعض الخصائص المعمارية للأقبية (الدرج مثلا)..... 403
اللوحة رقم 16: القبر المبني بقرطاج ومصر وقبرص وإسبانيا..... 404
اللوحة رقم 17: المدافن الليبية بالمجال القرطاجي الإفريقي (الساحل الشرقي التونسي) 405
اللوحة رقم 18: نماذج من حوانيت المجال القرطاجي الإفريقي..... 406
اللوحة رقم 19: نموذج للمعالم المبنية فوق القبور بفينيقيا (موقع عمريت)..... 407

فهرس الخرائط

الخريطة رقم1: مجال المقاطعات الرومانية والخنادق الفينيقية والخنادق الملكية..... 408

الخريطة رقم2: حدود المجال القرطاجي الإفريقي..... 409

الخريطة رقم3: سكان المجال القرطاجي الإفريقي من خلال المصادر القديمة..... 410

الخريطة رقم4: أهم مواقع الآثار والنقائش الليبية بتونس..... 411

الخريطة رقم5: أهم الأضرحة بشمال إفريقيا القديم..... 412

الخريطة رقم6: توزيع الدولمن بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم..... 412

الخريطة رقم7: توزيع الحوانيت بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم..... 413

فهرس المحتويات

قائمة الاختزالات 7

مقـدمـة 9

الباب الأول: المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية: إشكاليات ومناهج 15

تقديم: 15

الفصل الأول: مصادر دراسة المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية 19

1 - المصادر الأدبية: 19

2 - المصادر الأثرية والدراسات التاريخية: 25

الفصل الثاني: الأطروحات السائدة بشأن مكونات الحضارة القرطاجية 29

1 - أطروحة الأصل الفينيقي: 29

2 - أطروحة الأصل الإغريقي: 30

3 - أطروحة الطابع المتعدد المشارب: 32

4 - قراءة نقدية في الأطروحات السابقة: 32

5 - أهمية البحث في الأصول المحلية للحضارة القرطاجية: 34

الفصل الثالث: إشكالية المحلي والوافد في الحضارة القرطاجية 39

1 - الجهاز المفاهيمي: 39

2 - محددات منهجية: 40

3 - الإطار الزمني والمجالي للدراسة: 43

الباب الثاني: الحضارة القرطاجية: المجال 47

تقديم: 47

الفصل الأول: المصير الإفريقي لقرطاج 49

1 - الانغراس بالمجال الإفريقي والاستقلال عن صور: 49

1-1 - أوضاع قرطاج في الفترة التالية للتأسيس: 49

1-2 بداية توسع قرطاج بالمجال الإفريقي: 52

1-3 - تاريخ استقلال قرطاج بإفريقيا عن مدينة صور بفينيقيا: 57

أ- العلاقة بين قرطاج وصور خلال الفترة المبكرة: 58

ب- أبعاد إرسال القرطاجيين للغنائم والقرابين إلى صور: 61

ج- بروز قرطاج كقوة مستقلة في البحر الأبيض المتوسط: 67

الفصل الثاني: المجال السياسي لقرطاج بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا: 73

1 - إشكالية بداية توسع قرطاج على حساب المجال الليبي: 73

2 - حدود المجال السياسي للدولة القرطاجية: 79

2-1 - من خلال معطيات الفترة المتأخرة: 79

2-2 - مقاربة جديدة لإشكالية المجال السياسي لقرطاج: 90

أ- ضعف إفادات الخنادق الدفاعية والتقسيم الإداري الروماني: 90

ب- امتداد المجال القرطاجي إلى سواحل السرت: 92

ج- المجال القرطاجي بسواحل السرت الصغرى والكبرى: 96

خلاصة: 111

الباب الثالث: الحضارة القرطاجية: الإنسان 115

تقديم: 115

الفصل الأول: ساكنة مدينة قرطاج..... 117

1- ساكنة قرطاج من خلال النصوص القديمة:..... 117

2 - ساكنة قرطاج من خلال الوثائق الأثرية: 131

3 - ساكنة قرطاج من خلال معطيات النقائش الإيبغرافية: 134

4 - ساكنة قرطاج من خلال أبحاث الأنثروبولوجيا البيولوجية:..... 141

الفصل الثاني: الليبيون بالمجال القرطاجي الإفريقي..... 147

1 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال النصوص التاريخية:..... 147

1-1 - إشكالية التسمية:..... 147

1-2 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال المصادر الأدبية:..... 151

1-3 - الليبيون بالمجال القرطاجي من خلال المعطيات الأثرية:..... 161

أ- معطيات ما قبل التاريخ:..... 161

ب- معطيات الفترة القرطاجية:..... 162

ج- إفادات النقائش والطوبونيميا:..... 164

د- معطيات الأنثروبولوجيا البيولوجية:..... 167

الفصل الثالث: العناصر الوافدة على المجال القرطاجي الإفريقي..... 170

1 - الفينيقيون:..... 170

1-1 - مدلولات تسمية «ليبوفينيقيين»: 170

1-2 - الفينيقيون بالمجال القرطاجي من خلال المصادر التاريخية والأثرية: 174

2 - الجاليات المهاجرة إلى قرطاج ومجالها الإفريقي:..... 185

2-1 - الإغريق:..... 185

2-2 - المصريون:.....192
2-3 - الإتروسكيون والإيطاليون:.....192
2-4 - الإيبيريون:.....193
2-5 - اليهود:.....193
خلاصة:.....195
الباب الرابع: اللغة والكتابة في الحضارة القرطاجية: بين المحلي والوافد.....197
تقديم:.....197
الفصل الأول: إشكالية أصل اللغة البونية.....199
1 - تاريخ ظهور اللغة البونية:.....199
2 - بعض عناصر المقارنة بين اللغتين البونية والفينيقية:.....202
1-2 - فرضية الأصل الفينيقي للغة البونية:.....202
2 - 2 - العلاقات اللغوية بين الفينيقية والبونية:.....205
أ- على مستوى المعجم:.....206
ب- على مستوى الصواتة:.....208
ج- على مستوى النظام الصيغي والصرفي:.....212
الفصل الثاني: العلاقات اللغوية بين البونية والليبية.....217
1- إشكالية تزامن اللغتين البونية والليبية بالمجال القرطاجي:.....217
1-1 - الأساس اللغوي المحلي بالمجال القرطاجي:.....217
1-2 - التجاور المجالي والزماني للغتين البونية والليبية:.....218
2 - العلاقات اللغوية بين البونية والليبية:.....229

2-1 - عوائق دراسة التفاعل بين اللغتين:.....229
2-2 - مستويات التفاعل بين اللغتين البونية والليبية:.....230
3 - اللغات الوافدة بقرطاج: اللغة الإغريقية نموذجا: 236
الفصل الثالث: الكتابة بالمجال القرطاجي الإفريقي.....239
1 - خصائص الكتابة البونية بإفريقيا مقارنة بالخط الفينيقي بالشرق: 239
1-1 - الخصائص المشتركة بين الكتابتين البونية والفينيقية:.....239
1-2 - المقارنة الباليوغرافية: 240
2 - العلاقة بين الكتابتين البونية والليبية:.....245
2-1 - الأساس المحلي الليبي في الكتابة: 245
2-2 - العلاقة بين الخط البوني والليبي: 257
خلاصة: 262
الباب الخامس: العقائد والمعبودات بالمجال القرطاجي الإفريقي.....265
تقديم: 265
الفصل الأول: الأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي 267
1 - مصادر دراسة الأرباب بالمجال القرطاجي الإفريقي:.....267
2 -قدم الأساس الديني المحلي:.....268
3 - الأربـاب الكبـرى بالمجال القرطاجي الإفريقي: 270
3-1 - تـانيت أو تينيت:.....270
3-2 - بعل حمون:.....282
4 - أربـاب ذكرت في الوثائق الأدبية والنقائشية والأعلامية والإيقونية:.....295

4-1 - أرباب وردت في المصادر الأدبية:..... 295
أ- ملقرت:..... 295
ب- أثينا وبوزيدون وتريتونيس:..... 298
ج- ديمتر وكوري:..... 300
د- عبادة قوى الطبيعة: الشمس والقمر:..... 302
4-2 - أرباب ذُكِرت في النقائش:..... 303
4-2-1 - أرباب وردت في النقائش البونية:..... 303
- أشمون: 303
- عشتارت:..... 304
- الرب يرت:..... 308
- شدرافه: 308
- بعل صافون:..... 309
- بعل شميم: 309
- بجماليون: 309
- شمس: 310
- رشف:..... 310
4-2-2 - أرباب وردت في النقائش والنصب الليبية واللاتينية: 311
4-3 - أرباب صغيرة من خلال أسماء الأعلام البونية والليبية:..... 312
أ- من خلال أسماء الأعلام البونية:..... 312
ب- من خلال أسماء الأعلام الليبية: 316
4-4 - أرباب من خلال الرموز والتشخيصات والعناصر الأيقونية:..... 317

الفصل الثاني: المعابد والأضرحة بالمجال القرطاجي الإفريقي 321

1 - المعابد: 321

2 - الأضرحة: 324

الفصل الثالث: العمارة الدينية والطقوس الجنائزية بالمجال القرطاجي الإفريقي 333

1 - العمارة الدينية: 333

1-1 - القبور: 333

1-1-1 - القبور ذات الجب: 333

1-1-2 - الأقبية: 336

أ- مقارنة بين الأقبية والقبور ذات الجب: 338

ب- مقارنة بين الأقبية والمدافن الليبية: 340

1-1-3 - القبر على شكل حفرة: 350

1-1-4 - الأحواض المنقورة على سطح الصخور: 351

1-1-5 - القبور المبنية: 352

1-1-6 - الدولمن: 354

1-1-7 - الحوانيت: 356

1-1-8 - التملوس أو الجثوة: 356

2 - علامات القبور واتجاهها والشواهد الجنائزية: 358

3 - الإقبار: 360

3-1 - إعداد الجثة: 360

3-2 -طرق الدفن: 361

أ- الدفن العادي: 361
ب- الترميد: 366
خلاصة: 371
خلاصات عامة: 375
الجداول: 380
اللوحات 393
الخرائط: 408
البيبليوغرافيا: 415
فهرس الجداول 449
فهرس اللوحات 449
فهرس الخرائط 451
فهرس المحتويات 453

من نهاية القرن 9 ق.م، تاريخ تأسيسها، وإلى غاية النصف الأول من القرن 2 ق.م تاريخ سقوطها تكون قرطاج قد أمضت ما يناهز السبعة قرون من الوجود بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا، اتجهت المدينة خلالها اتجاها مغايرا لباقي المدن التي أسسها الفينيقيون بضفاف البحر الأبيض المتوسط، وذلك بفضل ارتباطها بمجالها الإفريقي بمؤهلاته البشرية والطبيعية والحضارية. وبقدر ما عكست تلك الاستمرارية عنصر تميز لقرطاج بقدر ما شكلت عامل جذب للأثريين والباحثين لفهم عوامل ذلك التميز، وذلك لمدة تقارب القرنين، توالت خلالها الحفريات الأثرية والأبحاث التاريخية حول المدينة والمناطق التابعة لها بالجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم. لقد حقق البحث الأثري والتاريخي حول قرطاج وحضارتها ما يكفي من التراكم لجعلنا نتجه نحو طرح قضايا تاريخية أخرى. وضمن هذا الأفق، تأتي هذه الدراسة التي قاربت عددا من جوانب الحضارة القرطاجية من زاوية تقييم دور العوامل الأجنبية والمحلية في انبثاق وازدهار هذه الحضارة التي قامت على الأرض الإفريقية. ويعد هذا التوجه بمثابة استمرارية للأبحاث التي أنجزت في الموضوع، يبني عليها ويستثمر نتائجها لطرح إشكالية المحلي والوافد في بعض مظاهر تلك الحضارة وفق مقاربة شمولية تحليلية ونقدية.

ⵣⵉ ⵜⵥⵣⵙⵓ ⵏ ⵜⵓⵙⵜ ⵜⵣⵙ 9 ⵓⵜ ⵏ ⵛⵣⵙⵓ, ⵓⵙⵓⵔⵙⵣ ⵠ ⵜⵙⵍⵓ ⵜⵇⵣⵏⵜ ⵏ ⵍⵕⵟⵓⵏ, ⵓⵙ ⵜⵙⵣⵣⵙⵇⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵜ ⵜⵣⵙ 2 ⵓⵜ ⵏ ⵛⵣⵙⵓ ⵓⵣⵇⵣ ⵓⵜ ⵜⵟⵕ, ⵜⵔⵔⵓ ⵜⵇⵣⵏⵜ ⵓⵣ ⵇⵓ ⵉⵜⵜⵠⵙⵏ ⵙⵓⵜ ⵜⵓⵙⵜⵣⵏ ⵏ ⵙⵇⵣⵙⵇⵉⵔ ⵠ ⵙⵙⵏⵇⵉ ⵏ ⵉⵣⵙⵏⵟⵉ ⵏ ⵉⵣⵙⵙⵣⵙⵓ. ⵙⵏⵓⵣⵔⵓ ⵍⵕⵟⵉ ⵣ ⵜⵇⵣⵏⵜⵉⵏ ⵏⵏⵉ ⵉⵣⵣⵉⵉⵍⵍⵉⵔⵏ ⵠ ⵉⵠⵏⵏ ⵙⵇⵏⵉⵏ ⵓⵏⵓⵇⵇⵓⵙⵏ, ⵙ ⵜⵇⵏⵜⵉⵏⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵇⵜ ⵏ ⵜⵇⵣⵏⵜ ⵓⵣ ⵏ ⵙⵣⵠⵓⵙ ⵏⵙ ⵓⵣⵙⵍⵍⵉⵍ ⵏⵏⵉ ⵏⵓⵙ ⵏⵏⵓⵜ ⵜⵣⵉⵓⵣⵠⵙⵉⵏ, ⵜⵉⵠⵓⵇⵓⵏⵉ, ⵏ ⵙⵏⵓ ⵜⵉ ⵜⵠⵙⵇⵓ. ⵇⵕ ⵏⵓ ⵉⵇⵏⵓ ⵇⵓⵔⵓ ⵏ ⵓⵙⵏⵙⵔⵙ ⵏ ⵍⵕⵟⵍⵉⵙ, ⵉⵠⵓ ⵙⵏⵓ ⵜⵓⵏⵏⵓⵔⵜ ⵉ ⵉⵇⵙⵣⵙⵙⵜⵏ ⵓⵣⵓⵏ ⵓⵏ ⵓⵕⵣⵏ ⵇⵉⵍⵍⵉ, ⵏⵇⵓ ⵉⵜⵜⵠⵙⵏ ⵙⵓⵜ ⵜⵓⵙⵜⵣⵏ ⵉⵣⵣⵇⵙⵏ ⵏ ⵙⵙⵣⵙⵙⵜⵏ ⵓⵟⵕⵙⵏⵙⵉⵏ ⵏ ⵙⵇⵣⵙⵇⵓⵔ ⵠⵣ ⵜⵇⵏⵜⵉⵏ ⵏ ⵍⵕⵟⵍⵉⵙ ⵏⵓⵜ ⵍⵓⵏⵓⵏⵉⵏ. ⵉⵇⵓⵠⵙⵏⵉ ⵙⵓⵣⵙⵙ ⵓⵟⵕⵙⵏⵙⵉⵏ ⵏ ⵍⵏⵉ ⵙⵇⵣⵙⵓⵔ ⵜⵙⵠⵜ ⵏ ⵉⵇⵉⵇⵓⵣⵍⵏⵉ ⵠⵣ ⵜⵇⵏⵜⵉⵏ ⵏ ⵍⵕⵟⵍⵉⵙ ⵏ ⵍⵓⵣⵙⵓⵏ ⵠⵣ ⵜⵟⵠⵙⵓⵇⵓⵔⵓⵓ ⵙⵇⵏⵙⵇⵙ ⵓⵏ ⵏⵏⵉⵉⵏ ⵠⵣ ⵇⵍⵍⵓⵍ ⵍⵓⵣⵉⵉⵍⵓⵉⵉⵏ ⵏ ⵜⵟⵓⵇⵓ ⵜⵓⵕⵕⵓⵙⵏⵉⵉⵜ ⵙ ⵉⵇⵣⵙⵇⵓⵔ ⵠⵣ ⵏⵏⵓⵏⵉⵉⵜ ⵏ ⵜⵟⵓⵇⵓ ⵏ ⵜⵟⵓⵇⵓ ⵉⵇⵣⵙⵇⵓⵔ ⵠⵣ